

اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس

(92 –897 هـ – 711 – 1492م)



د. خالد يونس عبد العزيز الخالدي

فلسطين – غزة 1432هـ – 2011م

اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس
(92-897هـ=711-1492م)

د. خالد يونس عبد العزيز الخالدي

رسالة دكتوراه أجيزت من قسم التاريخ بجامعة بغداد عام 1999م

إشراف: أ.د. خليل إبراهيم الكبيسي

مطبعة ومكتبة دار الأرقم

فلسطين - غزة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[الممتحنة: 8 ، 9]

الإهــداء

* إلى المؤمنين الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم مــن قــضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

* إلى المجاهدين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، الظاهرين على الحق، القاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم: بقلم/ أ.د.عماد الدين خليل

للوهلة الأولى، وعندما يجد المرء نفسه قبالة هذا الحشد الكثيف من الوقائع والتوثيقات التي تنطوي عليها هذه الرسالة، يتساءل أين كان الباحثون عبر هذا المدى الزمني المتطاول من عمر الدراسات العليا والبحث العلمي في التاريخ الإسلامي، ولماذا لم يولوا هذه الحلقة المهمة في تاريخنا ما تستحقه من اهتمام؟!

ولعل من حسن حظ الأخ خالد الخالدي أن يكون الباحث الذي يملأ الفراغ، وأن يحدثنا بالرصانة العلمية وفق شروطها كافة، عن وضع اليهود في الأندلس عبر القرون الثمانية التي أتيح للمسلمين أن يحكموا هذه الأرض الأوربية، لكي يرى " الآخر" بما في ذلك "اليهودي" نفسه الذي يجلدنا في فلسطين وخارج فلسطين، منذ أكثر من خمسين عاماً، ما هو الفارق بين أمة تتلقى كلمات الله وتعاليم رسوله" صلى الله عليه وسلم" فتنفذها في واقع الحياة، مع ذات نفسها، ومع مخالفيها في الدين والعقيدة أيا كانوا، وبين فئة خرجت عن طاعة الله سبحانه، وانحرفت بها السبل عن تعاليم رسله الكرام " عليهم السلام"، فجعلت من نفسها حكماً على " الآخر"، وتعاملت معه بأشد صيغ الخصومة والعداء، حقداً وكراهية ورغبة في الأذى والاستعباد والنفي والمصادرة.

إن قيمة التاريخ تكمن ها هنا بالدرجة الأولى، بما أنه تحقق في الزمن والمكان: إنه يمنح العقائد والمذاهب مصداقيتها، أو يجردها منها!.

ها هنا، عبر التاريخ الإسلامي في الأندلس، وفي تلك الحلقة المدهشة والمحزنة من هذا التاريخ، يحشد الباحث مئات الصفحات المترعة بالمعطيات والخبرات الموثقة، لكي يجيب عن هذا السؤال: كيف كان وضع اليهود في بيئة أتيح

للمسلمين أن يتولوا فيها زمام السلطان؟ وكيف كانت حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية تشق طريقها، فيما يزيد عن القرون الثمانية؟

وبصبر وأناة، وقدرة علمية على لمّ الشواهد والروايات الخاصة بالموضوع، والتعامل معها تحليلاً وتركيباً ومقارنة ونقداً، يتابع الباحث مهمته في ضوء "خطة" محكمة عرف كيف يغطي بمحاورها ومفرداتها كافة المطالب الأساسية للموضوع، حيث تناول اليهود في أسبانيا قبل الفتح الإسلامي، والاستقرار اليهودي في الأندلس، وتعاملهم مع السلطة، وحياتهم الاجتماعية، وتنظيماتهم الإدارية والاقتصادية والثقافية، مع مقدمة تضمنت تحليلاً قيماً للمصادر والمراجع، وخاتمة خلص فيها إلى نتائج بحثه الشامل هذا، التي كان من أبرزها ولا ريب: أن الفتح الإسلامي للأندلس كان مخلِّصاَ لليهود، ومُنقِذاً لهم من العبودية والانقراض، وأن المسلمين سمحوا لليهود بالسكن في المدن الأندلسية بعد أن حرمهم القوط من ذلك، وساووهم بأبناء القبائل العربية، وأن العهود التي التزم فيها الحكام بالمنهج الإسلامي في التعامل مع اليهود والتزم فيها اليهود بشروط عقد الذمة، شهدت هدوءاً، وعلاقات طبيعية بين اليهود والسلطة، وبين اليهود والمسلمين عموماً، وأن المسلمين سمحوا لليهود الذين حصلوا على مناصب مهمة في بعض العهود، بالإفادة من مناصبهم، في خدمة اليهود داخل وخارج الأندلس، وأن يهود الأندلس لم يُقدِّروا إحسان المسلمين إليهم، وكانوا يشاركون النصارى الأسبان في التنكيل بمسلمي المدن الأندلسية المحتلة، ويدعمونهم بالمال في حربهم ضد مسلمي الأندلس، ويشاركون في القتال معهم في بعض الأحيان، وأن مسلمي الأندلس كانت لهم علاقات اجتماعية طبيعية باليهود، وقد أحسنوا إليهم وأنصفوهم بالرغم من علمهم بسوء طبائعهم، وشدة عدائهم للمسلمين، وذلك لأن دينهم يأمرهم بالإحسان إلى اليهود عندما يكونوا تحت حكمهم وفي ذمتهم، وأنه كان ليهود الأندلس تنظيماتهم الدينية والقضائية

الخاصة، وأنشطتهم الاقتصادية المتنوعة، وممارساتهم الثقافية التي تأثرت بالفكر الإسلامي، وساعدت بدورها على نقل ثقافة وفكر وعلوم المسلمين إلى أوروبا التي أقامت عليها نهضتها العلمية الحديثة.

لقد كتب الكثير عن تعامل المسلم مع الآخر عبر رحلة الأربعة عشر قرناً التي اجتازها الإسلام في جغرافية العالم القديم، وكلنا يذكر على سبيل المثال كتاب المستشرق البريطاني السير توماس آرنولد" الدعوة إلى الإسلام" الذي غطَّى الكثير من مفردات الظاهرة في الزمان والمكان، وكان بحق واحداً من أكثر البحوث الاستشراقية موضوعية وإنصافاً رغم بعض المآخذ العلمية التي قد توجه إليه.

ولكن تبقى الحاجة ماسة إلى اثنتين.. أولاهما أن يكتب المسلمون بأنفسهم تاريخهم، فهم-ولا ريب- الأقدر على مقارنة الحقائق وإدراك دلالاتها ومغزاها، وثانيتهما أن ينصرف كل باحث إلى بيئة أو فترة محددة لكي يتمكن من السيطرة أكثر على المادة التاريخية، وينفذ بالتالي دراسة معمقة للموضوع الذي يتعامل معه.

وبالتأكيد فإن جملة البحوث التي ستتمخض عن هذه المحاولات ستغذي المكتبة التاريخية، والمعنيين بالتاريخ الإسلامي، بدراسات في غاية الأهمية عن موضوع التعامل بين المسلم والآخر، أو بعبارة أخرى بين الغالب والمغلوب.

ولقد كان من حظ الخالدي، أن يكون واحداً ممن وضعوا لبنة ذات ثقل ملحوظ في هذا السياق، برسالته التي تستحق كل تقدير.

وقبل أيام فحسب أنجزت قراءة كتاب "حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية" للدكتور/ صلاح الخالدي، الذي عرف كيف يتعامل مع المعطى القرآني المعجز عن فلسطين واليهود..وكيف يفسر على وجه الخصوص الآيات المتعلقة بالموضوع من سورة الإسراء، فيما لم يرق إليه أي تفسير آخر في

القديم والحديث..قدرة على لم الشواهد القرآنية، والإيغال في دلالاتها، والتوصل في نهاية الأمر إلى حقائق" تاريخية" في غاية الدقة والإحكام، وهو كتاب إذا أُحسن توظيفه في صراعنا مع العدو الصهيوني واليهودية العالمية المتنفذة فإنه سيمنحنا الكثير.

أتراها غزة الفلسطينية هذا المنجم الغنيُّ بعطائه، السَّخِيُّ بتخريج المجاهدين والباحثين على السواء، مما يجعل الخالدِيَّيْنِ يُقَدِّمانِ في سياق العلاقة بين المسلم واليهودي، اثنتين من أكثر الدراسات المعاصرة أهميةً وإحكاماً عبر مدى لا يتجاوز السنوات الست؟.

أ.د. عماد الدين خليل

العراق– الموصل

المقدمة

عاش اليهود في شبه الجزيرة الأيبيرية قروناً عدة، قبل أن يفتحها المسلمون، وقد خضعوا خلال هذه المدة الطويلة للعديدِ من الأمم والأقوام الذين تعاقبوا على حكمها.

وقد كرههم أهل هذه البلاد وحكامها، وضيّقوا عليهم، وذلك ردّاً على كره اليهود لهم، واستعلائهم عليهم، واستهزائهم بمعتقداتهم، واستحلال كسب أموالهم بالرِّبا، وبالطرق غير المشروعة.

وقبيل الفتح الإسلامي للأندلس قام القوط الكاثوليك بتحويل اليهود إلى عبيد، وذلك بعد أن فشلوا خلال أكثر من مئة سنة من التضييق عليهم، في تحويلهم إلى نصارى مخلصين.

وعندما فتح المسلمون الأندلس، رفعوا الاضطهاد عن اليهود، وعاد معظم المنصّرين منهم إلى دينهم، وتعاملوا معهم على وفق الأحكام الشرعيّة الخاصّة بأهل الذمة، فسمحوا لهم بالبقاءِ على دينهم، وممارسة شعائرهم، وتركوا لهم حريّة السكن بين المسلمين، أو في أحياء خاصّة بهم، وأتاحوا لهم مزاولة ما شاءوا من أنواعِ النشاط الاقتصادي، وحفظوا أرواحهم وأموالهم وحقوقهم، فشهدوا عدلاً وتسامحاً وحريّة لم يعرفوها من قبل، وعاشوا أكثر من ثمانية قرون ينعمون بالحكم الإسلامي، ورأوا حضارة المسلمين السامقة، المتميّزة بجمعها بين الإيمان والعلم، واختلطوا بمجتمعهم الفريد، الذي يُقبِلُ أبناؤهُ على العلم والتعلُّم والثقافة والأدب، والبناء والتطوير والإبداع، إقبالاً كبيراً، ويعدّون ذلك كلّه عبادة يتقرَّبون بها إلى الله تعالى.

فانبهر يهود الأندلس بكلٍّ ما لدى المسلمين، وحاولوا تقليدهم، فتكلّموا بلغتهم، وتعلّموا أدبهم وفكرهم وثقافتهم وعاداتهم، وتحفّزوا لخدمةِ لغتهم العبريّة المندثرة، فوضعوا لها قواعِد على طريقة قواعِد اللّغة العربيّة، وكتبوا بها شعراً

موزوناً بأوزان الشعر العربي، وأدخلوا إليها فنوناً لم تكن موجودة إلاّ في اللّغة العربيّة، فأصبح لهم نحو وشعر وأدب، ما زالوا إلى اليوم يعدّونه العصر الذهبي للأدب العبري.

كما ظهر بينهم مفكرون وفلاسفة، مقلِّدون ومتأثِّرون بالمسلمين وفكرهم، ووضعوا مؤلفات فكرية ودينية، ما تزال في نظرهم أفضل ما أنتجه الفكر اليهودي.

وبلغ إحسان المسلمين إلى يهود الأندلس حدّاً جعلهم يعينون منهم في دولتهم الوزراء والسفراء وكبار الموظفين.

وكان ردُّ يهود الأندلس على تسامح المسلمين وإحسانهم إليهم كيداً وتآمُراً ظهر واضحاً في عصر الطوائف، حيث استغلّوا مناصبهم، وتطاولوا على المسلمين، وسخروا من دينهم، وتآمروا لإقامة دولة يهودية لهم في الأندلس، وقدّموا المساعدة للأسبان في هجماتهم الصليبية على الأندلس، كما شاركوا في التنكيل بمسلمي المدن الأندلسيّة التي كانت تسقط في يد الأسبان.

وهناك أسبابٌ عديدة دفعتني إلى دراسة هذا الموضوع، وجعلتني أقبل عليه برغبةٍ وشغفٍ وتحدٍّ لكل الصعاب التي توقَّعتها وحُذرتُ منها.

وأهمُّ هذهِ الأسباب:-

1- خلوُّ المكتبة العربية من دراسة أكاديمية علميّة شاملة، تغطّي هذا الموضوع، بالرَّغم من أهميته.

2- الرغبة في معرفة متى وكيف استقرَّ اليهود في شبه الجزيرة الأيبيريّة؟ وكيف عاملهم حكامها وسكانها على مرِّ العصور؟ وهل كان الفتح الإسلامي لهذه البلاد منقذاً لليهود من الاضطهاد الديني؟ وأنّه حال دون انقراضهم نهائياً من الأندلس على أيدي القوط الكاثوليك؟

3- للتعرُّف على موقف اليهود من الفتح الإسلامي للأندلس، وهل كان لهم دورٌ مهمٌ فيه كما يزعم اليهود اليوم؟

4- الرغبة في التعرُّف على مواطن استقرار اليهود فـــي الأنـــدلس، وأمـــاكن تجمعاتهم الرئيسة فيها، وهل أُجبروا على السكن في أحياء خاصّة؟ وما هو حجم الوجود اليهودي في المدن الأندلسيّة؟

5- الرغبة في التعرُّف على الأوضاع الـــسياسيّة والاجتماعيـــة والاقتـــصادية والإدارية والثقافيّة لليهود الذين عاشوا أكثر من ثمانية قرون تحت حكم المسلمين في الأندلس، ولاسيما أنَّ كثيراً من المثقفين اليهود فـــي عـــصرنا يعتقـــدون أنَّ أجدادهم لم يحصلوا عبر تاريخهم الطويل على معاملة أفضل من المعاملة التـــي وجدوها في الدولة العربية الإسلاميّة في الأندلس، وأنّه لم تتهيأ لهم بيئة علميّـــة وثقافيّة وحضاريّة مزدهرة ومؤثرة مثلما تهيأ لهم في الأندلس.

6- لمعرفة موقف السلطة الإسلامية في مختلف العهود من اليهود في الأندلس، وكذلك موقف اليهود منها، وما هو مدى التزام حكام الأندلس بمنهج الإسلام في التعامل مع اليهود؟ ومدى التزام اليهود بشروط عقد الذمة؟

7- لمعرفة هل فعلاً حدثت محاولة لليهود في عصر الطوائـــف لإقامـــة دولـــة يهودية في إحدى مدن الأندلس؟ وما هو ردُّ فعلِ المسلمين على ذلك؟

8- للتعرُّف على الشخصيات اليهوديّة التي حصلت على وظائف مهمـــة فـــي الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، وهل قدَّر هؤلاء إحسان المسلمين إلـــيهم؟ وكيف استغلّوا وظائفهم لخدمة مصالح اليهود داخل وخارج الأندلس؟ وما هـــو موقف مسلمي الأندلس من قيام بعض حكامهم بتنصيب اليهـــود فـــي وظـــائف حكومية مهمة؟

9- الرغبة في التعرُّف على عادات وتقاليد وسلوك وأخلاق يهود الأندلس، وهل كانت لهم علاقات اجتماعية بالمسلمين؟ وهل تأثروا بالمجتمع الإسلامي الـــذي عاشوا في وسطه أكثر من ثمانية قرون؟

10- للتعرُّف على التنظيم الإداري والمالي للجالية اليهودية في الأندلس.

11- للتعرُّف على المستوى المعيشي لليهود في الدولة العربية الإســـلامية فـــي الأندلس، والمجالات الاقتصادية التي عملوا فيها.

12- للتعرف على فكر وثقافة وأدب وعلوم اليهود في الأندلس، وهل تأثروا بما لدى المسلمين؟ وما هو حجم ذلك الأثر؟ وهل كان يهود الأندلس من المبـــدعين والمؤثرين في النهضة العلمية في الأندلس، كما يدّعي العديد من الكتاب اليهـــود المعاصرين؟

13- للتمكن من عقد مقارنة بين حكم المسلمين لليهود في الأندلس لأكثر مـــن ثمانية قرون، وبين حكم اليهود للمسلمين في فلسطين، خلال نحو نصف قرن من الاحتلال.

14- للتعرُّف على خلاصة تجربة طويلة من الحكـــم الإســـلامي لليهـــود فـــي الأندلس، للإفادة منها مستقبلاً عندما يتحقق وعد الله، ويعود اليهود من جديد أهلُ ذمّةٍ في ظلِّ دولة الإسلام.

وقد جاء البحث في مقدمة وستة فصول وخاتمة. أمّـــا المقدمـــة، فقـــد تضمنت لمحة موجزة عن الموضوع، والأسباب التي دفعت الباحث لدراســـته، وأهم التساؤلات التي ستجيب عنها الدراسة، ثم تحليلاً لأهـــم المـــصادر التـــي اعتمدت عليها.

وأمّا الفصل الأول فقد تناول بداية الاستقرار اليهـــودي فـــي أســـبانيا، وأوضاع اليهود فيها تحت حكم الرومان والوندال والقوط الأريوسيين، والقـــوط الكاثوليك.

وقد بحث الفصل الثاني مواطن الاستقرار اليهودي في الأندلس، وبـــيّنَ مواقع الأحياء اليهوديّة في أهم المدن الأندلسيّة.

وقدَّم الفصل الثالث دراسة لموقف السلطة الإسلاميّة في مختلف العهــود من اليهود في الأندلس، وموقف اليهود منها.

وكان الفصل الرابع بعنوان "الحياة الاجتماعيّة لليهود في الأندلس"، حيثُ قدَّمَ وصفاً للطائفة اليهوديّة في الأندلس، وتحدَّث عن عـــاداتهم وتقاليـــدهم فـــي مجالاتٍ عِدّةٍ، كالمأكل والملبس والزواج، وبحث في العلاقات الاجتماعية بـــين مسلمي ويهود الأندلس.

ودرس الفصل الخامس التنظيم الإداري للطائفة اليهوديّة في الأنـــدلس، وكذلك النشاطات الاقتصادية التي مارسها اليهود هناك.

أمّا الفصل السادس فقد كان بعنوان "الحياة الثقافيّة لليهود في الأنـــدلس"، حيث بحث في التربيّة والتعليم عند يهود الأندلس، وفي نشاطهم اللغوي والأدبي والفكري والعلمي.

وقد انتهى البحث بخاتمة تضمنت أهمَّ النتـــائج التـــي توصّـــلت إليهـــا الدراسة، وكذلك التوصيات التي يوصي بها الباحث.

تحليل المصادر:

لا يستطيع الباحث في التاريخ أن يقدم صورة واقعية عن الموضوع الذي يبحث فيه، إلا إذا توفرت له الوثائق التاريخية والمصادر الأولية التي تحتوي على المعلومات والحقائق الكافية عن هذا الموضوع.

وفي بحثي لموضوع اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، رجعت إلى عدد كبير من الوثائق والمصادر الإسلامية، التاريخية والأدبية والجغرافية والفقهية، وإلى كتب النوازل والحسبة والتراجم، فوجدت فيها معلومات تتفاوت في درجة أهميتها بالنسبة لموضوع الدراسة، لكنها بصورة عامة معلومات قليلة، ولا تكفي لتغطية الموضوع من جميع جوانبه، والسبب في قلتها يرجع إلى أن الكثير من مؤلفي المصادر الإسلامية، لم يفصّلوا في الحديث عن الجماعات غير المسلمة كاليهود والنصارى، وإنما ذكروهم عرضاً أثناء السرد التاريخي المفصل لأخبار الأمراء والفتوحات والانتصارات والهزائم، أو خلال إجاباتهم عن بعض النوازل، أو في بعض كتبهم الجغرافية والأدبية.

ولكي نستكمل الموضوع، وحتى لا تكون الدراسة أحادية المصادر، تمَّ الرجوع إلى المصادر الأجنبية، والوثائق والمصادر اليهودية، وكذلك إلى المراجع الحديثة، والموسوعات اليهودية التي اعتمدت على وثائق ومصادر أسبانية ويهودية، لم نتمكن من الوصول إليها.

وطبيعي أن تحتوي مصادر اليهود ومراجعهم على معلومات لم نجدها في المصادر الإسلامية، لأن مؤلفيها معنيون بتسجيل أخبار وتفاصيل لا تعني المؤلفين المسلمين.

وقد تعاملت مع ما جاء في المصادر والمراجع اليهودية والأجنبية بحذر شديد، فلم أقبل إلا ماله أصل في مصادرنا، أو ما اعتقدت أنه لا مصلحة لهم في وضعه، كما رددت على الكثير من الروايات والآراء، وبينت سبب رفضي لها.

وفي ما يأتي تحليل لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

أولاً: المصادر الإسلامية

1- "أخبار مجموعة في فتح الأندلس"، لمؤلف مجهول (من أهل القرن الرابع أو الخامس الهجري).

أفدت منه في مواضع عدة، إذ يحتوي على معلومات مهمة، تتعلق باليهود، كوجودهم في العديد من المدن الأندلسية، واستخدام المسلمين لهم في الإسهام بحراسة المدن التي يتم فتحها، حيث كانوا يتركونهم مع طائفة من المسلمين للحراسة، ويواصل بقية الجيش الإسلامي عمليات الفتح.

2- "التبيان"، للأمير عبد الله بن بلقين، سليل أسرة بني زيري، وآخر أمرائها (توفي بعد سنة 483هـ=1090م)، حققه ونشره: إ. ليفي بروفنسال، تحت عنوان: "مذكرات الأمير عبد الله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة".

أفدت منه في دراسة اليهود والسلطة في عهد الطوائف، حيث نقل صورة من الداخل عن الأوضاع التي سادت قصور الأمراء الزيريين، وأوضح الأسباب التي أدت بهم إلى اتخاذ وزراء من اليهود، وصوَّر عبد الله عائلة ابن نغدله أحسن تصوير، فسجَّل ما يعرفه عن إسماعيل وابنه يوسف، وأوضح المؤامرات التي قام بها الأخير لتدعيم سلطته، وما وصل إليه من تجبُّر وتسلُّط، أدى في النهاية إلى ثورة مسلمي غرناطة عليه وقتله.

3- "الأحكام الكبرى"، لأبي الأصبغ عيسى بن سهل (توفي في غرناطة سنة 486هـ=1093م).

وقد رجعت إلى مجموعة من وثائق هذا الكتاب التي استخرجها وحققها ونشرها محمد عبد الوهاب خلاف، تحت عنوان: "وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في

الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل".

وبالرغم من أن هذه الوثائق تركز على نصارى الأندلس، إلا أنني أفدت من إشاراتها القليلة عن اليهود في دراسة الاستقرار اليهودي في الأندلس، حيث جاء بوثيقة تبين أن بعض اليهود جاوروا المسلمين في مساكنهم، كما أمدَّت وثائق أخرى البحث بمعلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية ليهود الأندلس.

4-"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: 542هـ=1147م).

وهي موسوعة أدبية وتاريخية ضخمة، وقد وجدت فيها معلومات مهمة عن شخصيات يهودية بارزة في عصر الطوائف كإسماعيل بن نغدله، وولده يوسف اللذان تعاقبا على منصب الوزارة في غرناطة في عهد بني زيري، وأبي الفضل حسداي وزير المقتدر بن هود في سرقسطة، وقد أفدتُ من هذه المعلومات في مبحث اليهود والسلطة في عصر الطوائف.

5- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، لأبي عبد الله محمد بن محمد الحمودي المعروف بالشريف الإدريسي (ت : 564 هـ=1160م).

ويحتوي الكتاب على مادة جيدة عن استقرار اليهود في الأندلس، حيث أشار إلى كثرة اليهود في بعض المدن الأندلسية كأليسانة وطركونة، وذكر تفصيلات مهمة عن يهود أليسانة وغناهم وانفرادهم بالسكن داخل أسوارها، إضافة إلى شذرات عن اليهود في عهد المرابطين وعلاقتهم بالسلطة.

6- "تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين"، لابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد، (ت: 594هـ=1198م).

أفدت منه في دراسة موضوع اليهود والسلطة في عهد الموحدين، وفي التعرف على سياسة الموحدين الحازمة مع اليهود، وموقف اليهود منهم.

وهو يحتوي على أخبار مهمة عن اليهود في عهد الموحدين، كتظاهرهم بالإسلام، وارتيادهم مساجد المسلمين، وشك الخليفة المنصور بإسلامهم، وفرضه عليهم لباساً خاصاً، لكي يُمَيَّزوا به، وقد أفدت من كل ما أورده عن هذا الموضوع في التعرف على سياسة الموحدين مع اليهود.

7- "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، لابن أبي أُصيبعة (ت: 668هـ=1269م).

موسوعة فريدة خاصة بالأطباء، اشتملت على أخبار بعض أطباء يهود الأندلس، فذكرت أعمالهم ومؤلفاتهم، وعلاقتهم بالمجتمع الإسلامي، وقد استخلصتُ منه حقائق مهمة، لا يمكن أن نجدها في مؤلفات أخرى.

8- "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، لابن عذاري المراكشي (كان حيًّا عام 712هـ=1312م).

أفادني هذا الكتاب في أخباره عن الوزير اليهودي يوسف بن نغدله، وسيرته ومقتله، وهو المصدر الوحيد الذي وجدته يذكر صراحة محاولة ابن نغدله إقامة دولة يهودية في مدينة المرية. كما أفادني في بعض الحوادث التي كانت قرطبة مسرحاً لها، كثورة العامة على اليهود سنة (529هـ=1134م)، وفي ذكره للجرائم التي ارتكبها يهود بلنسية ضد المسلمين، عندما سقطت هذه المدينة في يدِ الأسبان.

9- "الإحاطة في أخبار غرناطة"، لابن الخطيب، لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت : 776هـ=1374م).

احتوى على معلومات عن الوزير اليهودي ابن نغدله، ومقتله، نقلها عن ابن عذاري بتصرّف طفيف، وهو يذكر المكان الذي دُفِن فيه، حيث كان اليهود في وقته يعرفون قبره.

10- "أعمال الأعلام" لابن خطيب.

تعرَّض المؤلف لدولة بني زيري وأمرائها، ودور اليهود فيها في عهد وزارة ابن نغدله، وأضاف إلى المعلومات التي نجدها في كتاب الإحاطة، القصيدة التي قالها أبو إسحاق الإلبيري محرّضاً باديس والمسلمين على الوزير اليهودي وعماله من اليهود المتسلّطين.

11- "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيـــة والأنـــدلس والمغرب"، لأحمد بن يحيى الونشريسي (884-914هـ=1479-1508م).

ويُعَدُّ هذا الكتاب موسوعة عملية حية للفقه المـــالكي، وهـــو مجموعـــة التجارب المعاشة الموثقة، وليس دراسة نظرية أو افتراضية لمـــسائل فقهيـــة، ولذلك فقد اعتمدتُ عليه في مواطن الاستقرار اليهودي في الأندلس، وفي بعض المسائل الاجتماعية كملابس اليهود وأعيادهم، وما يقدمونه فيها من هدايا لبعض جيرانهم المسلمين.

12- "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الـــدين بـــن الخطيـــب"، لـــشهاب الـــدين أحمـــد بـــن محمـــد المقـــري التلمـــساني (ت: 1041هـ=1631م).

أفَدْتُ من القسم الذي خصصه للشعراء اليهود في الأندلس، الذين كتبوا شـــعرهم باللغة العربية، حيث ترجم لهم، وسجّل أخبارهم، وأورد أبياتاً من أشعارهم تدل على تمكّنهم من اللغة العربية. كما أفدتُ أيضاً من الشذرات المهمة التي وردت في الكتاب عن أخبار اليهود في الأندلس.

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة

وأهمها :-

1- "اليهود في الأندلس"، لمحمد بحر عبد المجيد (مدرس اللغة العبرية بجامعة عين شمس).

نشر هذا الكتاب سنة 1970م، وقد ركز المؤلف فيه على النشاط الأدبي ليهود الأندلس من الفتح وحتى نهاية عصر الموحدين، وَدوّنَ فيه عدداً من قصائدهم العبرية بعد أن ترجمها إلى العربية، لكنه لم يوثق في بعض الأحيان المعلومات التي جاء بها، والظاهر أنّ معظم مصادره يهودية عبرية. وقد أفدت من بعض هذه القصائد، ومن بعض ترجماته لأدباء وشعراء يهود في الأندلس.

2- "تاريخ الفكر الأندلسي"، للمستشرق الأسباني بالنثيا.

يشتمل هذا المؤلف الضخم على معلومات مهمة عن عدد كبير من المفكرين اليهود الذين نبغوا في الأندلس، إذ تطرق إلى ثقافتهم، وتأليفهم باللغة العربية، ودورهم في نقل فكر المسلمين وحضارتهم إلى أوربا. وقد أفدت منه في الفصل السادس الذي خصَّصته للحياة الثقافية لليهود في الأندلس.

3- "دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية"، لجوايتاين.

مجموعة من المقالات المهمة المتعلِّقة بالتاريخ الإسلامي، وقد أفدت من المعلومات التي استقاها المؤلف من دفين الجنيزة بالقاهرة، هذا الدفين الذي يشتمل على وثائق يهودية، يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى، وبعض هذه الوثائق عبارة عن مراسلات بين يهود يقيمون في الأندلس، وآخرين يقيمون خارجها، وقد وَجَدَتْ هذه الوثائق طريقها إلى جنيزة القاهرة، لأن اليهود اعتادوا أن يحتفظوا بأوراقهم ومراسلاتهم القديمة في مكان خاص داخل معابدهم، لاعتقادهم بحرمة رميها أو حرقها، وقد قدَّمت هذه الوثائق معلومات قيِّمة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية ليهود الأندلس، لم نجدها في كتب التاريخ.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

وأهمها:

1- كتاب: "THE JEWS OF MOSLEM SPAIN"،

ومؤلفه هو : ELIYAHU ASHTOR، أستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة العبرية في القدس، وقد كتبه بالعبرية، وترجمه إلى الإنجليزية AARON KLEIN و MACHLOWITZ KLEIN.

وهو كتاب ضخم يتكون من ثلاثة مجلّدات، بحث فيه هذا اليهودي ذو الأصل الأندلسي تاريخ اليهود في الأندلس المسلمة من جميع جوانبه، وقد اعتمد على مصادر إسلامية ويهودية وأسبانية، وكانت إحدى أهم مصادره اليهودية مؤلفات فقهية يهودية تشبه كتب الفتاوى والنوازل عند المسلمين، كتبها أحبار يهود في الأندلس وفي عصور مختلفة، كما رجع إلى خرائط أسبانية قديمة للمدن الأندلسية، تظهر مواقع الأحياء اليهودية فيها، كما زار هذه المدن، وحاول أن يتعرّف على مواقع اليهود فيها في العصر الإسلامي.

ويمتاز كتاب آشتور بالتوثيق، فهو يُشير دائماً إلى مصدر المعلومة التي يذكرها، أما سلبيات آشتور وكتابه فكثيرة، نذكرُ منها أنه يأتي بتفصيلات كثيرة، خارجة تماماً عن الموضوع، فإذا أراد أن يتحدَّث عن موقف يهود الأندلس من الفتح الإسلامي، نجده يسهب ويُطنب في الحديث عن فتح المسلمين للأندلس، وإذا ذُكرت علاقة ليهودي أندلسي مع يهودي في مصر أو فلسطين أو إيطاليا أو الخزر نجده يترك الأندلس، وينتقل إلى تفاصيل تاريخ اليهود في تلك البلدان، كما أنه يكتب بأسلوب إنشائي ودعائي لليهود، وهو يحاول أن يلتقط أخبارهم القليلة، ليبرزهم ويُضخِّم مكانتهم وأثرهم في الأندلس، وهذا كلُّه يُفسِّر السبب في ضخامة كتابه، كما أنَّه لم يطِّلع على كثيرٍ من المصادر الإسلامية، ولم يستطع الخوض في كتب الفقه الإسلامي والنوازل والحسبة.

وقد تعاملتُ مع معلوماته بحذر، فلم أسجّل إلا ما رأيتُ أن له أصلاً في مصادرنا، وما اعتقدتُ أنها معلومات عادية لا مصلحة له في وضعها، كمواقع أحيائهم وأسماء أحبارهم وقادتهم، وطريقة تنظيمهم. وهي معلومات وثّقها، وكنتُ في كثيرٍ من الأحيان أسجّل المصدر الأجنبي الذي نقل عنه هذه المعلومات. وقد توقفتُ عند العديد من آرائه، وناقشتها ورددتها، وحاولتُ أن أقدّم بحثاً يجمع فقط الحقائق التي ذكرتها المصادر الإسلامية واليهودية والأسبانية، ويناقشها مناقشة علمية موضوعية غير متحيزة.

2- " TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERUTURE"،

ومؤلفه هو : JACOB MANN.

وهو كتاب وثائقي يتكوّن من مجلّدين ضخمين جمع فيه المؤلِّف عدداً كبيراً من الوثائق التاريخية اليهودية المهمة، ووضع صوراً لها، وهي مكتوبة إمّا باللغة والحروف العبرية، أو بحروف عبرية ولغة عربية، وبَيَّن أماكن وجود هذه الوثائق وأرقامها في المكتبات والجامعات الأجنبية، وقد أفدتُ من هذه الوثائق في فصل اليهود والسلطة، وبالذات عند الحديث عن اليهودي حسداي بن شبروط، الذي حصل على منصب مهم في حكومة الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر، واستغلّه لمساعدة اليهود داخل وخارج الأندلس، حيث وجدتُ فيه صورة نص الرسالة التي بعث بها يهود جنوب إيطاليا إلى حسداي، يشرحون له معاناتهم تحت الحكم البيزنطي، ونص الرسالة التي بعث بها حسداي إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع، مع رسولي الإمبراطور إلى الخليفة الناصر، ويرجوه فيها أن يرفع المعاناة عن يهود إمبراطوريته، وكذلك نصّ الرسالة التي بعث بها يهود جنوب فرنسا إلى حسداي ليتدخل لدى حكامهم كي يحسنوا معاملتهم.

3- كتاب "LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS"، ومؤلفه هو: GOITEIN, SOLOMON, DOB FREITZ.

وهو كتاب وثائقي يحتوي على عدد كبير من المراسلات بين التجار اليهود في العصور الوسطى في منطقة حوض البحر المتوسط، وقد استخرجها جوايتاين من جنيزة القاهرة، وقام بنشرها، وقد أفدت من المراسلات الخاصة بتجار يهود أندلسيين في التعرُّف على نشاطهم الاقتصادي، وجوانب من حياتهم الاجتماعية، وحصلت منها على معلومات وحقائق مهمة لم أجدها في مصادرنا الإسلامية.

4- " THE HISTORY OF THE JEWS OF SPAIN AND PORTUGAL"

ومؤلفه هو: E.H. LINDO، وقد نشره أول مرَّة في سنة 1848م.

والكتاب يتناول تاريخ اليهود في أسبانيا منذ وجودهم فيها، وحتى طردهم منها على يدِ الأسبان، وهو يركز على تاريخهم تحت حكم النصارى الأسبان.

وقد أفدت منه في التعرُّف على آراء اليهود بخصوص بداية وجودهم في أسبانيا، وفي التعرُّف على أوضاعهم تحت حكم القوط الكاثوليك، حيث نشر النصوص الكاملة لقوانين المجالس الكنسية القوطية التي صدرت ضدَّ اليهود.



الفصل الأول

اليهود في أسبانيا قبل الفتح الإسلامي

المبحث الأول: الوجود اليهودي في أسبانيا.

المبحث الثاني: اليهود في أسبانيا إلى زمن تَحَوُّل القوط إلى الكاثوليكية.

المبحث الثالث: اليهود تحت حكم القوط الكاثوليك.

المبحث الأول
الوجود اليهودي في أسبانيا

اتفقت المصادر التاريخية على قدم الوجود اليهودي في أسبانيا[*]، لكنها اختلفت في تحديد زمان وطريقة وصولهم إليها. فأوّل وصول يهودي إلى تلك البلاد، تحدثت عنه المصادر الإسلامية، يعودُ إلى عهد الملك الأسباني إشبان، الذي تقول إنه شارك مع نبوخذنصر في فتح القدس سنة (586 ق.م)، ثم عاد إلى بلاده يحملُ معه مئة ألف أسير يهودي. وتقدم المصادر الإسلامية تفاصيل متشابهة عن هذا الموضوع[1].

---

[*] لقد فضلت استخدام كلمة "أسبانيا" في هذا الفصل فقط. لأنّ هذا الاسم أطلق على شبه الجزيرة الأيبيرية منذ عهد إشبان الذي حدث في عهده أول استقرار لليهود في هذه البلاد، كما أوضحت ورجحت في موضوع آخر من هذا الفصل، واستخدام كلمة "الأندلس" عند الحديث عن هذه البلاد، بعد الفتح الإسلامي لها، لأنه الاسم الذي استخدمه المسلمون.

[1] ينظر: البكري، أبو عبيد، المسالك والممالك (القسم الخاص بالأندلس وأوروبا)، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، (بيروت، دار الإرشاد، ط1، 1968م)، ص109-111؛ أبو محمد الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار، وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق: إيميليو مولينيا، وخاثينو بوسك ميلا، (مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1990م)، ص102؛ ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، وإ. ليفي بروفنسال، جـ2، (بيروت، دار الثقافة، د. ت)، ص2؛ العذري، أحمد بن عمر، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965م) نشر تحت عنوان "نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"، ص97؛ ابن الشباط، محمد بن علي، صلة السمط وسمة المرط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1971م)، ص139، نشره تحت عنوان: "تاريخ الأندلس لابن الكرديوس، ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان".

ومن ذلك قول الحميري نقــلاً عن الرازي(**): "أول من سكن الأندلس بعد الطوفان على ما يذكره علماء قوم عجمها يعرفون بالأندلش بالشين معجمة، بهم سمي البلد ثم عرب، وكانوا أهل تمجس، فحبس الله تعالى عنهم المطر، حتى غارت عيونها، ويبست أنهارها، فهلك أكثرهم، وفر من قدر على الفرار منهــم، فأقفــرت الأندلس، وبقيت خالية مئة عام، وملكهم إشبان بن طيطش، وهو الذي غزا الأفارقة، وحصر ملكهم بطالقة ونقل رخامها إلى إشــبيلية، وبــه ســميت فاتخذها دار مملكة، وكثــرت جموعــه، فعلا في الأرض، وغزا من إشــبيلية إيليا [القدس]، بعد سنتين من ملكه، خرج إليها في الســفن، وهدمها، وقتل مــن اليهودِ مئة ألف وأسترقّ مئة ألف، وفرق في البلاد مئة ألف، وانتقــل رخـــام إيليا وآلاتها إلــى الأندلــس. والغرائــب التــي أصيبت في مغانــم الأنــدلس، كمائدة سليمان التي ألفاهــا طارق بــن زيــاد بكنيســـة طليطلة، وقليلة الدر التي ألفاها موســى بــن نصيــر بكنيســة ماردة، وغيــرها مــن الذخائــر، كانت مما حازه صاحب الأندلس من غنيمة بيت المقدس، إذ حضر فتحها مــع نبوخذنصر(*)"(1).

(**) هو أحمد بن محمد الرازي، الجغرافي الأندلسي المتوفى سنة (324هـ=936م). وقد صرَّح ابن الشباط باسمه عندما نقل عنه هذه الرواية. عن تاريخ وفاة أحمد بن محمد الرازي. ينظر: البكري، المسالك والممالك (القسم الخاص بالأندلس وأوربا)، ص70 (هامش المحقق)، وعــن نقل ابن الشباط هذه الرواية عنه. ينظر : ابن الشباط، صلة السمط، ص139.

(*) نبوخذنصر أو نبوخت نصر (NEBUCHADNEZZAR): أحد ملوك الكلــدانيين الــذين سكنوا جنوب العراق، توفي سنة 561 قبل الميلاد. ينظر البكري، المسالك والممالك، (القــسم الخاص بالأندلس وأوربا)، ص111 (هامش المحقق).

(1) الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبــاس، (القاهرة، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980م)، ص33-34.

وقبل الدخول في مناقشة ما جاءت به مصادرنا، نعرض ما ورد في المصادر اليهودية والأسبانية عن هذا الموضوع. فالمصادر اليهودية تذكر أن عدداً من العائلات اليهودية الشهيرة في الأندلس تقول: "إن أجدادهم جاءوا إليها أسرى مع إشبان في زمن التدمير الأول للهيكل، مثل عائلة المؤرخ اليهودي إبراهيم بن داود[1] في أليسانة[2]، والعائلات التي تنسب نفسها إلى النبي داود عليه السلام في إشبيلية (SEVILLE) مثل عائلة أبرابانيل.

وتناقل اليهود الأندلسيون خلال الحكم الإسلامي للأندلس روايات كالتي سجلها وقبلها إسحاق أبرابانيل في تفسيره لإصحاح الملوك، والتي تُبيّنُ أن أوائل المستوطنين اليهود لمدينة طليطلة كانوا الأسرى من قبائل يهوذا وبنيامين الذين جاءوا مع إشبان وبيروس (PIRUS)، المشاركَيْن مع نبوخذنصر في فتح القدس[3].

---

(1) إبراهيم بن داود: هو المؤرخ اليهودي الوحيد الذي برز في الأندلس، وقد عاش من سنة (504-576هـ=1110-1180م)، وكتابه الوحيد الذي ألفه، واحتوى على جانب تاريخي كان بعنوان: (هكبالا) بمعنى "التصوف"، ولم يتناول فيه تاريخ الأندلس، بل ركز على تاريخ كتابة التلمود.

ينظر:

SEMON DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS FROM ROMAN EMPIRE TO THE EARLY MEDIEVAL PERIOD, (NEW YORK,), VOL.2, P.756; YITZHAK BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRISTIAN SPAIN, (PHILADELPHIA), VOL.1, P.32.

(2) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, (JERUSALEM, 1972), VOL.11, P.550.

(3) EDITORIAL STAFF, ENCYCLOPEDIA JUDAICA (ED) SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICAL, VOL.14, P.1201.

ويقول يهود غرناطة: "إن وجودهم فيها يرجع إلى زمن نبوخذنصر وإشبان، وأنهم هم الذين سموها بهذا الاسم الذي يعني بالأسبانية القديمة "رُمانة"[1].

وتقدم بعض الدراسات اليهودية افتراضات وتوقعات عن زمن الوصول اليهودي إلى أسبانيا، منها أنهم ربما نزحوا إليها خلال الصراعات التي حدثت في زمن القضاة (1125–1025ق.م)، أو خلال الحروب بين مملكتي يهودا وإسرائيل (931–724ق.م)[2]، أو أنهم من سلالة السفراء الذين بعث بهم النبيان داود وسليمان عليهما السلام للإقامة في أسبانيا، وأنّ حيرام مسؤول كنوز سليمان قد توفي هناك[3].

ولم يقدم أصحاب هذه المزاعم دليلاً عليها. وتصنفها بعض الدراسات اليهودية الحديثة ضمن الأساطير التي لا دليل على صحتها.

وقد نقل إلينا (لندو) ما قاله المؤرخون الأسبان، وعلى رأسهم ماريانا(MARYANA) عن هذا الموضوع. وهو أن إشبان قد رافق نبوخذنصر، وفتح معه القدس، ونقل إلى بلده عدداً من يهودها[4].

---

(1) BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852.

(2) E.H. LINDO, THE JEWS OF SPAIN AND PORTUGAL (NEW YORK), P.6.

(3) ظاظا، حسن، "اليهود في أسبانيا الإسلامية"، مجلة الفيصل، ع26، (جمادى الآخرة، 1410هـ، نوفمبر–ديسمبر، 1994م)، ص38. هناك أسطورة يهودية تقول بأنه عُثر في مدينة مورفيدرو (MURVIEDRO) الواقعة الآن في بلنسية والمسماة ساغونتو (SAGUNTO)، على شاهد قبر يحمل كتابة عبرية هي: المسؤول عن خزينة الملك سليمان، الذي جاء لجمع الجزية ومات.

ينظر: BEINART, MURCIA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.12, P.531; ISAAC, BROYDE, SPAIN, THE JEWS ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484.

(4) ينظر: LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.5.

وأميل إلى صحة القول بأن أول استقرار لليهود في أسبانيا، كان في عهد الملك إشبان، وأنه حملهم إليها أسرى، وهو عائد إلى أسبانيا بعد مشاركته نبوخذنصر في فتح القدس. وذلك للأسباب الآتية:

1- ورود هذه الرواية في العديد من مصادرنا الإسلامية، ومن دون أن يشكك في صحتها أي من المؤرخين المسلمين. كما لم تقدم مصادرنا -في ما نعلم- رواية أخرى تتحدث عن أول استقرار يهودي في أسبانيا عن غير هذا الطريق.

2- ورود هذه الرواية في المصادر الأسبانية القديمة، الأقرب إلى زمان الحدث، والتي نقل عنها المؤرخون المسلمون هذا الخبر. يفهم ذلك من قول الرازي في معرض حديثه عن هذا الموضوع: "على ما يذكره علماء عجمها"[1].

3- اقتناع اليهود الأسبان اللاحقين، ومنهم ماريانا (MARYANA) بصحة ما جاء في مصادرهم القديمة[2].

4- شهادات المؤرخين اليهود، وأبناء العائلات اليهودية الأندلسية التي أوضحناها سابقاً، والتي تبين أن أجدادهم جاءوا إلى أسبانيا أسرى مع ملكها إشبان في زمن التدمير الأول للهيكل[3]. وغالباً ما يرسخ في أذهان الجماعات والأقليات التي تعيش غريبة في بلدان أخرى، زمان وكيفية وصولهم إلى هذه البلدان.

---

(1) الحميري، الروض المعطار، ص33 (رواية الرازي).

وردت الإشارة إلى هذا النقل أيضاً عند: البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس وأوروبا"، ص110؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص97.

(2) ذكر رأي ماريانا وغيره من المؤرخين الأسبان:

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.5.

(3) BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

ED, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL. 14, P.1201;
BEINART, GRANADA ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.582.

5- يبين التاريخ القديم لمدينة طليطلة أنه قبل خمس مئة عام من ميلاد المـسيح عليه السلام، ازداد عدد سكانها زيادة كبيرة[1]. لعلها ناتجة عن ذلك الأسر الذي تحدثت عنه المصادر الإسلامية.

6- عثر أمير ماردة (MERIDA) هشام بن عبد العزيز علي حجر في سورها يحمل كتابة تدل على أنه كان لبنة في سور القدس. وقد أشار الحميري إلـى أن إشبان قد جلب هذا الحجر وغيره من الغرائب التي وجدت عند فتح أسبانيا، من القدس. "وانتقل رخامها إلى إشبيلية وماردة، وأنه صاحب المائدة التـي ألفيـت بطليطلة وصاحب الحجر الذي وُجدَ بماردة، وصاحب قليلة الجوهر التي كانـت بماردة أيضاً[2].

ويشهد بقاء هذه الأشياء إلى زمن الفتح الإسلامي، وذكرها في الروايـة نفسها التي تحدثت عن أسر إشبان لعدد من يهود القدس وحملهم إلى أسبانيا على صحة وقوع هذا الأسر.

ولا يعني قبولنا وترجيحنا لما جاءت به المصادر الإسلامية، بخصوص أسر إشبان لليهود، ونقلهم من بيت المقدس إلى أسبانيا، أننا نقبل بكلّ ما ورد في رواياتها حول هذا الموضوع من تفصيلات، إذ أنهـا تحتـوي علـى أسـاطير ومبالغات لا يمكن قبولها، وذلك مثل قصة اللقاء بين إشبان وهو حرّاث فقيـر، والخضر الذي بشره بالملك، وأنه سيغزو بيت المقدس[3]، ومثـل تقـدير عـدد الأسرى اليهود الذين تم نقلهم إلى أسبانيا بمئة ألف، إذ لو كان هذا العدد صحيحاً

---

(1) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.4.

(2) الحميري، الروض المعطار، ص59.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص2.

لأصبح عدد اليهود في أسبانيا زمن الفتح الإسلامي لها يصل إلى بضعة ملايين، حيث يكون قد مضى على وجودهم في هذه البلاد نحو ثلاثة عشر قرناً[1].

أما بخصوص ما ذكرته بعض الدراسات اليهودية عن توقعها أن استقرار اليهود في أسبانيا يرجع إلى عصر القضاة، أو إلى زمن الحروب بين مملكتي يهودا وإسرائيل، أو إلى زمن النبي سليمان عليه السلام. فهي توقعات وفرضيات مرفوضة، لأنها لا تقوم على دليل، وإنما تعتمد على الظن والتخمين فقط.

وقد حاول لندو أن يثبت أن استقرار اليهود في أسبانيا يرجع إلى زمن سليمان عليه السلام، واستشهد بنصوص من التوراة، تتحدث عن قيام رحلات تجارية مشتركة إلى مدينة "ترشيش"، بين بني إسرائيل في عهد سليمان عليه السلام، والفينيقيين في عهد ملكهم حيرام[2]، وأحد هذه النصوص هو: "لأن الملك [سليمان] كانت له في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنين، حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقردة وطواويس"[3].

وأكد لندو أن مدينة "ترشيش" التي وردت في النص التوراتي هي مدينة طرطوشة.

وأرى أنَّ لندو قد جانب الصواب، لأنه حمّل النصوص التوراتية التي اعتمد عليها في إثبات رأيه أكثر مما تحتمل، عندما قال: إنَّ ترشيش هي مدينة طرطوشة الأسبانية. إذ خالف بذلك ما هو معروف، وما قال به الجغرافيون،

---

(1) ذلك على أساس أن غزو إشبان للقدس، كان سنة 586 ق.م.، والفتح الإسلامي للأندلس كان سنة (92هـ=711م).

(2) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.1-4.

(3) الكتاب المقدس، العهد العتيق، سفر الملوك الثالث، الفصل العاشر، (بيروت، طبع في مطبعة المرسلين اليسوعيين، 1882م)، ص573.

مثل البكري الذي بين أن ترشيش هو الاسم القديم لتـــونس[1]. ومـــا قـــال بـــه أونكالوس (ONKALOS) في ترجمته الآرامية للتوراة، التي تسمى الترجوما (TARGUM)، حيث أكد أن ترشيش الواردة في النص التـــوراتي تقـــع فـــي أفريقيا[2].

وحتى لو كانت هناك سفن عبرانية فينيقية مشتركة وصلت إلى أسبانيا، وجلبت منها الفضة في زمن سليمان عليه السلام، مثلما يقول لندو. فإن ذلـــك لا يعني أن اليهود قد استقروا في أسبانيا في زمن سليمان عليه السلام، لأنه لا يعقل أن يتركوا مملكة سليمان العظيمة الغنية[3]، ويذهبوا ليستقروا في بلد يبعد عنهـــا كل هذا البعد، ولا يمكن أن يكونوا قد هاجروا إليها بعد وفـــاة ســـليمان عليـــه السلام، وضعف وتنازع اليهود، لأن اليهود لا يملكون القدرة على ركوب البحر، ولم يكتسبوا هذه الخبرة من الفينيقيين، ولم يحدث تعاون بحري لهم مع الفينيقيين بعد عهد سليمان عليه السلام[4].

وأعتقد أنّ حرص لندو وغيره من أصحاب الدراسات اليهودية الحديثـــة على تأكيد أن أول استقرار يهودي في أسبانيا يرجع إلى زمن ســـليمان عليـــه السلام، أو إلى عهود تسبق عهد الملك الأسباني إشبان، هو محاولتهم التهرب من

---

(1) البكري، أبي عبيد، المسالك والممالك، جـــ2، تحقيق وتقديم: أدريان فـــان ليـــوفن، وأنـــدري فيري، (قرطاج، بيت الحكمة، الدار العربية للكتاب، د.ت)، ص695.

(2) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.4.

(3) يدل على عظمة ملك سليمان عليه السلام، قول الله تعالى: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ }، سورة ص، آية" 35؛ وتنظر الآيات التالية لها حتى آية: 40.

(4) عن توقف التعاون البحري اليهودي الفينيقي بعد موت سليمان عليه السلام. ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـــ1، (بيروت، دار العلم للملايين، بغـــداد، مكتبـــة النهضة، ط2، 1976م)، ص640-641.

حقيقة أن اليهود قد جاءوا إلى أسبانيا أسرى مستعبدين، لأن في طريقة وصولهم هذه إهانة ليهود الأندلس، لا تناسب عظمة الصورة التي رسموها لهم، وبالغوا في تضخيمها.

وبينما تختلف المصادر والآراء حول وجود اليهود في الأندلس في القرون السابقة للميلاد، لعدم وجود الأدلة الوثائقية والأثرية التي تحسم في العادة هذه الاختلافات، فإنها تتفق على وجود اليهود في أسبانيا في القرون الميلادية الأولى[1]، وذلك لتوفر الآثار والوثائق.

إذ عثر في أدرا (ADRA) بأسبانيا على كتابة لاتينية موجودة على شاهد قبر لفتاة يهودية تعود إلى القرن الثالث الميلادي[2]. وتم اكتشاف عملات نقدية يهودية في أرض طركونة (TARRAGONA)، كذلك وجدت أربعة قوانين كنسية صادرة بخصوص اليهود عن مجلس إلفيرا (ELVIRA) المنعقد في المدة من (303–304م)، تحرم على النصارى دخول بيوت اليهود أو مؤاكلتهم، أو تزويجهم من فتيات نصرانيات، أو السماح لهم بمباركة محاصيلهم الزراعية[3].

وهذه القوانين تشير إلى وجودهم في شبه الجزيرة الأيبيرية منذ مدة طويلة، سابقة لتاريخ انعقاد المجلس، بحيث أنهم تمكنوا من كسب ثقة السكان، فآكلوهم، وزوجوهم، وطلبوا إليهم مباركة محاصيلهم الزراعية.

---

(1) الموسوعة اليهودية، ص286؛
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.503;
الموسوعة العبرية، م26، ص381؛
THE STANDARD JEWISH ENCYCLOPEDIA, (JERUSALEM-TELAVIV, 1958-1959), P.1744-1745.

(2) BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11 P.484.

(3) BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484.

ويذكر دون إسحاق أبرابانيل (DON ISAAC ABRABANEL) في تفسيره لإصحاح زكريا أنَّ عائلته، وعائلة أخرى سكنت إشبيلية في زمن تدمير الهيكل الثاني (70م)[1].

ويقول المؤلف المجهول "لمذكرات ميورقة" إنَّ استيطان اليهود في جزر البليار (BALEARIC ISLANDS) يعود إلى خمس وستين سنة قبل الميلاد[2].

وإذا صح قيام إشبان بأسر ونقل عدد من يهود القدس إلى أسبانيا في القرن السادس قبل الميلاد مثلما تقول المصادر الإسلامية، فإن هذا التهجير يكون التهجير اليهودي الأول إلى أسبانيا، أما التهجير اليهودي الثاني إلى تلك البلاد، فقد حدث في العهد الروماني، حين توجه القائد الروماني تيتوس فيسبسيان (TITUS VAS PASIAN) سنة (70م) إلى القدس، لإخماد تمرد قام به اليهود هناك، وتمكن من قمع المتمردين، وإحراق رموزهم[3]، وأسر نحو ثلاثين ألفاً منهم، نقلهم بواسطة اثنتي عشرة سفينة إلى موانئ المغرب[4]، وكان للأندلس

---

(1) LINDO, THE JEWS IN SPAIN, P.6.

(2) IBID, P.6.

(3) أوروسيوس، تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، تقديم وتحقيق: عبد الرحمن البدوي، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1982م)، ص179.

(4) الكواتي، مسعود، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الجزائر، معهد التاريخ)، ص40.
وذكر أيضاً أن عدد الأسرى اليهود كان ثلاث مئة ألف أسير.
ينظر: م.ن، ص50.
وأرى أن رقم ثلاث مئة ألف، رقم مبالغ فيه جد اً، فلا يتصور أن يأسر تيتوس كل هذا العدد، لأنه سوف يسبب إرهاقاً للدولة التي ستتكفل على الأقل بإطعامهم جميعاً. وما يدل على المبالغة، أن الرقم الآخر الذي ذكر لعدد الأسرى، كان عشر الرقم الأول. والحقيقة أن الروايات التاريخية كثير اً ما تبالغ في تقدير الأرقام، وتكون بعيدة عن الدقة.

نصيب منهم، إذ ذكر مؤرخو مدينة ماردة إن يهودها استقبلوا إخـوانهم الـذين رُحِّلوا عن القدس بعد دمار الهيكل الثاني[1]، وقيل إن هؤلاء المرحلين كانوا من أبناء العائلات المهمة من سبطي بنيامين ويهوذا اللذين ينتسبان إلى داود عليـه السلام[2].

أما اليهود الذي قُدِّرت لهم النجاة من جند تيتوس، فقد تفرقوا بين بابـل ومصر[3]، لكن الجزء الأكبر منهم فر إلى المغرب، وتحديد اً إلى مدينة قورينة في منطقة برقة، حسب ما يقوله المؤرخ اليهودي يوسيفوس[4]، الـذي قـدر أنّ عددهم وصل في ليبيا في القرون الميلادية الأولى إلى نصف مليـون[5]، وقـد انتشروا أيضـاً في معظم مناطق المغرب، ولاسيما في المـدن الـساحلية، أو المناطق الداخلية القريبة منها[6].

وبالرغم من اعتقادنا أن تقدير يوسيفوس لعدد اليهود في ليبيا غير دقيق، ومبالغ فيه كثيراً، لأنه لو صح لكان عددهم فيها زمن الفتح الإسلامي أكثر مـن عشرة ملايين، وهذا ما لم يقل به أحد. إلا أنه من الواضح أنّ المغرب في الثلث الأخير من القرن الأول الميلادي قد أصبح من أهم المناطق التي اسـتقر فيهـا اليهود[7].

---

(1) LINDO, THE JEWS IN SPAIN, P.6.

(2) IBID, P.6.

(3) IBID, P.6.

(4) الكواتي، اليهود في المغرب، ص43. عن يوسيفوس ومؤلفاته، ينظر: يوسابيوس القيـسري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القس مرقص داود، (القاهرة، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيـع، 1966م)، ص122-196.

(5) الكواتي، اليهود في المغرب، ص50.

(6) م.ن، ص51.

(7) م.ن، ص43.

وهذا يعني أن أسبانيا منذ تلك العصور قد أصبحت قريبة مـن تجمـع يهودي كبير، ومعرضة لهجرات يهودية مستمرة منها وإليها. وهذا مـا حـدث بالفعل، فقد ثبت حدوث هذه الهجرات المرتبطة على الأغلب بالظروف السياسية والاقتصادية، منها الهجرة إلى أسبانيا التي حدثت في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان[1] (527–565م)، عندما قرر أن يسود إمبراطوريتـه قـانون واحـد وعقيدة واحدة[2].

وكذلك الهجرة من أسبانيا إلى المغرب التي حدثت بين سنتي (612–613م) في عهد الملك القوطي سـايزبوت SISBUTO (612–620م)، الـذي اضـطهد اليهود، وأمهلهم سنة للتفكير، في اعتناق النصرانية أو الرحيل عن أسبانيا[3].

أما التهجير اليهودي الثالث إلى أسبانيا، فقد قام به الإمبراطور الروماني هدريان (HDRIAN) سنة (136م)، بعد أن قضى على تمـرد اليهـود فـي فلسطين، الذي قاده باركوكاب (BARCHOCHAB)، وقد نقل هدريان إلـى الأندلس نحو خمسين ألف عائلة يهودية من أجل استعبادهم[4]، ويقـال إن هـذا الإمبراطور من مواطني أسبانيا[5]، وكان يكره اليهود كرهاً شديداً [1].

---

(1) الكواتي، اليهود في المغرب، ص44.

(2) العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية، (بيروت، دار النهضة العربيـة للطباعـة والنـشر، 1982م)، ص96.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.510;
عبد المجيد، محمد بحر، اليهود في الأندلس، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، 1970م)، ص15.

(4) ضياء باشا، الأندلس الذاهبة، دول الطوائف ودولة المرابطين وبداية دولة الموحدين، جــــ2، تعريب: عبد الرحمن إرشيدات، مراجعة وتحقيق: صـلاح إرشـيدات، (عمـان، 1989م)، ص406؛ LINDO, THE JEWS IN SPAIN, P.6-7.

(5) IBID, P.7.

وأعتقد أن هذا العدد مبالغ فيه أيضاً، لأن عدد أفراد خمسين ألف عائلة قد يزيد على ربع مليون نسمة، ولو ترك هؤلاء وحدهم يتكاثرون إلى زمن الفتح الإسلامي لأسبانيا لوصل عددهم إلى بضعة ملايين، إذ يكون قد مضى على استقرارهم هناك نحو ستة قرون، وهذا ما يتنافى مع المعلومات المتوفرة عن الوجود اليهودي في المدن الأسبانية زمن الفتح الإسلامي، والتي تعبر عنها مساحة أحيائهم، والتي سنتحدث عنها في الفصل القادم.

---

(1) جلال، ألفت محمد، الأدب العبري القديم والوسيط، (القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس، 1978م)، ص129-130.

المبحث الثاني

اليهود في أسبانيا إلى زمن تحوُّل القوط إلى الكاثوليكية

عاش اليهود في أسبانيا منذ دخولهم إليها بين سكان نتجوا من اختلاطِ شعوبٍ مختلفة الأصول والثقافات، وقد جاء هؤلاء السكان إليها طمعاً بالاستقرار في أرضها الخصبة، ومناخها المعتدل، وموقعها الملائم، وثرواتها الكثيرة، ومعادنها النفيسة[1].

فقد جاءها الأيبيريون من سواحلِ أفريقيا الشمالية في العصر الحديدي، واستقروا في الأجزاء الخصبة الجنوبية والشرقية الوسطى الممتدة بين سواحل البحر المتوسط، ووادي إيبرة[2]. وقد تزامن وصولهم إليها مع قدوم السلت (CELTAS) الذين جاءوا من وسط أوروبا، وسكنوا في جليقية والبرتغال، ثمَّ توغلوا إلى الأجزاء الوسطى، ولاسيما في وادي الحجارة. وقد تحارب الشعبان، ثم استقرت الأمور بينهما، وامتزجا معاً[3].

وجاءها الترتيسوس (TARTESOS) من جزر البحر المتوسط وبلاد اليونان، وسكنوا في حوض الوادي الكبير، في العصر البرونزي، وكانوا من جنس الأيبيرين نفسه، إذ ينتمون إلى جنس الأقوام الأخرى التي سكنت جزر البحر المتوسط والشمال الأفريقي[4].

---

[1] حتامله، محمد عبده، أيبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، (الأردن، عمان، 1416 هـ-1996م)، ص109.

[2] م.ن، ص109.

[3] م.ن، ص114.

[4] م.ن، ص113.

ودخلها الفينيقيون تجاراً، وأقاموا فيها مراكز تجارية تحوَّلت إلى مـــدنٍ مهـــمة مثل مالقة والمنكب وعذره وقادش[1]، وتمكن القرطاجيون ذوو الأصول الفينيقية من السيطرة على شبه الجزيرة مـــن ســـنة (535-201 ق.م)، حيـــث أخرجهم الرومان منها بعد حربين طويلتـــين عرفـــتا بالحرب البونية الأولـــى (264 -241 ق.م)، والحرب البونية الثانية (241- 218 ق.م)، ثـــمَّ أكمـــل الرومان سيطرتهم على شبه الجزيرة الأيبيرية بعد حـــربين خاضـــوهما مـــع الأهالي، الأولى: (197 -179 ق.م)، والثانية: (154-133 ق.م)[2].

ومن الصعب التعرُّف على أوضاع قدماء اليهود فـــي أســـبانيا، وذلـــك لسكوت المصادر التاريخية عنها، وندرة المكتشفات الأثرية الخاصة بهم. لكـــنَّ وجود يهود في زمن الفتح الإسلامي، محافظين على كثير من طقوسهم وعاداتهم ومعتقداتهم الخاصَّة، يدلُّ على أنَّهم لم يتأثروا كثيراً بمعتقداتِ وعـــاداتِ الأمـــم الأخرى التي عاشوا في وسطها.

أما عن علاقة اليهود بالدولة الرومانية التي حكمت أسبانيا قبـــل مـــيلاد المسيح عليه السلام بنحو قرنين، فقد كانت حسنة في البداية. ومما يدل على ذلك أنَّ أحد القوانين التي شرعت في عهد الإمبراطـــور أغـــسطس (31ق.م-14م) لتنظيم مختلف شؤون الإمبراطورية، كان ينصُّ على أنَّ يهود الإمبراطورية قد أثبتوا ولاءهم للشعب الروماني في الحاضر والماضي، وبصفة خاصـــة عنـــدما كان هيركانوس حبراً أعظم لليهود زمن يوليوس قيصر، لذلك فقد تقرَّر أن يُسمح لهم بمباشرةِ عاداتهم طبقـــاً لشريعةِ آبائهم، على نحو ما كانوا يفعلون في عهـــدِ

---

(1) م.ن، ص127 -129.

(2) م.ن، ص169.

هذا الحبر، وأن يُسمح لهم بإرسال أموالهم إلى أورشليم. ويتوعَّد القانون كلَّ من يسرق أموالهم، أو كتبهم المقدَّسة بالجلد، ومصادرة أملاكه[1].

وسمح لليهود بتشكيل مجلس الشيوخ (GEROUSIA)[2]، بينما فرضت عليهم ضريبة الرأس[3]. مما يدل على أنهم لم يُعَدُّوا مواطنين رومانيين حتى في هذه المرحلة من العلاقات الحسنة.

وتؤكد الآثار تلك العلاقة الحسنة، إذ عثر على عمود من المرمر في منطقة برقة، مكتوب عليه باليونانية كتابة تمَجّدُ الوالي اليوناني على معاملته الإنسانية لليهود[4].

والعلاقة الحسنة بين اليهود والسلطة الرومانية، تسبق عهد الإمبراطور أغسطس[5]، لكنها ازدادت في عهده بسبب التأثير عليه من طبيبه اليهودي أنطنيوس موسى (ANTONIUS MUSA) [6]، الذي حملهُ على إصدار مرسوم سنة (15ق.م) يأمر فيه جميع المقاطعات الرومانية بضرورة محاباة اليهود، وتمييزهم في المعاملة عن غيرهم[7].

---

(1) عبد العليم، مصطفى كمال، اليهود في مصر، (القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1968م)، ص144.

(2) م.ن، ص144.

(3) م.ن، ص143.

(4) الكواتي، اليهود في المغرب، ص55.

(5) LINDO, THE JEWS IN SPAIN, P.8.

(6) الكواتي، اليهود في المغرب، ص56.

(7) LINDO, THE JEWS IN SPAIN, P.5.

وقد تمَّتع يهود أسبانيا كغيرهم من يهود أقاليم الإمبراطورية[1]، بإدارة شؤونهم الخاصة، حيث كان لهم مجلس ثقافي، وآخر إداري من تسعة أعضاء منتخبين، ومجلس القدماء الذي يهتم بشؤون اليهود الإدارية والمالية والدينية، ويمثّل اليهود أمام السلطات الحاكمة، وأمام القضاء في حالة النزاعات المتعلّقة باليهود، وهو يشرفُ أيضاً على تقديم المساعدات للمحتاجين، ولابدَّ من موافقته عند بناء البيَعْ والمدارس[2]. ويرأس الجالية اليهودية من الناحية الدينية الربي[*]، الذي يسهرُ على تطبيق مبادئ القانون، ويشرف على التعليم الديني، ويترأس الاجتماعات المتعلّقة بالمسائل الدينية، يساعده موظف يُسَمىَّ حزان[**]، وقد عُرِف من هؤلاء الرؤساء ثيودوروس، الذي ترأس اليهود في مدينة ماكونه الواقعة في جزيرة ميورقه، وكان ثيودوروس من أثرياء اليهود، ويملك الكثير من الأراضي الزراعية في جزيرتي منورقه وميورقه، وقد ظهر اسمه خلال الصراع اليهودي النصراني في أسبانيا في أوائل القرن الخامس الميلادي[3]،

---

[1] لمعرفة التقسيمات الإدارية لشبه الجزيرة الأيبيرية خلال الحكم الروماني. ينظر: حتامله، أيبريا، ص174–180.

[2] الكواتي، اليهود في المغرب، ص52.

[*] الربي: لقب أطلق على رؤساء اليهود وأحبارهم، وهي كلمة تعني بالعبرية "الرئيس" أو "الكبير".

ظاظا، حسن، الفكر الديني اليهودي، (دمشق، دار القلم، ط2، 1407هـ–1987م)، ص201.

[**] الحزان: موظف يقوم بمساعدة الربي في الشؤون الدينية، وهو الذي يتولى الوعظ والخطابة في المعبد اليهودي.

ينظر: القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ5، (مصر، المؤسسة المصرية العامة، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، د.ت). ص474؛ الكواتي، اليهود في المغرب، ص52.

[3] DUBNOV, HISTORY OF THE HEWS, VOL.2, P.505.

وكان للبيعة مكانة بارزة في أوساط اليهود، فبالإضافة إلى كونها مكاناً للصلاةِ والعبادة، فهي مدرسة تُلقى فيها دروس المواعظ، ويتمُّ فيها تعليم الأبناء، وهي مركز للقضاء وتنفيذ العقوبات، وفيها تناقش القضايا المالية والسياسية والقانونية كافة[1].

وكان يهود أسبانيا خلال الحكم الروماني يُطبقون شعائر دينهم، دون عوائق تذكر، ويتوجّهون بأسئلتهم الدينية إلى مدارسهم في الشرق[2].

وبالنسبة للنشاط الاقتصادي ليهود أسبانيا، فهناك إشارات تُظهر أنَّهم عملوا من سنة (100-300م) في زراعة الزيتون، وفي صناعة النبيذ[3]. وقد أصبح عددٌ كبيرٌ منهم من أصحاب الأملاك الكبيرة، وكانوا يحرثون الأرض بأيديهم، أو بواسطة العبيد، أو يؤجّرونها بموجب الشروط المعمول بها في ذلك الوقت، وكان بعضهم مسؤولاً عن العمال والحسابات في الإقطاعيات التي يملكها الآخرون[4]. كما توجد إشارات إلى اشتغالهم بالتجارة في ما وراء البحار[5].

وقد تأثر يهود أسبانيا كغيرهم من السكان بالرومان، فتكلَّموا بلغتهم، وتسمّوا بأسمائهم، وأخذوا بعض عاداتهم وتقاليدهم، فانتشرت بينهم اللغة اللاتينية، وكتبوا بها أبحاثهم الدينية، ولذلك فقد احتاجوا في بيعهم إلى مترجمين يترجمون كتابهم المقدس إلى اللغة اللاتينية التي أصبحت مفهومة لدى

---

(1) الكواتي، اليهود في المغرب، ص52.

(2) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.9.

(3) GILBERT, MARTIN, JEWISH HISTORY ATLAS, (LONDON, 1969), P.15.

(4) BEAR, YITZHAK, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRISTIAN SPAIN, VOL.1, P.17-18.

(5) IBID,VOL.1, P.18; LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.9.

جمهورهم، ومستخدمة أكثر من لغتهم العبرية[1]. ويلاحظ أن اليهود كغيرهم من السكان قد تأثروا بالرومان في مجالات مختلفة إلا أنهم ظلوا محافظين على معتقداتهم الدينية.

لم تدم حالة الوفاق بين اليهود والسلطة الرومانية الحاكمة، إذ سرعان ما تبدلت وساءت. وسبب ذلك أن كثيراً من الحكام الرومان اكتشفوا أن اليهود يستغلون الشعب الروماني، ويسيئون معاملتهم، ويسلكون كلَّ الطرق البعيدة عن القانون والأخلاق في سبيل الحصول على المال، وأنهم ينطلقون في تعاملهم معهم من منطلق تعاليم التلمود الذي يقول: "الفرق بين درجة الإنسان ودرجة الحيوان، كالفرق بين اليهود وبقية الشعوب "[2]، ويقول: "حياة غير اليهودي ملك لليهودي، فكيف بأمواله"[3]. وعندما حاول الحكام الرومان منع تجاوزات اليهود على شعبهم، وضيقوا عليهم، قام اليهودُ بالتمرد عليهم. وكانت تمردات اليهودِ في بعض الأحيان عنيفة، وكانوا في تمرداتهم ينتقمون من السكان الذين يعيشون حولهم، بأبشع الطرق. ففي بداية القرن الثاني الميلادي، وفي عهد الإمبراطور تراجان (TRAGAN)، وأثناء انشغاله في محاربة البرثيين، قام اليهود بتمرد كبير في منطقة برقة، امتد إلى مصر وما بين النهرين وأنطاكية، وقد تزعم اليهود في هذا التمرد ملكاً عينوه عليهم، يدعى أندرياس (ANDREAS)، وقد بدأ التمرد بمهاجمة السكان الإغريق، ثمَّ تطوَّر بعد عودة تراجان وتصديه

---

(1) حتامله، أيبريا، ص187؛ الكواتي، اليهود في المغرب، ص54؛ R, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.19.

(2) مظهر، سليمان، قصة الديانات، (دار الوطن العربي، د.ت)، ص376.

(3) التل، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1979م)، ص74.

لهم، إلى صراعٍ يائسٍ مع الحكومة الرومانيـــة. ويــصف ديــون كاســيوس[*] (DION CASSIUS) هذه الوحشية بقوله: "إنهم كانوا يأكلون لحوم قــتلاهم، ويصنعون من أمعائهم أحزمة يتمنطقون بهـــا، ويلطخـــون أجــسامهم بــدمهم، ويسلخون جلودهم، ويتخذونها ملابس لهم، وأنهم عمـــدوا إلـــى كثيـــر مـــنهم فشطروهم شطرين من رأسهم إلى الأسفل، وألقـــوا بـــآخرين إلـــى الوحـــوش المفترسة، وأرغموا الكثير منهم على مصارعة بعـــضهم بعـــضاً، كمـــا يفعـــل المصارعون"[1]. كما قاموا بتدمير المعابد الإغريقية، وتخريب الطرق والمباني العامة، حتى تحوّلت برقة في آخر الأمر إلى صحراء يُخــيمُ عليهـــا الخــراب الشامل[2]. ويقَدر ديون كاسيوس عدد الإغريق الذين قتلهم اليهـــود فـــي برقـــة بحوالي 220000 نسمة، وعدد الذين قتلوهم فـــي قبـــرص بحـــوالي 240000 نسمة[3].

وبالرغم من المبالغة الواضحة والكبيرة في تقديرات عدد القتلى، إلا أنها تشير إلى شدّة عنف تمردات اليهود، وأنّهم كانوا يوجّهّونها ضد السكان.

ومع أن هذه التمردات[4] لم يقم بها يهود أسبانيا، إلا نتائجها قد انعكست عليهم، وأساءت إلى علاقاتهم بالسلطة الرومانية، وجعلتـــهم مكروهين من سكان أسبانيا الذين لا يخفى عليهم ما يفعله يهود شمال أفريقيا القريبة منهم بمن حولهم من السكان فيها.

---

[*] ديون كاسيوس: مؤرخ ولد في نيقيا، حوالي سنة (155م)، وتوفي حوالي سنة (235م)، كتب بالإغريقية تاريخاً للرومان. ينظر: الكواتي، اليهود في المغرب، ص58.

[1] الكواتي، اليهود في المغرب، ص58؛ عبد العليم، اليهود في مصر، ص178.

[2] عبد العليم، اليهود في مصر، ص178.

[3] م.ن، ص178.

[4] حدثت تمردات أخرى قام بها اليهود ضد الرومان في مصر. ينظر: عبد العليم، اليهـــود فـــي مصر، ص182، 188-189.

كما ازداد العداء والكره لليهود من سكان الإمبراطورية، بما فيهم سكان أسبانيا الذين تحول معظمهم إلى النصرانية بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطين لها سنة 312م، وجعلها الدين الرسمي للبلاد[1]، وذلك بسبب التاريخ المرير لليهود في التصدي للنصرانية منذ ظهورها فعلى الرغم من أنهم أهل كتاب سماوي، ويفترض أن يكونوا أول من يؤمن بعيسى -عليه السلام- إلا أنهم كذبوه، واتهموا أمه مريم العذراء بالزنا، وحرضوا عليه الوثنيين الرومان، ثم اتخذ مجلسهم الكهنوتي الأعلى "السنهدرين"[2] قراراً سنة (39م) بقتله صلباً[3]، لكن الله حفظه منهم، وحول صورة أحد حوارييه إلى صورته فقاموا بصلبه وقتله. ورفع الله المسيح عليه السلام إليه، لكنهم اعتقدوا، وكذلك النصارى أنهم قتلوه[4].

وظل النصارى يذكرون كيف قتل اليهود رموزهم وقديسيهم الأوائل، مثل مار يعقوب الراشد الذين حرضوا الإمبراطور الروماني الوثني هيرودوس إغريقا على قتله، فأمر بقطع رأسه سنة (41م)، وكيف قاموا برجم يعقوب أحد حواريي المسيح، وعدداً كبيراً من النصارى سنة (62م)، وقتل مار سمعان أسقف أورشليم سنة (117م)، وكذلك المجازر الواسعة التي حدثت

---

(1) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص10.

(2) السنهدرين: وهو المجلس الكهنوتي الأعلى لليهود، ويضم عدداً من قادتهم وحكمائهم، ويتولى إدارة شؤونهم وتوجيههم. ويرى بعض اليهود أنه تشكل منذ عهد موسى عليه السلام، بينما يرى آخرون أنه تشكل بعد الرجوع من السبي البابلي. وهم يزعمون أن جميع أعضائه من اللاويين أبناء هارون عليه السلام. ينظر: سوسة، أحمد، مفصل العرب واليهود في التاريخ، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ط5، 1980م)ص333.

(3) م.ن، ص333.

(4) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، مختصر تفسير ابن كثير، م1، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، (بيروت، دار القرآن الكريم، 1402هـ-1981م)، ص455-456؛ ينظر سورة النساء، آية 157-158.

بعد حريق روما، وتوالت في عهد نيرون ضد النصارى في جميع أنحاء الإمبراطورية، بتحريضٍ من بوبايا زوجة القيصر ذات الأم اليهودية التي كانت لا ترد طلباً لشيوخ اليهود المقيمين في ظل حمايتها[1].

ومن حوادث التحريض اليهودي ضدَّ النصارى قيام حبر يهودي بتحريضِ الإمبراطور أنطونيوس بن أسريروس المعروف بماركوس أوروليوس على النصارى، حتى أصبح عدواً لدوداً لهم، لدرجة أنَّه أمر بقتلِ النصارى من جنوده العائدين من الحرب. كما أقنع هذا الحبر الإمبراطور الساذج بأن النصارى يجلبون أمراضاً معدية، تفتك بالشعوب، واستصدر منه أمراً بإبادةِ النصارى القاطنين في روما وقتئذٍ[2].

واليهود عندما يقومون بهذه الأعمال إنما ينفذون ما دعا إليه أحبارهم، إذ جاء في التلمود: "باستطاعتك، بل من واجبك أن تقتل أفضل النصارى"[3].

والتلمود مليء بالعبارات المعادية والمثيرةِ للنصارى، وبالشتائم والاتهامات الموجهة إلى المسيح وأمه، إذ يعدونه ابن زناً وساحراً وخارجاً عن الإيمان، وأنه سوف يعاقب في جهنم إلى الأبد، وسط الأقذار الفائرة[4].

وما يؤكد اعتقاد اليهود بتعاليم التلمود في كل العصور، ما ينقله إميل الخوري عن لوب، الذي يقول في مجلة الدروس اليهودية: "وأي عجبٍ في أن يتضمن التلمود بعض المذمَّات بحق يسوع؟! إنما الغريب أن يكون الحال على

---

(1) حرب، إميل الخوري، مؤامرة اليهود على المسيحية، (بيروت، دار العلم للملايين، 1947م)، ص32–33.

(2) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص9.

(3) م.ن، ص32.

(4) حرب، مؤامرة اليهود على المسيحية، ص36.

خلاف ذلك، وإذا كان لابد من عجبٍ لشيء، فلنعجب لأنه ليس في التلمود من المذمات أكثر مما فيه..."[1].

لقد نشطت الدعاية اليهودية لإيقاف تيار النصرانية الجارف، ولم تقتصر على الأساليب سالفة الذكر، بل استعملت أسلوب السخرية والتهكم من شخصية المسيح عليه السلام، ومن الأمثلة على ذلك قيام أحد اليهود بحمل صورة "كاريكاتورية" للمسيح عليه السلام في أحد شوارع مدينة قرطاجة، وهو في ثوب فضفاض، وأقدام ظلفاء، يحمل كتاباً، وقد كتب بجانب الرسم: "رب المسيحيين ينام مع الحمير"[2].

ونشط النصارى في الدفاع عن أنفسهم ونصرة دينهم، ومن بين المدافعين طرطوليانوس أو تيرتوليان TERTULIAN، وهو أحد آباء الكنيسة، وقد ناضل ضد طائفة كارثيج CARTHAGE اليهودية في نهاية القرن الثاني الميلادي، وألف كتاباً بعنوان: "ضد اليهود" ما بين سنتي (200 و206م) للرد عليهم ودحض حججهم، وبين مواقفهم المضادة للنصرانية[3].

إنَّ أوّل اتصال بين النصرانية ويهود أسبانيا كان على يدِ الحواري بول (PAUL)، الذي قيل أنه قام بزيارة أسبانيا لدعوة يهودها إلى الدين الجديد[4]. ويبدو أنَّ دعوته قد قوبلت بالرفض، إذ لم ترد روايات عن انتشارها بين اليهود.

وهناك رواية تقول أن يهود طليطلة قد بعثوا برسالة إلى المجلس الكهنوتي الأعلى لليهود "السنهدرين" في القدس، يستنكرون فيها صلب المسيح[5].

---

(1) م.ن، ص36.

(2) م.ن، ص61.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.504؛
الكواتي، اليهود في المغرب، ص61.

(4) BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484;
BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.16.

(5) BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484.

ويصعب تصديق الخبر الذي تقدّمه هذه الرواية، لاحتمال أن يكون يهود أسبانيا هم الذين اختلقوه وأذاعوه، بهدف التخفيف من حملات الاضطهاد التي تعرَّضوا لها في عصور مختلفة، إذ أنَّ الرواية تنفي مسؤولية آبائهم في المشاركة، أو الرضا بأكبر جريمة اقترفها اليهود بحق النصرانية، والتي كانت على الدَّوام أهم أسباب التضييق عليهم.

ويبدو أنَّ العلاقات النصرانية اليهودية في أسبانيا حتى القرن الثالث الميلادي، كانت أفضل مما هي عليه في مناطق أخرى[1]، أو أن النصارى هناك كانوا أضعف من مواجهة اليهود والتصادم معهم، ولذلك لوحظت هجرة يهودية من شمال أفريقيا إلى أسبانيا خلال تلك المدَّة[2].

إنَّ أقدم وثيقة وصلت إلينا، وتُعبّرُ عن موقف نصارى الأندلس من يهودها، هي تلك القوانين الأربعة الصادرة عن مجلس إلبيرة (ELVIRA)، الذي عُقِدَ من سنة (303–304م)، أي قبل أن يعتنق الإمبراطور قسطنطين النصرانيةَ ويجعلها الديانة الرسمية في البلاد، وقبل أن يحدث التحالف بين الكنيسة والسلطة الحاكمة.

ويتكون هذا المجلس من تسعة عشر أُسقفاً، وأربعة وعشرين رجل دين آخر (PRESBYTERS)، يتم اختيار الأساقفة من قرطبة وإشبيلية وطليطلة وطركونة والمدن الأخرى التي يقطن فيها اليهود، وقد صدر عن هذا المجلس العديد من القوانين ضدَّ الوثنية في أسبانيا، وحول تنظيم الكنيسة والتبشير بالنصرانية[3]. أما القوانين الخاصة باليهود فهي: –

---

(1) الموسوعة العبرية، م26، ص381.

(2) مؤنس، حسين، فجر الأندلس، (القاهرة، ط1، 1959م)، ص521؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.504.

(3) BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484; LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.10; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.504.

القانون 16 ونصه: "لا يجوزُ تزويج الفتيات الكاثوليكيات لا لليهود ولا للكفرة، وذلك لضرورة عدم قيام أية علاقات بين المؤمن والكـــافر، وإنَّ الآبـــاء الذين يخالفون هذا القانون سيتم طردهم من الكنيسة لمدَّة خمسة أعوام"[1].

والقانون 49 ونصه: "يجب تذكير مالكي الأراضي بعدم السماح لليهـــود بمباركة المحاصيل التي رزقهم الله بها، وذلك من أجـــل أن لا يقـــوم اليهـــود بإضعاف تأثـــير بركات الرهبنة النصرانية، وكل من يتجرأ على انتهـــاك هـــذا الحظر سوف يطرد من الكنيسة كلياً"[2].

والقانون 50 ونصه: "إذا قام أيٌّ امرئ، سواء أكان من رجال الكنيسة، أم من بقية المؤمنين بتناول الطعام مع اليهود، فسوف يُحرم من رعايتنا الكنسية، إلى أن يقوم بالتكفير عن ذنبه، عسى أن يكون ذلك درساً له"[3].

والقانون 78 ونصه: "إذا اقترف مؤمنٌ متزَوجٌ إثم الزنا مع فتاةٍ يهوديةٍ أو وثنيةٍ، فسوف يتعرَّض إلى الطردِ من رعايتنا الكنسيَّة"[4].

وعند التأمُّلِ في هذه القوانين يتبيّنُ مدى العلاقة التي كانت تربط بـــين اليهود في أسبانيا وبقية السكان قبل اعتناقهم النصرانية، فقد تمكنوا من الهيمنـــة على عقول الكثير من المزارعين، مستغلِّين بـــساطتهم، وخـــواءهم الروحـــي، وخوفهم من الكوارث التي قد تصيب حقولهم، وأقنعوهم بقدرتهم على مباركـــة محاصيلهم وزيادتها، وأظنُّ أنهم كانوا يتقاضون على عملهم هذا أجراً، والظاهر أنه قد ساعدهم على ذلك شعور السكان الوثنيين أمامهم بـــالنقص، إذ يفـــاخرون

---

(1) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.10.
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.505.

(2) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.10 P; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.504.

(3) LINDO, THE JEWS OF SPAIN,P.10; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.505.

(4) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11.

كعادتهم، بأنهم أصحاب كتاب سماوي، وأنَّهم أبناء الله وأحباؤه[1]، وقد استمرَّت هذه العادة بعد دخول كثيرٍ من السكان في النصرانية، حيث أصبحت عادة متوارثة ليس من السَّهل تركها، وقد أقلقت رجال الدين، لأنَّها تُقلّلُ الثقة بهم، وبدينهم، فأصدروا قانوناً يحرّمها، ويتوعَّدُ من يقترفها.

كما يتبين وجود علاقات اجتماعية بين يهود الأندلس وسكانها النصارى، حتى مطلع القرن الرابع الميلادي[2]، إذ كان بعض اليهود يتزوجون من نصرانيات، ويشاركون النصارى على موائد الطعام، ويخالطونهم. ويدلُّ التشددُ في العقوبات التي وضعها رجال الدين على تأصُّل وقِدَم هذه الممارسات، بحيث أنه لا يكفي النَّهي وحده لوقفها، ولابدَّ من وضع عقوبة زاجرة. ولعل سبب تأصُّلها، أنها سائدة في أسبانيا قبل دخول السكان في النصرانية.

ويتبيَّن كذلك أن اليهود في نظر رجال الدين النصارى في أسبانيا كفارٌ يجب عدم تزويجهم أو مؤاكلتهم.

ومن الطبعي أن يبدأ رجال الدين حملة المقاطعة لليهود قبل غيرهم من النصارى العاديين، لأنهم الأعرف بتاريخهم مع النصرانية، والأدرى بما يدبِّرون ويكيدون لدينهم.

إن الكره المتراكم في قلوب شعوب الإمبراطورية الرومانية لليهود، بسبب التجارب المريرة معهم، والتي ذكرنا جانباً منها، قد زاد بعد اعتناق هذه الشعوب النصرانية، إذ أصبح النصارى الأوائل الذين قتلهم اليهود، رموزاً محبوبة لدى هذه الشعوب، بمن فيهم سكان أسبانيا. يؤكد ذلك ما حدث سنة 418

---

[1] ذُكر معتقدهم هذا الذي يشاركهم فيه النصارى في قوله تعالى: { وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }" المائدة، آية 18.

[2] الموسوعة العبرية، م26، ص381.

م، في جزيرة منورقه، حيث أُعلن عن اكتشاف الآثار المقدسة للقديس ستيفانوس الشهيد النصراني الأول، الذي قتله اليهود بعد مدة قصيرة مـن محاولـة قتـل المسيح عليه السلام، فتدفقت حشود النصارى من مختلف أرجاء أسبانيا، لمشاهدة هذه الأعجوبة، وأثيرت مشاعر النصارى ضدَّ اليهود، وزادها تحريض أسـقف منورقه سيفيروس، وبطانته الكهنوتية، وأرادوا معاقبة اليهـود، فقـاموا بهـدم كنيسهم في ماكونا، وتنصير يهودها[1]، الذين يبلغ عـددهم نحـو ثـلاث مئـة عائلة[2].

كما حدثت ردود فعل أخرى ضد اليهود في مناطق داخل أسبانيا، ومـا يدل على حدوثها، هروب عدد من يهود أسبانيا إلى جزيرة منورقه قبيل وقـوع أحداثها سالفة الذكر[3].

أصاب الضعف جسم الإمبراطورية الرومانية، وتمكنت العديد من القبائل الجرمانية القادمة من الجهات الشرقية من أوربا من الدخول إلى أسـبانيا عبـر جبال ألبرت سنة (409م)، بعد أن هزموا الجيوش الرومانية التي تصدَّت لهـم، في تلك المناطق وقد احتلت هذه القبائل معظم أراضي أسبانيا، واقتسمتها في ما بينها سنة (411م)[4].

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.505-506.

(2) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11.

للمزيد من التفـصيل ينظـر: DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.506.

(3) BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.17-18.

(4) ISIDOR OF SEVILLES, HISTORY OF THE KINGS OF THE GOTHS, VANDALS AND SUEVI (LEIDEN, 1966), P.34;

حتامله، أيبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، ص192-193.

وكان الوندال من أقوى القبائل الجرمانية في أسـبانيا، التـي سُـمّيت بالأندلس نسبة إليهم، وقد ظلوا فيها إلى أن طردهم منها القوط سنة (429م)[1]، فتوجَّهوا عبر مضيقِ جبل طارق إلى شمال أفريقيا، وأقاموا فيها دولة استمرَّت إلى أن قضى عليـهم الرومان سنة (534م)[2].

ولا تتوفر معلومات عن أحوالِ اليهود خلال سيادة الوندال وغيرهم من القبائل الجرمانية المرافقة لهم، غير أنَّ اليهود لم يقاوموا هذه القبائل[3]، مثلمـا قاومها النَّصارى الكاثوليك. وأرى أنهم قدَّموا لهم المساعدة ضدَّ النصارى، الذين بدأوا يضيقون عليهم، في الأقل منذ مجلس إلفيرا سـنة (303–304م)، وضـدَّ الرومان الذين ضيَّقوا عليهم، ولاسيما عندما اعتنـق الإمبراطـور قـسطنطين النصرانية، وجعلها الدين الرسمي والوحيد في البلاد سنة (312م)[4].

وقد جنى اليهود ثمارَ هذا الموقف تسامحاً من قبل الونـدال[5]، الـذين اضطهدوا الكاثوليك، فانشغلوا بأنفسهم ولم يعودوا قادرين على مواصلة تضييقهم على اليهود، وسبب اضطِّهادِ الوندال للكاثوليك هو مقاومتهم لهم، لأنَّ الونـدال يُخالفونهم في المذهب، حيث كانوا نصارى على المذهب الأريوسـي[6]، وهـو المذهب نفسه الذي حمله القوط، واستمروا على اعتناقه في أسبانيا منذ دخولهـا

---

(1) حتامله، أيبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، ص196.

(2) م.ن، ص196.

(3) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11.

(4) BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484.

(5) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11.

(6) ISIDOR OF SEVILLES, HISTORY OF THE KINGS OF THE GOTHS, VANDALS AND SUEVI (LEIDEN, 1966) P.35; حتامله، أيبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، ص198.

سنة (409م)، إلى أن تحوّلَ ريكارد إلى الكاثوليكية سنة (587م)، وفرضها على معظم القوط[1].

وهذا المذهب الذي نعم يهود أسبانيا في ظلّه بشيءٍ من الحريّةِ والتسامح أثناء حكم الوندال والقوط الأريوسيين يقوم على التوَّحيد، ويجعل المسيح عليه السلام إنساناً كاملاً، وينفي عنه الألوهية، ويقول بأنَّ الله خلقه من لا شيء[2]. ولهذا أوصى النبي محمد صلى الله عليه وسلم في رسالته إلى هرقل عظيم الروم بمعتنقي هذا المذهبِ خيراً، فقال في رسالته: " ... فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين"[3].

عاش اليهود في أسبانيا، تحت سيادة ملوك القوط الأريوسيين لأكثر من قرن ونصف من الزمان، وتدلُّ المعلومات القليلة المتوفّرة عنهم في تلك المدَّة على تمتُّعِهم بمرحلة من التسامح والرخاء، مقارنة بأوضاعهم تحت حكم القوط الكاثوليك، الذي أعقب هذه المرحلة.

فقد كانوا يطبقون شرائعهم الدينية المتعلَّقة بالطعام والزواج والعبيد والسبت واحتفالات الأعياد، ويترددون على معابدهم، ويقرأون بحوثهم الدينية المكتوبة باللاتينية على الأرجح، ولهم في كل مدينة يسكنونها طائفة مستقلة تدير شؤونها الخاصَّة[4]، وهم يحاكمون في المحاكم المدنية، وفقاً للقانون الروماني[5]، لكنَّهم لم يُعدُّوا مواطنين رومانيين كاملين، حسب القانون القوطي الأريوسي

---

[1] حتامله، أيبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، ص238–240.

[2] كحيلة، عبادة، تاريخ النصارى في الأندلس، (القاهرة، ط1، 1414هـ–1993م)، ص14، 15؛ ISIDOR OF SEVILLES, HISTORY OF THE KINGS OF THE GOTHS, VANDALS AND SUEVI (LEIDEN, 1966) P.6.

[3] ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، جـ3، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1385هـ–1965م)، ص501.

[4] BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRICTIEN SPAIN, VOL.1, P.19.

[5] IBID, VOL.1, P.18.

الأول الصادر سنة (506م)، من الملك القوطي ألاريك الثـاني (484–507م)، كجزء من قانون ثيودسيان الخاص بالسكان، حيث منعهم من احتلالِ مناصـب عامة، وحظر عليهم التزاوج مع النصارى، أو بناء معابد جديدة، أو امتلاك عبيد نصارى، كما منعهم من اضطهادِ المتحوّلين منهم إلى الأريوسـية، لكـنَّ هـذا القانون لم يُنَفَّذْ بشكلٍ صارمٍ في معظم الأوقات[1]، ولا يُعَبّرُ عن اضطهادٍ قوطيٍ أريوسي لليهود. ويفسّرُ أحدُ الباحثين وجوده بأنَّه نُقِلَ عن غيرِ قصْدٍ من القانون الروماني الكاثوليكي المتعصّب ضدَّ اليهود[2].

ولا أرى صحة هذا الرأي، إذ أنَّ لكل دولة قوانينهـا الخاصـة، التـي تـنظم شؤون رعاياها، وليس بالضرورة أن تحقّقَ جميعها رغبـات ومـصالح هؤلاء الرعايا، حتى توصف بأنها عادلة أو متسامحة.

وتبادلت الكنيسة الكاثوليكية، والسلطات القوطية الأريوسية القوانين التي تمنع اختلاط الفئتين معاً، فحرَّمت الكنيسة الكاثوليكيـة التـزاوج مـع القـوط الأريوسيين، وكذلك فعلت القوانين الأريوسية، وعاشت الفئتـين النـصرانيتين طوال مدَّة الحكم الأريوسي منعزلتين متباغضتين. وأفاد اليهود من ذلـك، فـلا الكاثوليك يستطيعون اضطهادهم، ولا الأريوسيون يفرّطـون فـي خـدماتهم، ومناصرتهم لهم ضد الكاثوليك العدوّ المشترك[3].

---

[1] طرخان، إبراهيم علي، دولة القوط الغربيين، (القاهرة، مكتبة النهضة المـصرية، 1958م)، ص166؛

BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRISTINE SPAIN, VOL.1 P.18-19; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.506.

[2] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.507.

[3] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.507;

لم تخل مدة حكم القوط الأريوسيين من عهود تسامح مع الكاثوليك، لكن التباغض والاضطهاد هو الأغلب، وأشد العهود على الكاثوليك كان عهد الملك يوريك (466–486م)، إذ قام بإعدام العديد من الأساقفة الكاثوليك. ينظر: طرخان، دولة القوط، ص156–157.

وقد استخدم القوط الأريوسيون اليهودَ في منطقةِ نربونة[*] (NARBONNE)، للدفاعِ عن حدودهم الشمالية، ضدَّ هجمات الكاثوليك الفرنج، وعندما سقطت نربونة في أيدي الكاثوليك قاموا باضطهادِ اليهودِ والأريوسيين[1].

كما ناصر اليهود القوط ضدِّ البيزنطيين في شمال أفريقيا في عهد الإمبراطور جستنيان، عندما حاول البيزنطيين نشر الكاثوليكية في أسبانيا[2].
واليهود لا يناصرون القوط الأريوسيين حَّباً فيهم، أو إخلاصاً لهم، وإنَّما ليحققوا مصالحهم التي يعتقدون أنها في إبعاد سلطة الكاثوليك الأكثر تعصباً ضدَّهم.

وتوجد إشارات عن ممارسة اليهود خلال هذه المرحلة التجارة والزراعة[3]، وامتلاكهم الأراضي الزراعية الواسعة[4]، وأنَّهم دفعوا ضرائب فرضها عليهم القوط[5].
كما أقام اليهود علاقاتٍ جيدة باليهود خارج أسبانيا[6]، ولعلَّ هذه العلاقات إحدى أسباب التفوُّق التجاري لليهودِ على مر العصور.

---

[*] نربونة: مدينة في جنوب فرنسا، وتسمى أيضاً أربونة.
البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، (هامش المحقق).
وقد وصفها الحميري بقوله: "مدينةٌ هي آخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي بلاد الإفرنجة". الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص11-12.

[1] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.507.

[2] IBID, VOL.2, P.507.

[3] BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484; LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.9.
الموسوعة العبرية، م26، ص381.

[4] BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRICTIEN SPAIN, VOL.1, P.18.

[5] IBID, VOL.1, P.19.

[6] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.15, P,507.

ويمكن استنتاج الكثير عن حياه اليهود الاجتماعية والاقتصادية في هـذا العصر من خلال القوانين القوطية الكاثوليكية اللاحقة، التي وضعت حدًّا للرخاء النسبي الذي عاشه اليهود تحت الحكم القوطي الأريوسي، والذي انتهـى منـذ اعتناق الملك القوطي ريكارد الكاثوليكية سنة 587م.

المبحث الثالث

اليهود تحت حكم القوط الكاثوليك

كان تحول الملك القوطي ريكارد إلى الكاثوليكية سنة (587م)[1]، حــدثاً مؤثّراً في تاريخِ أسبانيا، وانقلاباً مفاجئاً في حياة سكانها، إذ أجبر ريكارد القوط على تغيير مذهبهم الأريوسي إلى المذهب الكاثوليكي بعد نحو ثلاثة قرون مــن اعتناقه، وصار لرجال الدين الكاثوليك ومجالسهم الكنسية سلطة تفوق في كثيــرٍ من الأحيان سلطة الملك نفسه[2]، إذ أصبحت مجالس دينيّة تشريعية يحــضرها الملك والنبلاء، ويشاركون رجال الدين في سَنِّ القوانين[3]، وتبدَّلت معيشة اليهودِ من رخاءٍ وسلامٍ نسبي في عهدِ القوط الأريوسيين إلى معيشةٍ ضنكى، لم يعيشوا مثلها، منذ دخولهم هذه البلاد، حيث أصبح الشغل الشاغلُ للمجالس الكنسيَّةِ هــو إصدار القوانين المضيقة على اليهود، ومراقبة تنفيذها[4].

وصار تشدُّد الملك القوطي مع اليهود، من أهم أسبابِ حــصوله علــى رضا ودعمِ رجال الكنيسة، وكثيراً ما كانوا يفرضون على الملكِ قبل مبايعتــه.

---

[1] يرى البعض أنَّ سبب تحوله إلى الكاثوليكية هو اقتناعه بها، بينما يرى آخرون أن السبب هو اقتناعه بأنَّ اعتناقها وفرضها على جميع السكان هو أقصر طريقٍ لتوحيد البلاد.
ينظر: S.SCH, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.220;
ISIDOR, HISTORY OF THE KINGS, P.25-27;
BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484;
طرخان، دولة القوط، ص151. ولا يمكن الجزم بأحد الرأيين، لأن النوايا لا يعلمهــا إلا الله تعالى، ولا توجد القرائن التي تمكِّن من الحسم.

[2] S.SCH, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.220.

[3] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL. 2, P.508;
LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.13.

[4] طرخان، دولة القوط، ص151.
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.508.

أن يقسم أمامهم، بأنَّه سيُنَفِّذُ جميع القوانين السابقةِ والخاصَّة باليهود، وأنَّه سيواصِلُ التضييقَ عليهم[1].

وهدف رجال الدين من هذا التَّضييق، هو حملهم على التنصُّر، وعقاباً لهم على ما اقترفه أجدادهم بحق المسيحِ وأمّه عليهما السلام، وبحق النصرانيةِ ورموزها في العصورِ السابقة، وهم يَرَوْن أن ما يصيب اليهود بأيدي النَّصارى من عذابٍ، إنما هو عقاب مسلط عليهم من الله بسبب كفرهم ومعاصيهم[2].

صدرت أولى القوانين المضيِّقةِ على اليهود عن المجلس الكنسي الثالث لطليطلة، والذي دعا إليه وحضره ريكارد سنة (589م)[3]، وكان الهدف الرئيس من عقده، هو إعلان الكاثوليكية مذهباً رسميَّاً ووحيداً في البلاد، واعتبار الأريوسية كفراً، والحصول على دعم رجال الدين في نشر الكاثوليكية، وقد صدرت عن المجلس العديد من القوانين، التي تُلغي المعتقدات الأريوسية، وتلعن من يؤمن بها[4].

ولم يَفُتْ المجلس أن يذكر اليهود بالقانونين الآتيين: -

القانون 14، ونصه: " توافقاً مع رأي المجلس، أمَرَ مليكنا المجيد، بأن نُدْرِجَ ضمن القوانين، أنَّه لن يسمح لليهودِ بالتزوّج من النصرانيات، ولا أنْ يتَّخذوا منهنَّ خليلات، ويجب تعميد كل الأطفال المولودين من مثل تلك

---

(1) ELIYAHU ASHTOR, THE JEWS OF MOSLEM SPAIN (PHILADELPHIA, 1979), VOL.1, P.12;
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.515.

(2) ROYMOUND P. SCHEINDLIN, THE JEWS IN MOSLIM SPAIN, THE LEGACY OF MOSLIM SPAIN, SALMA KHADRA JAYYUSI, (EDITOR) (LEIDEN, 1992), P.188;
طرخان، دولة القوط، ص66.

(3) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11.

(4) يُنظر: النَّص الكامل لمحضر مجلس طليطلة الثالث عند: حتامله، أيبيريا، ص266-314.

العلاقات، ولن يُسمح لهم بشراءِ عبيد نصارى لخدمتهم، وإذا وجد لديهم عبيدٌ مختونون، فيجب تحريرهم دون فديةٍ، وردِّهم إلى النَّصرانية، ولن يُسمح لهم بشَغل أي منصبٍ عام يمكن لهم من خلاله أن يؤذوا النصارى[1].

والقانون 24، ونصّه: "لقد قرَّرنا عدم السماح لليهودِ الذاهبين لدفن موتاهم، بترديدِ المزامير، ولكن يحقٌ لهم تطبيق عادتهم القديمة بحملِ موتاهم ودفنهم، وتبلغ الغرامة المفروضة على خرق هذا القانون ستٌّ أونصات من الذَّهب، تُدْفَعُ إلى حاكم المدينة"[2].

وكان منع اليهود من امتلاكِ العبيد النَّصارى، أشد بنودِ هذين القانونين عليهم، وذلك لأنهم كانوا أصحاب تجارةٍ وإقطاعاتٍ زراعيةٍ واسعة، وبحاجةٍ ماسةٍ إلى عبيدٍ يخدمونهم، ولذلك تقدَّموا بالتماسٍ إلى ريكارد، لكي يلغي هذا البند، مقابل دفْعِ مبلغٍ من المال لخزانةِ الدولة، لكنَّه رفض طلبهم، وقد أثار برفضه هذا تقدير رجال الدين، وبعثَ إليه البابا جريجوري الأول رسالةً، يمتدحه فيها على إخلاصه لعقيدته[3].

لكنَّ هذين القانونين لم يُطَبَّقا بحزمٍ في عهدِ ريكارد الأول، الذي استمرَّ حكمه إلى سنة (601م)، وذلك في ما يبدو لانشغال رجال الدين الكاثوليك في نشْرِ وتوضيحِ تعاليم مذهبهم لمعتنقيه الجُدُد، ولوجودِ عددٍ من الأساقفةِ الذين مازالوا يبطنون الأريوسية، ويظهرون الكاثوليكية، وتربطهم باليهود علاقات حسنة سابقاً، فقام هؤلاء بحمايتهم، والتَستُّرِ عليهم[4]. وربَّما قاموا بذلك لشعورهم أنَّ اليهود كانوا مثلهم ضحايا قوانين المرتّد ريكارد، أو بفعل الرشوةِ التّي تعوَّدَ

---

(1) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11-12.

(2) IBID, P.12.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL. 2, P.508.

(4) IBID, VOL.2, P.507; BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484.

اليهود على استخدامها كلّما ضُيِّق عليهم، أو لأسباب سياسية واقتصادية، منها أن ريكارد لا يرغب في إثارة اليهود ضده، أو رحيلهم وفقدان البلاد لرؤوس أموالهم، في وقت ما يزال فيه كثير من النصارى غير مقتنعين بالعقيدة الجديدة التي فرضها عليهم فرضاً.

وفي أوائل عام (589م) طالب المجلس الكنسي لنربونة جميع سكانها بمن فيهم اليهود، أن يتَّخذوا يوم الأحد يوم عطلة للجميع، وفرضت غرامة مالية على المخالف الحُرّ، والجلد على المخالفِ العبد، ومُنِعَ اليهود من التَّرنُّم بتراتيلهم أثناء المراسم الجنائزية[1].

وخلف ريكارد ثلاثة ملوك لم يهتَمُّوا بتطبيقِ قوانينه، ولم تَصْدُرْ في عهدهم أيَّة قوانين جديدة بشأن اليهود، وهؤلاء الثلاثة قَضَوْا نَحْبَهُمْ اغتيالاً [2].

ثم خلفهم سايزبوت (SISEBUT) سنة 612م، وبدأ عهده بتذكيرِ رجال الدين وكبارِ الموظَّفين بضرورة تطبيق قوانين ريكارد الخاصَّة باليهود، ثمَّ أصدرَ مرسوماً خاصاً بعد شهورٍ قليلةٍ من ولايته، جاء فيه: "إنَّ الكفر اليهوديَّ الملعون، ينبغي إلا يكون له تأثير على النَّصرانيةِ، لذلك نؤكَد على أنَّه ابتداءً من سنةِ حكمنا السعيدة الأولى، لن يُسمح لأي يهودي، باستخدامِ أو التسلط على أي نصراني، سواء أكان هذا النَّصْرانيُّ حُرّاً أم عبداً، مستأجراً أم خاضعاً لرئاستهم، بغض النَّظَر عن أي صك ملكية يحملون بهذا الشأن، وأنَّ جميع النَّصارى الذين استُخدموا كعبيدٍ أو كخدمٍ لليهود، ينبغي نقلهم إلى سادةٍ نصارى أو تحريرهم، وسيعدم كلّ يهوديّ قام بتهويدِ عبده النَّصراني، وتصادر أملاكه، وإذا رغب أحد أطفال الملعون في اعتناق العقيدة المقدَّسة، فسوف يُوَرّث عدداً من العبيد الذين

---

(1) BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484; LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.12.

(2) BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11 P.484; LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.12.

يصادرون من والديه، كحصة له، وعموماً إذا تحول اليهودي إلى العقيدة المقدسة فسوف ترفع عنه كل القيود"[1].

وفي ختام مرسومه لم ينس سايزبوت أن يطلب من خلفائه في المستقبل أن يحذوا حذوه في القتال ضد الكفر، وحذر كل من ينتهك المرسوم بأن مصيره سيكون إلى الجحيم[2].

كما أصدر سايزبوت سنة 613م، قانوناً يقضي بخروج اليهود الذين رفضوا اعتناق الكاثوليكية من أسبانيا[3]، وكان صارماً في تنفيذ قوانينه، حيث قام بسجن العديد من أثرياء اليهود، وأمر بقتل كثيرٍ منهم، ولم يتمكن أصحاب الأراضي من زراعتها، فاضطر نحو تسعين ألف يهودي إلى التنصُّر، وغادر آخرون إلى أفريقيا، وإلى بلاد الغال التي يحكمها الفرنجة[4].

ويذكر العذري سايزبوت، لكنه يسّميه ششغوط، ويتحدَّث عن تنصيره القسري لليهود، وعن العالم إيزيدور الإشبيلي الذي يسميه إشيذر العالم، حيث يقول: "وهو الذي ضمَّ اليهود إلى دين النصارى قسراً. وكان بصيراً بالكلام، عارفاً بالكتاب، وكان عصره عصر علوم، وأهله أهل تهمُّم، وفي أيامه كان إشيذر [إيزيدور] العالم بعلم الكتاب"[5].

لقد أصرَّ سايزبوت على قوانينه الصَّارِمة، على الرَّغمِ من احتجاجاتِ القدِّيس إيزيدور الإشبيلي[6]، والبابا جريجوري الأول، وعدد من الأساقفة، حيث عَدُّواْ التَّنصير القسريّ مناقِضاً للنَصرانيةِ[1].

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.509-510.

(2) IBID, VOL.2, P.509-510.

(3) الموسوعة اليهودية، ص286.

(4) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.13.

(5) العذري، ترصيع الأخبار، ص98.

(6) مؤنس، فجر الأندلس، ص521؛
BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11 P.484;

تُوفَيّ سايزبوت سنة (620م)، فخلفه ولده ريكارد الثاني، ولم تَطُلْ مــدَّة حكمه، إذ توفي بعد أربعةِ أشهر[2]، وقد أظهر خلالها تسامحاً نسبيًّاً مع اليهــود، فرجع كثـــير من المُنَصَّرين اليهود إلى دينهم الذي كانوا يعتنقونه سِرّاً [3].

وخلفه سوينتيلا (SUINTILA) (621-631م)، فأظهر مزيــداً مــن التسامحِ معهم، وواصل المنصَّرون رجوعهم إلى اليهودِّية، وعاد إلى الأنــدلس معظم الذين اضطّروا لمغادرتها في عهدِ سايزبوت[4]، وأطلق عليه المنــصرون لقب "أبو الفقراء"، وفي عهده ازدهرت البلاد، وتقلَّصت سلطات رجال الــدين، وتمَّ القضاء على آخرِ وجود روماني في أسبانيا[5].

لم يرض رجال الــدين عــن ســوينتيلا، فأعــانوا عليــه سيــسيناند (SISENANDO)، الذي حصل أيضاً على دعمِ ملك الفرنجــة داغــوبيرت، وتمكَّن من اغتصابِ العرش سنة (631م). ولكي يصيرَ حكمه شرعيًّاً دعا سنة (633م) إلى عقد المجلس الكنسي الرابع في طليطلة، فانعقــد بحــضور اثنــين وستين أسقفاً، ورئاسة أسقف إشبيلية سان إيزيــدور (SAN ISIDOR)، وقــد أعطى المجلس حكمه صفة شرعية ومنع ذريَّة سوينتيلا من المطالبةِ بالحكم[6]، وخرج بعشرة قوانين، تقضي بمزيد من التضييق على اليهود[7].

---

(1) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.12.

(2) حتامله، أيبيريا، ص243-244.

(3) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.13.

(4) S.SCH, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15 P.220.

(5) BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.19.

(6) حتامله، أيبيريا، ص246.

(7) ينظر النصوص الكاملة لهذه القوانين عند: LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.14-18.

توفي سيسيناند سنة (636م)، فانتخب خنتيلا (KHINTILA) (636–640م) حسب قانون الانتخاب الذي شرعه مجلس طليطلة الرابع[1].

وبدأ الملك الجديد عهده بـــالتركيز علـــى اضـــطهادِ الـــذين يظهـــرون النصرانية ويبطنون اليهودية، ودعا إلى عقد مجلس طليطلة الكنسي الـــسادس، فالتأم سنة (638م)، وألقى خنتيلا خطاباً أمام المجتمعين، وعد فيـــه باستئـــصال الخيانةِ والتحيُّز لليهود، الذين يَدّعون النصرانية، وأعرب عن أمله بأن لا يبقـــى أيّ شخصٍ غير كاثوليكي في مملكته في الوقت المناسب، وقد أثار هذا الحرص على النصرانية والتشدُّد مع اليهود إعجاب رجال الدين في المجلـــس، ومنحـــوه لقب "الملك المسيحي"[2].

وأصدر المجتمعون في مجلس طليطلة السادس بخصوص اليهود القانون رقم3[3]، الذي يؤكد على اعتماد القوانين الكنسية السابقة، وضرورة تطبيقهـــا، ويضيف: "لقد قررنا بعد المشاورة، أنه في المستقبل يتوجب على كل من يحصل على السيادة الملكية وقبل ارتقائه العرش أن يقسم على عـــدم الـــسماح لليهـــود بانتهاك حرمة هذا الدين المقدس، وأن لا يقبـــل إغـــواءهم تحـــت أي ظـــرف، فيحابيهم ويسكت عن خيانتهم، إهمالاً منه أو طمعاً "[4].

وأمام هذه التشريعـــات القاســـية هجر عددٌ من اليهود أسبانيا، بينمـــا تظاهر معظمهم بقبول النصرانية[5]، وحاولوا أن يحصلوا على ثقةِ الملك ورجال الدين، فكتبوا إليهم تعُّهداً رسمّياً، وعدوا فيه أن يكونوا نصارى طيبين، وأعلنوا

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.513.

(2) IBID, VOL.2, P.515.

(3) للاطلاع على النص الكامل للقانون. ينظر: LINDO, TH JEWS OF SPAIN, P.18-19.

(4) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.19.

(5) S.SCH, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.221.

أنَّهم يؤمنون بالله الواحد في الثالوث المقدَّس، وأنه بالرغم من ضلالهم مجــدَّدَاً، إلا أنَّهم أدركوا الآن أن المسيح هو المخلِّص الذي بشَّرَت به التوراة، وبشَّرَ بــه الأنبياء، وبعد أن حرروا أنفسهم من شبكةِ الشيطان، فإنَّهم مــستعدُّون مــستقبلاً لطاعةِ قوانين وتعاليم الكنيسة، وبعد أن تنكروا لعاداتِ وخرافاتِ اليهود، مثــل طقوس التطهير الروحي، فإنَّهم قد نفروا من الكنيست (الكنيس اليهودي) وعاشوا وارتبطوا مع النصارى، ماعدا في ما وجدوه مسيئاً لهــم مــن خــلال النفــور الطبيعي، وليس التحيز الديني، ووعدوا بأن لا تكون لهم علاقات اجتماعيــة، أو تزاوجٍ مع اليهود، وأنهم مستعدون لتسليم المجلس جميع المؤلفــات اليهوديــة، ومستعدون أيضاً لتسليم كل من ينتهك ما تعهدوا به في كتابهم، إلى المــسؤولين أو الأساقفة[1].

توفي خنــتيلا ســنة (640م) وخلفــه علــى العــرش ولــده تولجــا (TULGA)، وكان شاباً صغيراً ضعيفاً، لم يــرضِ طمــوح طبقــة النــبلاء، فاجتمعوا بقيادة واحد منهم هو خنداشفينتو (KHINDASVINTO)، وعزلــوه وسجنوه في أحد الأديرة سنة(641م)، حيث مات، وصار خنداشفينتو هو الملك، واستمرَّ حكمه إلى سنه (652م)[2].

ونَعِمَ اليهود في عهده وعهد من سبقهُ براحة قصيرة، إذ لم يتماش مــع رغبة أساقفة مجلس طليطلة الكنسي، ولم يواصل خطّتهم في استئصال اليهودية، ولم يمنع أولئك الذين اعتنقوا النصرانية بالإكراه، من العودة إلى اليهودية، لكنه عاقب بشــدة أبناء اليهود الذين ولدوا أثناء تنصر آبــائهم، ثــم تحولــوا إلــى اليهودية.

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.515.

(2) حتامله، أيبيريا، ص247؛
LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.19.

خلف خنداشفينتو (KHINDASVINTO) ولده ريثيسفنتو (RECESVINTO) (652–672م) حيث أوصى له والده بالعرش سنة (649م)، مخالفاً تعليمات المجلس الكنسي الرابع لطليطلة بأن ينتخب الملك انتخاباً، وقد أدَّى ذلك إلى غضب النبلاء، وقيام بعض الثورات والاضطرابات في عهده[1].

وقد واصل ريثيسفنتو اضطهاد اليهود والمنصرين المنافقين خلال عهده الطويل، وقد عبرَّ عن سياسته تجاههم في خطابه الذي ألقاه أمام أعضاء المجلس الكنسي الثامن في طليطلة، المنعقد في كانون الأول سنة (653م)، والذي قال فيه: "إنِّي أرغبُ في إخباركم عن حياة وعادات اليهود، لأني أدرى بالبلاد التي أحكمها، المدَنَّسة بهذه الآفة، ففي الوقت الذي استأصل فيه الله الجبار جميع أنواع الهرطقة من بلادنا، لم تبْقَ سوى هذه الفئة التي يمكن تصحيحها إما بالثَّباتِ على تقوانا أو بالانتقام"[2].

ونتيجة لهذا الخطاب أكد المجلس الكنسي الثامن على جميع القوانين الصارمة للمجلس الكنسي الرابع ضد النصارى المزيّفين، وقدّم اليهود المنصَّرون إلى الملك التماساً أعلنوا فيه عن خضوعهم إلى الكنيسة، وقد قام بكتابته أحد يهود طليطلة المنصرين حديثاً، واسمه أغوير (AGUIRRE)[3].

وفي ما يأتي النص الكامل لهذا الالتماس:

"إلى سيدنا الرحيم، والمبجل الملك ريكسفينثوس، نحن الموقعون أدناه، من كل يهود طليطلة، نتقدم إليك بالتحية. نحن نذكر أنه في الأوقات السالفة، وبأمر من الملك خنتيلا، تعهدنا بصدق كتابياً، بأننا سنعتنق الدين النصراني ونطبق شعائره،

---

(1) IBID, P.20.

(2) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.516.

(3) IBID, VOL. 2, P.516.

ولكن آثام وضلالات آبائنا تقف حائلاً دون إيماننا المخلص بربنا يسوع المسيح [كذا]، وممارسة شعائر النصرانية، ولهذا السبب فإننـــا الآن وبكامـــل إرادتنـــا ورغبتنا، نعلن لسموّكم بأننا مسؤولون عن أنفسنا وزوجاتنا وأبنائنا، وأننا مـــن الآن فصاعداً، لن نمارس أية عادة يهودية، ولن نرتبط بأي شكل كان مع اليهود الرافضين للهداية، ولن نتزوج من أقربائنا من الدرجة السادسة، ولن نقترف إثم الزنا مع أي امرأة من عوائلنا، وأنه من الآن فصاعداً، سنتزوج نحن وأبناؤنـــا وذرياتنا من الإناث والذكور من النصارى. وأننا لن نختتن، أو نقيم عيداً للفصحِ أو أيٍّ من الأعياد الأخرى، ولن نمتنع عن تناول اللحوم وفقاً للعادة اليهوديـــة، ولن نحيى ونفعل مثلما يحيون ويفعلون، لكننا وبكل الإيمان المخلص والتقـــوى والرغبة، نعلن عن إيماننا بالمسيح ابن الرب الحي [كذا]، كما علمنـــا الرســـل والمبشرون الذين نعترف بهم ونقدّسهم. وسوف نعتنق جميعاً وبإخلاص الـــدين النصراني المقدَّس، وسنمارس شعائره في الأعيادِ والزواجِ والطعامِ وكل العادات الأخرى دون أي تردد أو تحفّظ، أو أي سبب يحول دون تحقيق وعدنا لكم. أما عن لحم الخنزير، فإننا نتعّهدُ أنه على الرغم من عدم اعتيادنا على تناوله، فإننا ودون اعتراض أو تردد سنأكل أي شيء يمزج أو يطبخ معه، ولو تمَّ اتهام أيـــاً منا بخرق المذكور أعلاه، أو فعل أي شيء يتنافى مع الدين النصراني، ســـواء بالقول أو الفعل، أو التهاون في أداء ما تعهدنا به، فإننا نقسم باسم الأب والابـــن وروح القدس، الذين هم رب ثالوث واحد [كذا]، بأننا سنرجمُ بالحجارة، ونحرق كل من يبلغنا عنه القيام بخرق لأي مما ذكر أعلاه. وإذا مـــا رغـــب ســـموّكم العطوف بالإبقاء على حياته فإنه سيصبح عبداً على الفور، ولكم أن تمنحوه لمن تشاءون مع كُلّ أملاكه، وأن تفعلوا به وبأملاكه ما ترونه ملائماً، ليس فقط من منطلق السلطة التي تمتلكونها كملك للبلد، ولكن بموافقتنا بالفعل والقول، التـــي

نقدّمها لكم عن طيب خاطرٍ، بتاريخ الثاني عشر من غُرّةِ شهر آذار في العام السادس من حكمكم سنة (655م)"[1].

إلا أن رجال الدين الكاثوليك لم يثقوا بصدق هذا الالتماس، وفرضوا رقابة شديدة على المنصَّرين اليهود[2].

كما فرض المجلس الكنسي التاسع في طليطلة المنعقد سنة (655م) على جميع المنصَّرين اليهود أن يحضروا أمام الكنيسة عندما يقوم الأسقف بأداءِ المراسيمَ المقدسة، خلال الأيام النصرانية واليهودية معاً، حتى يستطيع التأكد بنفسه من أن اليهود أطاعوا المراسيم النصرانية، وامتنعوا عن يهود الكنيست، ومن يتخلف عن الحضور منهم في مثل هذه الأيام يتعرَّض للجلد، أو يؤمر بالصَّوْم للتكفير عن خطيئته[3].

لكن من الواضح أن كثيراً من رجال الكنيسة لم يخلصوا في تنفيذ قوانين المجالس الكنسية، إذ لم يصمدوا أمام رشاوى اليهود وإغراءاتهم، حيث أعلن المجلس الكنسي التاسع في طليطلة بأسى سنة (656م) أن بعض الكهنة يبيعون العبيد النصارى إلى اليهود، مخالفين القانون الأساسي للمملكة النصرانية[4]، ودعا إلى إصدار قانون ضد هذه التجارة[5]، أما ريثيسفنتو فقد ظلَّ مخلصاً

---

(1) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.34-35;
ينظر: DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL. 2, P.517;
ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.221، S.SCH, SPAIN

(2) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2 , P.517.

(3) IBID, VOL.2, P.517.

(4) ينظر: IBID, VOL.2, P. 518; S.SCH. SPAIN, ENCYCLOPEDIA, VOL.15, P.221.

(5) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P. 20.

لقسمهِ حيث قرر أن يدخل في قانون الدولة قانون المجلس الكنسي وجميع قرارات الملوك السابقين ضد اليهود.

إنَّ قسوة القوانين الصادرة ضد يهود أسبانيا، وحرص ملوك الأسبان، ومجالسهم الكنسية على إصدارها، وتنفيذها، ومتابعتها، والتذكير المستمر بضرورة تطبيقها، لا يمكن أن يكون بسبب حقد قديم فقط على اليهود لقتلهم المسيح عليه السلام -كما يعتقد النصارى-، أو لاتهامهم أمه مريم عليها السلام بالزنا، أو لقتلهم عدداً من القديسين النصارى الأوائل، أو بسبب جرائمهم البشعة التي ارتكبوها ضد السكان في تمرداتهم على الرومان، على أهمية هذه الأسباب في صنع كره متراكمٍ لليهود. ولكن أعتقد أنَّ هناك ممارسات كثيرة مارسها يهود أسبانيا في عهد القوط، وظلوا يمارسونها بالرغم من كل هذه القوانين. وهذه الممارسات هي التي كانت تنبه ملوك القوط، ومجالسهم الكنسية، وتذكرهم باستمرار بضرورة وضع حد ليهودِ بلدهم. وأميل إلى أنها ممارسات اقتصادية واجتماعية، أساسها استحلال اليهود أكل أموال غيرهم بالباطل، ومعتقداتهم التي تجعلهم يحتقرون ويهينون كل الأمم غير اليهودية. فضلاً عن الأسباب السياسية، كمشاركتهم في بعض المؤامرات التي قامت ضد ملوك القوط[1].

وصل إلى العرش بعد موت ريثيسفنتو سنة (672م) وامبا (VAMBO)، الذي بدأ حكمه بالقسم الذي يتضمن فقرة تحتم عليه التضييق على اليهود، وأمر بطرد جميع اليهود غير المنصَّرين من البلاد، ونُفِّذَ القانون بحزم، فتوجَّه الرافضون للتعميد إلى أفريقيا والبرانس وناربونه[2].

---

[1] عن مشاركة اليهود في بعض التمردات ضد ملوك القوط. ينظر: DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.519-520.

[2] حتامله، أيبيريا، ص248؛ LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.21.

وحدث تمرُّدٌ على وامبا قاده هيلدرخ حاكم مدينة نيم، وقام يهود نربونه بتقديم المساعدة للمتمردين، الذين زادت قوتهم عندما انضمَّ إليهم القائد الذي أرسله وامبا لقمعهم. لكنَّ وامبا تمكن من القضاء عليهم بعد سنةٍ من القتال، وعاقب اليهود بطردهم من نربونه[1].

تمكَّن أرفيخيو (ERVIGIO) من الوصول إلى العرش وإزاحة وامبا سنة (680م)[2]، ودعا سنة (681م) إلى عقد مجلس طليطلة الكنسي الثاني عشر، لكي يُبارك رجال الدين منصبه الذي اغتصبه من وامبا، فعقد المجلس برئاسة جِليانوس (JULIANUS) اليهودي المرتد، وكبير أساقفة طليطلة، وكان صديقاً حميماً للملكِ، ومحرضاً له على اليهود[3].

ولقد أظهر أرفيخيو في هذا المجلس حماساً شديداً ضدَّ اليهود، وذلك في ما يبدو من أجل كسب رضا رجال الدين، حيث وقف أمامهم خطيباً، وقال: "انهضوا، أتوسل إليكم أن تنهضوا، وفرِّقوا شبكة الكافر، وصَحِّحوا عادات الآثمين، وأظهروا حماسكم ضِدَّ الخونة، والأهمُّ من ذلك، استأصلوا جذورَ الآفةِ اليهودية"[4].

ورجا الملك أعضاء المجلس أن يدرسوا بجدية التشريعات الَّتي أعدَّها ضِدَّ كفر اليهود، وحذَّرهم من التَّساهُلِ مع اليهودية، حتى لا يكونوا مسؤولين أمام الله عن آثامِ هذه الأُمَّة[5].

وقد درس المجلس هذه التشريعات، وأقرَّها، وكانت العقوبات الرَّادعة هي أكثر ما يُميِّزُ هذه التشريعات، إذ أنَّ عقابَ اليهودي الذي يَمتنِعُ أو يَمْنَعُ

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.519-520.

(2) حتامله، أيبيريا، ص248؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.520.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.523.

(4) IBID, VOL.2, P.520.

(5) IBID, VOL.2, P.520.

أبناءه أو خدمه من التعميد هو مئة جلدةٍ، إضافة إلى قلع شعر رأسه، ونفيه من البلاد بعد مصادرةِ جميع ممتلكاته[1]. أما المرأة المتنصِّرة التي تسمح بتهويدِ ولدها، فعقابها جَدْعُ أنفها، ومصادرة أملاكها[2]. ويعاقب من يمارس أعمال الزراعةِ أو يحيك الصُّوفَ في الأعيادِ النصرانيةِ، بمئة جلدةٍ، مع قلْعِ الشَعر، وكذلك يفعلُ بالعبيد والخادمات إذا انتهكوا حرمة أعياد النصارى، وبالذين يرفضون تناول طعامهم خصوصاً لحم الخنزير[3].

ولم يكتف جليانوس الأكثر غلظةً على بني جلدته، بدوره في تشريعاتِ مجلس طليطلة الكنسي الثاني عشر، بل حاول التشكيك في معتقداتهم، فناقشها، وفندها، ودحضها في كتابٍ سمّاه "حول دليل الحقبة السادسة ضد اليهود"، ولأنَّه فقد الثقَة بيهودِ عصره، أهداه إلى الملكِ وكتب في الإهداء "إذا كان هذا الكتاب لا يُقَوِّمُ اليهودَ فليستفدْ منه النصّارى على الأقل"[4]. وهذا يؤكد أثر الخلاف العقائدي بين النصارى واليهود في وجود العداء بينهم واستمراره.

انتهى عهد إيرفيخيو، فخلفه إجيكا (EGICA) سنه (687م)[5]، وعقد المجلس الكنسي الخامس عشر في طليطلة سنة (688م)، ولم يصدُرْ عنه أيَّ ذكرٍ لليهود[6].

وفي سنة (693م) تمَّ عقد مجلس طليطلة الكنسي السادس عشر، وقد ناقش المجلس مدى فاعلية القوانين السابقة ضد اليهود، فتبيَّنَ له عقمها، إذ ظلَّ

---

(1) IBID, VOL.2, P.520-521.

(2) IBID, VOL.2, P.521.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS,, VOL.2, P.522.

(4) IBID, VOL.2, P.521; BROYED, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.485.

(5) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.23.

(6) IBID, P.23- 25.

معظم اليهود المنصَّرين يكتمون يهوديتهم، ويمارسونها سراً، ويورثونها لأبنائهم، وقد دفـــع ذلك إجيكا أن يجرب مع اليهود نوعاً من الترغيب، فخفّفَ كثيراً من القيودِ عن المنصَّرين، وأعطى الذين يُظهرون صدقاً والتزاماً بالنّصرانية الكثير من الامتيازات، بينما أبقى القوانين الخاصّة باليهود[1]، ولكن يمكــن القــول أنَّ إجيكا أيضاً انضمَّ إلى قافلة الفاشلين في تنصير يهود أســبانيا، إذ ظــلَّ معظــم اليهودُ على دينهم، بين مُعْلِنٍ لليَهوديةِ ومبطنٍ لها، ولم يستفدْ من إغراءات إجيكا إلا اليهود الذين أجادوا تمثيل دور النّصراني الصادق الملتزم[2].

وظلَّ اليهود يعيشون هذا الوضع المحتمل نسبيّاً إلى أن انعقد المجلــس الكنسي السابع عشر في طليطلة سنة (694م)، وأعلن إجيكا أمام أعضائه أنَّــه على الرغم من أفضاله على اليهود، ووعوده الكثيرة إذا أخلصوا للنّصرانية، إلا أنّهم قابلوا ذلك بالجحود[3] حيث "علمنا مؤخّراً من شهودٍ موثــوقين أن اليهــود دخلوا في مفاوضات مع يهــود أجانــب في البـــلاد التـــي وراء البحر لغرض التقدُّم نحو الشعب النصراني"[4].

لقد كان هذا الإعلان الكارثة الكبرى التي حلت باليهود في أسبانيا، فعلى إثره أعلن المجلس في (9-11-694م)[5]، وبمصادقة الملك، القانون الثامن الذي يقضي باستعباد جميع يهود الأندلس، بما فيهم المنصَرّين المنافقين، ومــصادرة جميع ممتلكاتهم، ويلزم أسيادهم النصَارى بمراقبتهم، ومــنعهم مــن ممارســة طقوسهم، كما يقضي بانتزاع أطفالهم منهم، إذا بلغوا سن الـــسابّعة، وتـــوزيعهم

---

(1) IBID, P.23–25; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.525–526.

(2) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.526.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.526.

(4) IBID, VOL.2, P.526.

(5) S. SCH, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.221.

على عائلات نصرانية ليتنصروا في أحضانها، ويُزوّجوا عندما يكبــروا مــن النَّصارى[1].

وأرى أنّ هذا القانون قدْ نُفِّذ، لأن إجيكا عاش بعد إصداره نحــو ســبع سنوات، وعندما توفي سنة (82هـ=701م)، وخلفه ولده غيطشة (WITIZA)، أوقف كثيراً من القيود المفروضة على اليهود، وسمح لهم بالعودة إلى أسبانيا[2]، واستمرَّ حكمه إلى أن قتل سنة (90هـ=709م)، وتمكن لذريق (LODRIGO) من الوصول إلى العرش، وظل يصارع منافسيه على الحكم، إلى أن جاء الفتح الإسلامي سنة (92هـ=711م)، فصرعه، وصرع معــه كــلَّ عهــود الظّلــمِ والظلماتِ التي خيّمت على أسبانيا قروناً طويلة من الزّمان[3].

---

(1) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P. 26;

(2) BROYED, SPAIN, THE JEWS ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P. 485.

(3) حتامله، أيبيريا، ص253 – 254.



الفصل الثاني

الاستقرار اليهودي في الأندلس

المبحث الأول: تنظيم الاستقرار اليهودي في الأندلس.

المبحث الثاني: مراكز الاستقرار اليهودي وسط الأندلس.

المبحث الثالث: مراكز الاستقرار اليهودي جنوبي الأندلس.

المبحث الرابع: مراكز الاستقرار اليهودي غربي الأندلس.

المبحث الخامس: مراكز الاستقرار اليهودي شمال الأندلس

المبحث الأول

تنظيم الاستقرار اليهودي في الأندلس

كان اليهودُ زمن الفتح الإسلامي للأندلس ينتشرون في معظم أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية[1]، ويتركّزون في المدن الرئيسة، ولكن بعيداً عن قصباتها، وعندما فتح المسلمون الأندلس أجروا تغييراً على التوزيع السابق لليهود، فضموهم إلى قصبات المدن. يُفهم ذلك من خلال الروايات التي أوردها مؤلف مجهول، حيث يقول عن فتح المسلمين لإلبيرة: "فحصروا مدينتها، فافتتحت، فألفوا بها يومئذ يهوداً، وكانوا إذ ألفوا اليهود ببلدةٍ ضموهم إلى مدينة البلد، وتركوا معهم من المسلمين طائفة، ومضى عظم الناس ففعلوا ذلك بغرناطة، مدينة إلبيرة، ولم يفعلوا ذلك بمالقة، مدينة ريّة، لأنهم لم يجدوا بها يهوداً ولا عمارة، وإنّما كانوا لاذوا بها وقت حاجتهم"[2]. ويقول في معرض حديثه عن فتح قرطبة بقيادةِ مغيث الرومي: "وجمع يهود قرطبة فضمهم إليها"[3]. وفي معرض حديثه عن فتح إشبيلية بقيادة موسى بن نصير يقول: "فأتاها موسى بن نصير، حتى حصرها أشهراً، ثمّ إن الله فتحها، وهرب العلوج إلى مدينة باجة، فضم موسى يهودها"[4].

---

(1) BROYED, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPDIA, VOL.11, P.484; ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPIDA JUDAICA, VOL.15, P.1268; BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.825; BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198; LINDO, THE JEWS, P.6.

(2) مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1401هـ-1981م)، ص21-22.

(3) م. ن. ص23.

(4) أخبار مجموعة، ص 23.

ويقول المقري عن فتح إشبيلية: "فامتنعت أشهراً على موسى، ثم فتحها الله عليه، فهرب العلوج عنها إلى مدينة باجة، فضم موسى يهودها إلى القصبة، وخلف بها رجالاً"[1].

كما يفهم أيضاً من رواية ابن عذاري عن فتح مدينة طليطلة حيث يقول: "وألفى طارق طليطلة خالية، ليس فيها إلا اليهود في قوم قلّة، وفرّ علجها مع أصحابه، ولحق بمدينة خلف الجبل. وتبعهم طارق، بعد أن ضم اليهود[2]. ومن رواية لسان الدين بن الخطيب التي يقول فيها: "ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى إلبيرة فحاصروا مدينتها، وفتحوها عنوة، وألفوا بها يهوداً ضموهم إلى قصبة غرناطة، وصار لهم ذلك سنةً متبعةً متى وجدوا بمدينة يهوداً ضموهم إلى قصبتها، ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها"[3].

وكان هدف المسلمين من ضم اليهود إلى قصبات المدن هو الإفادة منهم في أعمالِ الحراسة [4].

والظاهر أن إقامة يهود الأندلس قبل الفتح الإسلامي خارج أسوار المدن المهمة لم يكن باختيارهم، وإنما أجبرهم عليها القوط، إذ لا يعقل أن يختاره اليهود بأنفسهم، وقد عرف أنهم يميلون إلى حماية أنفسهم بالحصون والأسوار.

وتدل العديد من الإشارات التاريخية على وجود أحياءٍ يهودية في كثير من المدن الأندلسية، وأنها استمرت طوال مدة الحكم الإسلامي للأندلس[5].

---

[1] المقري، أحمد بن محمد، فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، م1، (بيروت، دار صادر، 1408هـ-1988م)، ص 269.

[2] البيان المغرب، جـ2، ص12.

[3] الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ق1، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (القاهرة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1393هـ-1973م)، ص101.

[4] ينظر: م.ن.، م1، ص101.

[5] سنشير إلى تلك الإشارات لاحقاً عندما نفصل الحديث عن الاستقرار في تلك المدن.

وأرى أن المسلمين هم الذين منحوا اليهود أجزاء من المدن الأندلسية، وسمحوا لهم بإقامة أحياء خاصة بهم فيها، إذ لا يعقل أن يترك أمر مهم كهذا لليهود فيتخيرون ما شاءوا من مواقع لإقامة أحيائهم، دون إذن من السلطة الإسلامية.

كما أرى أن تنظيم مواطن الاستقرار اليهودي في الأندلس قد تم في عصر الولاة (95-138هـ=714-755م)، الذي يعد العصر الذي وضعت فيه أسس الاستقرار والتنظيم في الأندلس. ومما يدل على ذلك أن أبا الخطار الحسام بن ضرار الكلبي عندما جاء والياً على الأندلس سنة (125هـ=742م)، "لم يقدم في ولايته الأندلس شيءاً على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبين على البلد عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تحملهم، وأنزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كور شامهم، وتوسَّع لهم في البلاد"[1].

ولولا أنَّ اليهود قد حصلوا على حيٍّ لهم في قرطبة قبل قدوم أبي الخطار، وهو الوقت الذي كانت فيه المدينة مزدحمة لا تتسع حتى لمزيد من المسلمين، لما حصل اليهود على حيهم الذي صرحت بوجوده الإشارات التاريخية اللاحقة لذلك العصر. إذ لا يمكن أن تُقدِّم السلطة لليهود جزءاً من المدينة لإقامة حيهم عليه، بعد سنة (125هـ=742م) في الوقت الذي لا تستطيع فيه استقبال المسلمين.

وهناك إشارات أخرى تدلُّ على وجود مبكّر للحيّ اليهودي في قرطبة منها رواية ابن حيّان التي يقول فيها: "توفي عبد الرحمن بن عثمان بن عفان القشيري في ذي الحجة من سنة (95هـ=713م)، ودُفِنَ بمقبرة حلال، بينها

---

[1] ابن الأبار، محمد بن الله القضاعي، الحلة السيراء، جـ1، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة، ط، 1963) ص61.

وبين مقبرة اليهود الطريق السالك بجوفي قرطبة"[1]، ورواية الخشني التي يقول فيها: "كان سعيد بن سليمان القاضي يحكم في المسجد الجامع، ويأتي إليه ماشياً، وأنه كان يوماً من الأيام مقبلاً ضحىً، فلما أتى باب اليهود التقى بسعيد بن حسان الفقيه ... ولبث سعيد بن سليمان قاضياً إلى أنْ مات الأمير عبد الرحمن بن الحكم ... سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين"[2].

ويقدمّ ابن حيّان رواية تعودُ إلى سنة (361هـ=971م)، تبينُ مسؤولية السلطة الإسلامية عن تنظيم الاستقرار في المدن الأندلسية وتذكر باب اليهود في قرطبة، حيث يقول: "ركب الخليفة الحكم إلى دار الطراز، اعتناءً بمطالعتها، فدخلها وقد استقبله قوّامها من الوكلاء والقوام بالأعمال فيها، فقضوا حقّهُ وساءلهم، عن أشياء من أعمالهم، وأنعم توصيتهم، وكانت طريقه إليهم على مقبرةِ باب اليهود المنسوبة إلى أم سلمة، فأجال بصره فيها وتأمّل ما بها من ضيقة لتكاثر الدفن فيها، فعهد بابتياعِ دور جمة منها، حَدَّها كيما تهدم وتزاد فيها، فعمل بذلك[3].

إن وجود باب يحمل اسم "باب اليهود" في قرطبة، وفي مدن أندلسية أخرى كسرقسطة"[4]، يدل في رأيي دلالةً قاطعة على وجود حي لليهود في تلك

---

[1] ابن بشكول، خلف بن عبد الملك الخزرجي الأنصاري، الصلة، جـ2، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت دار الكتاب اللبناني، ط1، 1410هـ-1989م)، ص462.

[2] الخشني، محمد بن الحارث، قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الابياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، ط1، 1402هـ -1982 م)، ص140.

[3] ابن حيان القرطبي، أبو مروان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1965 م)، ص 92.

[4] ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف، تاريخ علماء الأندلس، ق1، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م)، ص127، ترجمة رقم: 391.

المدن، لأنه جرت العادة في المدن الإسلامية، أن يطلق على أبواب المدن أسماء المواقع التي تؤدي إليها تلك الأبواب[1]، أو أسماء من يقيمون بالقرب منها، ومما يدل على ذلك قول العذري في معرض حديثه عن أبواب قرطبة: "ومنها بـــاب عامر... وكان قد نزل قريباً منه عامر بن عمرو...، فنسب بهذا النسب إليه ... ومن أبواب المدينة أيضاً: باب عبد الجبار، وعبد الجبار هذا الذي ينسب إليه ... كان نزل بقرب هذا الباب"[2].

وعلى سبيل المثال ما يزال أحد أبواب مدينة القدس يحمل إلى الآن اسم "بـــاب المغاربة"، لأنه قريب من الموقع الذي يسكن فيه المغاربة في مدينة القدس.

ولا يمكن أن يطلق مسلمو الأندلس اسم اليهود على أحد أبـــواب مـــدنهم، لأي سبب غير أن ذلك الباب يؤدي إلى حيهم، أو أنهم يقـــيمون بالقرب منـــه، لأن المسلمين ينفرون من اليهود، ولا يمكن أن يطلقوا اسمهم على أبواب مدنهم حباً فيهم، أو إكراماً لهم. إذ أنهم عندما لاحظوا أن اسم اليهود صار يتـــردد علـــى ألسنة الناس، وهم يذكرون باب اليهود في قرطبة، كرهوا ذلـــك، وقـــرروا أن يغيروا اسم الباب إلى"باب الهدى"[3].

وما يؤكد أيضاً وجود حي لليهود في قرطبة رواية ابن عذاري لحادثـــة وقعت في قرطبة سنة (529هــ=1134م)، يقول فيها: "وثارت العامـــة أيـــضاً بقرطبة في هذه السنة، في رجب على اليهود –لعنهم الله– بسبب قتل وجد بـــين أظهرهم، ففتحت منازلهم، وانتهبت أموالهم، وقتل نفر منهم"[4].

---

[1] العذري، ترصيع الأخبار، ص18، 122، 165؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص143.

[2] العذري، ترصيع الأخبار، 122.

[3] المقري، نفح الطيب، م1، ص156.

[4] البيان المغرب، جــ3، ص266.

وأرى في ورود كلمتي "أظهرهم" و"منازلهم" في الرواية دليلاً على أنهم كانوا يعيشون في حيّ خاص بهم.

وقد سمح المسلمون لليهود في أليسانة أن يسكنوا منعزلين تماماً عن المسلمين حيث يقول الإدريسي: "واليهود يسكنون بجوف المدينة، ولا يداخلهم فيها مسلم البتة... ولليهود بها حذر وتحصن ممن قصدهم"[1].

وأجد في الروايات الإسلامية التي تصف ما حل بيهود غرناطة أثناء ثورة المسلمين على يهودها دليلاً على أن معظم اليهود كانوا يسكنون فيها في حي خاص بهم. إذ يقول ابن عذاري: "وقتل في هذا اليوم من اليهود جملة عظيمة، ونهبت دورهم"[2]، ويقول أيضاً: "وفي هذه السنة كان القيام على يهود غرناطة، وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف"[3]، ويقول الشنتريني: "وقد استطال الناس على يهود، وقتل منهم يومئذ نيف على أربعة آلاف[4]. ولولا أن معظم اليهود كانوا يتجمعون في مكان واحد لما تمكن الثائرون الغاضبون من الإمساك بآلاف منهم، هم أغلبية اليهود، وقتلهم في يوم واحد.

ولو أنهم كانوا منتشرين بين المسلمين، وفي جميع أنحاء غرناطة، لتمكن كثير منهم من الفرار، أو الاختباء، ولما وصل الغاضبون إلى دورهم بهذه السرعة، ولكان عدد القتلى أقل بكثير من العدد الذي تحدثت عنه الروايات الإسلامية.

---

[1] الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي، المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م2، (بيروت عالم الكتب، ط1، 1409هـ-1989م)، ص571-572.

[2] البيان المغرب، جـ3، 266.

[3] م. ن.، جـ3، ص231.

[4] الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، م2، (بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1399هـ-1979م)، ص769.

وبالرَّغم من أنّ الأمثلة السابقة قد جاء معظمها من مدينة قرطبة، إلا أنها تعبر عن الوضع في المدن الأندلسية الأخرى التي تواجد فيهـا اليهـود، إذ أنَّ جميع تلك المدن كانت تابعة للحكم في قرطبة، وتُطَبَّقُ فيهـا جميعـاً الـسياسة نفسها.

ومن الواضح أنَّ المسلمين لم يمنعوا اليهودَ من السكن خـارج الحـي اليهودي، إذ توجد إشارات عدة إلى يهود جاوروا المسلمين في مساكنهم، وأنهم امتلكوا دوراً وأراضي بين دور المسلمين وأراضيهم.

ومن هذه الإشارات قول القاضي أبي الأصبغ عـيسى بن سهل مجيبـاً على نازلةٍ وُجِّهت إليه سنة (464هـ=1071م): "شورى في بيتٍ متهدّم بين دار حسّان ودار شنوغة اليهود(*)، خاطبنا بها صاحب السوق أبو طالب محمد بـن مكي ... قام عندي حسان بن عبد الله فذكر أنَّ له داراً بـداخل مدينـة قرطبـة بحومة مسجد صواب، تلاصق داراً أخرى موقوفة على شنوغة اليهود، وأنه كان في داره بيتٌ صغيرٌ تهدَّم، وتهدَّم بتهدُّمه الجدار الذي كان حاجزاً بينه وبين دار الشنوغة، وأغفل بنيانه، فلما ذهب إلى إقامته اعترضه إسحاق اليهودي، وقـال:

(*) شنوغة اليهود: بيت عبادتهم، وهذا اللفظ منقول عن اللاتينية SINAGOGA، وهو بـدوره مأخوذ من الإغريقية، ومعناه أصلاً مكان الاجتماع، وقد خصص المعنى بعـد ذلـك بمكـان اجتماع اليهود للعبادة، وقد انتقل اللفظ بعد ذلك إلى كل اللغات اللاتينية الأصـل (بالأسـبانية SINAGOGA، وبالفرنسية SYNAGOGUE). ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى، الأحكـام الكبرى، استخرجها وحققها ونشرها: محمد عبد الوهاب خلاف، (القاهرة، المركـز العربـي للدول والإعلام، 1410هـ–1980م)، ص60–61، نشرت قطعة منها تحت عنوان: "وثـائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل".

إنَّ البيت المتهدِّم من حقوق دار الشنوغة، وأظهر إلى حسَّان عقد استرعاء، تاريخه رجب سنة أربعٍ وستين..."[1].

وذكر الونشريسي نازلة حول "رجل بجواره يهودي، قد ربى معهم، فربما جاءوه في حاجة، أو عرضت له إليهم حاجة، وربما مشى في طريق ملاصقةٍ لهم فيجري بينهم حديث أو ابتسام وكلام لين، وهذا الرجل يقول: الله عالم ببغضي لليهود، ولكن طبعي ليِّن، أتراه من هذا في حرج أم لا ؟ وما يردُّ عليه إذا سلَّموا عليه، أفتنا رحمك الله"[2].

ولمَّح الجرسيقي إلى مجاورة أهل الذِّمَّة للمسلمين في بيوتِهم، عندما أفتى بأن "يمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين في منازلهم والتكشيف عليهم"[3].

ويبدو أنَّ مجاورة اليهود للمسلمين في السكن كانت ظاهرة عامة في جميع بلدان المسلمين. إذ يقول جوايتاين: "فكما نعرف الآن من وثائق الجنيزة التي جاءت من الفسطاط ومن القاهرة والإسكندرية والمحلّة، ومن أماكن أخرى في مصر والتي جاءت من القيروان وبيت المقدس ودمشق وحلب، فإنَّ بيوت

---

(1) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص60-61.

(2) الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا، والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من العلماء بإشراف: محمد حجي، جـ11، (بيروت، دار المغرب الإسلامي، 1981م)، ص300-301.

(3) الجرسيقي، عمر بن عثمان بن عباس، رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسيقي في الحسبة، نشرت ضمن كتاب "ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب"، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م)، ص122، 151.

اليهود كانت متاخمة لبيوت المسلمين وبيوت المسيحيين، فلم يكن هناك جيتــو، ولكن على العكس من ذلك كانت هناك فرص كثيرة للاختلاط اليومي"[1].

وبالرغم من أنَّ السلطة الإسلامية لم تجبر اليهود فـــي الأنـــدلس علـــى الاستقرار في الأحياء اليهودية، إلا أنَّ معظمهم كانوا يفضلون ذلك. لأنَّ الإنسان بطبعه يميل إلى الاستقرار بين قومه وأهل مِلّته وليس اليهود وحدهم هم الـــذين حُدِّدَت لهم أحياء خاصة بهم، بل تلك هي عادة المسلمين عند تنظيم الاســـتقرار في مدنهم، إذ تعطى كل قبيلةٍ أو عشيرةٍ جزءاً من المدينة فيصبح مستقرّاً خاصاً بها، وقد يحمل اسمها[2]، لكن أفراد هذا الجزء أو ذاك لا يُمنعون من الاستقرار أينما شاءوا من الأندلس. وقد اتَّبعَ أبو الخطار هذه السياسة عندما نظم مـــواطن استقرار العرب الشاميين الغالبين على الأندلس، حيث حرص أن ينـــزل أبنـــاء الجندِ الواحدِ معاً في منطقةٍ واحدة [3] "وأنزلهم مع العربِ البلديين علـــى شـــبه منازلهم في كُوَر شامهم"[4].

وأجد في سماح السلطة الإسلامية في الأندلس لليهود بالاســـتقرار فـــي أحياء أو تجمعات خاصة بهم، تسامحاً من هذه السلطة، إذ ساوت في ذلك بينهم وبـــين أبناء القبائل العربية الذين دخلوا الأندلس.

والجدير بالذكر أن إسكان اليهود في أحياء خاصة بهم يختلف اختلافـــاً كلياً عن "الجيتو" الذي أجبر اليهود على السكن فيه في أوربـــا فـــي العـــصور

---

[1] جوايتاين س.د، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريـــب وتحقيـــق: عطيـــة القوصي، (الكويت، وكالة المطبوعات، ط1، 1980)، ص151.

[2] عـــن توزيع كل قبيلة في دربٍ خاص بها ينظر: الدوري، عبد العزيز، "المؤسسات الحكومية" المدينة الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد تلعب، أشرف على النشر: ر.ب سرجنت، (اليونسكو، السيكومور فجر، 1983م)، ص53.

[3] ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، جـــ1، ص61-63.

[4] م. ن، جـــ1، ص61.

الوسطى. لأن تصرف المسلمين لم يكن من منطلق عنصري كما هو الحال في تنظيم الدول النصرانية للجيتو، بدليل أنه قد سمح لليهود بالإقامة خارج أحيائهم، وبين دور المسلمين، وإلى جوارهم. هذا بالإضافة إلى أن تنظيم الاستقرار لدى المسلمين كان يقوم على أساس قبلي، كما أنه كان يحقق المصلحة لليهود، ولم يحدث أي اعتراض عليه من قبل اليهود طوال مدة وجودهم في الأندلس . وقد اطلعت على العديد من الدراسات اليهودية الحديثة عن يهود الأندلس، فلم أجد اعتراضاً من أحد على طريقة المسلمين في تنظيم إسكان اليهود، ولم يتهموا المسلمين بالعنصرية، مثلما اتهموا النصارى الذين أجبروا يهود أوربا على السكن داخل الجيتو، وعدم الإقامة خارجه.

وقد تمكَّن اليهود بسبب إقامتهم في أحياء خاصة من حماية مجتمعهم اليهودي من الانصهار التام داخل المجتمع الإسلامي في الأندلس، الذي أثر فيهم تأثيراً كبيراً، لكنَّهم ظلوا محافظين على طقوسهم وشعائرهم وكثيرٍ من عاداتهم وتقاليدهم[1].

وتتحدَّث المصادر اليهودية عن أحياء اليهود داخل المدن الأندلسية، وتبيِّن أنَّ كثيراً من منازلها التي يسكنها اليهود تعود ملكيتها إلى مسلمين أو نصارى، وأنَّهم قد استأجروها منهم استئجاراً[2]. وإذا صحَّ ذلك فإنَّه يعني أنَّ السلطة الإسلامية عندما قامت بتحديد مواقع للأحياء اليهودية في المدن الأندلسية، لم تكن هذه الأماكن خالية من البناء والسكان، وأنه ليس اليهود هم أول من أسس هذه الأحياء، بل كانت مواقع تحتوي على العديد من البيوت. إذ

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.64.

(2) IBID, VOL.3, P.59.

نقلاً عن: RESPONSA ALFASI, NO, 171.

يستبعد أنْ يُقبِلَ المسلمون والنصارى على تشييد منازل لهم في تلك الأحياء بعد أن خصصت لليهود.

وأعتقد أنَّ سبب ملكية المسلمين والنصارى للعديد من البيوت داخل الأحياء اليهودية هو أن النصارى يملكون هذه البيوت قبل الفتح الإسلامي، وقد بقيت ملكاً لمن لم يهرب منهم، ورضي بالعيش تحت حكم المسلمين. أما المسلمون فقد حصلوا عليها غنيمة بعد أن فرَّ عنها أصحابها. والظاهر أن المسلمين والنصارى الذين لا يرغبون بالعيش بين اليهود قد فضَّلوا أن يؤجِّروا بيوتهم لهم، وينتقلوا للعيش في أماكن أخرى، أو في الأماكن المخصصة لهم، وربما قام بعضهم ببيع تلك البيوت لليهود.

كما تبيِّن المصادر اليهودية أن الحي اليهودي كان يطلق عليه في بعض المدن الأندلسية اسم "الجماعة"، وهو اختصار لـ"جماعة اليهود"، أو يُسمى "القاهال"، وهو المعنى العبري لكلمة "الجماعة"[1].

وكانت بعض المدن الأندلسية تضمُّ نسبة عالية من السكان اليهود، وقد أطلق بعض المؤرخين المسلمين على هذا النوع من المدن اسم "مدينة اليهود"[2]، للتعبير عن كثرتهم فيها.

وعندما يكون عدد اليهود في المدينة كبيراً فإنَّ حيَّهم فيها على الأغلب يكون كبيراً، وهو يحتوي في هذه الحالة على حارات صغيرة تُسمّى "الدروب". أمَّا الأحياء الصغيرة فهي عبارة عن مجاميع من المنازل المحيطة بزقاق مسدود

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.61.

(2) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص734، ابن سعيد، أبي الحسن علي بن موسى، اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى، اختصار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (دار الكتب الإسلامية، ودور أخرى، ط2، 1400هـ- 1989م)، ص149.

الطرف في العادة، وكانت نهايته المفتوحة تغلق بباب يقفل في المساء حفاظاً على أمن السكان.

وبما أنَّ ما يفصل الأحياء عن بعضها من كل الجهات كان الأسوار الخارجية لمنازلهم، فإنَّ أمن السكان اعتمد كلياً على المراقبة المتيقظة للباب. وكان السكان في الواقع يستأجرون الحراس الذين تصحبهم الكلاب والمصابيح، وكانوا يمرون في دوريات طوال الليل، وقد أطلق على الحارس اسم "الدرَّاب". وفي أوقات الاضطرابات والفتن الداخلية كان من السهل الدفاع عن الأحياء المغلقة، إذ لم يكن هناك حاجة إلا للقليل من الأشخاص للدفاع عن باب الدرب، حتى وإن زاد عدد المهاجمين على عدد المدافعين[1].

وقد أحبَّ اليهود وكذلك النصارى طريقة المسلمين في الحفاظ على أسرار بيوتهم، والحرص على إلا يطلع الغرباء على ما يجري بداخلها، وقد تبنوا هذه الطريقة داخل أحيائهم، وصار أمراً مستنكراً أن يفتح الجار شباكاً أو باباً يؤدي إلى كشفِ بيت جاره. وقد حدثت مشاكل كثيرة بين اليهود داخل أحيائهم على قضايا من هذا النوع. وكان أحد الأسئلة الموجهة من يهود غرناطة إلى أحد كبار أحبار أليسانة يحمل تقريراً عن أشخاص طلبوا بعد موت والدهم من أرباب البيوت في أحد الدروب السماح لهم بالمرور عبر حيِّهم. وتقدَّموا بهذا الطلب على أساسِ أن سكان الدرب لم يبيعوا حقَّ المرور في الشارع لوالدهم المتوفى. وبالطبع فإنهم وجدوا أنه من الملائم الحصول على حكم بحق المرور في هذا الطريق الأقصر، ليوفروا على أنفسهم عناء الدوران لمرات عِدَّة خلال النهار حول الحي الذي يقطع عليهم الطريق إلى أقرب شارع. ولكن الحبر الذي أرسلت إليه المشكلة عارض ذلك[2].

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.62.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.63.

وقد حافظ اليهود على ذلك حتى عندما أصبحوا تحت الحكم الأسباني، فقد ورد سؤال إلى أحد أحبار أرجون حول بيتٍ يقع في زقاق مغلق له شباك واحد يفتح على الزقاق، وكان هناك رجلُ اسمه "سيمون" يعيش في الزقاق؛ وقد فتح شباك مقابل الشباك المذكور سابقاً، وقد طلب يعقوب من سيمون إغلاق شباكه لأنه يطلٌ على بيته ويكشفه، لكنّ سيمون كان يرفض ذلك. وقد أفتى الحبر الأرجوني بضرورة إغلاق شباك سيمون[1].

وكانت النزاعات أحياناً تثار لأن أحد أرباب البيوت يستخدم منزله لغيرِ أغراض السكن، مما يزيد من عدد الداخلين والخارجين من الزقاق. فيحتج السكان عليه، ويرفعون مشكلتهم إلى أحبارهم ليفتوا بمنع ذلك[2].

وفي ما يأتي بيان لأهم مراكز الاستقرار اليهودي في الأندلس.

---

(1) IBID, VOL.3, P.64.

(2) IBID, VOL.3, P. 64.

المبحث الثاني

مراكز الاستقرار اليهودي وسط الأندلس

تركز اليهود وسط الأندلس في مدينتين كبيرتين، هما قرطبة، وطليطلة. وفي ما يأتي بيان عن استقرار اليهود في هاتين المدينتين.

أولاً: قرطبة (CORDOBA)

يقول الحميري في وصفها: "قاعدة الأندلس، وأمُّ مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها"[1]. وقد افتتحها المسلمون سنة (92هـ-711م)[2]، وخسروها سنة (633هـ-1236م)[3].

يقع الحي اليهودي في قرطبة في الجهة الجنوبية الغربية منها، قريباً من قصر الخلفاء والجامع الكبير[4].

وهناك إشارة للخشني يمكن أن تدلَّ على قربه من الجامع الكبير حيث يقول: "كان سعيد بن سليمان القاضي يحكم في المسجد الجامع (بقرطبة)، ويأتي إليه ماشياً، وأنَّه كان يوماً من الأيام مقبلاً ضحى، فلما أتى باب اليهود التقى

---

(1) الحميري، الروض المعطار، ص456.

(2) المقري، نفح الطيب، م1، ص261.

(3) ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، جـ1، (القاهرة، 1956)، ص120، 323.

(4) كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص46-47؛

HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.964;

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.296.

ينظر: الخارطة رقم: (1) التي نقلت بتصرف عن: الكواتي، اليهود في المغرب الإسلامي، ص260.

بسعيد بن حسان الفقيه[1]. وما يزال الجزء الجنوبي الغربي من قرطبة يُعـرف إلى الآن بالحي اليهودي، ومن الممكن مشاهدة بعض آثاره[2]، وهي تدلُّ على أنَّ البيوت القديمة التي سكنها اليهود خلال حكم المسلمين لقرطبة، قد هُـدمت، وأنَّ البيوت الموجودة فيه الآن، قد شُيِّدت جميعها بعد القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. ولكنْ على الرغم من إنشاء بيوت جديدة إلا أنَّ شبكة الـشوارع قد ظلَّت على حالها، ولذلك فإن كلَّ الشوارع التي في ذلـك الحـيّ مـا تـزالُ ضيقة[3]، وما يزالُ بعضها يحملُ أسماء تؤكدُ على أنَّ هذه المنطقة كانت بالفعل حياً يهودياً.

وأجد من الضروري ذكر الأسماء الحالية لـشوارع ومعـالم الأحيـاء اليهودية لأن هذه الشوارع أقيمت في أماكن الشوارع القديمة لتلك الأحياء –كما أسلفنا–، والتعريف بها وبأماكن وجودها يمكّن المهتمين مـن تكـوين صـورة تقريبية عن تلك الأحياء في العهد الإسلامي، كما أنه يُسهّل لهم الوصول إلى تلك الأحياء للتعرف عليها[*].

فهناك شارع الحي اليهودي (CALLE JUDERIA)، الـذي تـشيرُ الخارطةُ الرسمية لقرطبة سنة (1226هـ–1811م) إلى وجـود بـاب الحـيّ

---

(1) الخشني، قضاة قرطبة، ص140.

(2) كحيلة، تاريخ النصارى، ص46؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.295.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1 P.295.

(*) ينظر: الخارطة رقم: (2)، التي نقلت هي وأمثالها من خرائط البحـث التـي تبـين المعـالم والحدود الحالية للأحياء اليهودية في المدن الأندلسية عن: ASHTOR, THE JEWS OF MOSLEM SPAIN. والتي نقلها بدوره عن الخرائط الأسبانية الرسمية القديمـة للمـدن الأندلسية، ومن خلال زياراته لمواقع الأحياء اليهودية في تلك المدن.

اليهودي فيـــه[1]. وهنـــاك ســـاحة الحـــي اليهـــودي (PLAZA DE LAS JUDERIA)، وهي التسمية السابقة لساحة دي لاس بولاس (PLAZA DE LAS BULAS)، التي كانت في ما يبدو سوق الحي اليهــودي. ومـــن هـــذه الساحة ينعطف شمالاً شارع أطلق عليه اسم العالم اليهودي الشهير موسى بـــن ميمون (CALLE MAIMONIDES)، وكان في السابق يُدعى شارع اليهود (JUDIOS CALLE DE LOS) [2]. وكان هذا هو الـــشارع الـــرئيس فـــي الحيّ، وهو شارع يبلغ طوله 160 متراً، لكنّه ضيق جداً، حيث يبلـــغ عرضـــه مترين أو ثلاثة أمتار. وإلى شمال الساحة، وعلى جهة الغـــرب يقـــع الكنـــيس اليهودي القديم الذي بناه إســـحاق بن أفرايم سنة (715هــ=1315م)، ربَّما في موقع الكنيس الموجود منذ العهد الإسلامي[3].

ويمكن تعيين حدود الحي اليهودي في قرطبة بـــشارع (ROMERO)، وامتداده الذاهب إلى الجزء الشمالي الغربي، والمعروف اليوم بشارع المنصور، وقد عُثِرَ في هذا الشارع على بقايا سور قوي، ربَّما كان السور الداخلي للحـــي اليهودي الذي يفصله عن بقيةِ أجزاء المدينة. وكان الحي يـــصل فـــي إحـــدى جوانبه إلى الزاوية الشمالية الغربية من الجامع الكبير، ويصل من جانبه الآخر إلى باب المدوَّر[4].

والملاحظ أنَّ مساحة هذا الحيّ كانت صغيرة، وهي أقـــل بكثيـــر مـــن مساحة الأحياء اليهودية في المدن الكبيرة الأخرى في الأندلس. وقد تناسبت هذه

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.295, 438.

(2) IBID, VOL.1, P.295-296; BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.296.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.296; BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.964.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.296; BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.664.

المساحة القليلة مع عدد اليهود فـي قرطبـة فـي القـرنين الثالـث والرابـع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، والذي كان قليلاً حسب قولِ أحـد أحبـار يهود العـراق في معرض إجابته عن سؤالٍ ورد إليه من يهود قرطبة[1].

ونتيجة للازدهار الحضاري والعمراني والعلمي في قرطبة في أوائـل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ولاسيما في عهد الخليفة عبد الـرحمن الناصر، تدفق إليها المهاجرون من مختلف الأجناس والأديان، وكان اليهودُ من بين أولئك المهاجرين[2].

ولأن الحي اليهودي كان مزدحماً بـاليهود، ولا يمكـن أن يـستوعب القادمين الجدد، فقد سمح لهم بإقامة حيٍّ آخر في شـمال المدينـة[3]. وهنـاك إشارات مختلفة إلى ذلك الحيِّ.

حيث يقول الإدريسي في وصفه لقرطبة التي شاهدها في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي: "وطولها من غربيها إلى شرقيِّها ثلاثـة أميـال، وكذلك عرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود بشمالها ميل واحد"[4]، ووجود باب لليهود في شمال المدينة يدلُّ على حيٍّ لليهود هناك.

ويقول المقري: "ذكر ابن بشكوال أنَّ عدد أرباض قرطبة عند انتهائهـا في التوسيع والعمارة واحد وعشرون ربضاً منها...، وأمّا الشمالية فثلاثة: ربض باب اليهود، وربض مسجد أم سلمة، وربض الرصافة" [5]. وتحـدَّث الحميـري عن مساحة مدينة قرطبة بعد التوسيع فقال: "وعرضها من باب القنطرة إلى باب

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.294.

(2) ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPIDA JUDAICA, VOL.5, P.664.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298; BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPIDA JUDAICA, VOL.5, P.665.

(4) الإدريس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م2، ص575.

(5) المقري، نفح الطيب، م1، ص465-466.

اليهود ميل واحد"[1]. وبيَّن كلٌّ من العذري[2]، والمقري[3]، أنَّ مسلمي الأنـــدلس قد استقبحوا أن يُسَمُّوا باب السور الشمالي لقرطبة بباب اليهود، فأطلقوا عليـــه باب الهدى. وقد عرف هذا البابُ أيضاً بباب ليون نسبة إلى شخـــصية يهوديـــة بهذا الاسم[4]، أو لأنَّ المتوجِّه إلى ليون في شمال الأندلس يمرٌّ منه[5].

والرأي الثاني هو الأصوب، لأنَّ الأبواب في الغالـــب تـــسمى بأســـماء الأماكن المؤدية إليها. ولو أنه سُمي بالفعل على اسم شخصية يهودية، لكانت هذه الشخصية مشهورة، وعرفتنا بها المصادر الإسلامية أو اليهودية، لكننا لم نجد له فيها تعريفاً.

كما عُرِفَ باب اليهود في الحي الشمالي بباب طلبيرة، للسبب نفـــسه، إذ أنه يؤدي أيضاً إلى الطريق المتجه إلى طلبيـــرة[6]، وسّـــماه النـــصارى بـــاب أوساريو نسبة إلى مقبرةٍ كان يؤدي إليها تسمى مقبرة أم سلمة، ثمَّ تحوَّلت بعـــد سقوطِ قرطبة في أيدي القشتاليين إلى مقبرة لليهود[7].

وظلت هذه البوابة قائمة حتى سنة (1321هـــ=1904م)[8]، وموقعها في نهاية الشارع الذي ظلَّ يحملُ اسمها، وهو شارع (DEL OSARIO)[9].

---

(1) الحميري، الروض المعطار، ص456.

(2) العذري، ص122.

(3) المقري، نفح الطيب، م1، ص 156.

(4) سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، جـــ1، (الإسكندرية، مؤســـسة شباب الجامعة، 1984م)، ص226.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298.

(6) IBID, VOL.1, P.298.

(7) سالم، قرطبة، جـــ1، ص174.

(8) BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPIDA JUDAICA, VOL.5, P. 946; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298.

(9) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298.

وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى يهودٍ أقاموا في قرطبة طوال مـــدة الحكم الإسلامي لبني أمية في الأندلس، ومن تلك الإشارات قيام الفقيه طــالوت عند خوفه من الحكم الأول (180-206هـ=796-822م) بالاختفاء في بيــت يهودي في قرطبة لمدة سنة[1]. وقيامه بإرسال المغني منصور اليهودي رســولاً إلى زرياب كي يدعوه للقدوم إلى الأندلس[2]. وما أورده الونشريسي عن إحدى قضايا القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[3]، المتعلقــة بــاختلاف يهــودي ويهودية في قرطبة على التقاضي عند المسلمين أو اليهود[4].

أمَّا بالنسبةِ لمقبرة اليهود في قرطبة، فقد كانت بُعَيْدَ الفــتح الإســلامي للأندلس داخل المدينة، حيث ذكر ابن حيان أنَّ "عبد الرحمن بن عثمان بن عفان القشيري توفي في ذي الحجة من سنة 95هـ، ودفن بمقبرة حلال، بينها وبــين مقبرة اليهود، الطريق السالك بجوفي قرطبة"[5]. ثمَّ تم نقلها إلى خارج أســوار المدينة بالقرب من الباب القريب للحي اليهودي الواقع فــي الجــزء الجنــوبي الغربي من المدينة، وعندما أصبحت المقبرة اليهودية مزدحمة جداً، قام اليهــود بشراءِ قطعةِ أرضٍ شمال المدينة، وأقاموا مقبرة أخرى خــارج بــاب ليــون، بالقرب من الحي اليهودي الجديد، وهي قريبة من مقبرة أم ســلمة الإســلامية، وتقع إلى الشمال منها[6]. وقد أطلق اليهود على مقبرتهم الجديدة اســم "بقــوت

---

(1) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنــيس الطبــاع، (بيــروت، دار النــشر للجماعيين، 1975)، ص75-77.

(2) المقري، نفح الطيب، م3، ص 124-125.

(3) خلاف، محمد عبد الوهاب تاريخ القضاء في الأندلس، (القاهرة، ط1، 1413هـ، 1992م)، ص191.

(4) الونشريسي، المعيار، جـ 10، ص128-130.

(5) ابن بشكوال، الصلة، جـ2، ص264.

(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.117.

راشة"[1]. وسبب ازدحام المقبرة القديمة، حركة التوسع العمراني في قرطبة، حيث تمَّ بناء العديد من أحياء المسلمين في المنطقة الواقعة غرب سور المدينة[2].

لقد أصبحت طائفة اليهود في قرطبة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي هي الأكبر والأكثر أهمية في عموم الأندلس من حيث السكان والمستوى الاجتماعي والثقافي. وأصبح كثير من يهود قرطبة أثرياء بسبب عمل كثيرٍ منهم بالصناعة والتجارة[3].

وكان ضمن هذه الطائفة الكبيرة عددٌ من العائلات المحترمة التي لعبت دوراً بالغ الأهمية في حياة الطائفة. وإحدى هذه العائلات هي عائلة فَلْيَج (FALYADJ)، التي كانت متنفذة للغاية، وكانت إحدى فتيات هذه العائلة قد تزوجت من حنوخ ابن كبير أحبار قرطبة، وتزوجت ابنته من أحد رجال عائلة فَلْيَج[4].

وكان أحد الوجهاء اليهود في قرطبة في القرن العاشر يُدعى فرجون، وكان هو وابن أخيه من الأثرياء، وقد قاموا بتغطية احتياجات الطائفة[5].

ومن بين العائلات الشهيرة أيضاً، عائلة ابن قبرون الثرية، وكان أحدُ أفرادها الشاعر إسحاق بن قبرون، الذي تتلمذ على أيدي مناحيم بن ساروق، وعاصر حسداي بن شبروط، وكان أحد المقرَّبين منه[6].

---

(1) سالم، قرطبة، جـ 1، ص174-226.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.117.

(3) الموسوعة العبرية، م26، ص381-383؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.299

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.299.

(5) IBID, VOL.1, P.299.

(6) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص30.

وقد تركز العديد من المفكرين اليهود الأندلسيين في قرطبة، لأنها كانت المركز الثقافي الأكبر في الأندلس، ولأنه كان بوسعهم الإفادة من رعاية أثريائها اليهود[1].

ومن بين هؤلاء المفكرين أبو عمر يقوى، وهاكوهين بن المدَرَّم، وكانا يكتبان الشعر، ومهتمان بعلم اللغة العبرية، وكذلك أبو زكريا بن حنيجا الذي عاش في نهاية القرن العاشر الميلادي، وعليّ بن مارحسن الذي عاش في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، وكتب ثلاثة أبحاث عن التقويم اليهودي[2].

هجر معظم اليهود قرطبة بعد انقضاء عهد الخلافة[3]، وتوجه عدد من المهاجرين إلى الإمارات الجنوبية في الأندلس، التي تزعمها حكام من غير العرب، حيث قام هؤلاء الحكام بتقريب اليهود والاعتماد عليهم في وظائف الدولة، وذلك اعتقاداً منهم بأنَّ اليهود لا يطمعون في منافستهم على الحكم كالمسلمين أو النصارى.

وقد استغلَّ اليهود الذين حصلوا على المناصب الكبرى والوظائف الحكوميَّة مواقعهم لإثارةِ مزيد من الفرقة والشقاق بين الدويلات الأندلسية المتنافسة، مثلما فعل صاموئيل بن جوزيف (إسماعيل بن نغدِله) الذي هاجر من

---

(1) م.ن، ص21-22؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.299.

(2) IBID, VOL.1, P.299.

(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص67؛
HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.215.

قرطبة إلى المرية، ثم إلى غرناطة، وتسلَّم فيها منصباً كبيراً [1]. ومثل ما فعلته عائلة الشاعر اليهودي الشهير سليمان بن جابيرول التي هاجرت إلى مالقة[2].

وقد ساعد على هجرة اليهود من قرطبة أيضاً الفتنة التي حدثت نتيجة للتنافس على الحكم، وأثرت على الأوضاع الاقتصادية والأمنية لليهود القرطبيين، فتوقف كثير من التجار الأثرياء عن تجارتهم، وتعطل معظم الحرفيين الذين كانوا يشتغلون في صناعة الحرير عن عملهم، وانتشرت بينهم البطالة والفقر، فخرج هؤلاء لممارسة نشاطاتهم وأعمالهم في مدن أصبحت أكثر أمناً وازدهاراً من قرطبة. ولحقهم المثقفون الذين هاجر بعضهم إلى الإمارات الجنوبية طمعاً في الوظائف الحكومية كما بيَّنا، أو إلى الإمارات النصرانية الأسبانية في الشمال، التي رحَّبت بهم للإفادة من علومهم[3] التي تلقوها على أيدي أساتذتهم المسلمين.

ومن الإشارات الدالة على الفقر الذي أصاب يهود قرطبة، القصيدة التي تحدث فيها الحبر القرطبي إسحاق بن غايات عن موسى بن القرطبي، الذي طلب المساعدة بسبب فقره، حيث لم يكن يملك حتى الملابس الجيدة، وكان هذا الرجل هو ابن أحد اليهود الذين هربوا من قرطبة مثلما فعل الكثيرون مثله[4].

---

[1] ينظر: الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص766-767، ق2، م2، ص562؛ ابن سعيد الأندلسي، عبد الملك، المغرب في حلى المغرب، جـ2، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة، دار المعارف، 1964م)، ص114، ترجمة رقم: 426؛ ابن خلدون، العبر، جـ4، ص160-161؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص322؛
RAYMOND P. SCHEINDLIN, THE JEWS IN MOSLIM SPAIN, P.191.

[2] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص52.

[3] ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.79, 214.

[4] IBID, VOL.1, P.214.

وما يؤكد خراب قرطبة وتدهور أوضاعها قول ياقوت الحموي: "وخربت قرطبة وصارت كإحدى المدن المتوسطة، وقد رثوها فأكثروا فيها"[(1)]. وقول الحميري: "وبعد ذلك طحنتها النوائب، واعتورتها المصائب، وتوالت عليها الشدائد والأحداث، فلم يبق من أهلها إلا البشر اليسير"[(2)].

وهناك رجالٌ يلقَّبون بالقرطبيين يرد ذكرهم في عددٍ من الوثائق التي كتبت في الأقاليم الأسبانية الشمالية بعد زوالِ عصر الخلافة عن الأندلس، ومن هؤلاء المهاجرين موسى بن السوفير بن ماريوسف ابن القرطبي[(3)].

وهكذا انخفض عدد اليهود في قرطبة، وهجر الحي اليهودي الذي أقيم في شمال قرطبة، وصار الحي القديم الواقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، زائداً عن حاجة اليهود الذين قدر عددهم عندئذٍ بنحو ألف يهودي فقط[(4)].

ويصوّر ابن غالب البلنسي أثر الفتنة على سكان قرطبة وأحيائها وقراها بقوله: "وبالفتنة الكائنة على رأس الأربع مئة سنة من الهجرة مُحيت رسوم تلك القرى، وغُيِّرت آثار ذلك العمران، فصار أكثرها خلاءً، تندب ساكنيها"[(5)].

لكن الوجود اليهودي في قرطبة استمر حتى نهاية الحكم الإسلامي لها. وتقدم المصادر الإسلامية العديد من الإشارات الدالة على ذلك، منها القضية التي ذكرها ابن سهل والتي تتعلق بدارٍ في قرطبة موقوفة على شنوغة اليهود[(6)].

---

(1) معجم البلدان، م4، (بيروت، دار صادر، 1376هـ–1957م)، ص324.

(2) الروض المعطار، ص458.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.79, 215.

(4) IBID, VOL.1, P.215.

(5) ابن غالب البلنسي، محمد بن أيوب، نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، (القاهرة، 1951م)، ص37.

(6) الأحكام الكبرى، ص60 – 65.

وما ذكره ابن الخطيب وهو يتحدث عن الصراع على السيطرة على قرطبة بين المعتمد بن عباد وابن ذي النون، حيث يقول: "وفرَّ ابن عكاشة يوم المدافعة، فقتله بالقنطرة يهودي من رجال قرطبة"[1].

ومنها رواية ابن عذاري عمَّا حدث في قرطبة سنة (529هـ=1134م) التي يقول فيها: "وثارت العامة أيضاً بقرطبة في هذه السنة في رجب على اليهود –لعنهم الله– بسبب قتلٍ وجد بين أظهرهم، ففتحت منازلهم، وانتهبت أموالهم، وقتل نفر منهم"[2].

وقول ابن قطان عن الحدث نفسه "وقتل يهودي مسلماً سنة 529هـ، فاستطال المسلمون على اليهود، فنهبت أموالهم، وهدمت ديارهم وذلك بقرطبة"[3].

ثانياً: طليطلة (TOLEDO)

يصفها الحميري فيقول "هي مركز لجميع بلاد الأندلس ... عظيمة القطر، كثيرة البشر، وهي كانت دار المُلْك بالأندلس حين دخلها طارق، وهي حصينة، لها أسوار حسنة، وقصبة حصينة وهي أزليَّة من بناء العمالقة، وهي على ضفة النهر الكبير، وقلما يُرى مِثلها إتقاناً وشماخة بنيان، وهي عالية القدر، حسنة البقعة... وكانت طليطلة دار مملكة الروم"[4].

---

(1) ابن الخطيب، لسان الدين، أعمال الأعلام، حققه ونشره: إ. ليفي بروفنسال، تحت عنوان: تاريخ أسبانيا الإسلامية، (بيروت، دار المكشوف، ط2، 1956م)، ص158-159.

(2) البيان المغرب، جـ 4، ص93.

(3) ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي، المعروف بابن القطان، نظم الجمان، تحقيق: محمود علي مكي، (الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، د.ت)، ص217.

(4) الحميري، الروض، ص393.

ويصفها البكري بقوله: "ومدينة طليطلة قاعدة القوطِ ودار مملكـــتهم"[1]، ويقول الإدريسي: "ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم مدينة الملـــك، ومـــداراً لولاتها"[2].

وقد فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد[3]، سنة (92هـ=711م)[4]، ثم سقطت في أيدي النصارى الأسبان سنة (477هـ=1084م)[5]. وقـــد وجـــد المسلمون في طليطلة يهوداً فضمّوهم إلى قصبة المدينة مثلما فعلوا بغيرهم مـــن يهود المدن الأخرى. يخبرنا بذلك ابن عذاري حيث يقول: "وألفى طارق طليطلة خالية، ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة، وفرَّ علجها مع أصحابه ولحق بمدينـــة خلف الجبل، وتبعهم طارق بعد أن ضمَّ اليهود، وخلّى معهـــم بعـــض رجالـــه وأصحابه بطليطلة فسلك إلى وادي الحجارة"[6].

ويشير العديد من الوثائق والروايات التاريخية إلى استقرار اليهود فـــي طليطلة طوال مدة الحكم الإسلامي لها. ففي وثيقة استخرجها محمد عبد الوهاب خلاف من كتاب الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي ونشرها مع وثائق أخرى تحت عنوان: "وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة فـــي الأندلس"، هناك إشارة إلى يهودي عاش في طليطلة في نهايـــة القـــرن الثالـــث الهجري/التاسع الميلادي[7]. ومما جاء في هذه الوثيقة: "فهمنا –وفقك الله– مـــا ذكرت من رفع الرافع إليك أنَّ غلاماً أقفل عليه في دارٍ يستغيث. ويقـــول إنـــه

---

(1) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص87.

(2) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص536.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، جـــ2، ص12.

(4) م.ن، جـــ2، ص9، 12.

(5) ياقوت معجم البلدان، م4، ص40.

(6) البيان المغرب، جـــ2، ص12.

(7) تاريخ القضاء في الأندلس، ص410.

يكره على اليهودية. فأرسلتُ من وثقت به، فكشفتُ عن ذلك. فانصرف ومعه يهودي وغلام بالغ. فأعلمتهما بما رفع إليك. فقال اليهودي: الغلام عبدي، ابتعته منذ أربعة أعوام من يهودي في طليطلة. والغلام حينئذٍ يهودي، وأنكر أن يكون ضربه، وأقفل عليه. وقال الغلام: أنا حّر ابن حّرين، مسلم ابن مسلمين من أهل مدينة طليطلة. قدمتُ منها منذ ثلاثة أعوام مع رجلٍ من اليهود، فنزلنا فندقاً ثمَّ انتقلتُ منه إلى هذا اليهودي فخدمته. وأني حين أظهرتُ الإسلام، وأردتُ الخروج عن خدمته، ضربني. وأقفل عليّ. وكشف الغلام ظهره، وبه آثار ضربٍ شديد. ولا يمكنه فعل ذلك بنفسه ..."[1].

وقال دنلوب: إنَّ المؤرخ اليهودي أبراهام بن داود (504-576هـ=1110-1180م) تحدَّث عن وجود أشخاصٍ يهود من أصلٍ خزري يقيمون في طليطلة[2].

وهناك مجموعة من الوثائق والصكوك تصور حياة سكان طليطلة تحت حكم النصارى الأسبان، جمعها ونشرها المؤرخ الأسباني جونثالث بالنثيا، تحت عنوان: "نصف العرب، أو موزاراب طليطلة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر"، وتحتوي هذه الوثائق على العديد من الإشارات الخاصَّة باليهود تحت حكم النصارى في طليطلة[3]. وقد نقل شكيب أرسلان بعضاً من الوثائق الخاصة باليهود. منها: "اشترى أبو إسحاق بن نحميس اليهودي من جميلة بنت فرج زوجة البليوشي البنا، جميع خصِّها، وهو النصف من الكرم المعروف بالقوجال

---

(1) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص47-48.

(2) د.م. دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، (دار الفكر، ط1، 1407هـ-1987م)، ص171.

(3) أرسلان، الحلل السندسية، جـ1، ص366.

بحومة قرية جليكس من قرى مدينة طليطلة ..."[1]، ومنهـــا: "اشـــترى مـــرتين الأرجيد يامن بن يوسف بن يعيش اليهودي جميع الثلاثة جبال الكروم المتـــصلة التي له بمرطيلة..."[2].

وبالرغم من أنَّ تاريخ هذه الوثائق يعود إلى زمن الحكـــم النـــصراني لطليطلة، إلا أنها تعبر عن استقرارٍ قديم لهم فيهـــا يرجـــع إلـــى أيـــام الحكـــم الإسلامي، يدلُّ على ذلك أنَّ كثيراً من هذه الوثائق والصكوك قد كتبت باللغـــة العربية[3] التي أتقنها كثير من اليهود خلال الحكم الإسلامي.

واستقرَّ معظم أفراد الجالية اليهودية في طليطلة في الحي اليهودي الذي يقع في الجزء الغربي من المدينة[4]. وتؤكد وثيقة أســـبانية تعـــود إلـــى ســـنة (526هـــ=1131م)، أنَّ اليهودَ قد عاشوا في هذا الحـــيّ حتـــى نهايـــة الحكـــم الإسلامي لطليطلة (478هـــ=1085م)، إذ تُبيّنُ أنَّ الملك ألفونسو السابع قد قام بنقل ملكية حمام عام يملكه اليهود في هذا الحي منذ العهد الإسلامي إلى ديرسان كليمنت (SAN CLEMENT)[5].

وما تزال بعض الشوارعِ والساحات في هذا الحي تحمل إلى الآن أسماء يهودية، فهناك شارع صاموئيل هاليفي (CALLE SAMUEL HALEVI)،

---

[1] م. ن، جـــ1، ص367.

[2] م. ن، جـــ1، ص371.

[3] م. ن، جـــ1، ص420؛ ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص6 (الكلام لمقدم الكتاب محمود علـــي مكي).

[4] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.320; HAIM BEINART, TOTAL, ENCYLOPDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198.
ينظر: الخارطة رقم: (3).

[5] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.320; HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1200.

وشارع دي لا جوديرا (CALLE DE LA JUDERIA)، أي شارع الحي اليهودي، وساحة دي لا جوديرا (PLAZA DE LA JUDERIA) التي تقع في مركز ذلك الحي[1].

أما بالنسبة لحدود الحي اليهودي في طليطلة كما تقول المصادر اليهودية، فهي تمتد إلى الشمال الغربي حتى تصل إلى الباب المعروف باسم (CAMBRON)، وغرباً حتى تصل إلى منحدر حاد يؤدي إلى وادي تاجة، وجنوباً حتى تصل إلى جبلٍ أطلق عليه اسم سان كريستوبال (SAN CRISTOBAL)، وشرقاً حيث ساحة باسيوديل ترانسيتو (PASEA DEL TRANSITO)[2].

وكان الشارع الرئيس في الحي اليهودي هو الشارع المعروف حالياً باسم كالي ديل إنجل (CALLE DEL ANGEL)، والذي كان يعرفُ سابقاً باسم شارع اليهود[3].

وقد أحيط الحي اليهودي بسور بني سنة (205هـ=820م)، وكان يحتوي على قلعةٍ يُعتقدُ أنها أقيمت في إحدى زوايا الحي الجنوبية الضيقة المطلة على نهر تاجة، لأنها لم تكن محميَّة كبقية أجزاء الحي[4]. وعن هذه القلعة يقول

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.320-321; HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198.
ينظر: الخارطة رقم: (4).

(2) HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198.

(3) IBID, VOL.15, P.1198; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.324.

(4) HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198.

شكيب أرسلان: "وإلى الجنوب من بيعة سان جوان الملوك كانت في القديم حارة اليهود، التي يقال لها "الجديرة"، وكان هؤلاء اليهود بنوا هناك حصناً حصيناً يضعون فيه أموالهم"[1].

وهناك اثنين من المعابد المشيَّدة في الحيّ اليهودي، والمحوّلة لاحقاً إلى كنائس ما يزالان قائمان في موقعيهما الأصليين. وأحد هذين المعبدين هو المعبد الواقع بين كالي ديل إنجل (CALLE DEL ANGEL) وساحة الحي اليهودي (PLAZA DE LA JUDERIA)، وقد تحوّل لاحقاً إلى كنيسة دعيت سانتا ماريا لابلانكا (SANTA MARIA LA BLANCA)[2]. وعن ذلك يقول شكيب أرسلان: "وأمَّا كنيسة ماريا البيضاء فكانت في الأصل كنيساً لليهود، بُني في القرن الثاني عشر ثم تحوّل إلى كنيسة للنصارى في بداية القرن الخامس عشر، ثم صارت محلّ خلوة للمتنسكين"[3].

ولم يكن الحي اليهودي في طليطلة حَيّاً تجارياً، لذلك فقد استأجر عددٌ من التجار اليهود محال لهم في مركز المدينة شمال المسجد الكبير الذي كان المركز التجاري يقع بينه وبين السور الشمالي للمدينة[4].

كما امتلكوا المحال التجارية في حي القناة، الواقع بين الجامع الكبير وسوق تجار العطور، وكانت لهم هناك بعض المساكن التي كانت محصَّنة إلى حدٍّ ما[5].

---

(1) أرسلان، الحلل السندسية، جـ1، ص432.

(2) ASHTOR, THE JWES, VOL.1, P.326; HAIM BEINART,TOLEDO., ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1199.

(3) أرسلان، الحلل السندسية، جـ1، ص432.

(4) ASHTOR, THE JWES, VOL.1, P.326-327.

(5) IBID, VOL.1, P.327.

وكانت لليهودِ سوق خاصَّةً بالقرب من الحي اليهودي في جانبه الغربي، وتُدعى أيضاً القناة[1].

ويقدر بينارت عدد اليهود المستقرين في طليطلة في العهد الإسلامي، خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بنحو أربعة آلاف نسمة، وقد كانوا حينئذٍ مقسمين إلى طوائف منفصلة بشكلٍ عام، وفقاً لأصولهم، أو للبلدان التي قدموا إلى طليطلة منها، فهناك يهود قرطبة، ويهود برشلونة، ويهود الخزر، وهكذا[2].

واشتهر في طليطلة العديد من العائلات اليهودية التي ينتمي بعضها حسب زعم أبنائها إلى ذريَّة داود عليه السلام. ومن هذه العائلات شوشان، والفخار وهاليفي، وأبو العافية، والزادوك، وفيروزل، وأفن نحمياس[3].

وينتمي إلى طليطلة العديد من المفكرين والأدباء والمشاهير اليهود، أمثال بنيامين الطوطيلي المتوفى سنة (586هـ=1190م)، وصاحب كتاب "همساعوث" أي الرحلات[4]، وإبراهيم بن داود الطليطلي صاحب كتاب "سفر هقبالة" أي كتاب التصوف، وإبراهيم بن عزرا الذي كان أديباً وشاعراً، وهو والد إسحاق بن عزرا الذي رحل إلى مصر في زمن الموحدين، ومنها هاجر إلى العراق حيث اعتنق الإسلام مع العالم اليهودي الشهير نتانيئيل المعروف بأبي البركة هبة الله[5]، وإسحاق بن قسطار الذي قال عنه صاعد الأندلسي: "كان

---

(1) IBID,VOL.1, P.327.

(2) HAIM BEINART,TOLEDO., ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1200.

(3) الموسوعة العبيرية، 526، ص384؛
BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P1200-1201.

(4) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص82.

(5) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص82-85.
HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1200; MAYER KAYSERLING, TOLEDO, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.12, P.176.

بصيراً بأصول الطب مشاركاً في علم المنطق مشرفاً على آراء الفلاسفة، وكان متقدماً في علم العبــرانية بارعاً في فقه اليهود، خبيراً فــي أخبــارهم وتــوفي بطليطلة سنة 448هــ، وهو ابن خمس وسبعين"[1].

---

[1] صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، نشر: لويس شــيخو اليــسوعي، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1912م)، ص89.

المبحث الثالث

مراكز الاستقرار اليهودي جنوبي الأندلس

استقر كثير من اليهود في المنطقة الجنوبية من الأندلس، وقد رغب اليهود بالإقامة فيها لخصوبة أرضها، واعتدال مناخها، ووقوع عدد من مدنها على الطرق التجارية والبحرية المهمة، وبسبب كثرة سكانها، وقربها من العاصمة قرطبة، ولقربها من الشمال الأفريقي التي يأتي منها وعبرها معظم المهاجرين اليهود إلى الأندلس[1].

وقد تركز يهود جنوبي الأندلس في كل من غرناطة، وأليسانة، ومالقة، وبجانة، والمرية.

أولاً: غرناطة (GRANADA)

تقع مدينة غرناطة بين سلسلتين من الجبال، واحدة في جهتها الجنوبية الشرقية، سماها المسلمون جبال الثلج لأنَّ الثلج لا يذوب عن قممها أبداً، إذ "لا يزالون يرون الثلج نازلاً فيه شتاءاً وصيفاً "[2]، ويبلغ ارتفاعها نحو 3480 متراً، واستمر هذا الاسم إلى الآن، لكنه ترجم إلى الأسبانية، فصارت تسمى "سيرانيفادا"، والسلسلة الأخرى تقع في جهتها الشمالية الغربية، موازية لجبال الثلج، وبينهما سهل خصبٌ تقع فيه المدينة[3].

---

(1) الموسوعة اليهودية ص273؛ الموسوعة العبرية، م25، ص478، م26، ص283؛ بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح، مجلة دراسات أندلسية، تونس، ع11، 1984م)، ص24؛ MARTIN, GILBERT, THE JEWISH HISTORY ATLAS, (LONDON, 1969), P.15.

(2) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص85.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.310.

وقد فتح المسلمون غرناطة سنة (92هـ =711م)، "فألفوا بها يهوداً ضموهم إلى قصبة غرناطة"[1]، وتعاملوا معهم على وفق الأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة، فنعم اليهود في غرناطة، كما في غيرها من مدن الأندلس بالتسامح والعدل والرخاء.

وانتشرت أخبار ذلك التسامح بين اليهودِ في كل مكان، فأخذوا يتدفقون إلى مدن الأندلس عبر مضيق جبل طارق، وكان لغرناطة نصيب وافر من هؤلاء المهاجرين باعتبارها من المدن الأندلسية الكبرى الواقعة في طريق اليهود العابرين إلى الأندلس من الشمال الأفريقي. ومما يدلُّ على كثرتهم فيها تسميتها بـ "أغرناطة اليهود"، حيث يقول الحميري: وتعرف بـ "أغرناطة اليهود لأنَّ نازلتها كانوا يهوداً "[2].

وأرى أنَّ تسمية غرناطة بـ "أغرناطة اليهود" لا يعني أنَّ غرناطة مدينة يشكِّل اليهودُ فيها أكثرية السكان، إذ كان عددهم فيها في عهد باديس الذي يعد أزهى عهودهم هناك، لا يزيد كثيراً على الأربعة آلاف نسمة.

وتقديرنا لهذا العدد جاء من خلال الروايات التي تحدَّثت عن عدد القتلى اليهود في ثورة مسلمي غرناطة عليهم، إذ ذكر ابن عذاري بأنهم أكثر من ثلاثة آلاف يهودي[3]، وقدَّرهم الشنتريني بأكثر من أربعة آلاف[4]. والظاهر أنَّ القتلى كانوا أكثر من الناجين بكثير، إذ يقول ابن عذاري في معرض حديثه عن يوسف بن إسماعيل بن نغدلة: "إلى أنَّ حدثته نفسه الفاجرة بأشياء أخرجته لضرب

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص101.

[2] الحميري، الروض المعطار، ص45.

[3] البيان المغرب، جـ3، ص261.

[4] الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص769.

رقبته وقتل جماعة عظيمة من أهل مِلَّته"[1]، ويقول أيضاً: "وقتل في هذا اليـــوم من اليهودِ جملة عظيمة، ونهبت دورهم"[2]. فإذا صحَّ أنَّ القتلى كـــانوا أغلبيـــة رجال اليهود، وهذا ما نميل إليه، فإنَّ ذلك يعني أن عدد يهود غرناطـــة عندئـــذٍ يمكن أن يقدَّر ببضعة آلافٍ فقط.

وأرى أنَّ سبب تسمية غرناطة بـــ "أغرناطة اليهود"، وتسمية العـــذري لروطة (RUEDE) بـــ"روطة اليهود"[3]، وتسمية ابن سعيد لبيانة[*] بـــ"بيانـــة اليهود"[4]، وتسمية الإدريسي لأليسانة بـــ "مدينة اليهود"[5]، ولطركونة بـــ "مدينة اليهود"[6] و"طركونة اليهود"[7]، هو أنهم لاحظوا أنَّ اليهودَ يسكنون فـــي هـــذه المدن بكثرة، على غير ما رأوه في المدن الأخرى التي كان وجود اليهودِ فيهـــا قليلاً غير لافت للنظر.

لكنَّ هذه الكثرة التي لاحظها المؤرخون لم تكن كثرة في معظم الأحيان بالنسبة لسكان المدينة، بل بالنسبة للتواجد اليهودي في المدن الأندلسية الأخرى، ومن الممكن أن تستثنى أليسانة من ذلك، إذ سنبيّن لاحقاً أن غالبية سكانها كانوا من اليهود.

---

(1) البيان المغرب، جـــ3، ص265.

(2) م. ن، جـــ 3، ص266.

(3) ترصيع الأخبار، ص35.

(*) بيانة: "بالأندلس من أعمال قرطبة... وهي على نهر مربلة".
الحميري، الروض المعطار، ص119.

(4) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، جـــ 1، ص105، ترجمة رقم: 39.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571.

(6) م. ن، م2، ص734.

(7) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص734.

وكانت طائفة اليهود في غرناطة تعدُّ من الطوائف المهمة في الأندلس، وكان الجاؤون سعديا يكتب إليهم من العراق الرسائل التي يخصُّ بها الطوائف اليهودية الكبيرة في المدن الأندلسية[1].

وشهدت غرناطة هجرة أخرى في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، إذ توجَّه إليها العديد من اليهود القرطبيين في أعقاب الفتن والاضطرابات التي حدثت بعد انتهاءِ عصر الخلافة في الأندلس. وكان إسماعيل بن يوسف بن نغدلة أحد هؤلاء المهاجرين، وقد صار الوزير الأول في غرناطة وقائداً للجيوش في دولة باديس في عصر الطوائف، وخلفه بعد موته ولده يوسف. وقد سيطر اليهود في عهد هذين الوزيرين على معظم الوظائف المهمة في غرناطة، وظلموا المسلمين ظلماً شديداً[2]، وقد طال ظلم إسماعيل وولده يوسف عدداً من يهود غرناطة، الذين كانوا معارضين له، ففرّوا منها إلى إشبيلية[3].

وقد تزايدَ عدد اليهود في غرناطة بشكلٍ ملحوظ خلال حكم الوزيرين اليهوديين[4]، لكنَّه عاد وتناقص بشكلٍ كبير بعد ثورة المسلمين على ظلمهم وتجاوزاتهم، حيث قتل وشرد معظم يهود غرناطة[5].

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.317.

(2) ينظر: الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص766–767؛ ق2، م2، ص562؛ ابن سعيد، المغرب، جـ2، ص114، ترجمة رقم: 426؛ ابن خلدون، العبر، جـ4، ص160–161؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص322.

(3) HAIM BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.582.

(4) ينظر: ابن بلقين، الأمير عبد الله، التبيان، حققه ونشره: إ. ليفي بروفنسال، تحت عنوان: مذكرات الأمير عبد الله، (القاهرة، دار المعارف، 1955م)، ص32؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص232.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص231، 257–276؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص233؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص322.

وفي عهد المرابطين عاد كثير من اليهود إلى غرناطة[1]، ويقـــدم ابـــن عذاري إشارة تبيّن أنَّ عمر بن علي بن يوسف بن تاشفين الذي كان والياً لأبيه على غرناطة قد "اتخذ له كاتباً يهودياً منها"[2]. وأرى في وصول يهــوديٍّ مـــن غرناطة إلى منصب لدى واليها مؤشر على تواجد لليهودِ في المدينـــة، ولعـــلّ تسامح المرابطين وإنصافهم لأهل الذمَّة[3] هو الذي شجع اليهود على العودة إلى هذه المدينة.

ويقدم ابن الخطيب إشارة، يُفهم منها أنَّ كثيـــراً مـــن يهـــود غرناطـــة المقيمـــين قرب الأحياء النصرانية قـــد طـــالهم النفـــي إلـــى المغـــرب ســـنة (520هـــ=1126م) الذي تعرَّض له المعاهدون النصارى عقاباً لهم على قيامهم بدعوة النصارى الأسبان لغزو غرناطة ومساعدتهم عند قدومهم، حيث يقول ابن الخطيب واصفاً ذلك النفي: "وأزعج منهم إلى بر العدوة في رمضان من العـــام المذكور عددٌ جم، أنكرتهم الأهواء، وأكلتهم الطرق، وتفرقوا شذر مذر، وأصاب كثيرٌ من الجلاء جمعتهم من اليهود، وتقاعدت بها منهم طائفـــة"[4]. ويبـــدو أنَّ هؤلاء اليهود المجاورين للنصارى قد شاركوا في مساعدة الأسبان، ممـــا دفـــع السلطة إلى عقابهم أيضاً.

وفي عهد بني الأحمر، كانت غرناطة ملجأ لليهود الهاربين مـــن ردود فعل النصارى الأسبان ضدهم[5]، وقد استمر ذلك إلى أن سقطت في أيديهم سنة (897هـــ=1492 م).

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.728-729.

(2) البيان المغرب، جـــ4، ص77.

(3) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، جـــ4، ص77.

(4) الإحاطة، م1، ص114.

(5) HAIM BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA, JUDAICA, VOL.7, P.825.

ويقول آشتور إن اليهود في غرناطة كانوا يقيمون في الأحياء الواقعة جنوب وغرب جبل موررور عند سفحه، وقد أقيم على الطرف الغربي لذلك الجبل الحصن المعروف بحصن موررور، وهو يُسمَّى الآن باسم سايديرو (CAIDERO)، ويقع هذا الجبل جنوب المرتفعات التي أقيمت عليها القصور الفخمة لملوك غرناطة، المعروفة باسمها القديم "الحمراء" كما انتشروا في المنطقة السهلية الواقعة جنوب هذه الجبال، والتي كانت تسمى فحص البونت، ويطلق عليها الآن اسم كامبوديل برنسيب (CAMPO DEL PRINCIPE)، وكانت محاذية لوادي دارو، الذي يمرٌّ بغرناطة من الشمال إلى الشمال الغربي، ثم يصب في وادي شنيل، وكان هذا الوادي يجري في الشتاء ويجف في الصيف، وقد أقيم مكانه الآن ساحة بلازا نوفا (PLAZA NUEVE)، وشارع كالي دي لوس ريس كاتوليكوس (CALLE DE LOS REYES CATOLICOS) الذي يعد الشارع الرئيس في غرناطة الحديثة[1].

ومما يؤكّد استقرار اليهود في هذه المنطقة قول البكري: "والحجر اليهودي في ناحية حصن البونت، وهو أنفع شيء"[2]، ويبدو أنَّ اليهود الذين كانوا يسكنون هذا المكان كانوا يستخدمون حجراً معيناً يوجد فيه بكثرة لأغراضٍ طبية، فحمل هذا الحجر اسمهم وصار يعرف بـ"الحجر اليهودي".

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.314-315.

ينظر: الخارطتان رقم: (5)، ورقم: (6).

(2) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص128.

وعنـــدما ســـقطت غرناطـــة فـــي يـــدِ النـــصارى الأســـبان ســـنة (897هـــ=1492م)، وقام الملك القشتالي فرديناند بطردِ اليهودِ منها، قام بهـــدم الحي اليهودي، وبنى مكانه كنيسة سَّماها على اسم مريم العذراء[1].

وعندما فتحت غرناطة أبوابها للقشتاليين كانت المدينة تحوي نحو خمـــس مئـــة يهودي، مع العلم أنهم كانوا يُقدَّرون بعشرين ألفاً في عهد محمد الخامس (755–760، 763–792هـــ=1354–358م، 1361–1389م). ويمكن القول إنَّ اليهود لم يتجاوز عددهم الألف نسمة داخل سلطنة بني الأحمر في أواخر القرن التاسع الهجري/أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وعندما أصدر الملكان إيـــزابيلا وفرديناند في (31–آذار–1492م) الوثيقة الخاصة باليهود، والتي خيّروهم فيها بين الرحيل أو التنصر، رحل الذين أبوا تغيير دينهم إلى المغـــرب، واســـتقروا فيه[2].

ثانياً: أليسانة (LUCENA)

تقع أليسانة جنوب مدينة قرطبة، على بعد نحو أربعين مـــيلاً منهـــا[3]، وهي مدينة قديمة، تقول إحدى الأساطير اليهودية إنَّ اليهود هم الذين أســـسوها، وتدعى بعض العائلات الشهيرة فيها مثل عائلة المؤرخ اليهودي إبـــراهيم بـــن داود، أنَّ استيطانها في أليسانة يعود إلى زمن إشبان الذي جاء بهم من القـــدس

---

[1] فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، (بيروت، المؤسسة الجامعية للنـــشر، 1982م).

[2] عبد المجيد، اليهـــود فـــي الأنـــدلس، ص40–41؛ GREATZ, HISTORY OF THE JEWS, VOL.3, P.263.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص 571 – 572.

أسرى بعد أن شارك في غزوها مع نبوخذ نصر. وقام أبرابانيل بربط اشـــتقاق اسم المدينة بمدينة لوز (LUZ) التي ورد ذكرها في الإنجيل[1].

وقد ورد اسم المدينة في المصادر الإسلامية بصورٍ مختلفة، فـــأكثرهم يقولون: "أليُسَّانة"[2]، وقد ذكرها الإدريسي بهذه الصورة، لكنـــه ذكرهـــا فـــي المصدر نفـــسه بصورة أخرى وهي "أليشانة"[3]، وذكرها ابن سعيد الأندلـــسي بـــ"البيسانة"[4]، وتحدَّث صاحب كتاب "نبذة العصر في أخبار ملوكِ بني نـــصر" عن معركة وقعت بين المسلمين والنصارى الأسبان سنة (888هـــ=1483م)، وقال إنها "موقعة أللَّسَّانة"[5].

وأرى أنَّ الاسم الصحيح هو "أليُسَّانة"، وهو ما اتفقـــت عليـــه معظـــم المصادر الإسلامية، والظاهر أنَّ الاختلاف القليل عن هذا الرسم قد حدث بسبب التصحيف، في تحويل الشَّدة الواقعة على حرف السين في "أليسّانة" إلى حـــرف

---

(1) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.309.

(2) ابن حيان، المقتبس، نشره الأب ملشور م. أنطونية، (باريس، 1937)، ص93؛ ابـــن حيـــان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن على الحجـــي، ص149؛ الإدريـــسي، نزهـــة المـــشتاق، م2، ص571، 572؛ ابن عبد الملك المراكشي، أبي عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، الـــسفر الـــسادس، (بيـــروت، دار الثقافـــة، ط1، 1973م)، ص26؛ ابن السماك العاملي، الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيـــق: سهيل زكار، (الدار البيضاء، دار الإرشاد الحديثة، د.ت)، ص80.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص537.

(4) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، ص149.

(5) مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، استخرجه الفريد البستاني، (المغرب، مطبعة الفنون المصورة، 1940م)، ص12.

الشين في "أليشانة"، وهكذا أدَّت تصحيفات أخرى إلى رسومٍ أخرى للكلمة تختلف عنها قليلاً.

وتسميها المصادر اليهودية الحديثة "لوسينا"[1] تقليداً للأسبان الذين يطلقون عليها الآن اسم (LUCANA)[2]، بينما كان يهود الأندلس يسمونها "أليسانة"[3] مثلما يفعل المسلمون.

وتعد الطائفة اليهودية في أليسانة من الطوائف المهمة في الأندلس، إذ كانت حتى مطلع القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، تقوم بدور المركز الروحي لليهود في الأندلس. وفي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي صارت قرطبة هي التي تقوم بهذا الدور، ولكن حتى في ذلك الوقت كان لأليسانة علماء أولي شأن[4].

وقد تحدَّثت بعض المصادر الإسلامية عن أليسانة، ووصفتها بأنها مدينة اليهود، فذكر ابن حيان أنَّ "مدينة أليسانة يهود الذمَّة"[5] قد تعرضت سنة (277هـ=890م) لحصار عمر بن حفصون[6]، وكتب الإدريسي واصفاً لها في النصف الأول من القرن السادس الهجري: "مدينة اليسانة، وهي مدينة اليهود،

---

(1) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550;
الموسوعة العبرية، م26، ص384؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308.

(2) أرسلان، الحلل السندسية، جـ1، ص 205.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308; HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.623.

(4) ينظر الموسوعة العبرية، م26، ص381؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308

(5) ابن حيان، المقتبس، ق3، نشر الأب منشور م. أنطونية، ص93.

(6) م.ن، ص93.

ولها ربضٌ يسكنه المسلمون وبعض اليهود، وبه المسجد الجامع، وليس على الربض سور، والمدينة مدينة متحصنة بسور حصين، ويطوف بها من كل ناحيةٍ حفير عميق القعر والسروب، وفائض مياهها قد ملأ ذلك الحفير. واليهود يسكنون بجوف المدينة ولا يداخلهم فيها مسلم البتَّة، وأهلها أغنياء مياسير، أكثر غنىً من اليهود الذين ببلادِ المسلمين، ولليهود بها حذر وتحصُّن ممن قصدهم، ومن أليسانة إلى مدينة قرطبة أربعون ميلاً"[1]. وقال صاحب الحلل الموشية: "مدينة أليسانة، وهي مدينة منيعة سورها من أعظم الأسوار، انفرد بسكانها اليهود"[2].

يتبين من الروايات السابقة أن مدينة أليسانة المسوَّرة كانت تقتصر على السكان اليهود فقط، وأنَّ المسلمين يقيمون في ربضها، أي خارج أسوارها ويشاركهم الإقامة في هذا الربض بعض اليهود. وهذا يعني أنَّ العلماء المسلمين الذين نسبوا إلى مدينة أليسانة[3]، كانوا من سكان ربض المدينة. والظاهر أنَّ عدد المسلمين في ذلك الرَّبض كان كبيراً، حيث ذكر الإدريسي أنَّ "به المسجد الجامع"[4]، وذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه كان للمسلمين فيها قاضياً، وإماماً للصلاةِ وخطيباً، حيث يقول: "محمد بن إبراهيم الحضرمي: يُسَّاني، أبو عبد الله روى عن أبي القاسم بن بشكوال وصحبه، وكان ذا حظ من العربية واللغة مع الصلاح والفضل، وقدم إلى الصلاةِ والخطبة ببلده، واستقضي به مدة طويلة"[5]. والظاهر أنَّ اسم هذه المدينة قد ارتبط في أذهان مسلمي الأندلس باليهود، وصار

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571 - 572.

[2] ابن السماك العاملي، الحل الموشية، ص80.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571.

[4] م. ن، م2، ص 571.

[5] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ص108، ترجمة رقم 287.

بعض الحكام ينفون إليها الغاضبين عليهم بقصدِ معاقبتهم وإهانتهم، فقد نفى الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب (580-595هـ=1184-1198م) إلى أليسانة أبا الوليد محمد بن أحمد بن رشد، يحدثنا بذلك ابن عبد الملك المراكشي فيقول: "ثمَّ أمر أبو الوليد بسكنى أليسَّانة، لقولِ من قال إنه ينسب في بني إسرائيل، وإنه لا يُعرف له نسب في قبائل الأندلس، وعلى ما جرى عليهم من الخطب، فما للملوك أن يأخذوا إلا بما ظهر... وتفرَّق تلاميذ أبي الوليد أيدي سبأ"[1]. "... ثم عُفي عنه واستدعي إلى مراكش، فتوفي بها ليلة الخميس التاسعة من صفر خمسٍ وتسعين وخمس مئة"[2].

وذكر ابن سعيد الأندلسي في ترجمته لأبي القاسم بن حسان الإشبيلي أنَّ الأمير الموحّدي أبا العلاء إدريس، يوم كان حاكماً على إشبيلية، رأى أبا القاسم بن حسان، وقد "صار له في إشبيلية موارد ومصادر، فوجد من ذلك في نفسه أبو العلاء، حتى نفاه، وأسكنه البيسانة مدينة اليهود، وأدام فيها مداه أو (مدة)، إلى أن عفا عنه بالشفاعات، وأقام بإشبيلية مطرح الجانب غير آمن شر العواقب ..."[3].

ولا يعني انفراد اليهود بالسكن داخل مدينة أليسانة، ونسبتها إليهم، أنهم كانوا يستقلون فيها عن حكم المسلمين، فهناك من النصوص التاريخية ما يؤكد أنها كانت دائماً تابعة لحكم المسلمين، وأنَّ يهودها كانوا يؤدون الجزية للحكومة الإسلامية التي توكل شخصاً من يهود المدينة بجمعها منهم وتسليمها لها، وعن ذلك يقول ابن حَّيان: أنه في يوم السبت لعشر بقين من ربيع الآخر من سنة ثلاثٍ وستين وثلاث مئة "سُجّل الحجاج بن متوكل اليهودي على قسامة قومه

---

(1) م. ن، السفر السادس، ص26، ترجمة رقم: 51.

(2) م. ن، السفر السادس، ص31، ترجمة رقم: 51.

(3) اختصار القدح المعلى، ص149، ترجمة رقم: 34.

يهود أليسانة"[1]، كما بين ابن حيان أنهم كانوا تحت الذمة عندما سماها "أليسانة يهود الذمة"[2]، وعندما امتنع يهود أليسانة عن دفع الجزية لإمارة غرناطة في عهد عبد الله بن بلقين أرسل إليهم جيشاً أجبرهم على دفعها[3].

وقد أكَّدت المصادر اليهودية أيضاً على أنَّ سكان مدينة أليسانة كانوا من اليهودِ فقط، حيث كتب كبير أحبار اليهود في العراق الجاؤون نطروناي سنة (239هـ=853م) رداً إلى يهود أليسانة[4] يقول فيه: "أما بخصوص سؤالكم الذي تذكرون فيه أنَّ أليسانة مدينة يهودية ذات سكان يهود كثيرين ... دون وجودِ أي فردٍ غير يهودي بينكم"[5].

كما كتب إليهم رداً آخر يدعوهم لممارسة نشاطاتهم الدينية، ويتساءل عن أسباب تقاعسهم عن ذلك، وهم يعيشون في مدينة لا يوجد فيها أحدٌ من غيرِ اليهود[6].

أما عن سبب انفراد اليهود بالسكن في هذه المدينة، وعدم إقامة المسلمين بينهم فيها، فلم تسعفنا به المصادر الإسلامية ولا حتى اليهودية. لكننا نستطيع

---

(1) المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص149.

(2) المقتبس، نشر ملشور م. أنطونية، ص93.

(3) ابن بلقين، التبيان، ص 130-132. تفاصيل هذه الحادثة توجد في الفصل الثالث من هذا البحث.

(4) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550;
BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRISTAIN SPAIN, VOL.1, P.23;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308.
نقلاً عن: K'BHUSAT HAKHAMMIM, P.110-111.

(6) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

استنتاجه من خلال المعلومات القليلة المتوفرة، وهو في تصوري أنَّ المسلمين عندما فتحوا أليسانة وجدوا أن أكثر سكانها من اليهود، ولم يغادر هؤلاء اليهود منازلهم مثلما فعل كثير من النصارى في المدن الأخرى الذين فرّوا عن منازلهم، أو قتلوا في المعارك وتركوها، ولذلك لم يكن هناك متسع لكي يسكنها المستقرون الأوائل الذين من الطبعي أن يفضلوا الاستقرار في بيوت جاهزة للسكن، وهو ما توفَّر لهم في مدن أخرى.

كما أنَّ معرفة المسلمين بأخلاق اليهود وطبائعهم ونفورهم منها، لم تشجعهم على تشييد منازل لهم في مدينة يغلب على سكانها اليهود، ولذلك نجدهم يقيمون بيوتهم ومسجدهم الجامع في ربض المدينة خارج أسوارها، ولم يجاورهم فيها إلا بعض اليهود، كما هو الحال في المدن الأخرى. والذي يجعلنا نقول إنَّ الفاتحين وجدوا في أليسانة أغلبية يهودية، هو ما توفر لدينا من معلومات في المصادر اليهودية عن قدم وجودهم في هذه المدينة[1]، كما أنه من غير المعقول أن تكون هذه المدينة المحصنة بشكل متميز[2] قد أعطيت لليهود بعد الفتح الإسلامي، ولولا أنهم كانوا يستوطنونها قبل الفتح بأعدادٍ كبيرةٍ لخصَّ المسلمون بها أنفسهم، ولو أنَّ عدد اليهود في المدينة كان قليلاً لاحتمل المسلمون الإقامة بينهم مثلما احتملوا اليهود في المدن الأندلسية الأخرى.

وكانت مهن يهود أليسانة متنوعة للغاية، حيث عملوا في كل فروع الصناعة والتجارة، وكان تجار أليسانة يبيعون المنتجات الزراعية الخاصة بالمدينة إلى بقية الأقاليم الأندلسية، وكان كبار التجار قد أقاموا علاقات عن

---

(1) IBID, VOL.11, P.550;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.309.

(2) ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571.

طريق ميناء بجانة القريب ومع بقية الدول المحيطة بالبحر المتوسط. وقد حققوا أرباحاً كثيرة من تجارتهم[1].

ويصف الإدريسي ثراءهم المادي بقوله: "وأهلها أغنياء مياسير أكثر غنىً من اليهود الذين ببلاد المسلمين"[2].

ومن مشاهير اليهود في أليسانة عرف أليعازر بن صاموئيل حركا الذي كان معاصراً للجاؤون عمرام، رئيس اليهود في العراق، وقد منحه هذا الجاؤون في منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي لقب الألوف، ولقب (روش كالا)، وأصبح من أشهر أساتذة مدرسة أليسانة اليهودية، كما عاش في منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي في أليسانة حبر يهودي يُدعى جوزيف، وقد تراسل أيضاً مع رؤساء المدارس اليهودية في العراق وكتب له الجاؤون عمرام قائمة من مئة صلاة للبركة وعدداً من الردود[3].

وكان رئيس الطائفة اليهودية في أليسانة في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يدعى ابن ميمون، وهو الذي حرَّض يهود أليسانة على التمرُّد وعدم دفع الجزية لأمير غرناطة عبد الله بن بلقين آخر أمراء بني زيري في غرناطة[4].

---

(1) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.309.

(2) نزهة المشتاق، م2، ص571 – 572.

(3) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(4) ابن بلقين، التبيان، ص130 –131. ستذكر تفاصيل ذلك في فصل الثالث من هذا البحث.

ومن مشاهير يهود أليسانة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إسحاق بن يهودا بن غياث، وإسحاق الفاسي وجوزيف بن ميغاش، وقد تعاقب هؤلاء الأحبار على رئاسة المدرسة اليهودية في أليسانة[1].

وكان إسحاق بن مرشاءول أحد أشهر أساتذة هذه المدرسة في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وهو أستاذ النحوي اليهودي مروان بن جناح الذي كان هو والشعراء موسى وإبراهيم ابني عزرا، ويهودا هاليفي، وجوزيف بن سهل فاعلين جداً في أليسانة[2].

كما عاش في أليسانة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي الشاعر العبري الشهير أبو الربيعة ابن باروخ[3].

وكان طلاب العلم اليهود يتوجهون إلى أليسانة من جميع مدن الأندلس والشمال الأسباني ليتعلموا على أيدي أحبارها المشهورين، أمثال أبو الوليد بن حسداي وإبراهيم بن باروم وأبو سليمان بن راشلة[4].

ثالثاً: مالقة (MALAGA)

"مدينة على شاطئ البحر، عليها سور صخر، والبحر في قبليها"[5]، وقد فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد سنة (92هـ=711م)[6]، واستمرَّ الحكم

---

(1) الموسوعة العبرية، م26، ص384؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص61.
HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(2) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(3) IBID, VOL.11, P.550

(4) BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(5) ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص517.

(6) ابن الخطيب، لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (القاهرة، المطبعة السلفية، 1347هـ)، ص177.

الإسلامي لها حتى سنة (893هـ=1487م)، حيث سقطت في يدِ الملكين الأسبانيين فرديناند وإيزابيلا[1].

وكان الحي اليهودي في مالقة في العهد الإسلامي يقع في الجزء الشرقي من المدينة، وكانت المقبرة اليهودية على منحدرات جبل الفارو (GIBRAL FARO)[2].

وكانت مالقة ملاذاً لإسماعيل بن نغدلة ويهودٍ آخرين، حيث وصلوا إليها من قرطبة سنة (404هـ=1013م)[3]، بعد الاضطرابات التي أعقبت سقوط الخلافة في الأندلس.

وقد أنجبت الطائفة اليهودية في مالقة الشاعر العبري الشهير سليمان بن جابيرول، الذي ولد فيها حوالي سنة (412هـ=1021م)[4].

ويُقدَّرُ عددُ اليهودِ في مالقة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/منتصف القرن الحادي عشر الميلادي بنحو مائتي نسمة، وعدد غير اليهود بنحو عشرين ألف نسمة، وعندما سقطت المدينة في يدِ الأسبان سنة (893هـ=1487م)، كانت تعيش فيها مئة عائلة يهودية[5].

---

(1) HAIM BEINART, MALAGA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.817.

(2) IBID, VOL.11, P.817.

ينظر: الخارطة رقم: (7).

(3) IBID, VOL.11, P.817.

(4) HAIM BEINART, MALAGA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.817.

(5) IBID, VOL.11, P.817.

وقد غادر المسلمون واليهود مالقة على أثر مرسوم أصـــدره الملكـــان الأسبانيان فرديناند وإيزبيلا سنة (896هــ=1490 م)، وتمَّ تــوطين النـــصارى مكانهم[1].

رابعاً: بجانة (PECHINA) والمرية (ALMERIA)

كانت بجانة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي مجرد قرية صغيرة يقيم فيها عدد من المسلمين الذين يتولون حراســـة الـــساحل الشرقي للأندلس من هجمات النورمان وقد انشأوا في أحد الخلجان القريبة مـــن بجانة برجاً للمراقبة سموه المرية[2].

وبمرور الوقت تطورت بجانة وأحيطت بسور، وصارت مدينة مزدهرة، وقد استمرت بالازدهار إلى أن قام الخليـــفة عبـــد الـــرحمن الناصـــر ســـنة (344هــ=955م) ببناء مدينة في منطقة البرج سماها المرية، وقـــد أصـــبحت المرية مدينة مزدهرة وقاعدة بحرية، عظيمة وأثرت على مكانة بجانة فظلـــت تتضاءل إلى أن صارت في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي مجرد قرية صغيرة[3]، وهي ما تزال كذلك إلى الآن[4].

---

(1) IBID, VOL.11, P.817.

(2) الحميري، الروض المعطار، ص79، 537؛
IBID, VOL.1, P.307.
ينظر: البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص128، (هـــامش المحقـــق).
يتحدث الإدريسي عن قرب بجانة من المرية فيقول: "وهذا الوادي المنسوب إلى بجانة بينـــه وبين المرية أربعة أميال" الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص562.

(3) ينظر البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص128؛ ياقوت، معجم البلدان، م1، ص339؛
الحميري، الروض المعطار، ص79، 537، الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بـــن محمـــد، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، (مصر، 1381هــ–1961م)، ص35.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.318.

يقول العذري: "وليست المرية بأوليَّةِ العمارة، وإنما اتخذها العرب رباطاً، وابتنيت فيها محارس، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها، ولا عمارة فيها يومئذ ولا سكنى. وعليها سور صخر منيع، بناه الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة ومن مدينة بجانة إلى مدينة المرية خمسة أميال وسدس"[1].

وقد استقرَّ في بجانة في مرحلة ازدهارها مجموعة من اليهود عملوا في صناعة الحرير وتصديره. وعندما كتب الجاؤون سعديا إلى الطوائف المهمة في الأندلس، لم يغفل عن طائفة بجانة. وقد ظل اليهود يقيمون فيها حتى نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. وكان قائد الطائفة اليهودية في بجانة في ذلك الوقت هو صاموئيل هاكوهين بن جوزّيه، الذي يعود أصله إلى فاس بالمغرب. وكان صاموئيل ضليعاً في علوم الشريعة اليهودية، وله مراسلات مع الجاؤون شعريرة في العراق[2].

وعندما اضمحل اسم بجانة من بين أسماء المدن الأندلسية، اختفت الطائفة اليهودية منها[3].

وما من شك بأنَّ معظم يهود بجانة قد انتقلوا كبقية أهلها إلى مدينة المرية القريبة والتي حلت محلها في المكانة والأهمية. وعن ذلك يقول العذري: "وانتقل أهل بجانة إلى المرية سنة اثنتين وأربع مئة"[4].

---

(1) العذري، ترصيع الأخبار، ص86.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.319.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.319.

(4) العذري، ترصيع الأخبار، ص82.

سبب انتقال أهل بجانة إلى المرية في هذه السنة، الفتنة التي حدثت فيها بسبب الصراع على ولايتها بين شخصيات بارزة فيها. ينظر العذري: ترصيع الأخبار، ص82-83.

ويتوفر العديد من الإشارات التاريخية التي تدل على استقرارٍ لليهود في مدينة المرية، إذ يروي العذري الذي عاش في هــذه المدينـــة، وتـــوفي ســـنة (487هـ=1094م)[1] حادثة شاهدها بنفسه، فيقول: "ومن الغرائب بمدينة المرية صبيٌّ ولد أعمى أصم أبكم، وهو ابن رجل من التجار، يجس بيده وجه من قرب منه ولحيته وصدره، ويخبر بالإشارة إلى صناعته وطريقته، رأيت ذلـــك منـــه مراراً عِدّة وجربته لما قيل لي ذلك عنه، ورأيته يوماً وهو يضرب صبياً فقلـــت ماله معه ؟ فقيل لي إن الصبي الذي يضرب يهودي، وأنه لما لمسه بيـــده بـــدأ يضربه، فهززته كالمنكر عليه ذلك، فأشار إليّ بيده أي أنه ليس بمسلم، وأنه مثل الذي يعبد الصليب يشير بذلك كله، وأخبرني جماعة أنهم رأوه صنع ذلك مراراً مع من لمس من اليهود والنصارى"[2].

ويقول ابن حزم الأندلسي الذي عاصر عهد أمراء الطوائف وتوفي سنة (456هـ=1063م): "ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً في دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي"[3].

ويشير الضبي إلى يهودي صار وزيراً لحـــاكم المريـــة فـــي عـــصر الطوائف، حيث يقول: "كـــان الفقيـــه المقـــري أبـــو محمـــد بـــن ســـهل (ت: 480هـــ=1087م) يقرىء بالمرية، وكان معظماً عند أهلها، فدخل الحمـــام ذات يوم، فوجد فيه اليهودي وزير صاحب المرية في ذلك التاريخ"[4].

---

[1] العذري، ترصيع الأخبار، ص ب (مقدمة المحقق).

[2] العذري، ترصيع الأخبار، ص87، 88.

[3] ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، جـ1، تحقيق: إحـــسان عبـــاس، (المؤســـسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1401هـ–1980م)، ص114.

[4] الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، (دار الكتاب العربي، 1967 م)، ص 345، ترجمة رقم: 928.

وجاء في خطاب أرسله تاجر يهودي من الإسكندرية إلى صديق له في القاهرة يقول فيه: "لقد وصلت توّاً من المرية"[1].

وهناك رسالة أخرى بعث بها تاجر أندلسي في مدينة فاس إلى أبيه يافث اللافي بن علا في المرية في سنة (535هـ=1140م)[2]، وأخرى بعث بها إسحاق بن باروخ المقيم بمدينة المرية إلى أبي سعيد خلفون بن نثنيل بمدينة تلمسان بتاريخ 10-10-1138م[3].

---

(1) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص214.

(2) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 252.

(3) GOITEIN, SOLOMON, DOB FREITZ, LETTERS OF MEDIEVAL, UNIVERSITY, 1900). P.259-263. JEWISH TRADERS, (PRINCETON

المبحث الرابع

مراكز الاستقرار اليهودي غربي الأندلس

تركز يهود غربي الأندلس في مدينتين كبيرتين هما: إشبيلية، ومـــاردة، وفي ما يأتي بيانٌ لاستقرار اليهود فيهما.

أولاً: إشبيلية (SEVILLE)

تقع "غربي قرطبة، بينهما ثلاثون فرسخاً "[1]، وهـــي "قديمـــة البنـــاء أوّلية"[2]، "ولها كورٌ جليلة، ومدن كثيرة، وحصون شريفة"[3]، وقد ساعد وقوعها على الوادي الكبير[4]، الذي ربطها بالمحيط الأطلسي على جعلها مركزاً تجارياً مهماً "[5].

وقد وجد المسلمون اليهودَ في إشبيلية منذ أن فتحوها بقيادة موسى بـــن نصير سنة (93هـــ=712م) "فضمَّ موسى يهودها"[6]، أي جمعهم من مـــواقعهم المتفرّقة في إشبيلية، وركزهم في قصبة المدينة، وفقاً للسياسة المتبعة معهم في المدن الأخرى[7].

ومما يدلُّ على وجود اليهود في إشبيلية، ويشير إلى كثرتهم فيهـــا فـــي عهد الأمير عبد الرحمن الـــداخل (138 - 172هـــــ=788 - 796م)، أنهـــم

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، م1، ص195.

(2) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص107.

(3) م، ن، ص114.

(4) م. ن، ص109.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.300, 305.

(6) مجهول، أخبار مجموعة، ص25.

(7) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، جـــ2، ص12، مجهول، أخبار مجموعـــة، ص23؛ ابـــن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص101.

جسروا على فتح أحد أبوابها ليتمكن جند الأمير من دخول المدينة وقمع الثائرين، "ودخلت الخيل على باب قرمونة، وفتحه لهم اليهود، فوضعوا أيديهم في قتل المولَّدين"[1].

وقد عاش اليهود في إشبيلية خلال مُدَّة الحكم الإسلامي لها في مواقع عديدة، فقد أقاموا في الجانب الغربي من المدينة، في موقع الحي الحالي الذي توجد فيه كنيسة سانتا مجدولينا (SANTA MAGDLENA)، وما يزال أحد الشوارع هناك يحمل اسم (CALLE DE CAL) و"CAL"هي التسمية الأسبانية لـ (KAHAL)، وهي كلمة عبرية بمعنى "الطائفة"[2].

كما سكنوا أيضاً في القسم الشمالي الغربي من المدينة في مكان الحي الحالي الذي توجد فيه كنيسة سان لورينزو (SAN LORENZO)[3].

وقد عاشت في إشبيلية في ظل الحكم الإسلامي طائفة يهودية كبيرة تضمُّ عدداً من العائلات المهمة، مثل عائلة تيبون وأبرابانيل وأبو درهم[4]، وابن الباطوم وابن كامنيل وابن المهاجر[5]. ويزعم اليهود بأن بعض عائلاتها تنتسب

---

(1) العذري، ترصيع الأخبار، ص102.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.302;
HAIM BEINART, SEVILLE, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.303;
M. KEYSERLING, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.209.
ينظر: الخارطة رقم: (8).

(4) مقالة "إشبيلية"، الموسوعة اليهودية، "باللغة العبرية"، ص273.

(5) HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.

إلى النبي داود عليه السلام وأنهم جاءوا إليها بعد التدمير الأول للهيكـل سـنة (70م)[1].

وقد شهد القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ازدياداً ملحوظاً على عدد اليهود في إشبيلية، إذ فضل عدد كبير من يهود قرطبة أن يستقروا في إشبيلية بسبب الفتن التي شهدتها قرطبة في أعقاب انتهاء عصر الخلافـة فـي الأندلس، كما لجأ إليها المعارضون من يهود غرناطة لإسماعيل بن يوسف بـن نغدله، وكذلك العديد من يهود غرناطة[2]، بعد ثورة المسلمين فيها علـى ظلـم وتسلط اليهود.

كما تدفَّق إليها اليهود من الشمال الأفريقي للاستقرار في ظل التـسامح والازدهار الاقتصادي والثقافي الذي شهدته إشبيلية في عهد بني عباد[3].

وقد خصَّ الحبر سعديا بن جوزيف كبير أحبار اليهود في العراق فـي منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي طائفة إشبيلية بالمراسلة، باعتبارها من الطوائف الكبيرة في الأندلس[4].

ومن رؤساء الطائفة اليهودية في إشبيلية عُرِفَ إسحاق بن باروخ البالية، وقد عمل منجماً لدى المعتمد (461-484هـ=1068-1091م)، وألَّـف كتابـاً

---

(1) مقالة "إشبيلية"، الموسوعة العبرية، م25، ص487؛
HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.

(2) مقالة "إشبيلية"، الموسوعة العبرية، م25، ص487؛
HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.

(3) HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.

(4) الموسوعة العبرية، م25، ص487؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.306;
HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.

تلمودياً فلكياً، وإليه يرجع الفضل في جعل إشبيلية مركزاً للدراسات اليهودية[1]، وهو والد الحبر الإشبيلي باروخ بن إسحاق، وعم المؤرخ الشهير إبراهيم بن داود المولود في إشبيلية[2].

ومن الشخصيات اليهودية الإشبيلية البارزة في مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، الشعراء مير بن ميغاشي، وأبو الفتح إليعازر بن ناحمان بن أزهر الذي كان كبيراً للأحبار في إشبيلية[3] ويهودا بن بلعم مفسّر كتاب العهد القديم[4].

ثانياً: ماردة (MERIDA)

تقع ماردة على الضفة الشمالية لوادي يانه (GUADIANA)[5] "بجوفي قرطبة منحرفة إلى الغربِ قليلاً"[6]، ويحدد ياقوت موقعها بقوله: "بين الغرب والجوف من أعمال قرطبة"[7].

وكانت ماردة مستقراً لأهم الطوائف اليهودية في الأقاليم الغربية لشبه الجزيرة الأيبيرية. وتمتاز تلك الأقاليم، بقلة عدد اليهود المستقرين فيها مقارنة مع أعدادهم في الجنوب، وفي منطقة وادي إبره. كما أنَّ عدد المسلمين

---

(1) BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.208.

(2) BROYDE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, SEVILLE, VOL.14, P.1201.

(3) BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA , VOL.14, P.1201; BROYDE, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P208.

(4) الموسوعة العبرية، م25، ص487.

(5) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص119.

(6) م.ن، ص119. اعتاد الأندلسيون أن يطلقوا كلمة "جوف" على الجهة الشمالية. ينظر: مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، ط1، 1967م)، ص290. (الهامش).

(7) ياقوت، معجم البلدان، م5، ص38-39.

المستقرين في تلك الأقاليم كان قليلاً، وسبب قلَّة المسلمين واليهود فيها، يرجع إلى أنَّ الجزء الأكبر من المنطقة كان جافاً، كما أنَّها كانت بعيدة في تلك الأيام عن الطرق التجارية المهمة[1].

وقد أشار كلٌّ من ابن سعيد الأندلسي والنباهي إلى وجود يهودي في ماردة عندما تحدَّثا عن قصة تاجر الرقيق اليهودي الذي احتجز الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن جاريته دون أن يدفع ثمنها لأنَّ اليهودي تشطَّطَ فيه[2]. كما تمَّ العثور فيها على شاهدِ قبرٍ لرجلٍ يهودي يعود إلى بداية الحكم الإسلامي[3].

وفي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي كان لماردة طائفة يهودية كبيرة، تعدُّ الطائفة اليهودية الرئيسة في غرب الأندلس، وكان لقادة طائفة ماردة، سلطة تشريعية عليا على يهود تلك المنطقة[4].

وكانت أكثر العائلات اليهودية شهرة وأهمية في ماردة، هي عائلة ابن بالية التي تعود بنسبها إلى حائك الستائر باروخ، الذي يقول المؤرخ اليهودي

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.350.

ما يؤكد جفاف هذه المنطقة قول الإدريسي عن نهر يانه الذي يعد النهر الرئيس في المنطقة الغربية: "وهو نهر كبير، ويسمى النهر الغؤور، لأنه يكون في موضع يحمل السفن، ثم يغور تحت الأرض حتى لا يوجد منه قطره، فسمي الغؤور لذلك"، نزهة المشتاق، م2، ص545. ويؤكد هذا النص أيضاً على صحة ما يقول آشتور بخصوص بعد ماردة عن الطرق التجارية. إذ إن نهراً تغور مياهه لا يصلح استعماله طريقاً تجارياً بحرياً.

(2) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص151-152، ترجمة رقم: 91؛ النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر: إ. ليفي بروفنسال، (القاهرة، دار الكتاب المصري، 1948م)، ص56-57.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.352.

(4) IBID, VOL.1, P.352.

الأندلسي إبراهيم بن داود أنه أحد الأسرى اليهود الذين أرسلهم تيتوس إلى أسبانيا بعد أن دمَّر القدس سنة (70م)[1].

وقد ذكر الجاؤون سعديا يهود ماردة في رسالته الدوارة إلى الطوائف اليهودية المهمة في الأندلس، لكنَّ العديد من اليهود قد هجروا ماردة في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، إذ يذكرُ مؤرخ يهودي معاصر لتلك الهجرة أنَّ أفراد عائلة ابن بالية قد هجروا ماردة، وتوجهوا إلى قرطبة للاستقرارِ فيها[2].

وعلى الرغم من أنَّ المدينة قد ضعفت، وأنَّ الهجرة كانت واضحة المعالم، إلا أنَّ طائفة ماردة لم تنته، بل ظلَّت موجودة إلى أن طرد الأسبان اليهود من الأندلس قبيل نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[3].

وكان الحي اليهودي في ماردة قريباً من كنيسة للنصارى بعد الطرد[4]، وفي شمال المدينة كان لليهود مقبرة على (PANICALIENTE MILL) ليس ببعيد عن وادي البرجس (ALBARREGAS).

وقد استمر الحكم الإسلامي لماردة حتى سنة (627=1128م)، إذ احتلها الأسبان بقيادة ألفونسو السابع[5].

---

(1) IBID, VOL.1, P.352.

نقلاً عن: ABRAHAM B.DAUD. THE BOOK OF TRADITION, (PHILADELPHIA, 1967), P.79.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.352.

نقلاً عن: IBN EZRA, SEFER SHIRAT YISRAEL, ED.B.Z, HALPER, LEIPZING, 1924.

(3) الموسوعة العبرية، م24، ص427 ؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.353.

(4) الموسوعة العبرية، م24، ص427؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.353.

نقلاً عن: BERNABE MORENO DE VARGAS, HISTORIA DE LA CIUDAD DE MERIDA (MADRID, 1633), P.259, AF.

(5) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص280.

المبحث الخامس

مراكز الاستقرار اليهودي شمالي الأندلس

انتشر كثير من اليهود في المناطق الشمالية من الأندلس، واستقروا في العديد من مدنها الرئيسة، وكان تواجدهم كبيراً في بعض هذه المدن. وأهم مراكز استقرارهم في الشمال هي: سرقسطة، وبرشلونة، وطركونة، وقلعة أيوب، وروطة.

أولاً: سرقسطة (SARAGOZA)

يقول عنها الإدريسي: "قاعدة من قواعد مدن الأندلس كبيرة القطر، آهلة ممتدة الأطناب، واسعة الشوارع والرحاب، حسنة الديار والمساكن، متصلة الجنان والبساتين، ولها سور مبني من الحجارة حصين، وهي على ضفة النهر الكبير المسمّى "إبره"[1]. فتحها المسلمون سنة (95هـ=714م)[2]، وسقطت في يد الأسبان سنة (512هـ=1118م)[3].

وقد عاشت في هذه المدينة طائفة يهودية كبيرة، وسكن معظم أفرادها في الحي اليهودي الذي يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة، بين سور المدينة في الجنوب وشارع مايور (CALLE MAYOR) في الشمال، وكانت حدوده في الغرب هي شارع جيمي الأول، وذلك حسب المصادر الأسبانية التي نقل عنها آشتور[4]. وحسب المصادر نفسها كان الحي اليهودي في

---

(1) نزهة المشتاق، م2، ص554.

(2) المقري، نفح الطيب، م1، ص273؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص91.

(3) ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ2، ص248؛ ياقوت، معجم البلدان، م3، ص213.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.334.

نقلاً عن: TOMAS XIMENEZ DE EMBUN, DESCRIPCION HISTORICA DE LA ANTIGUA ZARAGOZA (SARAGOSSA, 1901), P.61;

ينظر: كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص46 – 47؛ الخارطة رقم: (9)، والخارطة رقم: (10).

سرقسطة كبيراً، بلغت مساحته نحو ربع مساحة المدينة[1]، وقد أحـيط بـسورٍ داخلي مزوَّدٍ بعددٍ من الأبواب، كما بُني في الزاوية الجنوبية مـن هـذا الحـي حصن من أجل أن يلجأوا إليه إذا ما تعرَّض الحي للهجوم، وبالقرب من الحصن على الجزء الغربي كان هناك بابٌ في سور المدينة يدعى باب الحي اليهـودي، وكان يطلّ على الشارع الذي سُمّي لاحقاً (CALLE HIEDRA)، وقد اختفى بعد التغييرات التي حدثت في المدينة[2]. وقد ذكر ابن الفرضي ذلك الباب عندما تحدَّث عن موقع قبر حنش الصنعاني في سرقسطة حيث قال: "وقبره بها عنـد باب اليهود بغربي المدينة"[3]، وذكره المقري الذي نقل عن ابن الفرضي فقـال: "إنَّ حنشاً كان بسرقسطة، وأنه الذي أسس جامعها، وبها مـات، وقبـره بهـا معروف عند باب اليهود بغربي المدينة"[4].

وإلى الشمال الشرقي من الحصن سالف الذكر كان الكنيس الكبير ليهود سرقسطة، وكان يقع في المكان الذي أقيمت عليه لاحقاً مقبرة للرهبان، وهي ما تزال قائمة إلى الآن، وقد أقيم هذا الكنيس بالقرب من سور المدينة بعيـداً عـن الأحياء الإسلامية كما هي العادة في بقية المدن الإسلامية، حيث تبنـى معابـد اليهود بعيداً عن أحياء المسلمين[5]، وكان هناك كنيس يهودي آخر في الطـرف الغربي من الحي اليهودي، وهو الكنيس الذي صار لاحقاً كنيسة سان أنـدرس (SAN ANDRES)[6].

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.336، ينظـر: BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL. 11, P.491.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.336; ينظر: كحيلة، تاريخ النصارى في الأنـدلس، ص46–47.

(3) تاريخ علماء الأندلس، ق1، ص127، ترجمة رقم: 391.

(4) المقري، نفح الطيب، م3، ص8.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.336.

(6) IBID, VOL.1, P.336. نقـلاً عـن: TOMAS XIMENEZ DE EMBUN, DESCRIPCION HISTORICA DE LA ANTIGUA ZARAGOZA , P.29.

وكان يهود سرقسطة يكسبون رزقهم من مهن مختلفة، إذ عملوا في دباغة الجلود، وصناعة الأحذية، ونسج الأقمشة وامتلكوا الحقول والكروم، وعملوا في التجارة الخارجية وخصوصاً مع برشلونة وجنوب فرنسا، وكانوا تجاراً ناجحين[1].

ومن الإشارات الدالة على وجود مبكر لليهودِ في سرقسطة ما يرويه ابن الفرضي عن أحد قضاة سرقسطة محمد بن عجلان من أنه كان "يحلف اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، وقال: إني رأيتهم يرهبون ذلك"[2].

وكان أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي من أشهر رجالات اليهود في سرقسطة، إذ عمل وزيراً وكاتباً في دولة المقتدر بن هود (438-447هـ=1046-1081م)[3]. ومن مشاهير اليهود في سرقسطة أيضاً "سليمان بن يحيى المعروف بابن جابيرول من سكان سرقسطة، وكان مولعاً بصناعة المنطق، لطيف الذهن حسن النظر أخفر، وتوفي وقد أربى على الثلاثين، قريباً من سنة 450هـ"[4]، ومنجم بن الفوال[5]، "وكان معه بسرقسطة مروان بن جناح من أهل العناية بصناعة المنطق، والتوسع في علمِ لساني العرب واليهود"[6]. ومن مشاهيرهم فيها في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي موشيه بن جيفتيلا، ويهوذا بن حيوج، ومروان بن جناح، وقاضي

---

[1] الموسوعة العبرية، م 26، ص384؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.337.

[2] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق1، ص11، ترجمة رقم: 1122.

[3] ابن سعيد الأندلسي، المغرب، جـ2، ص441، ترجمة رقم: 627.

[4] صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89.

[5] م. ن، ص89.

[6] م. ن، ص89.

اليهود في سرقسطة دافيد بن الربي سعديا"[1]، والشاعر أبـــو الفهـــم لاوي بـــن يعقوب بن التبان، وقد أنشأ لاوي مدرسة يهودية فـــي سرقـــسطة، كـــان مـــن مشاهيرها إسحاق بن بارون، ويهوذا اللاوي[2].

وكانت سرقسطة مسرحاً للجدل الديني بين اليهود والنصارى في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، حيث اعتنق قسٌّ نصرانيٌّ يدعى بودو اليهودية سنة (225هـ=839م)، وتحمس لها، وتقدم إلى أمير الأندلس عبد الرحمن الثاني بطلبٍ يدعوه فيه إلى فرض الإسلام أو اليهودية على نصارى الأندلس[3]. ومن المفارقات العجيبة أنَّ القس النصراني بايلو الفاروس الـــذي كـــان علـــى رأسِ المتصدين لبودو المتهود، يرجع بنسبه إلى جدٍّ كان يهودياً ثم تنصر[4].

إن هذه المعلومات وأمثالها لم تسجلها المصادر الإسلامية، لأنها لا تُعَـــدُّ في نظر مؤلفيها المسلمين أمور مهمة، بينما نجد المؤلفين اليهود يذكرونها لأنها من خصوصياتهم، ولذلك كان لابد من استقصاء ما في مصادرهم.

ثانياً: برشلونة (BARCELONA)

يصفها الحميري فيقول: "مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلاً وبرشلونة على البحر، ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفـــة، ولهـــا ربض، وعليها سور منيع، والدخول إليها والخروج عنها إلى الأندلس على بـــاب

---

(1) الموسوعة العبرية، م26، ص384.

(2) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص70-71.

(3) الموسوعة العبرية، م26، ص383؛
ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VO.15, P.222.

(4) الموسوعة العبرية، م26، ص384.
HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.963.

الجبل المسمى بهيكل الزهرة، ويسكن برشلونة ملك إفرنجة، وهي دار ملكهم، وله مراكب تسافر وتغزو، وللإفرنج شوكة لا تطاق"[1].

وقد فتحها المسلمون بقيادة موسى بن نصير سنة (95هـــــ=714 م)[2]، واستمر الحكم الإسلامي لها حتى سنة (185هــ=801م)، حيث احتلها النصارى بقيادة لويس التقي ملك جنوب الغال[3].

وقد عاشت في برشلونة خلال هذه المدَّة، طائفة يهودية مهمة، يُــستنتج ذلك من خلال الرسائل المتبادلة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بــين يهود برشلونة وأحبار اليهود في العراق، ومع أنَّ هذه المراسلات قد حدثت بعد خروج برشلونة من يدِ المسلمين، إلاّ أنها تشير إلى وجودِ اليهــودِ فيهــا قبــل سقوطها بيدِ النصارى، لأنه من غير المعقول أن يكون النصارى قــد احتلــوا المدينة ثم أحضروا هذا العدد الكبير من اليهود الذي دفع أحباره فـــي العــراق للاهتمام بمراسلتهم، والرد على تساؤلاتهم[4]، والذي جعل البكـــري وبنيـــامين التطيلي والحميري يتحدثون عن كثـــرتهم فيهـــا، حيـــث يقـــول البكـــري (ت: 487هــ=1094م) عنها: "مُسوَّرة على ساحل البحر، واليهـــود بهـــا يعـــدلون النصارى كثرة."[5]، كما يذكر يهود برشلونة، وهو يروي قصة حاكمها رايمنـــد بن بلنقـــير بن بُرِّيل الذي "خرج يريد بيت المقدس سنة ست وأربعـــين وأربـــع مئة، فنزل في مدينة نربونة على رجلٍ من كبـــراء أهلهـــا، فتعـــشَّق امرأتـــه، وتعشقته، ثم تمادى في سفره حتى وصل بيت المقدس، ثم كر راجعاً حتى أتـــى

---

(1) الروض المعطار، ص86-87.

(2) ابن خلدون، العبر، جــ4، ص255؛ المقري، نفح الطيب، م1، ص233.

(3) المقري، نفح الطيب، م1، ص339؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.338;

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.338-339.

(5) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس وأوربا"، ص96.

نربونة فنزل على ضيفه بها وليس له همٌّ إلا امرأته، فحكم ذلك التعاشق بينهما، واتفق معها على أن تعمل الحيلة في الهروب إليه من بلدها فيزوجها من نفسه فلما وصل إلى برشلونة أرسل إليها قوماً من اليهود في ذلك ..."[1].

ويقول بنيامين التطيلي الذي زارها سنة (569هـ=1173م)[2]: "وفيها طائفة من اليهود وجماعة من العلماء والحكماء والرؤساء الكبار، منهم الربيون ششت، وشئالتيال وسليمان بن إبراهيم بن حسداي، والمدينة على صغرها جميلة"[3].

ويقول الحميري: "وبرشلونة كثيرة الحنطة والعسل، واليهود بها يعدلون النصارى كثرة"[4].

وكانت برشلونة مدينة صغيرة سداسية الشكل بصورة عامة[5] "عليها سورٌ منيع"[6]، بناه الرومان، وما تزال آثاره باقية إلى اليوم، ولكن من الممكن القول بأنَّ برشلونة القديمة هي فقط المنطقة المحيطة بساحة سان جيمي (SAN JAIME)، وهي ما تزالُ ذات شوارع ضيّقة ومظلمة، وقصورٌ محصَّنة ذات ساحات صغيرة، ومن ساحة سان جيمي يجري في الاتجاه الجنوبي الشرقي للمدينة شارع (DEL CALL)، أي شارع الطائفة، وكان هذا الشارع في

---

(1) م. ن، ص97.

(2) بنيامين التطيلي، بن يونه النباري الأندلسي، رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حداد، (بغداد، ط1، 1364هـ-1945م)، ص22.

(3) م. ن، ص50.

(4) الروض المعطار، ص87.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.339.

(6) الحميري، الروض المعطار، ص87. قارن: البكري، المسالك والممالك "الجزء الخاص بالأندلس وأوربا"، ص96.

أواخر القرون الوسطى هو الشارع الرئيس للحي اليهودي، ولهذا أطلق عليه اسم (CAL MAYOR)[1].

وكانت المقبرة اليهودية تقع في جنوب المدينة، على منحـدرات الجبـل الذي ما يزال إلى الآن يُدعى جبل اليهود[2]. وهناك العديد من شـواهد القبـور التي تحملُ كتابات من أواخر القرون الوسطى، وقد أزيلت الشواهد الأخرى من الجبل بعد طرد اليهود من المدينة، وتمَّ استخدام الحجارة في بناءِ بناياتٍ جديدة. ومن بين شواهد القبور التي تمَّ العثور عليها في برشلونة، شاهد عليـه نقـوش وكتابات تعود وفقاً لرأي الخبراء إلى القرن الثاني الهجري/الثـامن المـيلادي. ويؤكّد هذا الاكتشاف أنَّ الطائفة اليهودية قد تواجدت في برشلونة خلال الحكـم الإسلامي لها[3].

ثالثاً: طركونة (TARRAGONA)

يصفها الحميري فيقول: "بالأندلس، بينها وبين لاردة خمـسون مـيلاً، وطركونة مدينة أزلية، قاعدة من قواعد العمالقة ... وهي مبنية علـى سـاحل البحر الشامي، ومعالمها باقية لم تتغير، وأكثر سورها باق لم يتهدم، وهي أكثر البلاد رخاماً محكماً، وسورها من رخام أسود وأبيض، وقليلاً ما يوجد مثله[4].

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.339.
نقـلاً عـن: C. CORNET Y MAS, GUIA DE BARCELONA, (BARCELONA, 1882), P.198.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.340.
نقـلاً عـن: C. CORNET Y MAS, GUIA DE BARCELONA, (BARCELONA, 1882), P.198.

(3) IBID, VOL.1, P.340.

(4) الحميري، الروض المعطار، ص392.

أتمَّ المسلمون فتحها سنة (95هـ=714م)[1]، وفي سنة (193هـ=808م)، سقطت في يد لويس التقي، ولكن سرعان ما أجبره المسلمون على إخلائها، فعادت إلى حكم المسلمين. وظل المسلمون والنصارى يتبادلون السيطرة عليها، لأنها كانت مدينة حدودية، ففي سنة (340هـ=950م) سقطت في يد النصارى، وبعد سنوات عدة استعادها المسلمون، وبعد بضع سنوات سقطت نهائياً في أيدي النصارى الأسبان[2].

"وكانت حاجزاً بين المسلمين والأفرنج إلى أن استولى الأفرنج عليها، فهي في أيديهم إلى الآن في ما أحسب، وكانت قد استولى عليها الخراب، فاستجدها عبد الرحمن الناصري الأموي"[3]، "وكانت في قديم الزمان خالية، لأنها كانت في ما بين حد المسلمين والروم"[4].

وتدل النقوش اليهودية التي وجدت في طركونة ومحيطها على وجود طائفة يهودية كبيرة تعيش في تلك المنطقة منذ العهد الروماني[5]. ويذكر الإدريسي يهود طركونة في نصين يقول في أحدهما: "ومدينة طركونة على البحر، وهي مدينة اليهود، ولها سور رخام وبها أبنية حصينة، وأبراجٌ منيعة، ويسكنها قوم قلائل من الروم، وهي حصينة منيعة، ومنها إلى برشلونة في

---

(1) مجهول، وصف الأندلس، "نشر نصوصاً منه حسين مؤنس في تاريخ الجغرافية والجغرافيين"، (مدريد، ط1، 1967م)، ص598.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.340;

الموسوعة العبرية، م26، ص381.

لم أجد في ما اطلعت عليه من مصادر إسلامية تاريخاً محدداً لسقوطها النهائي في أيدي الأسبان.

(3) ياقوت، معجم البلدان، م4، ص37-38.

(4) الحميري، الروض المعطار، ص392.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.340.

الشرق ستون ميلاً[1]. ويقول في الآخر: "ومن مدينة طرطوشة إلى مدينة طركونة اليهود خمسة وأربعون ميلاً "[2].

وبالرغم من أنَّ الإدريسي قد كتب هذين النصَّين في العقد الثالث أو الرابع من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[3]، أي أثناء الحكم النصراني لطركونة، التي سقطت نهائياً قريباً من منتصف القرن الرابع الهجري إلا أنَّهما يقدمان – في رأيي – وصفاً للمدينة إبَّان الحكم الإسلامي لها، لأنَّ الإدريسي لم يكن يسجّل لنا مشاهداته وهو يكتب عن المدينة، إذ كانت محتلَّة ولا يستطيع زيارتها في عصره الذي كثرت فيه الحروب بين مسلمي الأندلس وأسبانيا النصرانية، بل نقل إلينا وصف هذه المدينة عن جغرافيين مسلمين شاهدوها. وأرى أنه قد نقل عنهم وصف طركونة بـ "مدينة اليهود"و"طركونة اليهود". ويقول عزرا حدَّاد: "وكان يقال لطركونة أيام حكم العرب "مدينة اليهود "لكثرتهم فيها"[4]، ومما لاشك فيه أنَّ هذين التعبيرين يعبران عن كثرة اليهودِ في طركونة.

والسبب في هذا التفوق العددي لليهود في طركونة، يرجع إلى أنَّ عدد المسلمين الذين استقروا في هذه المدينة منذ فتحها كان قليلاً، لأنها كانت مدينة حدودية متنازعٌ عليها باستمرار كما أنَّ أعداد النصارى هناك قد تناقصت إلى درجة كبيرة، إذ قتل العديد منهم أثناء فتح المدينة، وهجرها الكثيرون"[5]. وقد

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص555.

[2] م.ن، م2، ص734.

[3] فرغ الإدريسي من تأليف كتابه سنة (548هـ=1154م)، بعد أن أمضى في كتابته خمسة عشر عاماً. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م1، ص ب. (مقدمة الناشر).

[4] بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص49 (هامش المترجم).

[5] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.341.

أشار الإدريسي إلى قلة النصارى فيها بقوله: "ويسكنها قومٌ قلائل من الروم"[1]. ويمكن أن يكون سبب زيادة سكانها اليهود أنَّ الكثير من يهود برشلونة قد لجأوا إلى طركونة بعد سقوط برشلونة في يدِ النصارى سنة (185هـ=801م)، وذلك خوفاً من انتقام النصارى الذين يتَّهمونهم بمساعدة المسلمين في فتح برشلونة، كما يقول آشتور[2].

ولعل حصانة أسوار طركونة كانت أحد أسباب كثرة اليهود فيها، إذ من الملاحظ أنهم يكثرون في المدن المحصنة تحصيناً محكماً. فعن تحصينات طركونة يقول الإدريسي: "وطركونة مدينة على نحر البحر، لها سورٌ من رخامٍ أسود وأبيض، قليلاً ما يوجد مثله صفة"[3]، ويقول بنيامين التطيلي: "وبلغت بعد مسيرة يومين مدينة طركونة القديمة ذات الأوابد الجسيمة من بناء الجبابرة وأسلاف الإغريق، مما لا نظير له في جميع بلاد الأسبان، وموقعها على شاطئ البحر"[4].

وعن أليسانة التي سميت أيضاً "بمدينة اليهود"[5] يقول الإدريسي: "والمدينة مدينة متحصنة بسورٍ حصين، ويطوفُ بها من كل ناحية حفيرٌ عميق القعر والسروب، وفائض مياهها قد ملأ ذلك الحفير، واليهود يسكنون بجوفي المدينة ... ولليهودِ بها حذرٌ وتحصن ممن قصدهم"[6]. ويقول عن سورها صاحب الحلل الموشية: "مدينة أليسانة، وهي مدينة منيعة سورها من أعظم

---

(1) نزهة المشتاق، م2، ص555.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.341.

(3) نزهة المشتاق، م2، ص734. ص126.

(4) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص49.

(5) نزهة المشتاق، م2، ص571.

(6) م. ن، م2، ص571-572.

الأسوار، انفرد بسكناها اليهود"[1]. وعن برشلونة التي كان "اليهود بها يعدلون النصارى كثرة"[2] يقول الحميري: "وعليها سورٌ منيع"[3].

وسبب حرص اليهود على السكن في مدن وأحياء محصنة، هو في رأيي جبنهم وحرصهم الشديد على الحياة، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطبع القديم فيهم بقوله: { وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ...} [4]، وبقوله تعالى: { لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ...}[5].

وكان اليهود في طركونة يقطنون في معظم شوارع المدينة العليا التي كانت محاطة بسورٍ شمال شرق المنطقة المشيَّدة حالياً، وبمرور الوقت صارت هذه المنطقة مستقرّاً لليهود، وكانت أكثر ازدحاماً في الحافة الجنوبية للمدينة[6].

ولم أجد في ما اطلعت عليه من مصادر عربية وأجنبية إسهاماً في النهضة الأدبية والعلمية ليهود طركونة. كما لم أعثر لهم على عالمٍ أو مفكر أو أديب برز خلال الحكم الإسلامي للمدينة[7].

---

(1) ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص80.

(2) الحميري، الروض المعطار، ص87.

(3) م. ن، ص87.

(4) سورة البقرة، من الآية 96.

(5) سورة الحشر، من الآية 14.

(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.341.

(7) IBID, VOL.1, P.341.

نقلاً عن: B. HERNANDEZ, SANAHUJA, TARRAGONA BAJO EL PODER ED LOS ARABES (TARRAGONA, 1882), P. 17.

وفي اعتقادي أنَّ السبب يرجعُ إلى أنَّ طركونة لم تشهد حركة علمية نشطة للمسلمين، كغيرها من المدن الأندلسية، وقد انعكس ذلك على يهود المدينة الذين كانوا يتأثرون بالحركة العلمية التي تسود في المدن التي يعيشون فيها.

رابعاً: طرطوشة (TORTOSA)

يصفها الإدريسي فيقول: "مدينة حسنة على نهر إبره، وبينها وبين البحر الشامي عشرون ميلاً، ولها قلعة حصينة، وينبت بجبالها من خشب الصنوبر ما ليس بمعمور الأرض مثله"[1]، فتحت سنة (95هـ=713م)[2]، وسقطت في يد الأسبان سنة (543هـ=1148م)[3]، وقد عاش اليهود في هذه المدينة خلال الحكم الإسلامي[4].

وكان الحي اليهودي في العهد الإسلامي يقع في الجزء الشمالي من المدينة، شمال غرب حي ريمولينز (REMOLINS)، وما يزال أحد شوارع الحي اليهودي في طرطوشة يحمل اسم مدينة القدس، إذ يسمى (JERUSALIM)، وهناك أحد الممرات في هذا الحي يحمل هذا الاسم أيضاً[5].

---

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص734.

(2) لم أجد في مصادرنا ذكر لتاريخ فتح مدينة طرطوشة، ولكنني أعتقد أن فتحها كان سنة (95هـ=713م)، باعتبار أنها إحدى مدن الثغر الأعلى، الذي فتح في هذا التاريخ، ينظر الحجي، التاريخ الأندلسي، ص91-92.

(3) ياقوت، معجم البلدان، م4، ص30.

(4) ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL. 15, P.1268;
الموسوعة العبرية، م26، ص381.

(5) ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.343.
ينظر: الخارطة رقم: (11).

وكانت المقبرة اليهودية تقع شرقي سور المدينة، ولم يسلم منها إلا القليل من شواهد القبور[1]. وقد قدِّر عدد سكان المدينة من اليهود في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بنحو ثلاثين عائلة[2].

واشتغل يهود طرطوشة بالزراعة والتجارة البحرية المزدهرة، حيث أقاموا علاقاتٍ تجارية مع يهود برشلونة، وجنوب فرنسا[3].

وكانت المدينة مركزاً للتعليم اليهودي، كما هو ظاهر في ردودِ الأحبار في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، والتي تدل على مستوى عالٍ من المعرفة التلمودية، وعلى حرصٍ شديد من يهودِ هذه المدينة على التقيد بالتعاليم الدينية اليهودية[4].

وكان الشاعر والنحوي واللغوي مناحيم بن يعقوب بن ساروق من يهود طرطوشة، وقد عاد إليها من قرطبة، بعد أن خسر حظوته لدى حسداي بن شبروط[5].

وثمة يهودي آخر من طرطوشة هو الطبيب والجغرافي إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي[6]، وهو من معاصري مناحيم بن ساروق، وقد كلَّفه الخليفة الأندلسي الحكم الثاني (المستنصر بالله) برحلة جغرافية إلى أوربا الوسطى والشرقية لجمع المعلومات عن تلك البلاد[7]، وقد أدَّى هذه المهمة

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.343.

(2) ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.343.

(3) ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.344.

(5) IBID, VOL.1, P.344.

(6) ينظر: البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص80.

(7) لقد رجحت ذلك عندما ناقشت هذه المسألة في الفصل الثالث من هذا البحث.

بنجاح وعاد بمعلوماتٍ قيمة، اعتمد عليها البكري وغيره عندما كتبوا عن تلـك البلاد وسكانها[1]. كما عاش في هـذه المدينـة فـي مطلـع القـرن الخـامس الهجري/الحادي عشر الميلادي الـشاعر العبـري ليفـي بـن إسـحاق بـن مارشاؤول[2].

خامساً: قلعة أيوب (CALATAYUD)

"وقلعة أيوب محدثة"[3] بناها المسلمون إلى الغرب من المدينة الأسبانية المهمة بلبلس (BILBILIS) [4]، وإلى الجنوب الشرقي من سرقسطة[5]، وهـي تسمى الآن في أسبانيا (CALATAYUD) [6].

وقد استقرت طائفة يهودية في هذه المدينة في عصر الإمارة، وصارت بمرور الوقت من الطوائف اليهودية المهمة في الأندلس[7].

وفي سنة (1300هـ=1882م) تمَّ العثور بالقرب من هذه المدينة علـى نصب ليهودي يُدعى صاموئيل بن سولومون، مات في (10/9/سنة 991م)[8].

وقد سقطت قلعة أيوب في يدِ النصارى سنة (504هـ=1110م)[9] لكنَّ اليهود ظلّوا تحت الحكم الأسباني يقطنون في المنطقـةِ نفسها التي كانوا يقيمون فيها في عصر الخلافة[10].

---

(1) ينظر: م. ن، ص80، 155، 174؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص7-8.

(2) ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPIDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268.

(3) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص91.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.328.

(5) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص91 (هامش المحقق).

(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.328.

(7) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.330.

(8) IBID, VOL.1, P.330.

(9) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ4، ص55.

(10) IBID, VOL1, P.330.

وتقع هذه المنطقة في الجزء الشمالي من المدينة الذي هو أعلى مناطقها. وكان اليهود يعيشون في الشوارع الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الرئيس، الذي أقيمت مكانه كنيسة سانتا ماريا دي مريافيلا (SANTA MARIA DE MEDIA VILLA)[1].

ويدلُّ العدد الكبير لليهود الذين غادروا المدينة، ويحملون اسم القلعي على كثرة أعداد اليهود الذين كانوا يقيمون فيها أثناء الحكم الإسلامي، وعلى وجود العديد من المثقفين والأثرياء بينهم[2].

سادساً: روطة (RUEDE)

تحدثت بعض المصادر الإسلامية عن حصن روطة (RUEDE) القريب من سرقسطة، ودعته "روطة اليهود"[3]. ويبيّن نص العذري استقرار اليهود في روطة منذ وقتٍ مبكر، حيث يقول: "وفي آخر السنة [260هـ=873م] خرج هاشم بن عبد العزيز [قائد جيش الأمير المنذر بن محمد] إلى الثغر [سرقسطة]، وصار فيه، وقد دخلت سنة إحدى وستين، فابتاع محمد بن لب سرقسطة بخمسة عشر ألفاً ... على يدي حوشب بن القاضي، وابتاع روطة اليهود من عبد الواحد الروطي"[4] ويقول أيضاً: "قال عيسى بن أحمد بن محمد الرازي: ورأيت في تواريخ الثغر أن محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي دخل سرقسطة يوم الأربعاء بعد الظهر لثماني عشرة خلت من شهر رمضان سنة ست وسبعين ومائتين ... ودخل روطة اليهود يوم الأحد

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.330.

ينظر: الخارطة رقم: (12).

(2) IBID, VOL1, P.330.

(3) العذري، ترصيع الأخبار، ص35، 42، 159؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ2، 246.

(4) العذري، ترصيع الأخبار، ص35.

لعشر خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاث مئة"[1]. ويظهر النص الأول أنَّ اليهود لم يكونوا مستقلين بروطة. إذ عملت الحكومة الأموية على استعادتها إلى الدولة من يد عبد الواحد الروطي، فدفعت له مبلغاً مقابل التخلّي عنها، وليس هناك سبب في رأيي يدعو إلى تسميتها بروطة اليهود إلا كثرتهم فيها. ويقدم ابن الكردبوس وصفاً مفيداً لروطة فيقول: "وهو معقل على مقربة من سرقسطة، مساوٍ لأعناق السماء، وفي غايةٍ من المنعةِ والارتقاء"[2]، وهو يعقّبُ على قول أحمد بن المستعين بن هود بالتنازل عن هذا الحصن للأسبان مقابل أرضٍ في قشتالة[3] بقوله: "وتخلَّى له عن معقلٍ ما أبصر مثله من يعقل"[4]. وقد سقطت روطة في يد ألفونسو المحارب سنة (512هـ=1118م)[5].

والظاهر أنَّ حصون روطة المنيعة هي التي جلبت إليها اليهود بكثرة. وهذا يضاف إلى الأمثلة التي ذكرناها آنفاً، والتي تؤكّد ميل اليهود إلى الاستقرارِ في المدن والمناطق المحصَّنة.

ولم يقتصر الوجود اليهودي في الأندلس على المدن التي ذكرناها آنفاً، بل تواجدوا في مناطق أخرى. لكننا لا نملك عن استقرارهم فيها إلا القليل من المعلومات، وهي تشير بالرغم من قلَّتها إلى كثرة اليهود في بعض تلك المناطق.

---

[1] م. ن، ص42.

[2] ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، 1971م)، ص119. نشر تحت عنوان: "تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط".

[3] م. ن، ص120.

[4] م. ن، ص120.

[5] م. ن، ص121.

ويقدم ابن خلدون رواية تشير إلى وجود العديد من اليهود في قرمونـــة التي تقع إلى الـــ"شرقٍ من إشبيلية وغربٍ من قرطبة"[1]، يذكر فيها أنَّـــه فـــي الحرب بين المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس ومحمد البرزالي الوالي علـــى قرمونة، تغلَّب إسماعيل بن المظفر بن الأفطس على البرزالي، ودخل قرمونـــة وقتله، وقتل معه خلقاً من اليهود، وذلك سنة 459هـــ[2].

ويتحدَّث الإدريسي عن حصون قرمونة فيقول: "وهـــي مدينـــة كبيـــرة يضاهي سورها سور إشبيلية وهي حصينة وعلى رأس جبلٍ حصين منيـــع"[3]. وهذا يضاف إلى ما لاحظناه من ميل يهود الأندلس للاســـتقرار فـــي الأمـــاكن المحصنة.

ويروي كلٌّ من السلفي، وابن أبي أصيبعة ما يدل على تواجد يـــهودي في دانية، وعلى أنَّهم تقلَّدوا فيها بعض وظائف الدولة وذلك في عصر الطوائف. حيث يقول السلفي: "... أنشدني أبو حفص العروضي الزكرمي بأفريقية مما قاله بالأندلس، وقد طولب بمكس كان يتولاه يهودي:

يـــا أهـــل دانيـــةٍ لقـــد خـــالفتمُ	حكـــم الـــشريعة والمـــروَّةِ فينـــا
مالي أراكـــم تـــأمرون بـــضد مـــا	أمرت به، تُرى نـــسخ الإلـــه الـــدينا
كنـــا نطالـــب لليهـــودِ بجزيـــة	وأرى اليهـــود بجزيـــةٍ طلبونـــا[4]

ويقول ابن أبي أصيبعة متحدثاً عن إسحاق بن قسطار: "كـــان يهوديـــاً، وخـــدم الموفق مجاهداً العامري، وابنه إقبال الدولةِ عليّاً، وكان إسحاق بصيراً بأصـــول

---

[1] ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص138.

[2] ابن خلدون، العبر، جـــ4، ص156-157.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص572.

[4] السلفي، أحمد بن محمد بن سلف، أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1963)، ص37-38.

الطب ... حبراً من أحبارهم"[1]. وكان مجاهد أحد أمراء الطوائف حيث "غلب على دانية"[2].

كما استقرَّ عدد كبيرٌ من اليهود في بيانة القريبة من قرطبة[3]. يفهم ذلك من رواية لابن سعيد يذكر فيها أنها "مدينة اليهود"، وأنها كانت المدينة التي نُفي إليها ابن رشد. حيث يقول: إنَّ منصور بن عبد المؤمن "أمر بنفيه إلى بيانة مدينة اليهود"[4]، وقد نفي عقاباً له "على قوله عن الزرافة: وقد رأيتها عند ملك البربر، فقرَّعه على ذلك، فاعتذر أنه ما قال إلا: ملك البرَّيْن"[5] لكن عذره لم يُقبل[6].

وقد أشرنا من قبل إلى رواية ابن عبد الملك المراكشي التي يبين فيها أنَّ نفي ابن رشد كان إلى أليسانة، وأنَّ هناك سبباً آخر للنفي غير الذي ذكره ابن سعيد الأندلسي. وليس من شأننا الخوض في تفاصيل روايتي ابن سعيد وابن عبد الملك، والتحقيق في أسباب النفي وفي المدينة التي تمَّ إليها. وما يهمنا هنا هو أنَّ

---

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص498.

(2) الضبي، بغية الملتمس، ص473.

(3) عن قربها من قرطبة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص537؛ الحميري، الروض المعطار، ص119.

(4) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ2، ص105. ترجمة رقم 39.

(5) م. ن، جـ1، ص105، ترجمة رقم: 39.

(6) م. ن، جـ1، ص105، ترجمة رقم: 39.

لقد أشرنا من قبل إلى رواية ابن عبد الملك المراكشي التي يتبين فيها أن نفي ابن رشد كان إلى أليسانة، وأرى أن نفيه كان إلى أليسانة وليس إلى بيانة، لأن الهدف من نفيه كان المبالغة في إهانته، وتأكيد الاتهام الذي أشاعه عنه أعداؤه أنه من أصول يهودية. وسوف يتحقق لأعدائه ذلك لو أن النفي كان إلى أليسانة التي ينفرد بسكناها اليهود، والمرتبطة في أذهان الأندلسيين باليهود أكثر من بيانة.

ابن سعيد يسمّي بيانة "مدينة اليهود". مما دفعنا إلى القول بأنها كانـــت مـــستقرّاً لعدد كبيرٍ منهم. وكانت بيانة مدينة محصَّنة، كغيرها من المدن الأندلسية التـــي أطلق عليها "مدينة اليهود".

حيث يصفها الإدريسي بقوله: "وبيانة حصن كبير، في أعلى كدية تراب، قد حفت بها أشجار الزيتون الكثيرة، ولها مزارع الحنطة والشعير، ومن حصن بيانة إلى قَبْرَه مرحلة خفيفة"[1]. ويصفها الحميري فيقول: "ولها حصن منيع"[2]

وكان لليهود وجود في مرسية، حيث يقول المقَّري: "وكان محمـــد بـــن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمـــة: المنطق والهندسة والعدد والموسيقى، والطب، فيلسوفاً طبيباً ماهراً، آية الله فـــي المعرفة بالأندلس، يقرئ الأمم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها، وفي تعلّمهـــا، ولما تغلَّب طاغية الروم على مرسية عرف له حقَّه، فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود"[3].

كما مكثوا أيضاً في بلنسية. يظهر ذلك من رواية لابن عذاري، يتحدث فيها عن سقوط بلنسية بيد الكبيطور، وارتكابه الفظائع في أهلها، وقتل عدد كبير منهم[4]، فيقول: "ثم قال: انظروا إليَّ في سبع مئة ألف مثقال وإلا هلكتم، وأحلّت السيوف عليكم، ثم خرج وبقي المسلمون في القصر، وأغلـــق علـــيهم البـــاب، فصاروا في سجن، والروم تحفُّهم بالأسلحة، فـــرأوا المـــوت، ووقـــع البهـــت، وخرست الألسنة، ثم رجع اليهودي وزيره إليهم، وقال لهم: لم أزل ألاطفه حتى قاطعته عليكم بمئتي ألف مثقال، فبادروا بتوزيعها، وافدوا أنفسكم منه، فتـــوزَّع

---

(1) نزهة المشتاق، م2، ص571.

(2) الروض المعطار، ص119.

(3) نفح الطيب، م4، ص130.

(4) البيان المغرب، جـــ4، ص39-40.

العدد على الأحوال، واشتدَّ ثقاف الأغنياء. وبلغ اليهـــودي – لعنــه الله – مـــن المسلمين مبلغ الغاية في العذاب، وسلّط اليهود على الإسلام، فبلغوا النهاية فـــي النكال والنكاية، ومنهم الأمناء الموكلون، والمنصرفون، وأصـــحاب الرســـوم، وخدام البر والبحر. وجلس اليهودي للقبض بصاحب المدينة من الضربِ بالعصا والسوط، وقيض لكل منهم شيطاناً يخرج معه كل عدد، فإن جاء بـــشيء، وإلا أخذ بالسوط والعذاب، وتمادت هذه المحنة مدة، فلا قوة إلا بالله العليّ العظيم"[1].

ولدينا إشارة أخرى تؤكد استقرار اليهود في بلنسية، فقد ترجم ابن سعيد الأندلسي للشاعر أبي الحسن علي بن إبراهيم، المشهور بابن الزقاق[2]، وذكـــره مع كتاب مملكة بلنسية[3]، وذكر له بيتين من الشعر كتبهما في غلام يهودي[4]، كان يجلس معه وينادمه يوم سبت، والظاهر أن هذا الغلام من بلنسية أيضاً.

كما استقروا في بياسة، التي تقع شمال شرق جيان، وتبعد عنها عشرين ميلاً[5]، يستنتج ذلك من قول ابن صاحب الصلاة: "في سنة 553هـ كان فـــي بياسة عالم غرناطي يدعى عبد الله بن سهل، كان يحضر دروسه جمعٌ كبير من المسلمين والنصارى واليهود"[6].

---

[1] م.ن، جـ4، ص41.

[2] ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ2، ص323، ترجمة رقم: 567.

[3] م. ن، جـ2، ص297، ترجمة رقم: 548.

[4] م. ن، جـ2، ص328، ترجمة رقم: 567؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص19.

[5] حدد هذه المسافة بين المدينتين الإدريسي. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص568.

[6] ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، المن بالإمامة، تحقيق: عبد الهادي التـــازي، (بيـــروت، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م)، ص400.

وهناك إشارات إلى شاعرٍ وطبيب يهودي ينتسب إلى رنده[1]، مما يدل على أنهم سكنوا هذه المدينة. يقول المقري: "وكان في زمن إلياس بن المدوَّر اليهودي الطبيب الرندي طبيب آخر، كان يجري بينهما من المحاسدةِ ما يجري بين مشتركين في صنعة"[2]. وقد ظل اليهود يعيشون في رندة حتى سقوطها في يد النصارى. إذ كان المترجم الوسيط بين المسلمين والأسبان في اتفاقية تسليم رندة سنة (890هـ–1485م) هو اليهودي عذرا الرندي[3].

ويقدم المقَّري رواية يظهر فيها بسام بن شمعون اليهودي الوشقي، وهو يتلقى رسالة من صديق له يدعى أيوب بن سليمان المرواني[4]، مما يدل على استقرار يهودي في وشقة القريبة من سرقسطة. "ومن مدينة سرقسطة إلى وشقة أربعون ميلاً"[5].

كما استقرّوا في شوذر ومرتش. يفهم ذلك من رسالة شعرية بعث بها الشاعر الأندلسي إبراهيم بن محمد النفزي، يستحث فيها أمير المسلمين في المغرب على العبور إلى الأندلس لتخليص المسلمين في هاتين المدينتين من حكم النصارى، وتسلط اليهود. حيث يقول:

وشوذرُ ثمَّ مرتش لو تراها ونار الكفر يضرمها اليهودُ[6]

---

[1] ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص336. ترجمة رقم: 241؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص528.

[2] نفح الطيب، م3، ص528.

[3] فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص99–100.

[4] نفح الطيب، م3، ص529.

[5] الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص554.

[6] الحسين، يعقوبي، قصائد غير منشورة في الاستصراخ والإصراخ، دراسات أندلسية، ع5، (1411هـ–1990م)، ص80.

وكان عددهم كبيراً في مدينة برغش الواقعة شمالي الأنـدلس[1]، وقـد أشار الإدريسي إلى كثرتهم في هذه المنطقة المحصَّنة بقوله: "ومدينـة بـرغش مدينة كبيرة يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور، والأغلب على الجزء الواحـدِ منها اليهود. وهي حصينة منيعة ذات أسوار وتجار وعدد وأموال"[2]. أي أنهـا مقسمة إلى أجزاء يتواجد اليهود بكثرة في كل جزء منها.

وكـان لليهـود وجـود فـي جرنـدة التـي تـسمى الآن جيرونـه (GERONA)[3]. وقد ذكرها بنيامين التطيلي في رحلته، حيث زارها في سنة (561هـ=1165م). وقال إن "فيها طائفة صغيرة من اليهود"[4].

وبالرغم من أنَّ بنيامين التطيلي يتحدَّث عن جرنده بعد مُضي أكثر من ثلاثة قرون ونصف على سقوطها في يـدِ النـصارى الـذين احتلوهـا سـنة (184هـ=800 م)، إلا أنَّ اليهود في هذه المدينة قد عاصروا – في رأيـي – الحكم الإسلامي لها. لأنَّ وجودهم فيها يرجع إلى القرن الخامس الميلادي، حيث "أقام اليهود في جرندة منذ القرن الخامس الميلادي في حي "خاص" بهـم كـان

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص725، 732.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص732.

[3] بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص51. يسّمي بنيامين هذه المدينة جرندة، مثلما كانت تـدعى في العهد الروماني. لكن اسمها الآن جيرونة. ينظر: بنيامين التطيلي، رحلة بنيـامين، ص51 (المتن والهامش).

ويتفق الإدريسي مع بنيامين فيسميها جرندة. نزهة المشتاق، م2، ص583، 735. وقد فضلت أن أسجلها مثلما سجلها الإدريسي "جرندة" لأن الترجمة من العبرية إلى العربية هـي التـي تسببت في اختلاف رسم الكلمة عند بنيامين عما لدى الإدريسي. كما أن هذه التـسمية هـي الشائعة في الوقت الذي نتحدث عنه بخصوص استقرار اليهود فيها.

[4] م. ن، ص51.

يدعى (CALLE DE CALLE JUDAIC) بجوار القلعة"[1]، ومن غير المعقول أن يكونوا قد خرجوا منها عندما فتحها المسلمون، ثم رجعوا إليها بعد عودة النصارى، لأنَّ يهود الأندلس عموماً كانوا ينتظرون من يخلِّصهم من ظلم القوط النصارى[2]، ولذلك وجدناهم يسهمون مع المسلمين في حراسة بعض المدن بعد أن تمَّ فتحها[3]. وما ينطبق على يهودِ جرندة ينطبق على اليهود في معظم المدن الأندلسية التي وصفها لنا الرحالة والمؤرخون بعد سقوطها في أيدي الأسبان النصارى.

ويتحدَّث عزرا حداد في هامشه على رحلة بنيامين عن يهود هذه المدينة تحت الحكم الأسباني فيقول: "وأشهر من انتسب إليها من علمائهم في القرن الثاني عشر موسى بن نحمن الجرندي المفسر الطبيب الفيلسوف الكبير [ولد في جرندة سنة 1194م، وتوفي في فلسطين سنة 1270م]، وابن عمه يونه بن إبراهيم الجرندي الملقب بالمتقي، تولّى زعامة معارضة فلسفة موسى بن ميمون بين علماء اليهود في فرنسا، وأحرق كتبه في باريس سنة 1233م"[4].

---

(1) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص51 (هامش المترجم).

(2) ينظر: الفصل الأول من هذا البحث.

(3) ينظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص21-22؛ لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ص16؛ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، م1، ص107.

(4) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص51 (هامش المترجم).



الفصل الثالث

اليهود والسلطة في الأندلس

المبحث الأول: موقف اليهود من الفتح الإسلامي للأندلس.

المبحث الثاني: اليهود والسلطة من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة.

المبحث الثالث: اليهود والسلطة في عصر الطوائف.

المبحث الرابع: اليهود والسلطة في عهود المرابطين والموحدين وسلطنة غرناطة

المبحث الأول

موقف اليهود من الفتح الإسلامي للأندلس

احتوت بعض المصادر الإسلامية التي تحدثت عن الفتح الإسلامي للأندلس على العديد من الروايات التي تعبر عن موقف اليهود من ذلك الفتح. إذ يقول مؤلف مجهول في معرض حديثه عن فتح إلبيرة: "فحصروا مدينتها فافتتحت، فألفوا بها يومئذ يهوداً، وكانوا إذا ألفوا اليهود ببلدة ضموهم إلى مدينة البلد، وتركوا معهم من المسلمين طائفة، ومضى عظم الناس، ففعلوا ذلك بغرناطة مدينة إلبيرة، ولم يفعلوا ذلك بمالقة مدينة رية، لأنهم لم يجدوا بها يهوداً ولا عمارة"[1]. ويقول في معرض حديثه عن فتح قرطبة على يد السرية التي قادها مغيث الرومي: "وجمع يهود قرطبة، فضمهم إليها"[2]. وعن فتح موسى بن نصير لإشبيلية يقول: "فأتاها موسى بن نصير، حتى حصرها أشهراً، ثم إن الله فتحها، وهرب العلوج إلى مدينة باجة، فضم موسى يهودها"[3]. وعن فتح طليطلة يقول ابن عذاري: "وألفى طارق طليطلة خالية ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة، وفر علجها مع أصحابه، ولحق بمدينة خلف الجبل، وتبعهم طارق، بعد أن ضم اليهود، وخلّى معهم بعض رجاله وأصحابه بطليطلة، فسلك إلى وادي الحجارة"[4]. ويقول لسان الدين بن الخطيب:" ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى إلبيرة، فحاصروا مدينتها وفتحوها عنوة، وألفوا بها يهوداً ضموهم إلى قصبة غرناطة، وصار لهم سنة متبعة متى وجدوا بمدينة فتحوها يهوداً،

---

[1] أخبار مجموعة، ص21، 22.

[2] م. ن، ص23.

[3] م. ن، ص25.

[4] البيان المغرب، جـ2، ص12.

يضموهم إلى قصبتها، ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها، ثم مــضى الجيش إلى تدمير"[1].

والواضح من هذه الروايات أن يهود الأندلس قد قدموا العون للمــسلمين في حراسة بعض المدن التي تم فتحها، وأنهم لم يتولوا وحدهم أعمال الحراسة، بل كان معهم دائماً عدد من المسلمين، ومن الطبعي أن يكون المسلمون هم القادة لحاميات الحراسة تلك. ولا توجد أية إشارة في المصادر الإسلامية إلى نوع آخر من المساعدة قدمها اليهود لمسلمي الأندلس.

ومن المؤكد أن أسبـــاباً عدة قد حملت اليهود في الأندلس على اتخاذ هذا الموقف من المسلمين الفاتحين، وهذه الأسباب على ما أعتقد هي:-

1- رغبة اليهود في التخلص من حكم القوط الذين أرهقوهم بكثــرة القــوانين المضيقة عليهم والتي وصلت في عهد الملك إجيكا إلى حد استعبادهم جميعاً[2].

2- يحصل اليهود من خلال هذا الموقف على الفرصة للانتقام من القوط الذين اضطهدوهم منذ أن تحول الملك القوطي ريكارد إلى المذهب الكــاثوليكي ســنة (587م)[3]. كما يعطيهم شعوراً بالسيادة والتسلط بعد مدة طويلة مــن الإهانــة والإذلال.

3- من المؤكد أن الأخبار عن أحوال اليهود الــذين يعيــشون تحــت الحكــم الإسلامي قد وصلت إلى يهود الأندلس، فرغبوا في حكم المــسلمين، وفــضلوه على حكم القوط. إذ لا يُتصور أن يجهل يهود الأندلس أخبار إخوانهم في مصر والشام، وقد مضى على حكم المسلمين لهم أكثر من نصف قرن، ومــن غيــر الممكن أن لا تصلهم أخبار اليهود في المغرب وهي لا يفصلها عن الأندلس إلا

---

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص17.

(2) عن القوانين الخاصة باستعباد اليهود. ينظر: LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.26;
ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.221.

(3) ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.220.

مضيق مائي صغير.

4- تشجع اليهود على اتخاذ هذا الموقف، لأنهم توقعوا أن مشاركتهم في حراسة مدن قد تم فتحها، وفرّ أو قتل معظم جنودها وقادتها لن يكلفهم إلا القليل من الجهد والتضحية، بينما سيحقق لهم الكثير من المكاسب.

كما كان للمسلمين أسباب دفعتهم لقبول العون من اليهود، وأعتقد أن هذه الأسباب هي:-

1- يبدو أن اليهود أظهروا رغبة قوية في تقديم العون للمسلمين، ولولا حدوث ذلك لما قام المسلمون بإشراكهم في حاميات الحراسة للمدن المفتوحة، فليس من عادتهم أن يُكرهوا أحداً على مساعدتهم.

2- من المؤكد أن المسلمين الفاتحين قد علموا بالعداء القائم بين اليهود والقوط، وأدركوا أهداف اليهود من وراء هذا الموقف، ففضلوا توظيف هذا الوضع لخدمة الفتح.

3- وجد الفاتحون المسلمون أنه ليس في استخدام اليهود في حراسة المدن المفتوحة تحت إمرة المسلمين، أية مخالفة للإسلام الذي يُحرِّم أن ينتظم غير المسلمين في صفوف الجيش الإسلامي، ويقاتلوا معه تحت راية الإسلام، أو تحت أية راية غير إسلامية، ولكنه يسمح بالاستعانة بهم، إذا كانوا في موقع وضيع، ويخضعون لهيمنة وإمرة المسلمين، بحيث لا يطّلعوا على خططهم، أو يكشفوا أسرارهم، أو يكون لهم شأناً، يمكن أن يعزّ من خلاله الكفر[1]. وقد أفتى

---

[1] بني هذا الحكم على عدد من النصوص الشرعية منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمن لحقه يوم بدر من المشركين يريد القتال مع المسلمين:" ارجع فلن أستعين بمشرك" ينظر: ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ق1، ص210.

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار الذين قالوا له يوم أحد، ألا نستعين بحلفائنا من يهود: "لا حاجة لنا فيهم" ينظر: مالك بن أنس الأصبحي، وآخرون، المدونة الكبرى، م2، جـ3، (مصر، مطبعة السعادة، بغداد، مكتبة المثنى، 1323هـ)، ص40-41.

لاحقاً بذلك الفقيه المالكي محمد بن القاسم، مستنداً على الأصول نفسها التي من المؤكد أنها لم تغب عن قادة الفاتحين وفقهائهم، حيث قال: "ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون معهم، إلا أن يكونوا نواتية أو خدماً فلا أرى بذلك بأساً"[1].

والروايات التي تتحدث عن استخدام الفاتحين لليهود في حراسة المدن التي يتم فتحها، تؤكد على عدم تجاوز الفاتحين لموقف الإسلام، الذي عبر عنه محمد بن القاسم في فتواه. فاليهود لم ينتظموا في صفوف المقاتلين المسلمين، ولم يشاركوا في عمليات الفتح، ولم يقاتلوا تحت راية إسلامية أو يهودية، ولم يكونوا أكثر من نواتية أو خدم يحرسون المدن المفتوحة. وحتى هذه المهمة لم يتولوها وحدهم، بل كانوا دائماً تحت إمرة المسلمين، الذين كانوا يتركون معهم عدداً من المجاهدين، بالرغم من حاجتهم الشديدة إليهم[2].

4- لم يكن عدد المسلمين الذين دخلوا الأندلس كبيراً، إذ كانوا نحو اثني عشر ألفا مع طارق[3]، وثمانية عشرة ألفاً مع موسى بن نصير[4]، وقيل بل عشرة آلاف[5]، ولذلك وجد المسلمون أن استخدام اليهود في أعمال الحراسة لا يضطرهم إلى ترك عدد كبير من الجنود لحراسة المدن التي تم فتحها، في الوقت الذي يواصلون فيه الفتح ويحتاجون إلى أكبر قدر من جنودهم.

وقد خاض بعض المؤرخين المعاصرين من اليهود في موضوع المساعدة التي قدمها يهود الأندلس للمسلمين الفاتحين، وجعلوا لهم دوراً كبيراً في فتح الأندلس، ولم يكتفوا بالمبالغة وتضخيم الدور اليهودي، وإنما لجأوا أحياناً

---

(1) مالك وآخرون، المدونة، م2، جـ3، ص40-41.

(2) ينظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص22، 23، 25؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص12؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص101.

(3) مجهول، أخبار مجموعة، ص17؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص44.

(4) مجهول، أخبار مجموعة، ص24.

(5) ابن الشباط، صلة السمط، ص144-145؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص13.

إلى الاختلاق، وقلب الحقـائق، فمـثلاً يقـول سـيمون دوبنـوف (SIMON DUBNOV): "وتضمن الجيش الإسلامي الكتيبة البربرية اليهودية المنـضمة إليهم، والتي يقودها المحارب الذي يحمل اسماً يهودياً وهو خـولان اليهـودي، الذي فتح الجزء الأكبر من قطلونيا"[1].

ولا يوجد لمزاعم سيمون أي أساس من الصحة، فليس هناك قائد يهودي يحمل اسم خولان، ولم يشارك اليهود مطلقاً في فـتح قطلونيـا أو غيرهـا، لا مشاركة فردية، ولا على شكل كتيبة مستقلة. وهذه المعلومات لم أجدها فـي أي مصدر عربي أو أسباني أو يهودي، ولم يشر سيمون نفسه إلى مـصدرها، ولا يستطيع أن يفعل، لأن خياله المغرض فقط هو مصدر هذه الاختلاقات.

ويغضُّ سيمون الطرف عن الحقائق الجلية التـي ذكرتهـا المـصادر الإسلامية بخصوص استخدام اليهود في حراسة المدن[2]، ويجعل منهم مقـاتلين أكفاء يختارهم كل من موسى وطارق، ويضعانهم في مقدمة المقاتلين المسلمين، إذ يقول: "قام القائدان طارق وموسى بتسليح المجموعات اليهوديـة، وجعلاهـم حراساً يعتمدان عليهم، كما وضعاهم في مقدمة قواتهم العادية[3]. وهو أيضاً لـم يشر إلى أية مصادر[4].

ويتحدث أيضاً عن فتح طليطلة فيقول: "وعملت الكتيبة اليهوديـة فـي طليطلة كرمز للتمرد التاريخي، وأصبح اليهود والمسلمون سـادة المدينـة"[5]. والملاحظ أنه يستخدم مصطلحات توحي بأن اليهود هم الذين حققوا الانتـصار

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.527.

(2) عن استخدام اليهود في حراسة المدن الأندلسية المفتوحة. ينظر: مجهول، أخبـار مجموعـة، ص21-23، 25؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص101؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص12؛ الحميري، الروض، ص394.

(3) HISTORY OF THE JEWS VOL.2, P.527.

(4) ينظر: IBID, VOL.2, P.527.

(5) IBID, VOL, 2, P.527.

على القوط، فهو يسمي المستخدمين من اليهود في أعمال الحراسة "بالكتيبة اليهودية" وَيَعُدّهُمُ رمزاً للتمرد التاريخي، مع أنهم لم يتحركوا ضد قسوة القوط عليهم إلا بعد أن تم فتح المناطق والمدن التي يعيشون فيها، ولم يكن تحركهم بعد الفتح أكثر من عرض خدماتهم على المسلمين، الذين وافقوا على استخدامهم في أعمال الحراسة فقط.

ويقول إنهم أصبحوا هم والمسلمون سادة المدينة، حتى أنه يقدم ذكرهم في موضوع السيادة على المسلمين. والعجيب أنه يسمي اليهود سادة، وهم والنصارى أمام القانون الإسلامي سواء[1]، وعليهم كالنصارى أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[2].

أما إلياهو آشتور (ELYAHU ASHTOR) فقد كان أكثر اعتدالاً من دوبنوف إذ يعترف أن دور اليهود في عملية الفتح لم يتجاوز أعمال الحراسة، مع احتمال تقديم المعلومات المفيدة للفاتحين[3]، ولكنه يجعل لهذه الحراسة أثراً كبيراً في عمليات الفتح[4]، ويعد استخدام المسلمين لليهود في أعمال الحراسة دليلاً على كفاءتهم القتالية، وأنهم شعب محارب متميز ومختلف عن بقية يهود العالم، ويخوض في هذه المسألة باحثاً عن الأسباب التي جعلت يهود الأندلس شعباً مقاتلاً[5]، ثم يقول: "إن رجالاً من هذا النوع يعدون حلفاء ملائمين للشعوب المقاتلة والفاتحة[6] ويقول: "هكذا كان يهود أسبانيا لمئات السنين، وهكذا كانوا عندما فتح المسلمون هذه الأرض"[7].

---

(1) ينظر: مالك، المدونة، م5، جـ12، ص135؛ جـ13، ص201.

(2) ينظر، سورة التوبة، آية: 29.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.16.

(4) IBID, VOL.1, P.16.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.24-25.

(6) IBID, VOL.1, P.25.

(7) IBID, VOL.1, P.25.

وأختلف مع آشتور في هذه المسألة، وأرى أنه مبالغ في تـضخيم أثـر يهود الأندلس على الفتح، وفي جعلهم شعباً مقاتلاً، يحرص الفاتحون على كسبهم إلى جانبهم، وذلك للأسباب الآتية:-

أولاً: لو كان يهود الأندلس شعباً مقاتلاً شجاعاً، لانتفض على القوط الكاثوليك الذين ظلوا يصدرون القرارات القاسية ضده على مدى أكثر من مئة سنة، لكنه لم يحرك ساكناً حتى عندما صدر قرار بتحويلهم جميعاً إلى عبيد، وتوزيعهم على أسياد نصارى، وانتزاع أبنائهم منهم، وتسليمهم للأديرة والعائلات النصرانية ليتربوا على أيدي النصارى[1].

ولم يكن ينقصهم في ذلك الوقت العدد أو المال، إذ كانوا أضعاف عدد الفاتحين المسلمين[2]، وكانوا يملكون الثروات والإقطاعات الواسعة[3].

ثانياً: لو كان يهود الأندلس شجعاناً مقاتلين منذ مئات السنين، لتمكنوا من تكوين حكم لهم، ولو في جزء صغير من هذه البلاد التي يتواجدون فيها قبل الرومان والوندال والقوط[4]، لكننا نلاحظ أنهم كانوا يسعون فقط للتقرب من حكام كل عهد جديد، ويهنأون بالعيش في خدمتهم، إذا سمح لهم بذلك[5].

ثالثاً: هاجم النصارى الأسبان في مدينة إشبيلية حامية الحراسة التي شارك فيها اليهود وقد عجز اليهود الذين تباهى آشتور بقدراتهم القتالية عن صد مهاجميها، واستشهد نحو ثمانين مسلماً، ولم تشر المصادر التي ذكرت هذا الخبر إلى سقوط

---

(1) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.26.

(2) ينظر: جوزيف ماك كيب، مدنية المسلمين في أسبانيا، ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، (الرباط، 1985م)، ص95.

(3) BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRISTIAN SPAIN, VOL.1, P.17-18.

(4) لقد ناقشنا ذلك في الفصل الأول من هذا البحث، ورجحنا أن اليهود يسكنون في أسبانيا منذ عهد إشبان في القرن السادس قبل الميلاد، أي قبل مجيئ الرومان والوندال والقوط.

(5) ينظر: عبد العليم، اليهود في مصر في عهدي البطالمة والرومان، ص139.

قتلى من الحراس اليهود[1].

ولا أجد تفســيراً مقبولاً لعدم سقوط قتلى منهم إلا أن عددهم في حامية الحراسة كان قليلاً، وأنهم لاذوا بالفرار، وتركوا مــواقعهم، وبقــي المــسلمون يقاتلون وحدهم، فسقط منهم كل هذا العدد. وهم في ما أظن معظم رجال الحامية المسلمين الذين تركهم موسى في المدينة، فقد كان موسى بحاجة لجنــوده فــي عمليات الفتح الأخرى، ولا أعتقد أنه ترك فيها أكثر بكثير من ثمانين رجلاً.

وقد ظلت المدينة تحت سيطرة المهاجمين من دون أن تشهد مقاومة من سكانها اليهود الذين يعدهم آشتور شعباً مقاتلاً وحلفاء ملائمين، ولم تعــد إلــى المسلمين إلا بعد أن انتهى موسى بن نصير من فتح ماردة، حيث أرسل إليهــا ولده عبد العزيز فأعاد فتحها، وأدَّب المتمردين. وعن ذلك يقول صاحب كتــاب أخبار مجموعة: "ثم إن عجم أهل إشبيلية تحيلوا على من بها مــن المــسلمين، وجاءوا من مدينة يقال لها لبله، ومدينة يقال لها باجه، فقتلــوا مــن بهــا مــن المسلمين، قُتل فيها ثمانون رجلاً، فقدم فلُّهم على موسى بن نصير بماردة، فلما فتح ماردة بعث ابنه عبد العزيز على جيش إلى إشبيلية، فافتتحهــا ورجــع"[2]. ويقول ابن عذاري: "لما اشتغل موسى بن نصير بحصار مــاردة ثــار عجــم إشبيلية، وارتدوا على من كان فيها من المسلمين. وتجالب فلُّهم من مدينتي لبلــه وباجه، فقتلوا من المسلمين نحو ثمانين رجلاً وبلغ الخبر بذلك إلى موسى بــن نصير، فلما استتم فتح ماردة، بعث ابنه عبد العزيز بجيش إلى إشبيلية فافتتحها، وقتل أهلها"[3].

رابعاً: يتناقض آشتور مع نفسه في موضع آخر، فيقول: "من الصعب التصديق

---

[1] مجهول، أخبار مجموعة، ص18؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جــ 2، ص15.

[2] مجهول، ص26.

[3] البيان المغرب، جــ2، ص15.

بأن المسلمين قد تحالفوا مع جماعة من الناس، لم يكونوا مــن إحــدى الزمــر المقاتلة قبل الفتح"[1].

خامساً: لم يكن طارق يعلم، وهو يتقدم بجيشه نحو المدن الأندلسية، أنه ســوف يجد فيها يهوداً سيساعدونه في حراستها، وكان مع ذلك يتقدم بسرعة وحمــاس، وهو على ثقة بأن جنوده وحدهم يمكنهم أن يؤدوا كل ما يتطلبــه الفــتح مــن احتياجات.

ولو أنه شعر بقلة جنوده لما تقدم على أمل أن يجــد يهــوداً يمكــن أن يساعدوه، ولقام على الفور بالتوقف وطلب المدد من قائده موسى، وقد فعل ذلك بعدما يقارب السنة على دخوله الأندلس، حيث لم يركن إلى مساعدة اليهود، بل أرسل إلى موسى بن نصير يطلب الغوث[2]، وذلك بعد أن لاحظ أن العديد مــن جنوده قد استشهدوا، وأن كثيراً منهم قد توزعوا على المدن المفتوحة لحراستها، وقد هب موسى لنجدته، ودخل الأندلس بنفسه على رأس نحو ثمانية عشر ألــف مجاهد[3].

سادساً: لم تتحدث المصادر الإسلامية عن وجود يهود في المدن التــي فتحهــا موسى بن نصير إلا في إشبيلية ويصرح آشتور أن ذلك لخلو تلك المدن منهم[4]، ومع عدم وجودهم، وقلة عدد الجيش الإسلامي مقارنة بجيوش القوط، كان هذا الجيش يحقق الانتصارات والفتح السريع[5]، مثلما فعل طارق وجيشه.

سابعاً: لم يتقدم الجيش الإسلامي ذو العدد القليل بهذه السرعة في قلب الأندلس، لأنه كان مستفيداً من خدمات اليهود كما يقول إلياهو، ولكن لأن هذه هي طبيعة

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.22.

(2) ابن خلدون، العبر، جــ4، ص254.

(3) مجهول، أخبار مجموعة، ص24.

(4) THE JEWS, VOL.1, P.16.

(5) مجهول، أخبار مجموعة، ص24 ــ25؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جــ2، ص4ــ19.

المجاهدين المسلمين، منذ أن بدأت سرايا الجهاد والفتح تجـوب الأرض شـرقاً وغرباً، تنشر نور الإسلام، فقد كانوا في معظم معاركهم أقل بكثير من أعدائهم، وكانوا دائماً يحققون الانتصار، ويتوغلون بسرعة وسط الجموع الكثيفـة مـن الأعداء.

فقد هزم طارق بنحو اثني عشر ألف مجاهد[1]، حوالي مئة ألف مقاتل قـوطي حسب إحدى الروايات، يقودهم حاكم أسبانيا لذريق في معركة كورة شـذونة[2]. واقتحم عمرو بن العاص مصر بنحو ثلاثة آلاف وخمس مئة مجاهد[3]. وحقـق المسلمون انتصاراً سـاحقاً على الروم في معركة اليرموك بالرغم من التفـوق الروماني الكبير على المسلمين في العَدد والعُدَد[4]. وكان القـادة فـي ميـادين القتال، يرسلون إلى الخليفة في المدينة المنورة، يطلبون المدد، فيرسـل إلـيهم أحياناً رجلاً واحداً، ويقول: "لا يهزم جيش فيهم مثل هذا"، فتـرجح بـه كفـة المسلمين، ويتحقق النصر[5].

---

[1] مجهول، أخبار مجموعة، ص17.

[2] م.ن، ص18-19.

[3] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، ق1، نشره ووضـع ملاحقـه وفهارسـه: صلاح الدين المنجد، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1957م)، ص249.

[4] ينظر: م. ن، ص141؛ الطبري، تاريخ، جـ3، ص402.

[5] كما حدث عندما طلب خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ النجدة من أبي بكـر الـصديق ـ رضي الله عنه ـ، أثناء حربه للفرس، فأرسل إليه برجل واحد، هـو القعقـاع بـن عمـرو التميمي، وقال: "لا يهزم جيش فيهم مثل هذا". الطبري، تاريخ، جـ3، ص346-347.

إن مسالة التساوي في القوى المادية بين الجيشين المتحاربين لـم تكـن قانوناً معتبراً عند الفاتحين المسلمين[1]، فهم مطالبون أن يعدوا لأعـدائهم مـا استطاعوا من هذه القوى {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَـاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ...} [2] لكنهم مطالبون قبل ذلك أن يعمقوا إيمانهم ويرسخوا عقيدتهم، ويلتزموا بتعاليم دينهم، بحيث يصبح الموت عندهم في سبيل الله أحب إليهم من الحياة.

وقد نجح المسلمون في تحقيق ذلك فوصفوا بـأنهم: "بالليـل رهبـان، وبالنهار
فرسان"[3]، وأنهم "لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء"[4]، وأنهم يحرصـون على الموت حرص أعدائهم على الحياة[5]، وأنهم حسب قول "قاره" أعظم ملوك الإفرنج زمن الفتح الإسلامي للأندلس[6]: " كالسيل يحمل من يصادره، وهم في إقبال أمرهم، ولهم نيات تغني عن كثرة العدد، وقلـوب تغنـي عـن حـصانة

---

[1] لقد عبر المسلمون الأوائل عن هذه الحقيقة، فخاطب عبد الله بن رواحة المسلمين في معركـة مؤتة، وكانوا نحو ثلاثة آلاف مجاهد يواجهون حوالي مئة ألف من الروم بقوله: "وما نقاتـل الناس بعدد ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحـدى الحسنيين، إما ظهور، وإما شهادة " ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، جـ2، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي (القاهرة، 1375هـ-1955م)، ص375. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "إن الله لم ينصرنا مع نبيه صلى الله عليـه وسلم بكثرة العدد، ولا بكثرة الجنود". الكاندهلوي، محمد يوسف، حيـاة الـصحابة، جـ4، (دمشق، 1389هـ-1996م)، ص640.

[2] سورة الأنفال، من الآية 60.

[3] الكاندهلوي، حياة الصحابة، جـ4، ص640.

[4] م. ن، جـ4، ص644.

[5] الطبري، تاريخ، جـ3، ص344، 346، 348.

[6] المقري، نفح الطيب، م1، ص274.

الدروع"[1].

لقد صنع هؤلاء الفاتحون ما يثير الإعجاب، الذي يصل أحياناً بآشتور وغيره إلى عدم التصديق بأن آلافاً عدة من المسلمين، يمكن أن يحققوا هذا الانتصار الساحق خلال هذه المدة القصيرة، في تلك البلاد الواسعة، ذات السكان الذين يصل عددهم إلى بضعة ملايين، دونما مساعدة فاعلة من اليهود وغيرهم.

ولقد فصلت في الرد على هذه الكتابات، لأني وجدت من الكتاب العرب من يقول متأثراً بها: "لا شبهة أن لليهود ضلعاً كبيراً في فتح أسبانيا، وإن أهمل ذكرهم مؤرخو العرب والأسبان"[2].

ولا أدري كيف يسمح هذا لنفسه أن يقبل ادعاءات كتاب يهود لم يقدموا عليها دليلاً، ويتحمس لها أكثر من أصحابها، ولا يكتفي بعدم تصديق جمهور المؤرخين المسلمين، بل يتهمهم بالتعمد في إهمال دور اليهود في الفتح!.

حقاً لقد ابتلي التاريخ الإسلامي بكثير من أبناء العرب والمسلمين، الذين كانوا بكتاباتهم معول هدم في أيدي المغرضين، يؤثرون فيهم، ثم يتركونهم يخربون بيوتهم بأيديهم. لقد كتب الكثير عن التاريخ الإسلامي، بأيدي هؤلاء المتأثرين بالشبهات، فخرجت كتاباتهم تقدم تاريخاً مشوهاً منفراً، وكادت أن تغيب الحقيقة الناصعة المشرقة لهذا التاريخ التي يمكن أن تسهم بشكل فاعل في بعث جديد لخير أمة أخرجت للناس.

---

(1) م. ن، م1، ص275.

(2) النصولي، أنيس زكريا، الدولة الأموية في قرطبة، (بغداد، 1926م)، ص10-11.

المبحث الثاني

اليهود والسلطة من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة

(92-399هـ=711-1008م)

بالرغم من قلة الروايات التاريخية التي تتحدث عن علاقة يهود الأندلس بحكامها من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة، إلا أن الإشارات القليلة المتوفرة تدل على أنها كانت علاقة هادئة وحسنة.

والأسباب والإشارات التالية هي التي تقودنا إلى هذا الاستنتاج:-

أولاً: لم يقم اليهود طوال هذه المدة التي تزيد على ثلاثة قرون بأي تمرد على السلطة الحاكمة في الأندلس، كما لم تثبت مشاركتهم في أيٍّ من التمردات العديدة، وحركات الخروج على الحكم التي قام بها غيرهم[1]، بل كانوا يتعاونون في بعض الأحيان مع السلطة ضد الخارجين عليها. إذ يروي العذري أن خروجاً على السلطة قد حدث في إشبيلية سنة (155هـ=772م) في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (138-172هـ=788-796م)، وأن الخارجين زحفوا إلى قصر واليها محمد بن عبد الله، وحاربوه أشد الحرب وتغلبوا على الكثير من دوره، وحاصروه. وعندما جاء جند الأمير فتح اليهود لهم باب قرمونة، وهو أحد أبواب إشبيلية"[2]، "فوضعوا أيديهم في قتل المولدين، ولمّا سمع المحاصرون لمحمد الطبول حلّوا حربهم عن القصر، وخرجوا هاربين من المدينة"[3].

وعندما حدث التمرد الكبير للمولدين في الأندلس، والذي حرض عليه وقاده عمر بن حفصون في أواخر عهد الأمير محمد الأول (238-

---

(1) عن حركات التمرد والخروج. ينظر: ابن حيان، المقتبس، نشر: الأب ملشور م. أنطونيه، ص9ـ147؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص18، 22، 25، 27-28، 31-34.

(2) ترصيع الأخبار، ص101-102.

(3) م. ن، ص102.

273هـ=852-886م)، خضعت الكثير من المناطق والمدن الواقعة جنوبي قرطبة لسيطرة ابن حفصون، وأعطاه الكثير من سكانها ولاءهم[1]، بينما ظلت مدينة أليسانة التي تقطنها أغلبية من اليهود[2]، موالية للسلطة في قرطبة، ومن أجل ذلك تعرضت في سنة (278هـ=891م) لحصار ابن حفصون. يقول ابن حيان: "وتمادى انتفاض عمر بن حفصون في عقب سنة سبع وسبعين ومئتين، وأقام بحصن بلاي مصطفاه يحصنه ويقويه ويحاصر من تلقائه كورة قبرة وحصونها ومدينة أليسانة يهود الذمة، وغيرها من المدن والحصون المجاورة لأحواز قرطبة"[3].

وبالرغم مما يظهره هذين الموقفين لليهود من ولاء للحكومة المركزية في قرطبة، إلا أنني أعتقد أنهما لم يصدرا عنهم بدافع من الوفاء أو الالتزام بالعهود والمواثيق، بل لأن هذين الموقفين وأمثالهما من المواقف التي اتخذها اليهود في ذلك الوقت، تحقق المصلحة لهم، إذ من مصلحتهم أن تكون هناك حكومة قوية توفر لهم الأمن، وتعطيهم حقوقهم كأهل ذمة، وليس من مصلحتهم أن يخضعوا لمجموعة من المشاغبين والعصاة فيعتدوا على أموالهم ويضيعوا حقوقهم.

كما فضّل اليهود أن يتخذوا مواقف تحفظهم، وتحسب لهم في المستقبل، إذ توقعوا أن الهزيمة هي مصير الخارجين على الحكومة المركزية التي تحظى

---

(1) ابن حيان، المقتبس، نشر: الأب ملشور م. أنطونيه، ص50ـ52؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص106ـ119؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص31؛ ابن خلدون، العبر، جـ4، ص134-135؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.108-109.

(2) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571ـ572؛ ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص80؛
H. BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(3) ابن حيان، المقتبس، نشر: ملشور م. أنطونية، ص93.

بدعم غالبية المسلمين، وليس من الحكمة أن يتخذوا موقفاً يربط مصيرهم بالمصير السيئ الذي ينتظر هؤلاء الخارجين.

ولاشك أن يهود أليسانة قد اتعظوا بما فعله ابن حفصون بسكان بيَّانة التي كان يقطنها عدد كبير من اليهود[1]، إذ يقول ابن عذاري أنه في سنة (276هـ=889م): "نقض ابن حفصون، وقصد بيَّانة، فحارب أهلها، ثم أعطاهم العهد، فلما نزلوا إليه غدرهم وقتلهم، وأخذ أموالهم، وسبى ذراريهم"[2].

وفي معرض تفسيره لموقف يهود أليسانة من تمرد ابن حفصون يقول آشتور:"كانت مصالح التجار والصناع تتطلب أن تظل تلك الوحدة الاقتصادية الكبيرة التي كانت قرطبة بؤرتها خالصة من الأذى، ومن هنا يمكننا الاستدلال أن اليهود الذين كان من بينهم العديد من التجار والصناع، لم يكونوا مهتمين بمساندة ابن حفصون"[3].

ثانياً: شهدت الأندلس منذ فتحها وحتى نهاية عصر الخلافة هجرة يهودية واسعة إليها[4]، حتى أن الأحياء اليهودية في بعض مدن الأندلس لم تعد تتسع للمزيد منهم، مما دفعهم إلى اتخاذ أحياء أخرى كما حدث في قرطبة[5]. وقد قدر بعض الباحثين عددهم في الأندلس في عصر الخلافة بأكثر من نصف مليون نسمة[6].

---

(1) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص105، ترجمة رقم: 39.

(2) البيان المغرب، جـ2، ص122.

(3) THE JEWS, VOL.1, P.108.

(4) IBID, VOL.1, P.29-32 ; ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.222.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298; H. BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.665.

(6) ينظر: التل، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1979م)، ص117؛ الكواتي، اليهود في المغرب، ص212.

وقدرهم الباحث اليهودي آشتور بمئات الآلاف[1].

وأعتقد أن هذه الأرقام مبالغ فيها، ولا تدل عليها مساحات أحيائهم التي سبق أن بينا حدودها في معظم مراكز تجمعهم في الأندلس. ولا تتوفر معلومات دقيقة تمكننا من تحديد عددهم، لكننا نستطيع القول أن تواجدهم كان واضحاً وكبيراً. ولولا أن اليهود كانوا راضين عن القدر الذي يعطيه لهم حكام الأندلس من الحقوق، وعما يفرضون عليهم من واجبات لما هجروا بلدانهم التي نشأوا فيها واعتادوا عليها، وتوجهوا للاستقرار في الأندلس.

ثالثاً: عجب الحكم الأول (180-206هـ=796-822م) من تصرف اليهودي الذي أخفى في بيته لمدة سنة الفقيه طالوت، المطلوب للسلطة، بسبب مشاركته في ثورة الربض سنة (202هـ=817م)، وقال للوزير الذي دله وحرضه عليه عندما لجأ إليه طالوت ليشفع له: "يا أبا البسام، رجل من اليهود حفظ فيه علة من العلم والدين، وخاطر معنا بنفسه وماله وأنت غدرته، وقد وثق بك، أردت أن تهلكه هو وأهله، اخرج عني، فو الله لا رأيت لي وجهاً أبداً"[2]، وعفا عن طالوت وعن اليهودي وعقبه من بعده وعزل أبا البسام[3].

إن تقدير الحكم الأول لموقف اليهودي وعفوه عنه بالرغم من إيوائه شخصاً مطلوباً للأمير نفسه دليل على الإنصاف والإحسان الذي تعامل به الحكام في ذلك الوقت مع اليهود. وهو مؤشر أيضاً على ثقة السلطة في ذلك الوقت باليهود، فلو كان لهم ضلع في مؤامرة سابقة ضد الأمراء الأمويين في الأندلس لأساء الحَكَمُ تفسير تصرف اليهودي. كما تشير هذه الحادثة إلى التقدير الذي

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.30.

(2) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، م1، ص243-244؛ ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص15.

(3) ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص70-72 ؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص21-22؛ ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، ص243-244.

كان يلقاه الفقهاء حتى من قبل اليهود، فلو أن الفقهاء كانوا يحرضـون الحكـام على اليهود كما اتهمهم بعض الكتاب[1]، لساءت العلاقة بينهم، ولما لجأ الفقيه ابن طالوت إلى بيت اليهودي، لأنه لن يتوقع أن يجد عنده ملجأ، ولما خاطر اليهودي بنفسه وماله من أجل حفظ حياة فقيه مطلوب للسلطة الحاكمة. ولولا أن يهود ذلك العصر كانوا مسالمين وموالين للسلطة، لكان الفقهاء أول المحرضين عليهم، ولما حصلوا على تقدير مثل هذا اليهودي.

رابعاً: لم يطالب حكام الأندلس طوال هذه المدة اليهود بالالتزام بزي خاص، ولم يفرضوا عليهم قيوداً في مسكنهم أو مركبهم، وذلك لأنهم لم يجدوا منهم ما يحملهم على تطبيق أحكامٍ يُعَدُّ إلزامهم بها في حكم المستحب[2]، ولم يطالب فقهاء ذلك العصر الحكام بإلزام اليهود بتلك الأحكام، إذ كان الوفاق بين المسلمين واليهود حينذاك هو الغالب على العلاقة بينهم، وقد طالب الفقهاء بتطبيق تلك الأحكام في العصور اللاحقة في الأندلس عندما تطاول اليهود على المسلمين، وتآمروا عليهم مع أعدائهم، ونقضوا عهد الذمة.

خامساً: عمل يهودي يدعى منصور مغنياً لدى الحكم الأول، وعندما علم الحكم بوصول زرياب إلى المغرب أرسل إليه منصوراً اليهودي ليدعوه للعمل لديه، وقبل زرياب الدعوة وغادر هو وأفراد أسرته واليهودي المغرب، وتوجهوا إلى

---

[1] ينظر: مؤنس، حسين، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الأموية، (القاهرة، 1959م)، ص454؛ حركات، إبراهيم، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، (الدار البيضاء، منشورات مكتبة الوحدة العربية، د.ت)، ص129؛ حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، جـ1، (الدار البيضاء، دار الإرشاد الحديثة، ط2، د.ت)، ص217؛ بو تشيش، إبراهيم القادري، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، مجلة دراسات أندلسية، (تونس، ع11، 1984م)، ص23.

[2] ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (بغداد، 1409هـ-1989م)، ص229.

الأندلس، وقبل وصولهم علموا بوفاة الحكم، فَهمَّ زرياب بالرجوع[1]، لكن منصوراً "ثناه عن ذلك، ورغبه في قصد القائم مقام الحكم، وهو عبد الرحمن ولده، وكتب إليه بخبر زرياب، فجاءه بكتاب عبد الرحمن يذكر تطلعه إليه والسرور بقدومه، وكتب إلى عماله أن يحسنوا إليه، ويوصلوه إلى قرطبة"[2].

إن سماح الحكم ليهودي بالعمل في قصره مغنياً، وإرساله إلى زرياب رسولاً، يدل على ثقة الحكم بهذا اليهودي، كما أن حرص اليهودي على مجيء زرياب إلى قرطبة للعمل عند عبد الرحمن بن الحكم، بالرغم من علمه بقدرات زرياب في مجال الغناء، وأنه سيكون منافساً قوياً له، وربما يضعف مكانته، دليل على إخلاص ذلك المغني اليهودي لهذين الحاكمين، وحرصه على التقرب منهما، وكسب ودهما.

سادساً: شكا تاجر يهودي من مارده أميرها محمد بن عبد الرحمن إلى القاضي سليمان بن أسود، لأنه أخذ جارية منه دون أن يسدد ثمنها أو يردها إليه فهدد القاضي الأمير بالسفر إلى قرطبة لإبلاغ والده الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ=822-852م) إذا لم يعطِ اليهودي حقه، فاستجاب الأمير ودفع ثمن الجارية[3]. إن عدم تهيب اليهودي من رفع تظلمه إلى القضاء، مع أن خصمه هو الوالي نفسه وابن حاكم الأندلس، دليل على أن اليهود كانوا يعاملون فيها بالعدل، ولا يتوقعون من حكامها وقضاتها إلا الإنصاف.

سابعاً: يتحدث مؤرخ لاتيني عن حملة قام بها المسلمون سنة (247هـ=861م) لفتح مدينة برشلونة، ويذكر أن اليهود ساعدوا المسلمين على دخول المدينة[4].

---

(1) المقري، نفح الطيب، م3، ص124-125.

(2) م. ن، م3، ص125.

(3) ابن سعيد، المغرب، جـ1، ص151، ترجمة رقم: 91؛ النباهي، المرقبة، ص56-57.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.100.
SALO, ASOCIAL AND RELIGIOUS HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.34;
كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص45.

فإذا صحت هذه الرواية فإنها تدل على أن اليهود الذين كانوا يعيـــشون تحت حكم النصارى في الشمال الأسباني، كانوا يفضلون حكم المسلمين علـــى النصارى، ومن المؤكد أن هذا الموقف قد تكوّن لدى يهود برشلونة بناء علـــى معلومات عن العدل والتسامح الذي ينعم به إخوانهم اليهود في الأندلس.

ثامناً: حصل اليهود في الأندلس على الحرية الدينية، ولم يجبروا على الـــدخول في الإسلام، كما تُرِكَ المُنصَّرون من اليهود في عهد الحكم القوطي يعودون إلى دينهم، إذ تذكر النصوص اللاتينية أن حركة تَهَوّد كبيرة قد حدثت بين المنصرين اليهود في بداية الحكم الإسلامي[1].

وقد أقلق ذلك النـــصارى خـــارج الأنـــدلس، فطالـــب هـــدريان الأول (HADRIAN) سنة (169هـــ=785م) من أساقفة الأندلس الحد من نشر النفوذ الديني لليهود على طوائفهم[2].

تاسعاً: روى كل من ابن حيان وابن عذارى أن عبد الرحمن الداخل مر وهو في طريقه إلى المغرب بأفريقية، وكان واليها حينئذ عبد الرحمن بن حبيب الفهري، وكان عنده يهودي قد خدم مسلمة بن عبد الملك، وقد أخبر هذا اليهـــودي عبـــد الرحمن بن حبيب أنه سمع من مسلمة بأن قرشياً من بني أمية سوف يتغلب على الأندلس اسمه عبد الرحمن وله ضفيرتين، فتمنى عبد الرحمن بـــن حبيـــب أن يكون هو ذلك الرجل، "فاتخذ ضفيرتين"[3]، فلما جيئ بعبد الرحمن و نظر إلـــى ضفيرتيه قال لليهودي: "ويحك هذا هو، وأنا قاتله، فقال له اليهـــودي: إنـــك إن

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.34.

نقلاً عن:

A. G VEGA, UNA HEREJIA, JUDAIZANTE DE PRINCIPIOS DEL SIGLO, VIII, EN ESPANA, CIUDAD DE DIOS 153 (1941): 57.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.160.

(3) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، جـــ2، ص61؛ المقري، نفح الطيـــب، م3، ص28-29، (رواية ابن حيان).

قتلته فما هو به، وإن غُلبتَ على تركه إنه هو"[1]، "ثم صار ابن حبيب يقتل الواصلين إليه من بني أمية، ويأخذ أموالهم، فهرب عبد الرحمن من القيروان"[2].

وواضح من خلال هذه الرواية أن اليهودي خذّل عبد الرحمن بن حبيب عن قتل عبد الرحمن الداخل. ويذكر برويد في الموسوعة اليهودية، أن هذا اليهودي قد توجه إلى الأندلس عندما أصبح عبد الرحمن الداخل أميراً لها، فاتخذه عبد الرحمن مستشاراً له[3].

ولم أجد في المصادر الإسلامية ما يشير إلى اتخاذ عبد الرحمن لهذا اليهودي مستشاراً له.

عاشراً: هناك راهب نصراني من أصل ألماني يدعى بودو عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وقد ارتقى في المناصب الكنسية حتى صار كاهناً في بلاط الملك الأسباني لويس التقي، ثم تشكك في عقيدته، والتقى بعدد من التجار اليهود الذين كانوا يترددون على بلاط الملك، واقتنع بدينهم، وعندما قرر اعتناق اليهودية، احتال على الملك، وتوجه إلى الأندلس، وفي احتفال ديني لليهود في سرقسطة سنة (224هـ=838م) أعلن عن اعتناقه اليهودية، وتسمى أليعازر، وتزوج يهودية من سرقسطة. وقد أزعج ذلك الحدث النصارى في الأندلس وغيرها، وزاد من شوكة اليهود عليهم. وخاض بودو صراعاً فكرياً عنيفاً ضد النصارى[4]، وأرسل إلى أمير الأندلس عبد الرحمن الأوسط يطالبه أن يكره النصارى في بلاده على الإسلام أو اليهودية،

---

(1) المقري، نفح الطيب، م3، ص29.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص61.

(3) BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.485.

(4) لمزيد من التفاصيل ينظر:

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.69-80; BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.485;

الموسوعة العبرية، م26، ص383.

وأن يعاقب بـالموت النـصارى الـذين يرفـضون ذلـك[1]. وفـي سنـة (233هـ=847م) أرسل نصارى الأندلس رسالة إلى إمبراطور فرنسا، وإلـى الأساقفة في مملكته يطالبونه، أن يطالب أمير قرطبة بتسليم بودو له[2].

ونرى في توجه بودو إلى الأندلس لإعلان يهوديته، وفي تجرئه علـى مطالبة الأمير عبد الرحمن الأوسط بتهويد النصارى، وفي المناظرات الفكريـة والدينية بينهم وبين اليهود، مؤشراً على علاقة حسنة لليهود بالـسلطة، وعلـى حرية دينية وفكرية منحتها السلطة الإسلامية في العهد الأموي لليهود.

أحد عشر: ظهرت بين نصارى الأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط (206-238 هـ=822-853م) حركة غريبة، حيث قام عدد من الرهبان والنـصارى المتحمسين بشتم الإسلام وسب الرسول -محمد صلى الله عليه وسلم - وذلـك على أبواب المساجد وفي أوقات الصلاة.

وقد تعرض من يفعل ذلك للجلد أو القتل، لكـن ذلـك لـم يـردعهم، واستمروا في ممارساتهم، فأُطلق عليهم "المنتحرون". وكـان معظـم نـصارى الأندلس يرفضون تصرفات هؤلاء المنتحرين ويستنكرونها، وقـام عـدد مـن الأساقفة بدعوةٍ من عبد الرحمن الأوسـط بعقـد مـؤتمر فـي قرطبـة سـنة (238هـ=852م) لمعالجة هذا الموضوع، وقرروا فيه رفض هذه الأعمـال[3].

لكن هذه الأعمال تواصلت في عهد الأمير محمد بـن عبـد الـرحمن (238-273هـ=852-886م) فتعامل مع الذين يمارسونها بحزم، وتمكن من القـبض على قائد الحركة إيلوغيوس (EULOGIUS) وقتله، وقد أضعف ذلك أتباعه،

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.80.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.80.

(3) الحجي، التاريخ الأندلـسي، ص242-243؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.81-90.

إلى أن قضي على حركتهم تماماً[1].

وفي أثناء معالجة النصارى المعتدلين لهذا الموضوع، ولموضوعات عقدية أخرى، عقدوا مؤتمراً آخر في قرطبة تحت قيادة سيرفاندو (SERVANDO)، رئيس طائفة النصارى في قرطبة، و هوستجيسيس (HOSTEGESIS) أسقف مالقه، وذلك سنة(249هـ=863م) وقد حضر هذا المؤتمر عدد من علماء المسلمين واليهود[2].

ولاشك أن مشاركة اليهود في مؤتمر كنسي خاص بالنصارى لمعالجة موضوع يهم السلطة الإسلامية، يدل على ثقة هذه السلطة باليهود، ويؤكد على علاقتها الحسنة بهم.

ويعلق آشتور على هذه المشاركة بقوله: "ودارت الدنيا، ففي المؤتمر نفسه الذي شرع في السابق تشريعات مضطهدة لليهود، يجلس الآن فيه في منتصف القرن التاسع الميلادي يهود، ويتخذون قرارات حول صحة التعاليم النصرانية، وما هو مطلوب لرفاهية الكنيسة"[3].

اثني عشر: كان الحكام الأمويون يختارون يهودياً من كل مدينة يوجد فيها اليهود ويوكلونه بجمع الجزية المفروضة على قومه وتسليمها لهم، إذ يروي ابن حيان أنه في سنة (363هـ=973م) وأثناء حكم الخليفة الحكم الثاني (350-366هـ=961-976م) "سُجّل الحجاج بن متوكل اليهودي على قسامة قومه

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.87-90.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.92.

نقلاً عن: R. AMADOR DE LOS RIOS, HISTORIA SOCIAL POLITICA Y RELIGIOSA DE JUDIOS DE ESPANA Y PORTOGAL (MADRID, 1875-6), VOL.1, P.132;

ينظر: الموسوعة العربية، م26، ص383.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.91-92.

يهود أليسانة"[1]، وذلك لأنهم الأقدر على جمع الجزية من أبناء جلدتهم، ولمعرفتهم بهم، وبواقع حالهم، وبإمكاناتهم المادية.

وتحمل هذه الإشارة أيضاً دلالة على الثقة التي أولاها الأمويون في الأندلس لليهود، فهم ليسوا بحاجة إلى جباة مسلمين، يتولون هذه المهمة بأنفسهم، ولو لاحظ الأمويون تفريطاً من وكلائهم، أو عدم تجاوب من اليهود الذين تجمع منهم الجزية، لما أوكلوا هذه المهمة لواحد من اليهود.

ثلاثة عشر: اعتمد بعض الخلفاء الأمويين في الأندلس على اليهود في تأدية أعمال ومهمات لصالح الدولة، ومن ذلك قيام الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) (300-350هـ=912-961م) بتقريب يهودي اسمه حسداي بن شبروط. وقد بدأ ابن شبروط عمله في بلاط الخليفة طبيباً في حدود سنة (329هـ=940م)، وذلك بعد أن ذاع صيته في قرطبة على إثر اكتشافه طريقة تركيب الدواء الذي صنعه أندروماكوس الكريتي للإمبراطور الروماني نيرون من واحد وستين عنصراً، وصار يستخدم علاجاً في الإمبراطورية الرومانية لأمراض كثيرة، ثم فقدت طريقة تركيبه بمرور الوقت، وأصبح اكتشافها هَمُّ كثير من الأطباء المسلمين وغيرهم، وقد سماه المسلمون "الفاروق"، وكان الرومان يسمونه "الترياق" (THERIACA)، وسماه أطباء اليهود "المخلص"[2].

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، ص149.

[2] صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89؛ ابن جلجل، سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة، المعهد الفرنسي، 1955م)، ص23؛ ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت، مكتبة الحياة، 1965م)، ص494، 498؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص22-23؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1. P.161-162; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.610.

ويبدو أن معرفة ابن شبروط باللغة اللاتينية[1]هي التي مكنته من التوصل إلى طريقة تركيب هذا الدواء.

ثم وضعه الخليفة الناصر على رأس إدارة مالية، وهي في ما يبدو الإدارة التي تعرف الآن بالجمارك[2]، حيث تحدث عن منصبه في إحدى رسائله إلى ملك الخزر كمسؤول عن الدخل الصادر عن التجارة الأجنبية[3]. وكان هذا المنصب مهماً لأن الأموال التي تجبى من السفن القادمة إلى الأندلس والمغادرة منها، كانت تشكل مصدراً رئيساً لخزينة الدولة[4].

وبالرغم من أهمية العمل الذي كان يؤديه ابن شبروط، إلا أن الناصر لم يمنحه لقب وزير أو أي لقب رسمي. والسبب في ذلك حسب تصوري أنَّ الناصر أراد أن يستفيد من مواهب حسداي ولا سميا من كونه ملِمَّاً بلغات أجنبية مختلفة، من دون أن يجعل في حكومته وزيراً يهودياً أو موظفاً رسمياً كبيراً يشوّه سمعتها الحسنة، ويعرّضها لانتقادات جمهور المسلمين وفقهائهم[5].

وعندما حدث التقارب بين القسطنطينية وقرطبة، أرسل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع (334-348هـ=945-959م) إلى الخليفة الناصر رسائل مع هدايا ثمينة، واشتملت الهدايا على نسخة من الكتاب الإغريقي الخاص

---

(1) الكواتي، اليهود في المغرب، ص207؛
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.610.

(2) أبو رميلة، هشام، نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، (1400هـ-1980م)، ص140؛ الموسوعة العبرية، م26، ص383.

(3) ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.222;
د. م. دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1407هـ=1987م)، ص189.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.162.

(5) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص23؛ الموسوعة العبرية، م 26، ص283؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.162.

بدايو سكوريدس (DIOSCORIDED) عن الأعشاب الطبية، وقد أثار الكتاب اهتمام الخليفة وطبيبه حسداي، ولأنه لم يكن في قرطبة عالم ضليع بالإغريقية، طلب الناصر من قسطنطين السابع عالماً يتقن الإغريقية ليقوم بترجمة الكتاب إلى اللغة اللاتينية، ومنها تمت ترجمته إلى العربية بمساهمة حسداي، وكان هذا الكتاب أساساً لتطور العلوم الطبية في الأندلس(1).

وقد ازداد تقدير الخليفة الناصر لدين الله لحسداي، وصار يعتمد عليه في بعض سفاراته إلى الممالك الفرنجية، ويصف ابن حيان إحدى المهمات الدبلوماسية التي كلِّف بها حسداي في سنة (328هـ=939م)، فيقول: "وفيها عقد حسداي بن إسحاق الإسرائيلي الكاتب، السلم مع شنيير بن غيفريد الإفرنجي، صاحب برشلونة وأعمالها، على الشروط التي ارتضاها الناصر لدين الله وحدها، وأشخص حسداي إلى برشلونة لتقريرها مع شنيير، صاحبها، واتفق أن جاء الأسطول المتحرك من مرسى المرية، عقب رجب من هذه السنة مع إبراهيم بن عبد الرحمن الباجي، على مدينة برشلونة، يوم الجمعة، لعشر خلون من شوال، فعرَّفهم حسداي بما عقده من سلم شنيير، صاحبها، واستكفهم عن حربه، فرحل الأسطول عن مرسى برشلونه من يومه. ودعا حسداي عظماء برشلونه إلى طاعة الناصر لدين الله وسلمه، فأجابه جماعة من ملوكهم، منهم أُنْجُة، أحد عظمائهم، ودار قراره... وسلكت قر [ر] كلّة بنت بُرّيل المملّكة على قومها من الإفرنج، سبيل أنجة هذا في سلم الناصر لدين الله فأرسلت إليه برناط الإسرائيلي، ثقتها بغرائب من طرائف بلدها المستحسنة فقبلها الناصر لدين الله منها، وكافأها بأنفس منها وأكرم رسلها، ثم قدم حسداي بن إسحاق الإسرائيلي

---

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص494؛ ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص23؛ DUBNV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.164-168.
ينظر: ابن خلدون العبر، جـ4، ص142.

على الناصر لدين الله من برشلونة في عقب ذي القعدة منها [سنة 328هـ] بعد أن أحكم ذلك كله، ومعه غدمار رسول شنيير، على الشروط التي اشترطها عليه..." [1].

ثم بعثه الناصر في جمادى الآخرة من سنة (328هـ=941م)، إلى جليقية، لعقد صلح مع رذمير الثاني (318-340هـ=930-951م)، وإطلاق سراح محمد بن هاشم التجيبي المأسور هناك منذ سنتين. وقد نجح حسداي في مهمته التي شارك فيها عدد من الأساقفة النصارى، أرسلهم الناصر في ما بعد بناء على طلب التجيبي[2].

وعن معاهدة الصلح هذه يقول ابن حيان: "وتولى إبرام ذلك وإقامة حدوده حسداي ابن إسحاق الإسرائيلي، المقيم بحضرة رذمير، فتمّ على أصلح الوجوه، وارتفعت به الحرب بين أهل الملتين)[3].

وعندما تعرضت مملكة ليون لهجمات المسلمين المتكررة، بعد وفاة ملك ليون راميرو الثاني (RAMIRO) سنة (339هـ=950م)، قام ملكها الجديد أوردونيو الثالث (ORDONIO) بإرسال مبعوثين إلى قرطبة سنة (344هـ=955م)، مقترحاً على الخليفة الهدنة فوافق الناصر على هذا الاقتراح، وأرسل سنة (345هـ=956م) وفداً إلى أوردونيو الثالث برئاسة محمد بن حسين ومشاركة حسداي بن شبروط، للاتفاق على شروط الهدنة. وانتهت المفاوضات بسرعة، وعاد مبعوثا الخليفة برفقة مبعوثين من الملك النصراني

---

[1] ابن حيان، المقتبس، جـ5، اعتنى بنشره ب.شالميتا، بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورنيطي و م.صبح وغيرهما، (مدريد، المعهد الأسباني العربي للثقافة، 1979م)، ص454-455.

[2] كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص157.

[3] المقتبس، جـ5، ص467.

ومعهم مسودة المعاهدة، وكانت الشروط مرضية للخليفة، فتم توقيع المعاهـدة، وعاد مبعوثا أوردونيو الثالث إلى بلدهم[1].

ثم قام أمير قشتالة بعقد هدنة مع الخليفة، وقبل أن ينعم النصارى فـي الممالك النصرانية في شمالي الأندلس بالراحة والهدوء دب الخلاف بيـنهم، إذ مات الملك أوردونيو الثالث في ربيع سنة (346هـ=957م)، وخلفـه أخـوه سانشو الأول (SANCHO) الذي كان ابناً لراميرو الثاني ولكن مـن زوجتـه الثانية، وكانت أمه تيريزا (TERESA) أميرة نافار أخت غارسيا ملك نافار[2]. ورفض الملك الجديد لليون الاعتراف بالمعاهدة المعقودة بين الخليفة وأوردونيو الثالث، ولهذا شن المسلمون حملـة جديـدة علـى مملكـة ليـون فـي سـنة (346هـ=957م)[3]. وظهرت معارضة ضد سانشو بين نبلاء ليون، وادعـى معارضوه بأنه ليس مؤهلاً للحكم بسبب بدانته المفرطة التي أورثتـه الغبـاء، وتآمروا عليه وخلعوه في ربيع سنة (347هـ=958م)[4]. وهـرب الأميـر المخلوع إلى مدينة بنبلونة حيث تعيش جدته الملكة تودا النافارية[5]. وكانت هذه الملكة مشهورة بسبب حربها مع خلافة قرطبة، وقد عزمت على إعادة حفيـدها إلى العرش بمساعدة عدوها السابق الخليفة عبد الرحمن الناصر، وطلبـت مـن قرطبة تقديم المساعدة لسانشو، والدعم العسكري ضد المتآمرين على حفيدها في

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ2، ص221؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.176-177.
ينظر: ابن خلدون، ج4، ص143.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.172.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.611.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.177.
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.611.
ينظر: ابن خلدون، العبر، جـ4، ص143.

(5) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.611.

ليون[1]. وسُرّ الخليفة من هذا الطلب، إذ وجد فيه فرصة لفرض شروطه على تودا، واختار حسداي بن شبروط لنقل شروطه التي يشترطها مقابل تلبية طلباتها، وهي أن تحضر لمقابلة الخليفة، إضافة لاستعدادها للتنازل للمسلمين عن عشرة مدن محصنة على حدود الأندلس. وقد نجح حسداي في مهمته، ووافقت تودا على شروط الخليفة، وجاءت مع حفيدها سانشو إلى قرطبة، وكان معها حاشية كبيرة من النبلاء والكهنة، ووقعت الاتفاقية بين خليفة الأندلس وتودا سنة (347هـ=959م)، وظل سانشو يخضع للعلاج على يد حسداي بن شبروط إلى أن عاد رشيقاً وذكياً مثلما كان قبل مرضه[2].

وفي سنة (348هـ=959م) توجهت قوات عبد الرحمن الناصر إلى ليون، وكان معهم سانشو، وهرب أوردونيو الرابع إلى أشتوريه، وصمدت ليون عاصمة المملكة النصرانية لبعض الوقت، ولكنها سقطت في أيدي المسلمين الذين سلموها إلى سانشو حسب الاتفاق في سنة (349هـ=960م)، وحصل المسلمون على الحصون العشرة[3].

وقد ابتهج يهود قرطبة وعموم الأندلس كثيراً بهذا الحدث، إذ عدوه انتصاراً دبلوماسياً لحسداي[4]، وقد عبر عن مشاعرهم الشاعر اليهودي

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.177.
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.611; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.178;
سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، جـ1، ص70، ينظر: ابن خلدون، العبر، جـ4، ص143.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.178-180.
ينظر: ابن خلدون، العبر، جـ4، ص143.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.612; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.180.
ينظر: ابن خلدون، العبر، جـ4، ص143؛ سالم، قرطبة، حاضرة الخلافة، جـ1، ص70.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.180; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS VOL.2, P.612.

دونـــاش بن لبرط الذي كان يحظى بالرعاية من حسداي، حيث كتـــب قـــصيدة بالعبرية يمجد فيها ما قام به حسداي[1].

لقد اعتمد الخليفة الناصر على حسداي في مفاوضاته مع ملوك النصارى بسبب حنكته التي يعبر عنها ابن حيان بقوله: "فرمى العلج رذمير بحسداي هذا، وهو واحد العصر، الذي لا يعدل به خادم مَلِك، في الأدب وسعة الحيلة، ولطف المدخل وحسن الولوج"[2].

ولكن الصفة الأهم التي تميز بها حسداي، وجعلت الخليفة يعتمد عليـــه، ويكلفه بتلك المهمات الدبلوماسية، هي تمكنه من لغات عدة، إذ كان يجيد العبرية والعربية واللاتينية والأسبانية[3]، إضافة إلى الإغريقية التي تعلمهـــا علـــى يـــد الراهب البيزنطي نيقولا[4]. وتظهر طبيعة المهمات التي أسندها الخليفة لحسداي صحة ذلك، إذ كان يرسله فقط إلى البلدان الأجنبية، وجعله مسؤولاً عن شـــؤون التجار الأجانب، وتلك مهمات يتطلب إتقانها إحاطة بلغات أجنبية عدة.

ولولا هذه القدرة اللغوية، لما كُلِّفَ حسداي بمهمات من السهل أن يجـــد الخليفة بين المسلمين من يقوم بها، فالمسلمون في عهد الناصر لم يكن ينقـــصهم الجرأة والشجاعة والذكاء والحنكة وغيرها من الصفات التي يجب أن يـــــتحلى

---

(1) ينظر:
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.612; ASHTOR; THE JEWS, VOL.1, P.256, 259;
عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص29-30.

(2) المقتبس، جـــ5، ص466.

(3) الكواتي، اليهود في المغـــرب، ص207 ؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.610.

(4) ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبـــاء، ص494؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.168-169.

بها السفراء[1]. وقد كُلفوا أيضاً بسفارات إلى تلك البلدان ونجحوا في أدائها، وقد لاحظنا في سفارة الناصر إلى أوردونيو الثالث، التي شارك فيها حسداي، أنــه جعل فيها محمد بن حسين رئيساً[2]. وقد أظهر يحيى بن الحكم، الملقب بالغزال قدرة فائقة في هذا المجال، وذلك قبل نحو قرن ونصف من عهد الناصر، حيث نجح في عقد هدنة بين الأمويين والفرنجة لمدة ثــلاث ســنوات، وذلــك ســنة (197هــ=812م)، أثناء حكم الأمير الحكم الربضي[3]، كما قام بسفارة إلى ملك الروم "فأعجبه حديثه، وخف على قلبه"[4]، وقد نقل المقري عــن ابــن حيــان طرائف تبين ما تحلى به الغزال من خلق وعفة وسرعة بديهة وذكــاء وحنكــة ومرونة لتحقيق الأهداف التي سافر من أجلها[5].

أربعة عشر: ترك الخليفة عبد الرحمن الناصر حسداي بن شبروط يستفيد مــن كونه موظفاً كبيراً مقرباً من حاكم أعظم دولة في ذلك العصر، وذلك في خدمة اليهود خارج الأندلس، إذ كان على اتصال دائم باليهود في عدد من الأقطــار، يراسلهم، ويتساءل عن أخبارهم، ويتلقى منهم الرسائل، ويحاول أن يتدخل عنــد رؤساء وملوك بلدانهم ليحل مشكلاتهم. فقد وصلته رسالة مــن يهــود جنــوب إيطاليا، يشرحون له فيها سوء أوضاعهم تحت الحكم البيزنطي[6]. وبالرغم من أن كاتبي الرسالة لم يطلبوا من حسداي أن يفعل لهم شيءاً، إلا أنه انتهز فرصة البعثة التي عزم الخليفة الناصر على إرســالها إلــى الإمبراطــور البيزنطــي

---

[1] ينظر: المقري، نفح الطيب، م2، ص258؛ الكواتي، اليهود في المغرب ص207.

[2] ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، جــ2، ص221.

[3] ينظر: الكواتي، اليهود في المغرب، ص207 ؛ رينو، الفتوحات الإسلامية، ص128-129.

[4] المقري، نفح الطيب، م2، ص258.

[5] م. ن، م2، ص258-259

[6] J. MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY, VOL.1, P.23-24;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.183-184.

قسطنطين السابع(347هـ=948م)، وقام بتحميل مبعوثي الخليفة رسالتين، وهما منشورتان بالعبرية، وهي اللغة التي يُعتقد أن ابن شبروط قد كتبهما بها[1].

ويبدو أنه استأذن الخليفة قبل أن يكتبهما، فأذن له على أن يكتب بالعبرية، وباسمه شخصياً حتى لا يفهم الإمبراطور أن الرسائل موجهة إليه باسم الدولة الإسلامية. وكانت واحدة من الرسالتين موجهة إلى إحدى النبيلات[2]، ويطلب فيها حسداي أن تتصرف بالنيابة عن اليهود، ولصالحهم، ويناشدها بعدم إجبارهم على فعل شيء ضد رغبتهم، واقترح أن تقوم متلقية الرسالة بوضع اليهود تحت حمايتها، وأن تعين أحد موظفيها للتعامل معهم، وذكر أنه يستطيع أن يفعل الخير للنصارى الساكنين في الأندلس، وأنه في الواقع يفعل ذلك سلفاً[3].

أما الرسالة الأخرى فهي موجهة إلى الإمبراطور قسطنطين السابع، وهي للأسف مشوهة وغير واضحة، ولم يسلم منها إلا عبارات التبجيل مثل" الملك العظيم الممجد في علاه"، إضافة إلى جملة يبين فيها للإمبراطور أن

---

(1) J. MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE. VOL.1, P.12-13;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.188.

(2) يعتقد عدد من المؤرخين أن هذه المرأة هي هيلينا (HELENA) بنت رومانس الإمبراطور البيزنطي السابق، وزوجة الإمبراطور قسطنطين السابع، وكانت مهتمة بالشؤون الإدارية للإمبراطورية.

ينظر:مقالة " أسبانيا " الموسوعة العبرية ,م26 ,ص383 ؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.190;
RAMOND P.SCHEINDLIN, THE JEWS OF MOSLIM SPAIN, P.189.

(3) J. MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE, VOL.1P.12-13;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.188-189;
ينظر: الموسوعة العبرية، م 26 ,ص383؛
RAMOND P.SCHEINDLIN, THE JEWS IN MOSLIM SPAIN, P.189.

الرسالة التي أرسلها للخليفة قد أسعدته كثيراً[1].

وخلال عهد قسطنطين السابع تم تخفيف الضغط على اليهود، بحيث كان بوسعهم ممارسة طقوس دينهم سراً، وهذا يعني أن رسائل حسداي قـد حققـت بعض أهدافها[2].

وعندما انهارت مدرستي سورا[*] وبومبيديتا[**] اليهوديتين في العراق، وانتقل المركز الثقافي والديني لليهود إلى الأندلس، توالت الرسائل من رؤسـاء وأحبار يهود العراق إلى حسداي بن شبروط، يستغيثون به، ويتوسـلون إليـه بطريقة مهينة، لكي يرسل إليهم دعماً مادياً يسد حاجة المعلمـين فـي هـاتين المدرستين، إذ أصابهم الفقر والجوع بعد انقطاع المعونات التي ترسل إليهم من

---

(1) J. MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE, VOL.1, P.12-13;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.190.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.190.

(*) مدرسة سورا: تأسست هذه المدرسة (سنة 219) ق.م في مدينة سورا، التي تقع فـي بابـل، بالقرب من نهر الفرات، وكان أشهر أساتذتها في العصر الإسلامي هـو الجـاؤون سـعديا (ت:331هـ=942م)، وقد ضعفت هذه المدرسة ثم أغلقت في القرن السابع الهجري/الثالـث عشر الميلادي.

ينظـر: ISAAC LANDMAN, SURA, THE UNIVERSAL JEWISH ENCYCOLPEDIA, (KTAV PUPLISHING HOUSE, INC, NEW YORK, 1969), VOL.10, P.104-105.

(**) مدرسة بومبيديتا: تأسست نحو عام (260 ق.م) في مدينة بومبيديتا الواقعة في بابل، بالقرب من نهر الفرات، وهي متخصصة في الدراسات اليهودية الدينية، واسـتمرت إلـى العـصر الإسلامي، وكان آخر رؤساء هذه المدرسة هما الجاؤون شعريرا، ومن بعده ابنه حي، وقـد أغلقت المدرسة بوفاة حي (سنة 340هـ=1038م).

ينظر:

ISAAC LANDMAN, PUMBEDITHA, THE UNIVERSAL JEWISH ENCYCOLPEDIA, VOL.9, P.35.

يهود الأندلس والعالم[1].

ولم يقصِّر حسداي في إرسال الأموال إلى أحبار العراق، فجازاه أحبار مدرسة بومبيديتا بمنحه لقب ريش كالا (RESH KALLA) أي رأس العرش، وهو لقب عظيم عندهم لا يمنحونه إلا لصاحب فضل كبير وعلم غزير[2].

وأرى في سماح الناصر لحسداي بالاستفادة من منصبه في حدمة اليهود خارج الأندلس دليلاً واضحاً على التسامح الذي لقيه يهود الأندلس من السلطة الإسلامية في العهد الأموي.

كما أفاد حسداي بن شبروط من موقعه كمسؤول عن التجارة الأجنبية، ومن مكانته في بلاط الخليفة، في جمع معلومات عن اليهود في البلدان الأخرى، وفي التواصل معهم. ومثال ذلك يهود الخزر الذين علم حسداي من خلال التجار عن وجود مملكة لهم[3]، فأخذ يبحث ويتقصى عن أخبار هذه المملكة، ويسأل مبعوثي الملوك إلى قرطبة، حتى تمكن من جمع معلومات مهمة عنها[4]، وقام بمراسلة ملكها[5]، وتلقى منه رسالةً تعرِّف بمملكة الخزر، وكيف تهود كثير من

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.237-239.

(2) IBID, VOL.1, P.240.

(3) د. م. دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ص189؛ ينظر: الإصطخري، المسالك والممالك، ص129–130.

(4) دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ص189؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.198-199. DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.613-614;

(5) دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ص189؛
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.614; ASHTOR, THE JEWS VOL.1, P.199.
نشر J.MANN النص الكامل لرسالة حسداي إلى ملك الخزر.
ينظر: J. MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE, VOL.1, P.22.

سكانها[1].

خمسة عشر: أتاحت السلطة الإسلامية في الأندلس لليهود وخصوصاً في عهد عبد الرحمن الناصر وخلفائه، أن يشاركوا في النهضة العلمية والفكرية التي شهدتها الأندلس، فبعد أن كان اهتمامهم مقتصراً على الجوانب الثقافية والدينية فقط، صارت لهم اهتمامات لغوية وأدبية وفكرية[2].

وقد أسهم حسداي بن شبروط بدور كبير في تشجيع اليهود وجذبهم إلى سفينة الفكر والأدب التي يقودها المسلمون، معتمداً في ذلك على علاقته الحسنة بالسلطة في عهدي الناصر والحكم الثاني (المستنصر بالله)، فقد جعله الناصر رئيساً لكل يهود الأندلس، وظل كذلك إلى عهد الخليفة المستنصر بالله، ومكنته الدولة من جمع ثروة كبيرة من خلال وظيفته ومهماته الدبلوماسية، فاستطاع أن يوظف ما أعطي له من جاه ومال في دعم الثقافة اليهودية، حيث أخذ يقلد الأمراء المسلمين الذين دعوا العلماء والأدباء إلى مجالسهم، وجعلوها منتديات للعلم والفكر والأدب[3].

لقد تدفق المبرزون من المثقفين اليهود إلى مجلس حسداي، فوجدوا لديه التشجيع المادي والمعنوي، وقد أثر ذلك بمرور الوقت على الثقافة اليهودية، التي نمت وتطورت، ومهدت لظهور العصر الذي سماه اليهود العصر الذهبي للثقافة

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.210, 217.
عن يهود الخزر. ينظر: الإصطخري، المسالك والممالك، ص128-132؛ دنلوب، تاريخ يهود الخزر.

(2) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.613;ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.243;
ينظر: صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89؛ ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، ص498.

(3) الموسوعة العبرية، م26، ص380-382، 398؛
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.613;
H. BEINART, GORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA VOL.5, P.963.

اليهودية[1].

ستة عشر: استمرت العلاقة الحسنة بين اليهود والسلطة بعد وفاة عبد الـــرحمن الناصر، وظلت كذلك حتى انقضاء عصر الخلافة الأموية في الأندلس، فقد ظل حسداي يشغل في عهد المستنصر (350-360هـ=961-976م) المنصب الذي شغله في عهد الناصر، وظل يقوم بالمهمات الدبلوماسية نفسها، إلى أن توفي في نهاية عهد المستنصر[2].

وقام المستنصر باستخدام يهودي آخر، هو إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي، وقد كلفه بسفارات عدة، أهمها تلك التي اتجه فيها نحو روما ســنة (350هـ=961م) لمقابلة البابا يوحنا الثاني عشر. وأرسله في ســفارتين إلــى الإمبراطور الألماني أوتو الأول. الأولى سنة (351هـ=965م)، والثانية ســنة (362هـ=972م)[3]. كما كلفه المستنصر برحلة جغرافية إلى أوربا الوســطى والشرقية، لجمع معلومات عن تلك البلاد وسكانها[4]، وقــد أدى هــذه المهمــة

---

(1) H. BEINART, GRNADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.963; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.243؛ الموسوعة اليهودية، ص286.

(2) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص498؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.613.

(3) الكواتي، اليهود في المغرب، ص208.

(4) ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268.

تعددت الآراء حول شخصية إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي. فقال حسين مؤنس: "هــو تــاجر ممن كانوا يعملون في جلب الرقيق الأوروبي إلى الأنــدلس". مــؤنس، تــاريخ الجغرافيــة والجغرافيين في الأندلس، ص76. وقال الحجي: "لكن الذي يظهر أن الطرطوشي لــم يكــن تاجرًا بل كان رحالة، وأنّ مقابلته لأوتو الأول أو لغيره لم تكن تحمل أي طبيعة رســمية أو شبه رسمية، بل كانت مقابلات شخصية بدافع من اهتمامه الــذاتي لمثــل هــذه المقــابلات"، البكري، المسالك والممالك" الجزء الخاص بالأندلس"، ص172(هامش المحقق).

وقال بعض المستشرقين: "إن الطرطوشي كان قد عين رسمياً سفيراً للخليفة القرطبــي عبــد الرحمن الناصر، أو لابنه الحكم المستنصر لدى الامبرطور الألمــاني أوتــو الأول بــصحبة

بنجاح، وعاد بمعلومات قيمة، اعتمد عليها البكري وغيره عندما كتبوا عن تلك البلاد[1].

وفي أواخر عصر الخلافة، قام المنصور بن أبي عامر بتعيين صانع الحرير اليهودي يعقوب بن جاو رئيساً للطوائف اليهودية في الأندلس، ومنحه السلطات نفسها التي منحت لحسداي بن شبروط في عهد الناصر[2]. وهناك إشارة إلى قيام يهودي بتأليف كتاب في تربيب العسل، وإهدائه للمنصور بن أبي عامر[3]، وهي تدل على أن مثقفي اليهود في ذلك الوقت كانوا يحرصون على التقرب من السلطة.

رئيس الوفد ربيع بن زيد الأسقف القرطبي(ريثموندو، RECEMUNDO). البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص172(هامش المحقق).

وسواء كان الطرطوشي تاجراً أو رحالةً أو الاثنين معاً فالذي يهمنا هو هل كان اتصاله بالإمبرطور أوتو وكتابته التقارير عن رحلاته مبادرة ذاتية منه أو بتكليف من المستنصر. والذي أراه أن ذلك قد تم بتكليف من المستنصر، وقد استنتجت ذلك من خلال المعلومات التي نقلها الطرطوشي عن أوتو، والتي تدل على مجالسة الطرطوشي لهذا الإمبرطور. إضافة إلى قول الإمبرطور له ذات مرة: "إني أريد أن أرسل إلى أمير المؤمنين بالأندلس قومساً حاذقاً بهدية، وإن من أعظم حوائجي عنده وأجل مطالبي قبله" جثمان أحد شهداء النصارى في لورقة. العذري، ترصيع الأخبار، ص7؛ قارن: الحميري، الروض، "صفة جزيرة الأندلس"، ص171. فلا يمكن لامبراطور مثل أوتو أن ينبسط لتاجر أو رحالة، فيجالسه أو يحدثه عما يجول في خاطره ويزوده بمعلومات مهمة، ويذكر أمامه المستنصر بلقب أمير المؤمنين، مع أن الطرطوشي يهودياً وليس مسلماً دون أن يكون سفيراً من المستنصر إليه ومكلفاً أيضاً بجمع معلومات عن تلك البلاد.

(1) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص178-179؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص7-8؛ ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268.

(2) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.621; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.377.

(3) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص551-552.

المبحث الثالث

اليهود والسلطة في عصر الطوائف

شهدت الأندلس بعد سنة (399هـ=1008م) صراعاً عنيفاً على السلطة، أدى إلى انحلال الخلافة، ونشوء دويلات متنافسة يحكمها ملوك ينتمون إلى أصول عربية أو بربرية أو صقلبية، وقد أطلق عليهم ملوك الطوائف[1]. وتضرر من هذا الصراع ولاسيما في بداياته الأولى جميع سكان الأندلس بمن فيهم اليهود، وكان سكان قرطبة هم الأكثر تضرراً، إذ صارت مدينتهم ساحة حرب لأولئك المتنافسين على الحكم، وتعرضت مرات عدة لسيطرة البربر، ولسيطرة النصارى الأسبان الذين استعان بهم أهل قرطبة لقتال البربر، فدخلت جيوش الأسبان قرطبة وعاثت فيها فساداً، وكذلك فعل البربر عندما سيطروا عليها[2].

وفي رسالة بعث بها أحد يهود قرطبة إلى تاجر يهودي يدعى أبو الفرج جوزيف بن يعقوب بن عوقل، ووجدت في جنيزة القاهرة، يتحدث ذلك اليهودي عن الدمار والجوع الذي حل بجميع سكان قرطبة، أثناء الحصار الذي فرضه عليهم منافسون على الحكم من شمال أفريقيا سنة (401هـ=1010م)، واستمر نحو ثلاث سنوات[3]، ومن الطريف أن نذكر "أن أحد وزراء المنصور كان يرى في منامه يهودياً يمشي في أزقة الزاهرة بخرجه على عنقه وهو ينادي خرّوبش خرّوبش، فسأل المعبر عن ذلك، فأخبره باقتراب خرابها"[4].

---

[1] ينظر تفاصيل ذلك عند: ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص1-314؛ ابن خلدون، العبر، جـ4، ص149-155.

[2] ينظر: ابن خلدون، العبر، جـ4، ص151؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.20

[3] ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.20.

[4] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص65.

لقد أدت هذه الحروب إلى هجرة كثير من يهود قرطبة وغيرهـــا مـــن مناطق الأندلس التي امتد إليها الصراع[1]. ويذكر كاتب يهودي عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أن العديد من اليهود القرطبيين هـــاجروا إلى طليطلة وإلى سرقسطة، وأنه حتى في عصره كان نسل أولئك المهـــاجرين يشكلون في المدن التي هاجروا إليها طوائف منفصلة خاصة بهم[2].

وعرف من مهاجري قرطبة عدد من المثقفين اليهود، منهم الـــشاعران إسحاق بن خلفون، وأبو زكريا حنيجة، اللذان هاجرا إلى طليطلة[3].

وقد أصاب التشتت كثيراً من المهـــاجرين، بابتعـــادهم عـــن أســـرهم وعائلاتهم، وقد عبر أحد الشعراء المهاجرين عما حل به بعد هجرته بقوله: إن الزمن قد جعله وحـــيداً. كما عبر عن معاناته في رحلته الطويلة وهو يبحث عن مكان آمن، بقوله:

لقد قست وجه الأرض بقدمي كما لو أنهما مسطرتي قياس[4].

وتكشف قوائم الجنيزة الخاصة بتوزيع الصدقات من قبل يهود مصر عن وصول عدد من يهود الأندلس إليها خلال تلك الفتنة التي أعقبت سقوط الخلافة في الأندلس، إذ تحتوي هذه القوائم على إشارات مثل "الـــشاب الأندلـــسي"، أو "اليتيم الأندلسي"، أو "الرجل القادم من الأندلس"[5].

وكان للإمارات والممالك الأسبانية نصيب وافر من المهاجرين اليهـــود، الذين وجدوا فيها فرصاً كثيرة للكسب، حيث كانت تفتقر إلى الحرفيين الماهرين، والتجار القادرين على استيراد المنتجات المصنعة من الأندلس وغيرها من الدول

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P, 622-623 ; ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.28-29.

(2) نقلاً عن:. ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.29.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.29.

(4) IBID, VOL.2, P.30.

(5) IBID, VOL.2, P.30.

الإسلامية[1].

ويشير العديد من الوثائق الأسبانية التي تعود إلى أواخر القرن الخامس الهجري/أوائل القرن الثاني عشر الميلادي إلى يهود أندلسيين استقروا في تلك الإمارات، وملكوا المزارع والعقارات، وإلى أن عدداً منهم قد عمل في بلاط ملك نافار سانشو المايور SANCHO AL MAYOR (395-427هـ=1004-1035م)[2]. وذكرت بعض عقود البيع المحررة في مملكة ليون في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أسماء عربية ليهود تدل على أنهم مهاجرون جدد، أو أبناء مهاجرين من الأندلس[3].

لقد دفع تيار الهجرة اليهودية الذي خرج من قرطبة، بشاب يهودي يدعى صاموئيل بن جوزيف هاليفي (إسماعيل بن يوسف بن نغدله) إلى مالقه، فوصلها سنة (404هـ=1013م)[4]، وكان لهذا الشاب أثر كبير في حياة يهود الأندلس في عصر الطوائف، وكذلك على الصراع بين دول الطوائف في عصره.

وقد ولد إسماعيل بن نغدله في قرطبة في ربيع سنة (383هـ=993م)، وكان أبوه قد هاجر إليها من ماردة. وتلقى ابن نغدله تعليمه التلمودي في قرطبة بمدرسة الحبر حنوخ بن موسى، ودرس النحو العبري على يد كبير النحويين

---

(1) ينظر: علي أحمد، "اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى"، مقالة في مجلة: آفاق الثقافة والتراث، (دولة الإمارات، السنة الخامسة، ع17، محرم-1418هـ-مايو1997م)، ص72؛

IBID, VOL.2, P.31.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.30-31.

(3) IBID, VOL.2, P.33.

(4) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص39؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.623, 625;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.97-98.

اليهود في عصره يهودا حيوج[1]، وتمكن من الأدب العبري والعربي، وأصبح قادراً على نظم الشعر بالعبرية والعربية، كما تضلع من علم الفلك والهندسة والمنطق، وقرأ القرآن الكريم وعدداً من كتب الفقهاء المسلمين، وَأَلَمَّ ببعض دراسات النصارى عن الإنجيل[2].

استقر إسماعيل في مالقه، واكتسب رزقه من محلٍّ صغير كان يبيع فيه التوابل، وقد طلبت منه جارية أن يكتب لها خطاباً ترفعه إلى أمير غرناطة حبوس بن ماكسن، فكتبه لها وعندما وصل الخطاب إلى وزير حبوس أبي العباس بن العريف، أعجب بالخط والأسلوب الذي كتب به، وسأل عن كاتبه، وعرف أنه إسماعيل، وأن دكانه يقع بالقرب من البيت الذي كانت عائلة الوزير تسكن فيه. قابل الوزير أبو العباس إسماعيل، فازداد به إعجاباً، وعرض عليه أن يعمل مساعداً له في خدمة أمير غرناطة حبوس، فوافق إسماعيل ورحل معه إلى غرناطة، حيث عينه الوزير جابياً لأموال الدولة.

وقد حقق إسماعيل نجاحاً في جباية الأموال، وكسب ثقة الوزير، وصار بإمكانه تعيين موظفين يساعدونه في مهمته[3]. وعندما علم باتهام يهود مالقه لقاضيهم الحبر يهودا، ونشوب شجارات بينهم نتيجة لذلك، قام بدعوته للعمل معه في جباية الأموال لدولة غرناطة، فجاء يهودا وأولاده وعملوا مع إسماعيل في هذه المهنة[4].

---

(1) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص39؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.391; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.623.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص264-265؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ص438-439؛
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.623.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.52, 56-57;
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.622-623;
قارن: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص39-40.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.58.

جنى ابن نغدله أموالاً كثيرة من هذه الوظيفة، لكنه كسب معها كره كثير من يهود غرناطة، الذين وجدوه متسلطاً، يأخذ منهم فوق ما يطيقون في سبيل أن يظهر قدراته للمسؤولين، ولكي يبقي لنفسه جزءاً من هذه الأموال. كما كرهوه أيضاً لأنهم رأوا أن يهودياً من أهل غرناطة أولى من شخص غريب عنهم بهذه الوظيفة، ولأنه عين معه لجباية الأموال يهوداً غرباء عن غرناطة.

وقرر يهود غرناطة أن يضعوا حداً لوجود إسماعيل في مهنته المرهقة والمهينة لهم، فكتبوا فيه تقارير عدة، كشفوا فيها كثيراً من تجاوزاته وطرقه غير المشروعة لتحقيق الغنى الفاحش الذي وصل إليه، ورفعوا هذه التقارير إلى شخصيات متنفذة في حكومة غرناطة. وقد أثبت التحقيق مع إسماعيل صحة ما جاء في التقارير، فتم اعتقاله وأدخل السجن، سنة (411هـ=1020م). وفي الوقت نفسه قام يهود غرناطة باستئجار أشخاص قتلوا الحبر يهودا وابن أخيه، ثم أطلق سراح إسماعيل بعد مدة قصيرة، ولكن فرضت عليه غرامة كبيرة، وجرد من منصبه. وقد تلقى على إثر ذلك رسالة شعرية ونثرية من صديقه إسحاق بن حلفون، يواسيه فيها[1].

ظل إسماعيل في غرناطة بعد خروجه من السجن يعيش على المال الكثير الذي تبقى معه بعد دفع الغرامة، ويأمل ويحاول أن يعيده الوزير إلى وظيفته، وقد تحقق أمله، إذ أعاده الوزير إلى وظيفته، وظل يرفعه إلى أن جعله في سنة (418هـ=1027م) مسؤولاً عن جمع الجزية من كل اليهود في إمارة غرناطة[2].

توفي الوزير أبو العباس فعين حبوس ولده الأكبر مكانه، ولم يكن الولد مهتماً بوظيفته كأبيه. واستغل إسماعيل ذلك وصار يقابل حبوس نيابة عنه، ويُظهر بدهاء خبرته وقدراته، إلى أن أصدر حبوس أمراً بتعيين إسماعيل وزيراً

---

(1) IBID, VOL.2, P.59.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.61.

للمالية. فشغل هذا المنصب في أوائل العقد الثالث من القـرن الحـادي عـشر الميلادي، وبذلك أصبح إسماعيل بن نغدله أول يهودي في الأندلس يتقلد منصب الوزارة[1].

وقد تحدثت المصادر الإسلامية عن إسماعيل بعد أن أصـبح وزيـراً، وذكرته باسمه العربي الذي عرف به بين المسلمين، وكان مـن عـادة اليهـود والنصارى في الأندلس أن يحملوا اسماً عربياً إضافة إلى اسمهم الذي يعرفـون به بين قومهم[2].

وقد اختلفت هذه المصادر في ضبط اسـمه فالـشنتريني يقـول عنـه: "إسماعيل بن النغريلي"[3]، وصاعد الأندلسي يقول: "إسماعيل بـن الغـزال"[4]. وابن سعيد الأندلسي يقول:"إسماعيل بن نغرلـة "[5]، وابـن عـذارى يقـول: "إسماعيل بن نغزالة"[6]، وابن الخطيب يقول: "إسماعيل بن نغرالـة"[7] و ابـن خلدون يقول:"إسماعيل بن نغزلة"[8]، والمقري يقول: "إسماعيل بن نغدلة"[9].

والظاهر أن عدم إحاطة معظم المؤرخين المـسلمين بأصـل ومعنـى التسمية في اللغة العبرية قد أسهم في وقوعهم في هذا الخطأ. وأصل التسمية في

---

(1) الأمير عبد الله، التبيان، ص30-31؛

IBID, VOL.2, P.64-65; H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA, JUDAICA VOL.7, P.852.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.145.

(3) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص761-764.

(4) طبقات الأمم، ص90.

(5) المغرب في حلى المغرب، ص132-133.

(6) البيان المغرب، جـ3، ص261-264.

(7) أعمال الأعلام، ق2، ص230.

(8) العبر، جـ4، ص160-161.

(9) نفح الطيب، م4، ص422.

رأيي يعود إلى اللقب الذي أطلقه إسماعيل على نفسه، وهو ناغيد (נגיד) والكلمة عبرية تعني حاكم، أو آمر، أو قائد، أو أمير[1].

وهذا يعني أن المقري كان الأقرب إلى التسمية الصحيحة عندما نسب إسماعيل إلى لقب "ناغيد"، فقال: "ابن نغدله"[2]. وقد أشار الشنتريني إلى هذا اللقب بالرغم من عدم توفقه في ضبط الاسم عندما سماه ابن النغريلي، حيث يقول عنه: "وتسمى من خططهم الشرعية بالناغيد" معناه المدبر بالعربية، خطة تحاماها قدماؤهم، وتطأطأ عنها قديماً زعماؤهم، اجترأ هو عليها"[3]. وفي ذلك يقول إحسان عباس: "فإذا كان من صلة بين الاسم وبين اللقب فالأقرب أن الاسم هو "الناغيدلي" أو الناغيدله".

وأرى أن إسماعيل كان يُعرف بإسماعيل الناغيد، أي إسماعيل الحاكم أو الأمير، وأن ابنه يوسف الذي خلفه بعد موته، وصار وزيراً مثله، هو الذي سُمِّي ابن الناغيد، ولكن القرابة بينهما، والمنصب نفسه الذي شغلاه لباديس، أديا إلى هذا الخلط، فعرف الاثنان باسم ابن الناغيد.

وعند التأمل في كتابة المؤرخين المسلمين للقلب هذين اليهوديين نجد أنهم يختلفون في رسم المقطع الأول منه. ويبدو لي أن التصحيف الناتج عن التقارب بين كتابة حرفي الدال والراء، والسكون والنقطة، قد تسبب أيضاً في وقوع بعض المؤرخين في الخطأ وهم ينقلون عن كتب غيرهم، فقالوا إنه ابن نغزاله أو نغراله أو نغرِلّه أو نغزله أو الغزال أو النغريلي، وجعلهم يبتعدون قليلاً عن اللقب الصحيح الذي نرجح أنه ابن نغدله أو ابن نغدال، وذلك لقرب هاتين التسميتين من الأصل العبري للكلمة، كما أشرنا سابقاً، ولأن إضافة اللام

---

(1) الكلية العسكرية، قاموس التحرير العبري العربي (بغداد، ط1، 1973م)، ص529.

(2) نفح الطيب، م4، ص322.

(3) الذخيرة، ق1، م2، ص767.

والهاء أو الألف واللام إلى الاسم صيغتان تستخدمان في اللغة العبرية للتـدليل والتصغير، فهم يقولون لمن اسمه "موشي" "موشله"، وهكذا. وذلك كقولنـا فـي العربية "عُمير" تصغيراً وتدليلاً لمن اسمه "عمر"[1]. وقد مرت بنا رواية الضبي التي يتحدث فيها عن اليهودي وزير صاحب المرية، الذي سمعه أحـد الفقهـاء وهو يقول لصبي مسلم اسمه محمد، وكان يخدم اليهـودي فـي حمـام عـام للمسلمين: يا محمدال، فغضب الفقيه، وقتل اليهودي، لاعتقاده أن اليهودي يتعمد تصغير اسم الصبي محمد إهانةً للرسول صلى الله عليه وسلم[2].

وتجمع المصادر الإسلامية على المكانة الرفيعة التي بلغها إسماعيل في عهد حبوس، وعلى أنه كان وزيراً مفوضاً متصرفاً في شؤون الدولـة، ولـيس مجرد وزير تنفيذي، أو كاتب يحمل لقب وزير فقط، إذ يقول ابن عذاري: "وقد أصبح هذا اليهودي لحبوس على وزرائه، وكتابته، وسائر أعماله، ورفعه فـوق كل منزلة"[3]. ويقول ابن خلدون: "واستولى على سلطانه كاتبـه وكاتـب أبيـه إسماعيل بن نغزلة[4]، ويتحدث الشنتريني عن سلطته في عهد حبوس فيقول:"قد نصبه مكانه من السلطان غيظاً للأحرار"[5]. ويقول في موضع آخر: "وأما مـا

---

(1) قدم لي هذه المعلومة اللغوية مختصّ باللغة العبرية، رجعت إليه وأنا أحقق في هذه المـسألة، وقد ذكر إحسان عباس أن "له" أو "لي" الموجودة في الاسم صيغة تصغير لاتينية. ينظر: ابن حزم، الرد على ابن النغريله، ص9 (هامش المحقق).

(2) الضبي، بغية الملتمس، ص345ـ346.

سوف أطلق في هذه الرسالة على هذا الوزير اليهودي اسم إسماعيل بن نغدله، وعلى ابنه اسم يوسف بن إسماعيل، وفي حالة نقل النصوص عن المصادر الإسلامية فسوف ألتزم بالاسـم مثلما ورد في النص.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص264.

(4) العبر، جـ4، ص160-161.

(5) الذخيرة، ق1، م2، ص766.

بلغ من المنزلة عند صاحبه وغلبته عليه فما لا شئ فوقه"[1].

ولم يُقَدّر إسماعيل مشاعر المسلمين الذين رفعوه إلـى هـذا المنـصب الكبير، بل تكبر عليهم وتطاول على دينهم ومقدساتهم، إذ يروي الشنتريني شيئاً من تجاوزاته فيقول: "ألف كتاباً في الرد على الفقيه أبي محمد بن حزم، المتقدم الذكر، وجاهر بالكلام، في الطعن على ملة الإسلام، فما دفع عن ذلك بتأنيـب، ولا استطيع تغييره عليه إلا بالقلوب"[2]. ويروي ابن سعيد أنَّ إسماعيل بن نغدله استهزأ بالمسلمين، "وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغنى بها. ومن شعره الذي نظم فيه القرآن قوله:

نقـشت فـي الخـد سـطراً مـن كتـاب الله مـوزون
لـن تنـالوا البـر حتـى تنفقـوا ممـا تحبـون"[3]

كما لاحق الفقهاء واضطهدهم، فاضطروا للهرب من غرناطة[4]. ومـن هؤلاء الفقهاء محمد بن سعيد بن عمر ذي النون الثعلبي الإلبيري الذي رحل إلى طليطلة فراراً بنفسه ودينه[5].

وبسبب سلطته، وسطوته، وإغراءاته، صار بعـض ضـعفاء وجبنـاء المسلمين الذين لا يخلو منهم زمان ينافقونه "حتى كان يغسل يـده مـن القبـل، ويَتَمَدَّحُ بالطعنِ على المِلل"[6].

---

(1) م. ن، ق1، م2، ص767.

(2) م. ن، ق1، م2، ص766.

(3) المغرب في حلى المغرب، جـ2، ص114، ترجمة رقم: 426.

(4) م. ن، جـ2، ص132–133، ترجمة رقم: 444؛ خلاف، تـاريخ القـضاء فـي الأنـدلس، ص132.

(5) خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس، ص132.

(6) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص766.

ومن أولئك المنافقين لإسماعيل بن نغدله، ابن خيرة القرطبي المشهور بالمنفتل الذي مدحه في قصائد عدة منها قوله:

قرن الفضائل والفواضل فشأى الأواخر والأوائل[1]

وقوله في قصيدة أخرى يمدح فيها إسماعيل وذوي المناصب من يهود غرناطة:

بدور ولكنا أَمِنّا سرارها بحور ولكن لا نرى لها براً[2]

ويعقب الشنتريني على هذه الأبيات، بعد أن يوردها بقوله، "وأبعد الله المنفتل في ما نظم فيه وفصل، وقبحه وقبح ما أمَّل"[3].

ويورد أيضاً أبياتاً لابن خيرة من قصيدة أخرى، ويعلق عليها قبل أن يذكرها بقوله: "وله في هذه القصيدة من الغلو في القول، مانبرأ منه إلى ذي القوة والحول"[4].

ومن هذه الأبيات:

ومن يك موسى منهمُ ثم صنوه فقل فيه ماشئت لن تبلغ العُشرا

فكم لهم في الأرض من آية تُرى وكم لهم في الناس من نعمة تترى[5]

ومن منافقي الوزير اليهودي إسماعيل أيضاً ابن الفراء الأخفش بن ميمون، الذي يقول عنه المقري: إنه "من حصن القبذاق، من أعمال قلعة بني سعيد، تأدب في قرطبة، ثم عاد إلى حضرة غرناطة، واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي، وقال في مدحه:

صابح محياه تلق النجح في الأمل وانظر بناديه حسن الشمس في الحمل"[6]

---

(1) م.ن، ق1، م2، ص762-763.

(2) م.ن، ق1، م2، ص764.

(3) م. ن، ق1، م2، ص764.

(4) م. ن، ق1، م2، ص765.

(5) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص765.

(6) نفح الطيب، م3، ص387-388.

وقال أيضاً:

أهوى الذي تيمني حبه ومادرى أني أهواه[1]

ولم يسلم من ظلم إسماعيل بن نغدله حتى اليهود، إذ يقول الشنتريني: "واليهود مع ذلك تتشاءم باسمه، وتتظلم من جور حكمه، على ما كان قد رضخ لهم من الحطام، ووطأ لهم من مراكب الأمور العظام، وهو مع ذلك متماد في غلوائه، غافل عن عادة الله في نظرائه، فغصب يهود أحكامها، وذلل أعلامها"[2]. وقد وصفه الوزير القرطبي إبراهيم بن محمد بن السقاء، المعاصر له بقوله: "لا بأس بإسماعيل لولا أنه نسي اليهودية"[3].

وتذكر المصادر اليهودية أنه كان لإسماعيل معارضين في غرناطة، وقد هربوا منها عندما حصل على منصبه الكبير فيها[4].

كما أدى تعيين إسماعيل وزيراً في حكومة حبوس بغرناطة، ومجاهرته بالعداء للإسلام، وتكبره على المسلمين، وإصرار حبوس وولده باديس من بعده على بقاء إسماعيل في منصبه، إلى خسارة غرناطة لأكبر وأهم دولة محالفة لها، وهي دولة المرية القوية، التي تسيطر على كل الأقاليم الساحلية في جنوب شرق الأندلس، وإلى تورطها معها، ومع غيرها من دول الطوائف المجاورة في حروب عدة أرهقتها حكومة، وجيشاً، وسكاناً[5].

كان وزير المرية أبو جعفر أحمد بن عباس أشد المعارضين في دولة

---

(1) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص182، ترجمة رقم: 473.

(2) الذخيرة، ق1، م2، ص767.

(3) م. ن ق1، م2، ص767، 963.

(4) H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852.

(5) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص166، 167؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.76.

المرية لوجود إسماعيل في حكومة غرناطة، وقام هذا الوزير الذي يعود بنسبه إلى الأنصار، بتوجيه رسالة خطية إلى حبوس يطلب منه فيها طرد وزيره اليهودي، كما بعث برسالة أخرى إلى رؤساء قبيلة صنهاجة التي ينتمي إليها حبوس، يبين لهم فيها أنهم يخالفون أوامر الله ورسوله بتركهم اليهودي في منصبه. وعلى الرغم من دعوته إلى إبعاد جميع اليهود عن وظائف الدولة، إلا أنه ركز في رسالته على إسماعيل، مذكراً بأنه أصل الشر[1].

لم يستجب حبوس ولا رؤساء صنهاجة لمطلب وزير المرية أبي جعفر، فقام الأخير بإقناع ملك المرية الصقلبي زهير، بإلغاء معاهدة الدفاع المشترك مع غرناطة، فألغيت المعاهدة التي كانت في غاية الأهمية بالنسبة لغرناطة، الإمارة الصغيرة التي تتعرض لأطماع الإمارات المجاورة لها[2].

كما وجه وزير المرية ضربة أخرى لحبوس، عندما دفع زهيراً حاكم المرية لعقد معاهدة صداقة مع حاكم قرمونة (CARMONA) محمد بن عبد الله، الذي يعود بنسبه إلى قبيلة زناته المنافسة لصنهاجة[3].

ترى ما هي الصفات التي تميز بها إسماعيل، فجعلت حبوس وقبيلته يتمسكون به بالرغم من إهانته لدينهم، وتعرُّضِ دولتهم لمقاطعة حلفائها، ولحروب عدة بسببه؟

يجيب الأمير عبد الله بن بلقين حفيد حبوس عن هذا التساؤل فيقول: "وكان في اليهودي من الكيس والمداراة للناس ما طابق الزمان الذي كانوا فيه،

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.70-71.

(2) IBID, VOL.2, P.72.

ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص169؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص216–217.

(3) IBID, VOL, 2, P.72.

ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص169.

والقوم الذين يرمونهم، فاستعمله لذلك استيحاشاً من غيره، ولما كان يرى من طلب بني عمه، ولأن هذا اليهودي ذمي، لا تشره نفسه إلى ولاية، ولا هو أندلسي، فيتقي منه إدخال داخلة مع غير جنسه من السلاطين، ولاحتياجه إلى الأموال التي يطبي بها بني عمه ويحاول بها أمر الملك، لم يكن بد من مثله أن يجمع له من الأموال ما يدرك معها الآمال. ولم يكن له تسلط على مسلم في حق ولا باطل، ولأن الرعايا أكثرهم بتلك البلدة، والعمال إنما كانوا يهوداً، فكان يجبي منهم الأموال ويعطيه، فيلقي ظالماً منهم إلى ظلمة، ويأخذ منهم ما يملأ به بيت المال، وإقامة أود المملكة أولى به منهم[1].

كما يجيب عنه ابن حيان عندما يصفه بقوله: "وكان هذا اللعين في ذاته على ما زوى الله عنه من هدايته، من أكمل الرجال علماً وحلماً وفهماً وذكاءً ودماثةً وركانةً ودهاءً ومكراً، وملكاً لنفسه، وبسطاً لمن خلفه، ومعرفة بزمانه، ومداراة لعدوه، واستسلالاً لحقودهم بحلمه، [ناهيك] من رجل كتب بالقلمين واعتنى بالعلمين، وشغف باللسان العربي، ونظر فيه، وقرأ كتبه، وطالع أصوله، فانطلقت يده ولسانه، وصار يكتب عنه، وعن صاحبه بالعربي، في ما احتاج إليه من فصول التحميد لله تعالى، والصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والتزكية لدين الإسلام، وذكر فضائله ما يريده، ولا يقصر في ما ينشئه عن أوسط كتاب الإسلام، وجمع لذلك السجيح[2] في علوم الأوائل الرياضية، وتقدم منتحليها بالتدقيق للمعرفة النجومية، ويشارك في الهندسة والمنطق، ويفوق في الجدل كل مستولٍ منه على غاية، قليل الكلام مع ذكائه، ماقتاً للسُّباب، دائم

---

(1) الأمير عبد الله، التبيان، ص31-32.

2- السجيح: السهل الحسن. ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، ج2، ص475.

التفكر، جماعةً للكتب"[1].

طالب زعماء صنهاجة حبوس أن يعين خليفة له يتولى إمارة غرناطة بعد موته، وقد أثار هذا الطلب قلق إسماعيل بن نغدله، مثلما أثار قلق أثرياء اليهود في غرناطة. لقد كان المرشحون لخلافة حبوس هم ولده باديس، المعروف بجرأته وقوة شخصيته، وولده الأصغر بلقين، المعروف بطيبته، وعدم ميله للحكم، وابن أخيه يَدَّيِر الذي يجمع بين القوة والاستقامة والنباهة والإقبال على العلم ومجالسة الفقهاء، وكان إسماعيل يخشى من تولي يدير، لأنه يعلم أن خلقه ودينه لن يبقيا يهودياً في منصب وزاري في حكومته، وقد سبق أن طرد ابن صديق إسماعيل اليهودي من وظيفته الحكومية. وهو يخشى أيضاً من تولي بلقين، لأن صغر سنه وطيبته ستمكن رؤساء صنهاجة من التدخل في شؤون الحكم، ومن المؤكد أنهم لن يسكتوا عن رؤية يهودي في منصب وزاري مهم في دولتهم. كما أن تولي بلقين يحقق رغبة أغنياء اليهود أمثال جوزيف بن ميجاش ونحمياه أشكافا، الذين يتوقعون أن مصالح زعماء صنهاجة المرتبطة بمصالحهم، ستجعل لهم نصيباً في وظائف الدولة، وستمكنهم من إبعاد إسماعيل الذي ما يزالون يضمرون له الكره والعداء[2].

لقد أحب إسماعيل أن يكون عرش غرناطة من نصيب باديس، وبذل كل ما في وسعه لتحقيق ذلك، حيث أسهم في إقناع حبوس بالتوصية لباديس من بعده، كما حث بلقين على التنازل لأخيه، وأقنع من استطاع من زعماء صنهاجة بمناصرة باديس[3]. وعندما مات حبوس سنة (437 هـ=1045م) قام عدد من

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص438-439 (رواية ابن حيان).

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.72.

ينظر: الأمير عبد الله، التبيان، ص27-29، 36.

(3) IBID, VOL.2, P.73; BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.33; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.624.

زعماء صنهاجه بمبايعة بلقين، لكنه رفض قبول البيعة وأعلن أنه سيبايع لأخيه باديس حسب رغبة والده[1]. وهكذا تحققت رغبة إسماعيل التي عمل من أجلها، وصدق ظنه في باديس الذي قدر جهوده في خدمة والده، وفي العمل من أجـل وصوله إلى الحكم[2]، فقام بتثبيته في منصبه الوزاري الكبير[3].

بدأ وزير المرية أحمد بن عباس محاولاته لإقناع باديـس بإبعاد الوزير اليهودي عن منصبه، فبعث إليه برسالة يبين فيها الإثم الكبير الذي يقترفه بتولية يهودي على رقاب المسلمين، ويؤكد أن إبعاده سيؤدي إلى إحلال الـسلام بـين المملكتين، وأن بقاءه سيؤزّم العلاقة بين غرناطة ومـن حولهـا مـن الملـوك المتحالفين، في إشارة إلى معاهدة المرية مع إمارة قرمونة التـي تقـع غربـي غرناطة، والتي كان باديس يخشى من خطرها على مملكته[4].

رفض باديس إبعاد إسماعيل، وأرسل قاضي غرناطة أبا الحسن علي بن محمود بن ثوبة إلى زهير حاكم المرية، ليقنعه بتجديد معاهـدة التحـالف بـين إمارتيهما، لكن زهيراً رفض طلب باديس[5].

وفي شوال من سنة(429هـ=1038م) ظهر زهير فجأة في غرناطـة، ومعه وزيره ابن عباس وفرقة من جيشه وعسكر على تل قرب غرناطة، وكان

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.72.

(2) IBID, VOL.2, P.72.

(3) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص438؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص230.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.73-74.
عن خشية حبوس وباديس من تحالف المرية مع قرمونة. ينظر: الشنتريني، الـذخيرة، ق1، م2، ص656.

(5) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص656؛ ابن عذاري، البيـان المغـرب، جـ3، ص169؛ IBID, VOL.2, P.74.

يهدف من زيارته المفاجئة هذه إلى إهانة باديس وإخافته[1].

استقبل باديس زهيراً، بالرغم من الطريقة المهينة التي دخل بها إلى غرناطة، وذلك لأنه كان يخشى من القوة العسكرية التي عرفت بها إمارة المرية، وعقد مباحثات مطولة مع زهير، إلا أنها باءت بالفشل[2]، فقد كان المطلب الوحيد لزهير ووزيره هو إزاحة الوزير اليهودي الذي يرفض أن يتخلى عنه[3].

توجه زهير ومن معه عائدين إلى المرية، لكنهم فوجئوا بكمين أعده لهم الغرناطيون بإحكام في إحدى الممرات الضيقة بين جبال غرناطة، وقد تمكن جنود باديس من قتل حاكم المرية زهير[4]، وأسر الوزير أحمد بن عباس، ونقله إلى السجن في غرناطة، حيث حاول أن يفدي نفسه بمبلغ كبير، وجاء مبعوث من ابن جهور ليتوسط في الإفراج عنه[5]، لكن باديس رفض وقام بقتله[6]، "متأولاً لإثارته الفتنة"[7].

---

(1) ابن بلقين، التبيان، ص32-35؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص169؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص216؛
IBID, VOL.2, P.75; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.625.

(2) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص675؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص169-170؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص216-217.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.75

(4) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص170-171؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص216-217.

(5) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص664؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص171-172.

(6) ابن بلقين، التبيان، ص35؛ الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص664؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب، جـ2، ص206، ترجمة رقم: 491.

(7) ابن بلقين، التبيان، ص35.

وكان من بين الأسرى الذين أسرهم الجيش الغرناطي ابن حزم الأندلسي المعروف بمناظراته ومعاداته لإسماعيل بن نغدله. وكان ابن حزم قد شارك هو والباجي وفقهاء وكتاب آخرون مع الجيش الذي دخل غرناطة وطالب بإزاحة اليهودي عن منصبه "وظفر باديس على قوم من وجوه رجال زهير، فعجّل على الفرسان والقواد بالقتل، وشمل الأسار حملة الأقلام وفيهم وزيره الكبير أحمد بن عباس الجارّ لحرٍّ هذه النائرة، فأمر بحبسه، وشفاؤه الولوغ في دمه، وعفّ باديس عن دماء حملة الأقلام دونه، إلا من أصيب منهم في الحرب، وأطلق ابن حزم والباجي وغيرهما"[1].

سُرَّ إسماعيل بمقتل أحمد بن عباس، وَمَجّدَ هذه المعركة التي شارك فيها بنفسه، بقصيدة طويلة، شبه فيها سقوط ابن عباس بتحرر اليهود من قبضة هامان، وأرسل القصيدة مع رسالة إلى الطوائف اليهودية في الشمال الأفريقي ومصر وفلسطين، ليشاركوه الفرحة بهذا الانتصار[2].

استطاع إسماعيل بن يوسف أن يحوز على ثقة باديس وأن يقنعه بأهمية وجوده في إدارة الدولة. وقد ازدادت ثقته به عندما دبر بعض زعماء صهناجة وعلى رأسهم ابن عمه يدّير خطة لقتل باديس. إذ قرر هؤلاء الزعماء أن يشركوا معهم الوزير إسماعيل، وذلك حتى لا يتسرب إليه خبرهم وهو بعيد عنهم فيُعين باديس عليهم. ولكي يورطوه قرروا أن يكون اجتماعهم في منزله، لكن إسماعيل الذي لا يثق أصلاً بيدير فَهِمَ ما يرمون إليه، وأبلغ باديس بالأمر، وجاء به إلى منزله ليسمع بنفسه من مكان خفي زعماء صهناجة وهم يخططون

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص171.

[2] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.626; ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.79; BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.34.

لقتله[1]. ومما قاله الأمير عبد الله بن بلقين في رواية هذه الحادثة: "وتقدم إلى باديس وأخبره الخبر، وأتى معه إلى المنزل، وقال له: ليس الخبر كالعيان، اسمع بأذنك وَعِ بقلبك. وهو بموضع مرتفع على البيت الذي يرومون فيه عملهم، وأبو إبراهيم [إسماعيل بن نغدله] في ذلك كله يقول عند محاورتهم كالمخاطب للبارئ: يامن يرى ولا يُرى، وهو يعني بذلك باديس جدنا الذي يراهم ولا يرونه، فشكر ذلك باديس لأبي إبراهيم. وأيقن بثقته وأمانته. وصار له خادماً من ذلك النهار، وشاوره في أكثر رأيه مع بني عمه"[2]. وعندما اكتشف باديس أن أكثر من مئتي رجل من أكابر صنهاجة يكاتبون يدير الذي لجأ إلى إشبيلية، ويدبرون معه الخطط للإطاحة به "غضب لذلك وهمَّ بقتلهم وشاور أبا إبراهيم في الأمر، فقال له: أرى من الرأي ألا تؤنب أحداً على هذه الكتب، ولا تعلمهم أنها صارت إليك، وأن تأمر الآن بنار تحرقها بها وتطفئ أثرها، ورأس العقل مداراة الناس، فإن عاقبت كم عسى أن تعاقب، وهم أجنادك وأجنحتك، فاحتل للأمر بغير هذا الوجه. فقبل بنصيحته، واستعان ببعضهم على بعض، وأفشى فيهم العطايا، وضرب الابن بأبيه والأخ بأخيه"[3].

خاضت إمارة غرناطة حروباً أخرى مع إمارتي إشبيلية وقرمونة، ومع يدير الذي حظي بدعم إمارة إشبيلية، وصار يهاجم غرناطة، وشارك إسماعيل في معظمها، وقادها بنفسه في بعض الأحيان، وكان كلما حقق انتصاراً يكتب قصيدة بالعبرية، يصور فيها أحداث المعركة ودوره فيها، وكان أحد أهم الانتصارات التي حققتها إمارة غرناطة، هو الانتصار على إمارة إشبيلية

---

[1] ابن بلقين، التبيان، ص31؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.80-81.

[2] التبيان، ص31.

[3] م. ن، ص33-34.

سنة(431هـ=1039م)، وقد صور إسماعيل أحداث تلك المعركة التي شارك فيها بقصيدة اشتملت على 149 بيتاً[1].

وبالرغم من أن عدداً من أغنياء ووجهاء اليهود في إمارة غرناطة لم يكونوا على وفاق مع إسماعيل بسبب أنه ساد عليهم، وفاقهم جاهاً وغنىً، إلا أن معظم اليهود في هذه الإمارة قد أفادوا من احتلال وزير يهودي لهذا المنصب الكبير. يتضح ذلك من خلال رواية ابن عذاري التي يقول فيها: " فاتخذ هذا اليهودي عمالاً ومتصرفين في الأشغال من أهل مِلته، واكتسبوا الجاه والمال في أيامه، واستطالوا على المسلمين"[2].

لقد أصبح وزير غرناطة اليهودي ذائع الصيت ليس في غرناطة وحدها، وليس بين يهود الأندلس فحسب، وإنما في كثير من المناطق والبلدان خارج حدود الأندلس[3].

مرض الوزير اليهودي إسماعيل بن نغدله، ومات في ربيع سنة (448هـ=1056م)[4]، فأحزن موته يهود الأندلس والخارج، وأقاموا صلواتهم عليه، وأرسلوا التعازي إلى أسرته، وكتب حبر أليسانة إسحاق بن غايات قصيدة طويلة، ألقاها خلال القداس المقام على روحه[5]. وتحدث عن موته ابن حيان

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.84-86.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص264.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.626; ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.134-136, 164-165; BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.34.

(4) أخطأ ابن سعيد الأندلسي عندما قال: إن إسماعيل بن يوسف قتل في ثورة المسلمين على اليهود في غرناطة، إذ خلط بين إسماعيل وولده يوسف الذي تجمع المصادر الإسلامية واليهودية أنه هو الذي قتل في تلك الثورة. ينظر: ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ2، ص114-115، ترجمة رقم: 426.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.157-158.

فقال:" هلك في العشر الثاني لمحرم سنة تسع وخمسين وأربع مئة، فجلل اليهود نعشه، ونكسوا لها أعناقهم خاضعين، وتفاقدوه جازعين، وبكوه معلنين"[1]. وعن موته أيضاً قال ابن عذاري:" فدام أمره كذلك إلى أن هلك، وترك ابناً له اسـمه يوسف"[2].

خلف إسماعيل في منصبه ولده يوسف، وكان والده قد هيـأه لذلك منـذ صغره، يقول ابن حيان: "وكان قد حمل ولده يوسف المكنى بأبي حسين علـى مطالعة الكتب، وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية، يعلمونه، ويدارسونه، وأعلمه بصناعة الكتب ورشحه لأول حركته لكتابة ابن مخدومه بلقين، برتبـة المترشح لمكانه، تمهيداً لقواعد خدمته، فلما هلك إسماعيل في هذا الوقت، أدنـاه باديس إليه، وأظهر الاغتباط به، والاستعاضة بخدمته عن أبيه"[3].

لقد أصبح يوسف بن إسماعيل كبيراً للوزراء في غرناطة، ومسؤولاً عن جمع الجزية من اليهود، ورئيساً أو ناغداً للطائفة اليهودية في غرناطة، وذلـك على الرغم من أن عمره لم يكن يتجاوز إحدى وعشرين سنة[4].

وقد حقق يوسف نجاحاً باهراً في تحصيل المزيد من الأمـوال لخزينـة الدولة، وكان يقول لباديس: "أنا رجل ذمي لا همة لي إلا خدمتك، وجمع الدراهم لبيت مالك"[5]، وحصل على ثقة باديـس، فأوكـل إليـه قيـادة الجـيش عنـد الحرب[6]. وهناك قصيدة لشاعر يهودي من غرناطة كتبها بعد عودة يوسف من إحدى المعارك مع مملكة إشبيلية[7]. وكان يوسف يصحب باديـساً في زياراته

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص439.

(2) البيان المغرب، جـ3، ص264

(3) ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص439.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.159.

(5) الأمير عبد الله، التبيان ص38.

(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.159.

(7) IBID, VOL.2, P.161.

المتكررة إلى قرطبة، فيحظى معه بالإكرام والتبجيل[1]. ويقول الشنتريني أخبرني "من رآه يساير صاحبه بساحة قرطبة في بعض قدماته عليها لبعض الشؤون المضلة والفتن المصمئلة: [المذهلة]، قال [المحدث]: فرأيته مع باديس فلم أفرق بين الرئيس والمرؤوس"[2].

قلد يوسف الملوك في ملبسهم ومركبهم ومسكنهم وفي كل مظاهر ترفهم، فقد اتخذ قصراً فخماً على التل العالي في غرناطة، الذي أقيمت عليه قصور الملوك النصريين في ما بعد[3]. وقد أشار إلى ذلك أبو إسحاق الإلبيري في قصيدته التي دعا فيها قبيلة صنهاجة إلى الثورة على اليهود في قوله:

ورخم قردهم داره وأجرى إليها نمير العيون

وصارت حوائجنا عنده ونحن على بابه قائمون[4]

كما أحاط نفسه بحاشية كبيرة من اليهود الذين سلَّمهم أرفع مناصب الدولة، وكانوا يتصرفون وكأنهم فوق كل القوانين[5]. وأقام في قصره الحفلات الماجنة، دون مراعاة لمشاعر المسلمين من حوله، وكان يغدق بالأموال على الشعراء العرب واليهود الذين كانوا يكتبون القصائد في مدحه[6]. ووسع المكتبة التي ورثها عن أبيه[7]، فأصبحت تضم كتباً في مختلف العلوم الإسلامية[8]،

---

(1) IBID, VOL.2, P.162.

(2) الذخيرة، ق1، م2، ص767.

(3) ASHTOR, THEJEWS, VOL.2, P.165.
وردت إشارة عن هذا القصر عند: الأمير عبد الله، التبيان، ص47.

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص232.

(5) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص232-233؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.166.

(6) ASHTOR, THE JWS, VOL.2, P.165.

(7) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.162.

(8) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص276؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL2, P.162.

"وكان له وراقون ينسخون له الكتب بالنفقات والمرتبات"[1].

وشهد مؤرخ يهودي أندلسي على كبْر يوسف وغروره وغطرسته[2]. وقدم ابن عذاري السبب الذي ولد هذه الصفة عنده بقوله، إن إسماعيل "ترك ابناً له اسمه يوسف لم يعرف ذلة الذمة ولاقذر اليهودية "[3]، بمعنى أن نشأته في بيت أبيه الوزير الثري، خلقت فيه كبراً وغطرسة غير معهودة عند غيره من يهود الذمة. كما دفع الكبر بيوسف للسير على نهج أبيه في سخريته من المسلمين ودينهم، وشاركه في ذلك الكثير من اليهود، ولاسيما أصحاب الوظائف والمناصب الذين ازدادوا في عهده زيادة ملحوظة[4]. وقد جاء في قصيدة أبي إسحاق الإلبيري أبيات تبين هذا السلوك منها قوله:

ويضحك منا ومن ديننا ... فإنا إلى ربنا راجعون[5].

وقوله:

وقد ناهضوكم إلى ربكم ... فما يمنعون وما ينكرون[6].

كما اعترفت المصادر اليهودية بأنه كان يتهجم على القرآن الكريم[7]. وقد شاع بين يهود غرناطة أن يوسف لم يراع حتى تعاليم التوراة[8]، وأنه يحتقر كل الأديان.

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص276.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.164.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص264.

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص232-233؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.166.

(5) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص233.

(6) م. ن، ق2، ص233.

(7) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.166.

(8) IBID, VOL.2, P.167.

لقد أثار استهتار يوسف بن نغدله وتجاوزاته كــره مــسلمي غرناطـــة، وشاركهم في هذا الشعور كثير من قادة صنهاجة، وكان يوسف يعلم بذلك، ولهذا قام ببث جواسيسه في كل مكان داخل قصر باديس، وصارت تصله أدق أخباره، يقول ابن عذاري: "وكانت له عيون عليه في قصره من نساء وفتيــان شــغلهم الملعون بالإحسان إليهم، والإنعام عليهم فكان لا يخفى عليه شيء مــن أمــور باديس، من كل مايجري في منزله من شراب ولهو وجد وهــزل إلا ويعلمــه، ويُعْلِمُ اليهود به، فلا يكاد باديس يتنفس إلا ويعلم اليهودي ذلك"[1].

وبهذه الاحتياطات تمكن يوسف أن يحبط محاولة للتخلص منــه، بــدأ بتدبيرها بلقين بن باديس، وبدهائه وغدره تخلص من بلقين، ومن معظم الــذين يعتقد أنهم يعادونه. يقول ابن بلقين عن قتل يوسف لأبيه: "فشرب يوماً عنده على عادته، فلم يخرج عنه، حتى قذف ما كان في جوفه، واستلقى على الأرض، فلم يستطع المشي إلى منزله إلا عن مشقة، ولبث يومين يجود بنفسه حتى مات"[2]، ويقول ابن عذاري: "وكان لباديس ولد اسمه بلقين، وكان عاقلاً نبــيلاً فرشــحه للأمر من بعده، ولقبه سيف الدولة، وكان له خاصة من المــسلمين يخدمونـــه، وكان مبغضاً في هذا اليهودي، فبلغه أنه تكلم فيه عند أبيـــه، فبلـــغ ذلـــك مـــن اليهودي كل مبلغ، ودبر الحيلة عليه، فدخل اللعين يوماً علـــى الفتـــى، وقبـــل الأرض بين يديه، فقال له ما تريد، فقال له: يرغب عبدك منك أن تـــدخل داره مع من أحببت من رجالك يستشرف العبد بذلك، فدخل إليه، فقدم لـــه ولرجالـــه طعاماً وشراباً وجعل السم في الكأس لابن باديـــس، فرام القيئ فلم يقدر عليـــه، فحمل إلى قصره، فقضى نحبه في غد يومه، ولم يعلم أبوه سبب موته، فقـــرر اللعين عنده أن أصحابه وبعض جواريه سموه، وتفرق أمره فقتل بـــاديس مـــن

---

[1] البيان المغرب، جـــ3، ص264؛ قارن: ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص440.

[2] التبيان، ص40.

جواري ولده ومن فتيانه وبني عمه جماعة كبيرة، وخافه سائرهم ففروا عنه"[1].

وأصابَ الهمُّ والغمُّ باديس بفقده ولده، وبقتله كثيراً من أقاربه وخاصته الذين ظنَّ أنهم خانوه "وأقبل باديسُ على شرابه ليتسلَّى به عن مُصابه"[2]، وخسر ولاء الكثير من رجال دولته، إذ "فرّوا عنه، وفسدت له قلوبهم، و خبثت ضمائرهم[3].

وصار اليهودي يصولُ ويجولُ في دولة باديس الذي كان لا يكاد يفيقُ من سكره، وأصبح هو الحاكم الفعليُّ لغرناطة. إذ يقول ابن الخطيب: "وعظم استيلاءُ اليهوديُّ وزير باديس"[4]. ويقول ابن عذاري: "وصارت لليهودِ صولة على المسلمين في دولته"[5]. ويقول الشنتريني: "وكان آخرُ أمره قد حجبَ صاحبه عن النَّاسِ، و سجنه بين الدن والكأس"[6].

ويقول الأمير عبد الله بن بلقين: "وكبرت عند ذلك سن جدنا، وأخلد إلى الراحة، وزهد في طلب البلاد لكبر سنه، وموت ابنه، وألقى بمقاليده إلى اليهودي في الخدمة عنه، فتمكن بما شاء من الأمر والنهي[7]. وخشي الوزير اليهودي يوسف بن إسماعيل من وصول ماكسن بن باديس إلى السلطة بعد موت أبيه، فأراد التخلص منه أيضاً، وقد لاحظ ماكسن ذلك فقال له: "أتريد أن تقتلني

---

(1) البيان المغرب، جـ3، ص265-266.

توجد تفاصيل أكثر عن هذه الحادثة عند الأمير عبد الله بن بلقين، كتاب التبيان، ص39-42.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص265.

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص231.

(4) م. ن، ق2، ص231

(5) البيان المغرب، جـ3، ص265، 266.

(6) الذخيرة، ق1، م2، ص767.

(7) التبيان، ص42.

كما قتلت أخي؟"[1].

وخطط يوسف للتخلص من ماكسن مستفيداً من كونه سريع الغضب فافترى على أم ماكسن عند باديس، وأشهد على ذلك جماعة من أهل الدولة ممن يعادون ماكسن "حتى جعلته الأنفة من مكروه مانقل إليه أن يأمر بقتل أمه وداياته وبعض من انتمى"[2]. ثم أقنع باديس أن ولده ماكسن يدبر للإطاحة به والاستيلاء على الحكم. فأوكل باديس لليهودي مسألة نفي ماكسن، فسلمه إلى مجموعة من العبيد، وأوصى أحدهم أن "يصل معه إلى موضع سماه بحيث يخفي أمره، فيضرب فيه عنقه"[3]. ويروي ذلك الأمير عبد الله بقوله: "وخرج عمنا على أسوأ حال، مذعوراً خائفاً بعضهم يشير بقتله، وبعضهم يأبى إلا إزاحته عن النظر كله، حتى صار ببعض الطريق، وانْحَلَّ عن غمومه بهلاك اليهودي"[4]. كما بلغ السوء بيوسف بن إسماعيل أن قام بقتل خاله اليهودي أبي الربيع بن الماطوني غدراً في مجلس شراب. وحتى لا يؤاخذه باديس على ذلك أسكته بمبلغ من المال. وأحد أسباب هذا القتل كما يروي الأمير عبد الله في مذكراته أن أم ماكسن كانت تترك التعامل مع يوسف وتلجأ إلى خاله "وكان قابض الوجيبة، فتخاطبه أبداً، وتطلب منه مالاً باسم السلف. فغار الوزير لذلك"[5].

لم يكتفِ الوزيرُ بالخرابِ الذي أحَلّه بمملكة غرناطة، بل قرر أن يواصِلَ أعماله التخريبية، وأن يقيم لليهودِ دولة، يقول ابن عذاري: " وذلك أن

---

(1) م. ن، ص48.

(2) التبيان، ص48. بمعنى أنه صار يأمر بقتل مربياته العاملات في القصر، وبعض من انتمى إلى أسرة بني زيري.

(3) التبيان، ص49.

(4) م. ن، ص49.

(5) م. ن، ص48.

هذا اللعين طلبَ أن يقيمَ لليهودِ دولة، فدسّ إلى ابن صمادح صاحبِ المريَّةِ في السرأن يُدخله غرناطة، ويكون اليهوديّ في المريَّة"[1]. ويقول الشنتريني: "ووعد جاره ابن صمادح بالمريَّة، أن يقعده مكانه، ويخلعُ على أعطافه سلطانه، فسرّبَ إليه ابن صمادح صميم الأموالِ، وجلا عليه وجوه الآمال، وإنما كان أراد أن يثلَّ عرش الباديسيِ بالصمادحي، لما كان يعلمُ من كلالـه، ويتيقنُ من قِلَّةِ استقلاله، وقد عزم ساعة يخلو له وجه ابن صمادح بعد باديس، أن يتمرَّس بجانبه، ويلحقه بصاحبه[2]. ويقول أيضاً: "وقد كان اليهودي ملَّكَ ابن صمادح أكثر حصون غرناطة باحتجاز أموالها، وإفسادِ قلوبِ رجالها، فأضافها ابن صمادح إلى بلده، وباديس لا يشعر بخروجها عن يده، واليهوديّ أثناء ذلك يريش ويبري، وشفرته في أديم صاحبه تحلقُ وتفري"[3]. ويقول ابن الخطيب: "وكثرت فيه الأقوال، ورُميَ بمداخلةِ ابن صمادح، صاحب المرية في تصيير ملك باديس إليه"[4]. أما الأمير عبد الله بن بلقين فيقول: "وكتب اليهودي إلى ابن صمادح يخبره بخروج القوم الغوغاء من المدينة، وأنه لم يبق فيها إلا من لايؤبه له، ويحصدهم سيفه إذا دخلها، وأنه متهيئ لفتح أبوابها متى جسر وطرقها، وضَيَّعَ النظر في سائر الحصون غير القواعد، وأهمل ما يرتقبون به من الرجال والعُدد على وجه الغفلة حتى خلت، والمظفر [باديس] في هذا كلّه، لاخبرَ عنده إلا الإقبال على الشرب والدعة "[5].

---

(1) البيان المغرب، جـ3، ص266.

(2) الذخيرة، ق1، م2، ص767-768.

(3) الذخيرة، ق1، م2، ص768-769.

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص231.

(5) التبيان، ص53.

وتؤكد الدراسات اليهوديةُ أن يوسف كان قد عزم فعلاً على إقامة دولــةٍ لليهود في المرية، يكون هو مليكاً عليها[1]. وتبين أنه أقدم على ذلك لأنه غيــرُ آمنٍ على مستقبله ومستقبل قومه يهود غرناطة الذين قد يتعرَّضــون لانقــلاب باديس أو من سيخلفه عليهم[2]، وتقول بأن يوسف رأى دولاً من حوله يحكمهــا الصقالبة والبربر مع أنهم ليسوا أكثرية، ووجد أنهم بجنودٍ مرتزقة يخضعون هذه الدول، ويدين لهم سكانها، فأحبَّ أن يقلدهم في ذلك[3]. كما تحدثت عــن ســببِ اختياره المرية، وبينت أن ذلك لأنها مدينة صناعية غنية، وذات سواحل طويلةٍ على البحرَ، تمكن اليهود من الاتصال بسهولة بيهود الخارج، كما تجعلهم قادرين على الهرب عبر البحر إذا تعَّرضوا لهجومٍ، وعجزوا عن صدِّه[4].

وبالرَّغم من أن ابن عذاري وحده من بين المصادر الإسلامية هو الذي ذكر صراحة أن يوسف كان يريد إقامة دوله يهودية في المريّة[5]، إلا أن عــزم يوسف على إقامة دولة يمكن أن يُفهم بوضوح من خلال الروايات الأخــرى. إذ من غير المعقول أن يسلم يوسف أراضٍ وحصونٍ غرناطية لابن صمادح، ويعده بعرش غرناطة ويعرض نفسه لغضب المسلمين دون مقابــل. بــل إن روايـــة الشنتريني تدلُّ على أنه كان يخطط للسيطرةِ على المريَّة ثمّ القضاء على ابـــن صمادح، وضمَّ غرناطة إليه، وذلك بعد أن تكون الحربُ قد أنهكت الطرفين[6]، "وقد عزَمَ ساعة يخلو له وجه ابن صمادح بعد باديس أن يتمرّس بجانبه، ويلحقه

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.182.

(2) IBID, VOL.2, P.178.

(3) IBID, VOL.2, P.178-179.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.181.

عن مميزات وأهمية مدينة المرية. ينظر: سالم، السيد عبد العزيز، تــاريخ مدينــة المريــة الإسلامية، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1984م)، ص13-50.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، جـــ3، ص266.

(6) الذخيرة، ق1، م2، ص767-768.

بصاحبه، كأنه نظر خبر عُبيد الله بن ظبيان حين وضع رأس المصعب [ابن الزبير] بين يدي عبد الملك بن مروان، فسجد عبد الملك، قال ابن ظبيان: فقمتُ في ركابي، وأحسَّ بي ورفع رأسه وقال: ما الذي أردت أن تصنع؟ قلت: هممتُ أن أقتلك، فأكون قد قتلتُ ملكي العرب في يومٍ واحد، فقال: لولا منتك علينا برأس المصعب، لكان عنقك أهون ما يضرب. فأراد هذا اليهودي على انحطاطه عن الرجال، وانخراطه في سلك ربات الحجال، أن يستدرك على ابن ظبيان بقتل رئيسين من رؤساء ذلك الزمان"[1].

ويبدو أن اختيار يوسف لابن صمادح من بين ملوك دول الطوائف لهذه المهمة يرجع إلى ضعفه عسكرياً، إذ من السهل أن يتغلب عليه بعد أن يقيم دولة يهودية في المرية[2]، إضافة إلى نفوذ يوسف في المرية، ومجاورتها لغرناطة، فضلاً عن مميزات المرية التي ذكرت سابقاً.

تسرب خبر المؤامرة التي دبرها يوسف مع ابن صمادح لتسليم غرناطة مقابل أن تكون المرية دولة لليهود، عن طريق بعض قادة جيش ابن صمادح، الذين احتلوا المناطق الشرقية والوسطى من مملكة غرناطة، دون أن يجدوا مقاومة تذكر[3]. وقد انتشر هذا الخبر بسرعة بين مسلمي غرناطة. ولأنهم لم يعودوا يرون باديس المحتجب في قصره، ظنوا أن وزيره اليهودي قد قام أيضاً بقتله، فامتلأت نفوسهم غضباً على يوسف وحاشيته.

وصلت أخبار المؤامرة إلى أبي إسحاق الإلبيري، وكان قد أُبعد عن غرناطة بأمر من يوسف[4]، فكتب قصيدة يحرض فيها باديس وقبيلة صنهاجة

---

(1) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص768.

(2) ينظر: ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.183.

(3) ASHOTR, THE JEWS, VOL.2, P.184.

(4) ابن سعيد الأندلسي، المغرب، جـ2، ص132-133، ترجمة رقم: 444؛ IBID, VOL.2, P.186.

على الثورة على يوسف والمتسلطين اليهود. وقد انتشرت القصيدة بين المسلمين انتشاراً واسعاً، وزادت من غضبهم على اليهود[1].

وتُعدُّ قصيدة أبي إسحاق وثيقةً مهمة مصورة لحال المسلمين واليهود في غرناطة تحت حكم وزيرها اليهودي يوسف بن إسماعيل، ولذلك فإني سأوردها كاملة[2]:

ألا قـل لصنهاجة أجمعين ... بدور الزمان وأسدُ العرينْ

مقالةَ ذي مقَّةٍ مشفقٍ ... يعدُّ النصيحة زلفى ودين

لقد زلَّ سيدكم زلةً ... تقرُّ بها أعين الشامتين

تخير كاتبه كافراً ... ولو شاء كان من المؤمنين

فعز اليهود بها وانتخوا ... وتاهوا وكانوا من الأرذلين

ونالوا مناهم وجازوا المدى ... وقد جاز ذاك وما يشعرون

فكم مسلم راهب راغبٍ ... لأرذل قردٍ من المشركين

وما كان ذلك من سعيهم ... ولكن منا يقوم المعين

فهلا اقتدي فيهم بالأولى ... من القادة الخيرة المتقين

وأنزلهم حيث يستاهلون ... ورُدَّهم أسفل السافلين

وطافوا لدينا بأفواجهم ... عليهم صغار وذل وهون

ولم يستخفوا بأعلامنا ... ولم يستطيلوا على الصالحين

أباديس أنت امرؤ حاذق ... تصيب بظنك مرمى اليقين

فكيف تحب فراخ الزنا ... وقد بغضوك إلى العالمين

وكيف استتمت إلى فاسق ... وقارنته وهو بئس القرين

---

(1) ابن سعيد الأندلسي، المغرب، جـ2، ص133، ترجمة رقم: 444.

(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص231-233.

وقد أنزل الله في وحيهِ ... يحذر من صحبة الفاسقين
فلا تتخذ منهمُ خادماً ... وذرهم إلى لعنة اللاعنين
فقد ضجت الأرض من فسقهم ... وكادت تميدُ بنا أجمعين
وكيف انفردت بتقريبهم ... وهم في البلاد من المبعدين
على أنك الملك المرتضى ... سليل الملوك من الماجدين
وأن لك السبق بين الورى ... كما أنت من جُلة السابقين
وإني احتللت بغرناطة ... فكنت أراهم بها عابثين
وقد قسموها وأعمالها ... فمنهم بكل مكان لعين
وهم يقبضون جباياتها ... وهم يخصمون وهم يقصمون
وهم يلبسون رفيع الكسا ... وأنتم لأوضاعها لابسون
وهم أمناكم على سركم ... وكيف يكون أميناً خؤون
ويأكل غيرهم درهماً ... فَيُقصى ويُدنَوْن إذ يأكلون
وقد ناهضوكم إلى ربكم ... فما يمنعون وما ينكون
وقد لابسوكم بأسحارهم ... فما تسمعون ولا تبصرون
وهم يذبحون بأسواقنا ... وأنتم لإطريفهم آكلون
ورخَّم قردهم داره ... وأجرى إليها نمير العيون
وصارت حوائجنا عنده ... ونحن على بابه قائمون
ويضحك منا ومن ديننا ... فإنا إلى ربنا راجعون
ولو قلتُ في ماله إنه ... كمالك كنتُ من الصادقين
فبادر إلى ذبحه قربة ... وضحٍّ به فهو كبش سمين
ولا ترفع الضغط عن رهطه ... فقد كنزوا كل علقٍ ثمين
وفرِّق عراهم وخذ مالهم ... فأنتم أحق بما يجمعون
ولا تحسبنْ قتلهم غدرة ... بل الغدر في تركهم يعبثون

فقد نكثوا عهدنا عندهم فكيف تلام على الناكثين

وكيف تكون لنا همة ونحن خمول وهم ظاهرون

ونحن الأذلة من بينهم كأنا أسأنا وهم يحسنون

فلا ترضَ فينا بأفعالهم فأنت رهين بما يفعلون

وراقب إلهك في حزبه فحزب الإله هم المفلحون

التقى يوسف بعدد من رجال حاشيته مساء الجمعة (10-صفر-459هـ=30-12-1066م) في بيت مؤقتٍ اتخذه بالقرب من قصر باديس. وكان الخوف يسيطر على المجتمعين، بسبب حالة الغضب الشديد بين مسلمي غرناطة، والتي أجَّجَتها قصيدة أبي إسحاق الإلبيري. وكان من بين رجال يوسف عبيد مسلمين يخفي بعضهم كرههم له. وقد حاول يوسف أن يهدّئ رجاله ويطمئنهم، فقدم إليهم الطعام والخمر، وأخبرهم أن جيش ابن صمادح على وشك دخول المدينة[1]، فقال له أحد العبيد المسلمين:" قد علمنا هذا، فأخبرنا على تسويغك هذه الإنزالات، أهو مولانا حي أم ميت ؟، فرد عليه بعض حاشية اليهودي، ووبخه على قوله، فأنف ذلك العبد وخرج فاراً على وجهه، وهو سكران يصيح بالناس ويقول: يامعشر من سمع بالمظفر [باديس]، قد غدره اليهودي، وهذا ابن صمادح داخل في البلدة، فتسامع لذلك الناس أجمع خاصتهم وعامتهم وأتوا عازمين على قتل اليهودي فتحيل على المظفر حتى أخرجه إليهم، وقال: هذا سلطانكم حيّ، ورام الرئيس تسكينهم فلم يقدر، واتسع الخرق على

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.187-189

الراقع، وهرب اليهودي بنفسه إلى داخل القصر، واتبعته العامة"[1]. فلجـأ إلـى غرفة الفحم وسوَّد به وجهه وتنكر حتى لا يعرف، لكنهم عرفوه وقتلوه[2].

وتقول المصادر اليهودية: إن المسلمين هاجموا القصر في اليوم التالي، وسحبوا جثة يوسف عبر شوارع غرناطة وعلقوه بالقرب من باب المدينة، ثـم توجهوا إلى دور اليهود وفتكوا بهم ونهبوا دورهم وأموالهم[3].

وتحتوي المصادر الإسلامية علـى تفـصيلات متـشابهة عـن هـذا الموضوع[4]. إذ يقول الشنتريني: " فلما كان اليوم الذي أراد الله فيه إزالة نعمته عنه، وإراحة عباده و بلاده منه، نذر به أولئك المغاربـة، فـأعلنوا بالـصياح، وثاروا إلى السلاح، وأتى الصريخ بقية الجند، وعامة أهل البلد، ونادى مناديهم: غدر اليهودي وخان، وطاح المظفر وحان، فدخلوا القصر من كل باب، وهتكوا حرمة اليهودي دون حجاب، فقتل في بعض خزائن الفحم...، وقد استطال الناس على يهود، وقُتل منهم يومئذ نيف على أربعة آلاف، ملحمة من ملاحـم بنـي إسرائيل، باءوا بذلها، وطال عهدهم بمثلها. ورجع ابن صمادح قد صفرت يداه، وأخلفه ما تمناه، وانقلب اليهودي مذموماً مدحوراً، لم يمتع بدنياه، ولا خلص إلى

---

(1) ابن بلقين، التبيان، ص54؛ ينظر: .ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.187-189

(2) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص769، ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص266؛ ابـن الخطيب، أعمال الأعلام، ص266.

(3) ينظر: H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب ،جـ3، ص231، 266؛ ابن الخطيب، الإحاطـة، م1، ص440؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص233.

ما رجاه[1]". ويقول المقري: " فثارت إذ ذاك صنهاجة على اليهود، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير المذكور"[2].

وبمقتل يوسف بن إسماعيل بن نغدله ومعظم رجالات اليهود في غرناطة، فقد اليهود مركزهم الثاني في الأندلس، و كانوا قد فقدوا مركزهم الأول في قرطبة بانتهاء عصر الخلافة، وانتقل من تبقى من يهود غرناطة إلى إشبيلية التي أصبحت المركز الثالث ليهود الأندلس بعد غرناطة[3].

لم يكن إسماعيل وولده يوسف هما اليهوديان الوحيدان في الأندلس اللذان يحصلان في دويلاتها في عصر الطوائف على منصب كبير. فقد كان وزير صاحب المرية ابن صمادح يهودياً[4]، ووزير المقتدر بن هود في سرقسطة يهودياً يُدعى أبو الفضل حسداي ابن يوسف[5]، وليس يهود غرناطة وحدهم هم الذين حصلوا على وظائف مهمة في ذلك العصر، وتسلَّطوا على المسلمين . فقد حصل عليها يهود آخرون في دويلات أخرى، ومارسوا تسلَّطهم على المسلمين بدرجات متفاوتة[6]. ومثلما استنكر مسلمو غرناطة هذا التسلط ورفضوه، استنكره أيضاً المسلمون في تلك الدويلات . وعبروا عن رفضهم له بطرق مختلفة. فهناك حادثة وقعت في المرية، أشرنا لها سابقاً، تبين أن أحد فقهائها المشهورين ويُدعى عبد الله بن سهل بن يوسف (ت: 480هـ=1087م) قد رأى

---

(1) الذخيرة، ق1، م2، ص769 .

(2) نفح الطيب، م4، ص322.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.622; ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.194.

(4) الضبي، بغية الملتمس، ص 345.

(5) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص27-28 ؛ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص128؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب، جـ2، ص 441، ترجمة رقم: 627.

(6) الشنتريني، الذخيرة، ق2، م2، ص 562؛ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص33، 38؛ ياقوت ، معجم البلدان، م3، ص145، 146.

وزيرها اليهودي، يستحم في حمام للمسلمين وبين يديه صبي يخدمه اسمه محمد ، واليهودي يناديه يا محمدال ، فغضب الفقيه ، إذ لاحظ أن الــوزير اليهــودي يتعمد أن يصغر اسم محمد إهانة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وللمسلمين، وقام بضرب اليهودي بحجر على رأسه فقتله[1].

ومرَّ أبو حفص العروضي الزكرمي بدانية، فطولب بمكس كان يتــولاه يهودي، فأزعجه ذلك، واستنكره بقوله:

يـــا أهـــل دانيـــة لقـــد خـــالفتم	حكـــم الـــشريعة والمـــروّة فينـــا
مـــالي أراكـــم تـــأمرون بـــضدٍّ مـــا	أمرت به تــرى نــسخ الإلــه الــدينا
كنـــا نطالـــب لليهـــود بجزيـــة	وأرى اليهـــود بجزيـــة طلبونـــا
مـــا إن ســـمعنا مالكـــاً أفتـــى بـــذا	لا لا ولا مـــن بعـــده ســـحنونا
هـــذا ولـــو أن الأئمـــة كلهـــم	حاشـــاهمُ بـــالمكس قـــد طلبونـــا
مـــا واجـــب مثلـــي يمكّـــس عِدلـــه	لـــو كـــان يعـــدل وزنـــه قاعونـــا
ولقـــد رجونـــا أن ننـــال بمـــدحكم	رِفـــداً يكـــون علـــى الزمـــان معينـــا
فـــالآن نقنـــع بالـــسلامة مـــنكم	لا تأخـــذوا منـــا ولا تعطونـــا[2]

كما عبر شعراء أندلسيون آخرون عن رفضهم لتولية يهود على رقاب المسلمين فقال الحسن بن الجد:

تحكمـــت اليهـــود علـــى الفـــروج	وتاهـــت بالبغـــال وبالـــسروج
وقامـــت دولـــة الأنـــذال فينـــا	وصـــار الحكـــم فينـــا للعلـــوج
فقـــل للأعـــور الـــدجال هـــذا	زمانك إن عزمت علــى الخــروج[3]

---

[1] الضبي، بغية الملتمس، ص 345-346.

[2] السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص33، 38.

[3] الشنتريني، الذخيرة، ق2، م2، ص562.

وقال ابن عتبة الإشبيلي عندما سُئل عن حاله في مصر بعد أن رحل إليها من سرقسطة التي كان أبو الفضل حسداي بن يوسف يشغل فيها منصب الوزير للمقتدر بن هود:

أصبحت في مصر مستضاماً أرقص في دولة القرود
واضيعة العمر في أخيرٍ مع النصارى أو اليهود
بالجدِّ رزق الأنام فيهم لا بذوات ولا جدود
أودُّ من لؤمهم رجوعاً للغرب في دولة ابن هود[1]

وغضب الشاعر أبو القاسم خلف بن فرج الليبيري المعروف بالسميسير، عندما قام باديس بتولية نصراني يُدعى أبو الربيع، بعد ثورة مسلمي غرناطة على الوزير اليهودي يوسف بن إسماعيل وقتله[2]. وعبَّر الشاعر عن سخطه، وسخط مسلمي غرناطة، بنظم ثلاثة أبيات شعرية، وكتابة نسخ عدة منها، وإلقائها في طرقات وشوارع غرناطة، وسار من ساعته إلى المرية معتصماً بأميرها المعتصم بن صمادح، وطارت الأبيات في أقطار الأندلس، ولما وقف باديس عليها، أرسل وراءه أصحاب الخيل ففاتهم ولم يلحقوه. والأبيات هي:

كلّ يوم إلى ورا بُدّل البول بالخرا
فزماناً تهوُّداً وزماناً تنصّرا
وسيصبو إلى المجوس إنِ الشيخ عُمِّرا[3]

---

[1] المقري، نفح الطيب، م2، ص663-664.

[2] ابن بلقين، التبيان، ص66.

[3] السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص83-84.

إنَّ تولية يهود على رقاب المسلمين في بعض دويـلات الطوائـف ، لا يمكن أن يُعدّ تسامحاً ، بل هو في رأيي انحراف عن شريعة الإسلام التي نهـت المسلمين عن موالاة اليهود والاستعانة بهم. والنصوص الشرعية التي تبين ذلك كثيرة، نذكر منها قول الله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـوا لَـا تَتَّخِـذُوا الْيَهُـودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّـهَ لَـا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[1]، وقول الرسول ـ صـلى الله عليـه وسـلم ـ: "لا تأمنوهم إذ خونهم الله"[2]، وقوله للأنصار الذين قالوا له يوم أحـد ألا نـستعين بحلفائنا من يهود: "لا حاجة لنا فيهم"[3]، وكتب أحد عمال عمر بن الخطـاب ـ رضي الله عنه ـ كتاباً إليه يقول فيه: إن المال قد كثر ، وليس يحصيه إلا هم، فاكتب إلينا بما ترى ، فكتب إليهم: "لا تدخلوهم في دينكم، ولا تسلموهم ما منعهم الله منه، ولا تأمنوهم على أموالكم، وتعلموا الكتابة، فإنما هي حلية الرجال"[4].

وقد لاحظنا ما جناه مسلمو الأندلس في بعض دويلات عصر الطوائـف من وراء هذا الانحراف. لقد أُهينوا وأُهين دينهم، وصاروا محكومين لليهود مع أنهم يعيشون في دار الإسلام وتحت حكمه، وصار بعض الضعفاء والجبناء من المسلمين مضطرين لنفاق اليهود ورؤسائهم ومدحهم مدحاً وصل فـي بعـض الأحيان إلى حدِّ الكفر، كقول ابن خيرة لإسماعيل بن نغدله:

أديـن بـدين الـسبت جهـراً لـديكُمُ وإن كنت في قومي أديـن بـه سـرّا[5]

---

[1] سورة المائدة، آية: 51.

[2] أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، (بيروت، دار الكتب العلميـة، د.ت)، ص32.

[3] مالك وآخرون، المدونة، م2، جـ3، ص40-41.

[4] ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ق1، ص210-211.

[5] الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص765.

وكانت نتائج هذا الانحراف سيئة أيضاً على يهود الأندلس أنفسهم، فبعد أكثر من ثلاثة قرون من العلاقات الحسنة بين السلطة واليهود في الأندلس في العهد الأموي، عاشها المسلمون في ظلِّ الالتزام بشريعتهم، وعاشها اليهود ملتزمين بعهودهم، حدثت لليهود في غرناطة مذبحة كبيرة، قام بها عامة المسلمين ردّاً على تجاوزات اليهود الكثيرة وتسلّطهم الكبير الذي ما كان له أن يحدث لولا الانحراف الذي أوصلهم إلى المناصب العليا.

والمسؤول الأوّل عن هذا الانحراف ونتائجه على المسلمين واليهود هم الحكام المنحرفون عن شريعة الله، فهم الذين "وكلوا أمور المسلمين إلى اليهود، فعاثوا فيهم عيث الأسود وجعلوهم حجاباً ووزراء وكتاباً"[1]. وقد تحدَّث ابن حزم عن هؤلاء الحكام المنحرفين الذين عاصرهم بقوله : "إن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها ، محارب لله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساد؛ والذي ترونه عياناً من شنِّهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارّهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين، مسلِّطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرَّم الله ، غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيهم"[2].

ووصف ابن الكردبوس هذا النوع المنحرف من الحكام الذين صار اليهود في عهدهم وزراء وموظفين كباراً يتحكمون بالمسلمين ويسخرون من دينهم بقوله:" وضعف بعضهم عن بعض إلا بمعونة الروم، فبذلوا للفنش ما يحبه من الأموال ، ليعينهم على مناوئيهم بأنجاد الرجال، واللعين في أثناء ذلك لما

---

[1] ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص78.

[2] ابن حزم الأندلسي، الرد على ابن النغريلة اليهودي، ورسائل أخرى، ص173-174.

بينهم من الفتنة مسرور، وهم مع ذلك مشتغلون بشرب الخمور، واقتناء القيـان وركوب المعاصي وسماع العيدان، وكلٌ واحد منهم يتنافس في شراء الـذخائر الملوكية متى طرأت من المشرق كي يوجهها إلى الفنش هديـة، يتقـرب بهـا إليه[1].

وتعبِّر رواية أخرى لابن الكردبوس عن معدن هذا النوع من الحكام، إذ بيَّن أن ابن رزين حسام الدولة صاحب شنتمرية ، حمل الهدايا النفيسة ، وتوجَّه بها إلى الملك الأسباني ألفونسو ليهنئه على احتلاله لطليطلة، فجـازاه ألفونـسو بإعطائه قرداً، احتقاراً له، لكن حسام الدولة عدَّ ذلك مفخرة له [2].

وقد هان هؤلاء الحكام حتى على أعدائهم ، إذ روي أن ألفونـسو قـال لابن مشعل اليهودي رسول ابن عبَّاد إليه:" كيف أترك قوماً مجَّانين ، تَسمَّى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمـرائهم المعتـضد والمعتمـد والمعتـصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون، وكل واحد منهم لا يسلُّ فـي الذب عن نفسه سيفاً ، ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفاً ، قد أظهروا الفسوق والعصيان واعتكفوا على المغاني والعيدان ؟ وكيف يحلّ لبشر أن يقرّ منهم على رعيته أحداً ، وأن يدعها بين أيديهم سدىً"[3].

إن هذا النوع من الحكام هم الذين مكنوا اليهود من رقاب المـسلمين ، وتركوهم يعيثون فساداً في ديارهم. ومن ضيَّع دينه لا يهمـه بعـده أعـراضٌ للمسلمين تنتهك، ولا حرمات لهم تُدنَّس ، ولا يهتمُّ إلا بشهواته الرخيصة فقط.

وإن ما أصاب بعض مسلمي الأندلس من ذلٍّ وهوان على أيدي اليهـود في عصر الطوائف وما حلَّ باليهود أنفسهم ، كان نتيجة طبيعية للانحراف عن

---

(1) الاكتفاء، ص77.

(2) م. ن، ص88.

(3) الاكتفاء، ص89.

أحكام الشريعة الإسلامية التي شرعها الله سبحانه وتعالى، لتحقِّق للملتزمين بأحكامها من المسلمين السعادة والعزَّة والحياة الفاضلة، ولمن رضي بالعيش تحت حكمها من غير المسلمين ، وعمل بأحكامها ، العدل والأمن والتسامح. ولن يجني المنحرفون عنها إلا التعاسة والشقاء والخسران المبين. "... فمن اتَّبع هداي فلا يضلُّ ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكى"[1].

تولى ملك غرناطة بعد باديس ابن ابنه عبد الله وهو ابن بلقين الذي سبق أن قتله يوسف بالسم[2]، وقد سمح لليهود بالعودة إلى غرناطة، ومنع أي اعتداء عليهم[3]. وقد امتنع يهود أليسانة التابعة له عن دفع الجزية المفروضة عليهم، حوالي سنة (483هـ=1090م)[4].

ويروي الأمير عبد الله هذه الحادثة في مذكراته، ويبين أن هناك سببين لامتناع اليهود عن دفع الجزية. يقول: إن أولهما يرجع إلى أننا "فرضنا على أهل أليسانة ذهباً كثيراً باسم التقوية، لم تجر عادتهم به، وحملناهم في ذلك على الصحة والانطباع فنفرت لذلك أنفسهم"[5] وثانيهما: قيام الأمير عبد الله باستدعاء ابن أبي الربيع اليهودي ليدله على أموال الدولة التي تبين أن والده أبو الربيع قد سرقها عندما كان خازناً للأموال في عهد باديس بن حبوس. وقد عرف ذلك بعد أن وجد المسلمون صندوقاً مملوءاً بالذهب في دار أبي الربيع أثناء حفرهم لأساس سورٍ يتصل بالحمراء، أمر ببنائه الأمير عبد الله. وكان ابن أبي الربيع صهراً لليهودي ابن ميمون الذي عينه الأمير عبد الله مسؤولاً عن جمع الجزية

---

[1] سورة طه، آية: 123-124.

[2] ابن بلقين، التبيان، ص40.

[3] ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.193.

[4] H. BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

[5] التبيان، ص131.

من يهود أليسانة، فقام ابن ميمون بمنع ابن أبي الربيع من الاستجابة للدعوة خوفاً عليه من التعذيب، وقام بتحريض اليهود على العصيان. "ووجد ابن ميمون المذكور السبيل إلى إغرائهم، وحملهم على النفاق، فأجابوه، ودخلوا في السلاح، ونادى فيهم أن: جدوا معشر بني إسرائيل في حماية أموالكم"[1].

وكان لابد من إنهاء هذا العصيان، ومعاقبة ابن ميمون الذي سبق أن ارتكب جريمة أخرى، عندما أقدم على قتل عامل الأمير ابن أبي لَولا؛ أرسل الأمير عبد الله جيشاً إلى أليسانة، تحت قيادة رجل يدعى مُؤمَّل، ففرض حصاراً عليها، وقبل أن يقتحمها حدثت مفاوضات بينه وبين ابن ميمون[2]، مثل اليهود فيها الحبر إسحاق بن غياث[3]. وقد تم الاتفاق على أن يدفع يهود أليسانة الجزية وأن ترفع عنهم الأموال التي فرضت عليهم زيادة عليها. وعندما رجع مؤمل بجيشه التقى بالأمير عبد الله الذي كان قد خرج إليه بنفسه على رأس جيش آخر، ليسهم في القتال ضد يهود أليسانة، وشرح مؤمل للأمير تفاصيل الاتفاق، ونصحه بالعودة، خشية من قيام ابن ميمون باستدعاء المعتمد بن عباد الذي صار قريباً من أليسانة عندما ضم إليه قرطبة، وكان ابن ميمون يشجع يهود أليسانة على الصمود بقوله: إنه سيستدعي ابن عباد ويدعمه ليسقط دولة غرناطة، ويضمها لمملكته. وأخذ الأمير بنصيحة مؤمل ليس خوفاً من التحالف الذي يهدد به ابن ميمون، إذ كان يستبعد أن يستجيب ابن عباد لليهود، وإنما لأن ما حدث من حصار لأليسانة كان كافياً لإرهاب يهودها المتمردين[4]. لكنه قرر أن ينتهج أسلوباً جديداً في التعامل مع ابن ميمون ومع يهود أليسانة مستفيداً من

---

(1) التبيان، ص131.

(2) م. ن، ص131.

(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص62.

(4) ابن بلقين، التبيان، ص131.

كره هؤلاء اليهود لابن ميمون، الذي ظلمهم عندما "استمال بهـــا أقوامـــاً مـــن الغرباء، يصول بهم على أهل ملته"[1].

وهو يحدثنا عن سياسته الجديدة معهم وكيفية قضائه على ابن ميمـــون بقوله: "ووجست نفسي من ابن ميمون لإظهاره الخلاف والإعلان بذلك، وعلمت أن هذه هدنة على دخَن، وأن لا طاعة تصح لي معه، وسيؤثر أمثال هذه، فدبت إليَّ المداخلة من اليهود المخمولين في زمانه، ووعدتهم بالإحسان، وتكرر فـــي الوساطة ابن سيقي، حتى أبرمت من ذلك ما أمَّلته. وكان أخذ ابن ميمون يسيراً. لاعصبة له، وهو غافل. وكان الواسطة أيضاً ابن المرة مع أبي العباس الحكيم. وكان ذلك مما نقمه مؤمل لانحياشه عن ذلك، إلـــى أن وردوا الحـــضرة علـــى عادتهم، وأمرت بثقافه مع ابنه برضاء من الشيوخ، وأمرتُ أن لا زعيم فيهم بعد اليوم إلا الكل منهم أمناء مَنُّوْه بهم، فشكروا ورضوا. وخاطبت عامتهم نُعلمهـــم بما لهم في ذلك من الصلاح. وتهدنت الأحوال وقرَّت إلى أن تلف الكل"[2].

أما عن علاقة اليهود بالسلطة في إشبيلية التي أصبحت أهم مركز لليهود في الأندلس بعد التمزق الذي حل بيهود غرناطة، فيمكن التعرف عليها من خلال المعلومات القليلة التي تقدمها كل من المصادر الإسلامية واليهودية.

يروي الشنتريني أن مسلماً بطش بيهودي وجرحه وحرك عليه العامـــة وسط السوق في إشبيلية، بحجة أن هذا اليهودي سبَّ شـــريعة الإســـلام. فقـــام صاحب المدينة عبد الله بن سلام بالقبض على المسلم وحبسه، فأنكر الناس عليه ذلك، وأظهروا تذمراً من تصرفه، فخاف ابن سلام وأرسل إلى حـــاكم إشـــبيلية المعتمد بن عباد الذي كان في قرطبة، يستشيره ويطلب تعليماته، فسارع المعتمد إلى إرسال ولده سراج الدولة إلى إشبيلية، وبعث معه جيشاً كثيفاً يضم نخبة من

---

[1] التبيان، ص131.

[2] م. ن، ص132.

علمائه وخيرة رجاله ووزيره الوليد بن زيدون، بالرغم من مرضه. وكان القصد من إرسال هؤلاء إلى إشبيلية تهدئة العامة، والحيلولة دون حدوث اعتداء علـــى يهود المدينة، أو على حاكمها الذي عاقب المسلم وترك اليهودي[1].

إن تصرف كل من عبد الله بن سلام والمعتمد بن عباد في هذه القـــضية يدل على حرص حكومة إشبيلية على العدل، فبالرغم من كون القضية بين مسلم ينتصر للشريعة، ويهودي يعتدي عليها، وبالرغم من أن الحاكم كـــان مـــسلماً، ويغضبه أن تمس الشريعة بأذى، إلا أنه سجن المسلم الذي ثبت عليـــه الـــبطش باليهودي. لأن معاقبة المذنبين يهوداً أو مسلمين ليست من اختصاص أحد غيـــر الدولة. وقانونها الإسلامي يقضي برفع الشكاوى إلى القاضي المسلم الذي يتحقق من صحتها إما باعتراف المتهم، أو بشهادة أخرى، فإذا ثبتـــت التهمـــة فعندئـــذ يتولى القاضي نفسه تقرير العقوبة. وأعتقد أن عدم وجود شاهد آخر على تهمة اليهودي هو الذي دفع ابن سلام إلى تركه. وما يفهم من روايـــة الـــشنتريني أن التهمة لم تكن ثابتة ولذلك قال: "فزعم أنه سب الشريعة"[2].

ولأن دولته كانت حريصة على العدل الذي يضمن لأهل الذمة الحماية، والأمان ولا يجيز معاقبتهم جميعاً بجرم أحدهم، سارع المعتمد إلى احتواء تلـــك الفتنة بكل ما أوتي من قوة، وذلك من أجل أن يمنع حدوث تطورات في إشبيلية قد تنزل باليهود كارثة، كتلك التي حدثت في غرناطة منذ عهد قريب، وتـــسبب في وقوعها غياب السلطة الحازمة التي تمنع اليهود من نقض عهودهم وتجاوز حـــدودهم، ولا تتجاهل مشاعر المسلمين وتذمرهم. وكان المعتمد حريصاً أيضاً على تهدئة اليهود الذين بطش بواحد منهم وجرح دون أن تثبت للدولة جريمته. ولذلك أصر على إرسال وزيره أبو الوليد بن زيدون، بالرغم من مرضه، لأنـــه

---

[1] الذخيرة، ق1، م1، ص418.

[2] الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص418.

خبير بالسياسة، وبشؤون أهل الذمة أيضاً، إذ سبق للمعتمد أن " قدمه إلى النظر على أهل الذمة، لبعض الأمور العارضة"[1]. فحقق في هذا المجال نجاحاً كبيراً، إذ يصفه الشنتريني بأنه صاحب "اشتداد في رعاية متقادم الذمة"[2].

وقد سُمح لليهود بالخدمة في قصور بني عباد ملوك إشبيلية ذوي النسب العربي، فعمل الحبر اليهودي إسحاق بن باروخ بن الباليه منجماً لدى المعتضد(415-462هـ= 1024-1069م)[3]. كما خدم لديه أيضاً جوزيف بن ميغاش، وهو أحد الهاربين اليهود من غرناطة[4]. وعندما تولى المعتمد بن عباد حكم إشبيلية، قام باستدعاء إسحاق بن باروخ الباليه للعمل لديه منجماً، ثم قام بتعيينه رئيساً للطائفة اليهودية في مملكته[5]. فتولى جمع وتسليم الجزية المفروضة على اليهود للدولة. فأصبح إسحاق من أثرياء اليهود في إشبيلية، وصار الطلاب والمثقفون اليهود الذين يفدون لطلب العلم في هذه المدينة المزدهرة المتحضرة، يحظون بدعمه ورعايته[6]، كما استعمل إسحاق مركزه الذي منحه له المعتمد، في إنشاء مكتبة ضخمة، أنفق عليها أموالاً كثيرة، ووظف العديد من اليهود ليجمعوا له الكتب، وتمكن بماله وبجهود موظفيه من جمع كثير من كتب مكتبة يوسف بن إسماعيل التي فقدت في أحداث غرناطة[7].

---

(1) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص337.

(2) م. ن، ق1، م1، ص419-420.

(3) H. BEINART, SEVILLE. ENCYCLPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.173
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.629.

(5) الموسوعة العبرية، م25، 487 DUBNOV. HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.629;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3. P.170.

(6) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.170.
H. BEINART, SEVILLE, ENYCLOPEDIA JUDAICA, VOL. 14, P.1201.

(7) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.170.

وكانت بعض العائلات اليهودية الإشبيلية الثرية مقربة من حكام إشبيلية، وحصل بعض أبنائها على وظائف حكومية، مثل عائلة كامنيل التي ظلت قريبة من السلطة لمدة طويلة. وعائلة ابن مهاجر التي ينتمي إليها أبو إسحاق إبراهيم بن مير بن مهاجر، الذي شغل منصباً مهماً في حكومة إشبيلية، ومنح لقب الوزير إضافة إلى ألقاب رنانة أخرى. وقد مدحه الشعراء اليهود المعاصرون له، وعدُّوه مخلصاً لشعبه، وراعياً للطوائف اليهودية في مملكة إشبيلية والبلدان البعيدة أيضاً. وكان أبو إسحاق عالماً ومتمرساً بالتعاليم اليهودية وخبيراً بعلم الفلك. وسخر سلطاته لفرض الانضباط الديني على يهود إشبيلية[1] وثمة عائلة أخرى احتلت موقع التقدير بين يهود إشبيلية في ختام القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وهي عائلة ابن يانوم، لكنها لم تكن مقربة من حكام إشبيلية[2].

لقد تدفق اليهود من معظم مناطق الأندلس والخارج إلى إمارة إشبيلية للاستقرار في ظل الحرية والتسامح والازدهار الاقتصادي والثقافي الذي وفره الحكام من بني عباد، لجميع السكان على اختلاف عناصرهم وأديانهم، فزادت أعداد اليهود هناك زيادة كبيرة[3].

وبالرغم من قلة مشاركة اليهود في الأحداث السياسية التي مرت بها إمارة إشبيلية إلا أنهم لم يغيبوا عنها تماماً. فبعد أن ضعفت دولة بني جهور في قرطبة نتيجة للصراع على حكمها بين الأخوين عبد الرحمن وعبد الملك ابني محمد بن جهور، طمع في السيطرة عليها كل من المأمون بن ذي النون حاكم

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.172.

(2) IBID, VOL, 3, P.172; BEINART, SEVILLE, ENYCLOPEDIA JUDAICU, VOL, 14, P.1201.

(3) ينظر: IBID, VOL, 3, P.171.

طليطلة، والمعتمد بن عباد حاكم إشبيلية، وتمكن حكم بن عكاشة من السيطرة على المدينة، وفتح أبوابها لابن ذي النون، الذي دخلها ثم ما لبث أن توفي، فاستنجد أهل قرطبة بابن عباد، وعندما دخلها هرب حكم بن عكاشة، وتمكن منه يهودي من رجال قرطبة فقتله عند قنطرتها، وذلك سنة (467هـ=1075م)[1]. ولم يخبرنا ابن الخطيب صاحب هذه الرواية بدوافع اليهودي من قتل ابن عكاشة، ولا بالكيفية التي تم فيها الحادث. ولكن تزامنه مع دخول ابن عباد إلى قرطبة، ومع هروب ابن عكاشة منها يؤكد على أن دوافع سياسية تقف وراءه، وهي على الأغلب رغبة هذا اليهودي في تسجيل موقف لليهود يحفظه لهم ابن عباد.

وقد شغل اليهود مناصب مهمة ووظائف حكومية في دول أخرى داخل الأندلس أثناء عصر الطوائف. ففي سرقسطة صار أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي وزيراً في عهد حاكمها المقتدر بالله بن محمد بن هود الجذامي (438-474هـ=1016-1081م)[2]. وكان حسداي يزعم أنه من ولد النبي موسى عليه السلام، وقد أعلن إسلامه[3]، لكن روايات المؤرخين المسلمين عن دوافعه وممارساته، تشككنا في صدقه، إذ يقول الشنتريني: "وذهبوا أن جارية ذهبت بلبه، وغلبته على قلبه، فجن بها جنونه، وخلع إليها دينه، وعلم بذلك صاحبها، فزفها إليه ووضع زمامها بين يديه، فتجافى عن موضعه من وصلها، أضيع ما كان بين دلالها ودلها، أنفةً من أن يظنّ الناس أن إسلامه كان من أجلها، فحسن ذكره، وخفي على كثير من الناس أمره"[4].

---

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص159 .

(2) الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص458-459؛ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص128.

(3) المقري، نفح الطيب، م3، ص293-294.

(4) الذخيرة، ق3، م1، ص458؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص293-294، 401 .

وكان صديقه المسلم أبو الفضل بن الدباغ الذي عرفه عن قرب يلمح في حديثه إليه، وتندره عليه أنه لم يكن إلا مدَّعياً للإسلام[1].

وقد استطاع حسداي بن يوسف بما أوتي من ذكاء وبلاغة أن يحظى بمكانة مرموقة لدى حاكم سرقسطة المقتدر بالله. وقد جمع ابن بسام في كتابه الذخيرة، كثيراً مما كتبه حسداي في مدح المقتدر، وهو مدح يدل على نفاقه الشديد، ويصور عقلية هذا الحاكم الذي يقرب يهودياً من أجل مديح كاذب. لقد امتدح حسداي كل شيء في المقتدر[2]، حتى وصل إلى عوَرِه، فجعله ميزة يحسده عليها المبصرون، وساق إليه قول القائل:

شمس الضحى يعشي العيون ضياؤها	إلا إذا نظرت بعين واحدة
فلذاك تاه العور واحتقروا الورى	فاعرف فضيلتهم وخذها فائدة
نقصان جارحة أعانت أختها	فكأنما قويت بعين واحدة[3]

وظل حسداي بن يوسف بالرغم من إعلانه للإسلام ووصوله إلى منصب رفيع، يمارس فسقه ومجونه، وكان ابن الدباغ أحد أصدقائه الذين يجتمع معهم على موائد الخمر، وعندما غادر سرقسطة، أرسل إلى حسداي وأصحابه، يعلمهم أنه اعتزل الخمر وتاب إلى الله تعالى[4]، ومما قاله لهم: "وأنتم سادتي أخلاء النبيذ برئت منكم كما برئ المسيح من اليهود[5] "، فرد عليه حسداي

---

(1) ينظر: العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، (القاهرة، دار نهضة مصر)، ق4، جـ2، ص353-354؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص401-402.

(2) الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص479-485 .

(3) الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص482 .

(4) م. ن، ق3، م1، ص282-284 .

(5) م. ن، ق3، م1، ص283 .

برسالة يزين له فيها الفسق، ويرغبه في الخمر، ويؤكد له أنه هو الذي انحرف عندما ترك شرب الخمر[1]، ويقول: "فاعلم أن الغي ما أنت فيه منذ اليوم"[2].

وكان حسداي يكتب للمقتدر رسائله[3]، ويشاركه في رحلاته[4]، ويزكي عنده من رضي عنهم، إذا رغبوا في الحصول على وظيفة في دولة المقتدر[5] ويهجو بقلمه من كلفه المقتدر بهجائه[6].

وقد لجأ إليه الأديب أبو الحسن الحصري[7] يشكو إليـه ابـن عبـاس اليهودي صهر حسداي، الذي رفض أن يعيد إليه رهنه، بالرغم من أن الحصري رد إليه المال الذي استدانه منه في الوقت المحدد[8].

وبحكم موقعه في دولة المقتدر بسرقسطة صارت لحسداي بن يوسـف علاقات وطيدة مع شخصيات مرموقة في الإمارات والممالك المجاورة. وكـان أبو بكر محمد بن عمار أحد الذين توثقت به علاقتهم، وقد كتب إليه رسالة مـن سجنه يقول فيها:

أدرك أخـاك ولـو بقافيـةٍ   كالطـل يـوقظ نـائم الزهـر

---

[1] الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص284–290 .

[2] م. ن، ق3، م1، ص285 .

[3] م. ن، ق3، م1، ص468–469 .

[4] م. ن، ق3، م1، ص493 .

[5] م. ن، ق3، م1، ص468 .

[6] م. ن، ق3، م1، ص905.

[7] هو الأديب أبى الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري، دخل الأنـدلس فـي منتصف المئة الخامسة من الهجرة، بعد خراب وطنه القيروان، وكان شاعراً وأديباً متميـزاً، وبعد أن خلع ملوك الطوائف استقر في طنجـة. ينظـر: الـشنتريني، الـذخيرة، ق3، م1، ص245–447 .

[8] الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص453ـ454 .

فلقـــد تقاذفـــت الركـــاب بـــه   في غيـــر مومـــاة ولا بحـــر[1]

وقد أثنى حاكم بلنسية أبو عبد الله بن طاهر على أبى الفضل حـــسداي، وذلك في رسالة بعث بها إلى المقتدر يقول فيها: "الوزير الكاتب أبـــو الفـــضل، وحيد الفضل، وينبوع النبل، وما عداه قول القائل:

إن أبـــا الفـــضل لـــه فـــضلةُ   وأين في النـــاس فتـــىً مثلـــه[2]

غادر أبو الفضل حسداي سرقسطة دون أن يعلم المقتدر بعزمـــه علـــى الرحيل، ثم أرسل إليه رسالة، لم يوضح فيها أسباب تركـــه لسرقـــسطة[3]، ورد عليه المقتدر يعاتبه على رحيله عنه من دون أن يخبره[4]. ويتضح من الرسالتين أن الرجلين ظلا حافظـــين للصداقة والود[5]. وانقطعت منذ تلك المراسلة أخبار أبى الفضل حسداي بن يوسف الإسرائيلي.

وبالرغم من الازدهار الاقتصادي والثقـــافي الـــذي تميـــزت بـــه دول الطوائف في الأندلس[6]، إلا أن النزاعات المستمرة بين حكام هذه الـــدول قـــد أضعفتهم، وجعلتهم يفشلون في صد الهجمة الصليـــبية التـــي تعرضـــت لهـــا الأندلس من قبل الممالك والإمارات النصرانية في الشمال، فسقطت بعض المدن الإسلامية في شمال الأندلس، واضطر حكام عددٍ من دول الطوائف إلـــى دفـــع الجزية لملوك النصارى. وكان لليهود موقف سلبي من المسلمين، حيث وقفـــوا إلى جانب ملوك النصارى وقدموا لهم العون. ففي ســـنة (448هـــــ=1056م)،

---

(1) الشنتريني، الذخيرة، ق2، م1، ص401، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص128 .

(2) م. ن، ق3، م1، ص458-459 .

(3) الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص461، 462، ص494 .

(4) م. ن، ق3، م1، ص494 .

(5) م. ن، ق3، م1، ص461-462، ص494 .

(6) ينظر: عنان، محمد عبد الله، دول الطوائف، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، 1380هـ-1960م)، ص407-421 .

استولى الكبيطور المعروف بالسيد على مدينة بلنسية بعد حـــصار دام عـــشرين شهراً، وحينما دخلها صلحاً غدر بها وأحرقها، وعاث فيها فساداً. ووقف يهـــود المدينة إلى جانب الجيش النصراني، فعين الكبيطور يهودياً لجمع الجزيـــة مـــن المسلمين، وأطلق يد اليهود للتنكيل بهم[1]. يقول ابن عذاري: "وبلغ اليهـــودي – لعنه الله– من المسلمين مبلغ الغاية في العذاب، وسلط اليهـــود علـــى الإســـلام، فبلغوا النهاية في النكال والنكاية، ومنهم الأمنـــاء الموكلـــون، والمتـــصرفون، وأصحاب الرسوم، وخدام البر والبحر. وجلس اليهودي للقبض بصاحب المدينة من الضرب بالعصا والسّوط، وقيض لكل منهم شيطاناً يخرج معه كل عدو، فإن جاء بشيء، وإلا أُخذ بالسوط والعذاب، وتمادت هذه المحنة مدة[2].

وبالرغم من تنكيل يهود بلنسية بأهلهـــا المـــسلمين، إلا أن المـــصادر التاريخية لم تقدم أية إشارة إلى قيام المسلمين بالانتقام من يهود بلنسية بعـــد أن استعادها المرابطون سنة (495هـــ=1102م).

وعندما اضطّر المعتمد إلى القبول بدفع الجزية لملك قشتاله أذفونش بن فرذلاند، أرسل أذفونش مع النصارى الذين بعثهم لقبض الجزية يهوديـــاً اســـمه عمرام بن شاليب بارع في شؤون النقد، وعندما وصلوا[3] "حلوا بباب من أبواب إشبيلية فوجه لهم المعتمد المال، مع جماعةٍ من وجوه دولته، فقال اليهودي: والله لا أخذت هذا المعيار، ولا آخذه منه إلا مشجراً، وبعد هذا العام لا آخذ منـــه إلا أجفان البلاد، ردوه إليه، فرد المال إلى المعتمد، وأعلم بالقصة، فـــدعا بالجنـــد، وقال ائتوني باليهودي وأصحابه، واقطعوا حبال الخباء، ففعلوا وجـــاءوا بهـــم،

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، جـــ4، ص41 .

[2] م. ن، جـــ4، ص41 .

[3] المقري، نفح الطيب، م4، ص246؛

ينظر: DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.631

فقال: اسجنوا النصارى، واصلبوا اليهودي الملعون، فقال اليهودي لا تفعل، وأنا أفتدى منك بزنتي مالاً، فقال: والله لو أعطيتني العدوة والأندلس ما قبلتهما منك، فصلب، فبلغ الخبر النصراني، فكتب فيهم، فوجه إليه بهم، فأقسم النصراني، أن يأتي من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل إلى بحر الزقاق"[1]. وهناك روايات أخرى لهذه الحادثة[2] منها رواية الحميري التي يقول فيها: "وسفر بذلك بينهمـــا يهودي كان وزيراً لابن فرذلند، فتكلم بين يدي المعتمد ببعض ما جاء به من عند صاحبه فأيأسه ابن عباد من جميع ذلك، فأغلظ له اليهودي في القول، وشافهه بما لم يحتمله، فأخذ ابن عباد محبـــرة كانت بين يديه، فأنزلها على رأس اليهودي، فألقى دماغه في حلقه، وأمر به فصلب منكوساً بقرطبة"[3].

لقد فجرت غطرسة اليهودي وعداؤه الأعمى للمـــسلمين الـــذين طالمـــا أحسنوا إلى قومه، غضبة إسلاميةً عربيةً في نفس المعتمد، فلم يحتمل الإهانـــة والذل الذي يتعَمَّد اليهود والنصارى أن يلحقوه به وبالمسلمين، فقام بقتـــل هـــذا اليهودي، ودعا أمير المرابطين في المغرب يوسف بن تاشفين لدخول الأنـــدلس لمساعدته في التصدي للصليبيين، وعندما قال له ولده: "يا أبت أتدخل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا، ويبدد شملنا؟"، رد عليه بقوله: "أي بني والله لا يـــسمع عني أبداً أني أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنصارى، فتقوم اللعنة علـــيَّ في منابـــر الإسلام مثل ما قامت على غيري. حَرْزُ الجمال عندي والله خير من حرز الخنازير"[4]. ودخل المرابطون إلى الأندلس، وتوحـــدت دول الطوائـــف.

---

[1] ابن خلدون، العبر، جـ4، ص158؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص246.

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص244ـ245؛ ابن خلدون، العبر، جـ4، ص158.

[3] الحميري، الروض المعطار، ص288 .

[4] ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، جـ1، ص27-28 ؛ قارن: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص245.

وكان النصر في معركة الزلاقة (12-رجـب-479هـ=23-تـشرين أول-1086م) على أدفونش بن فرذلند وجنده من النصارى[1]، واليهود الذين شاركوا معهم في القتال بأعداد كبيرة[2]، نصراً مبيناً، ودرساً مهماً، يعلم المسلمين في كل وقت كيف يصنعوا من إهانة أعدائهم لهم، وتسلطهم عليهم، وحـدة، وجهـاداً، وانتصارات عظيمة.

---

(1) ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ2، ص100-101؛ ينظر: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص403-409.

(2) ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص134؛ ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، جـ1، ص57؛ الحميري، الروض المعطار، ص289-290؛ كحيلة، تاريخ النصارى في الأنـدلس، ص63-64.

المبحث الرابع

اليهود والسلطة في عهود المرابطين والموحدين وسلطنة غرناطة

أولاً: المرابطون واليهود:

قامت دولة المرابطين في المغرب على أساس الالتزام بأحكام الإسلام، والجهاد في سبيل الله. وقد رزقت هذه الدولة بقادة جمعوا بين التقوى والجهاد[1]، وكان على رأس هؤلاء يوسف بن تاشفين الذي لبى استغاثة مسلمي الأندلس وعبر إليهم بجيشه، فوحد ملوكهم وقادهم للنصر في معركة الزلاقة[2]، ثم قفل راجعاً إلى المغرب سنة (479هـ=1086م) بعد أن جمعهم ووعظهم وأخذ منهم عهداً بالعمل معاً ضد الهجمة الصليبية على الأندلس[3].

لكنّ ملوك الطوائف عادوا إلى منافساتهم وفرقتهم وضعفهم، وأصبحوا غير قادرين على حماية المسلمين وديارهم، فعاد إليهم سنة (483هـ=1090م)، فخلعهم وضم الأندلس إلى حكمه[4].

وكان حكام المرابطين متسامحين بوجه عام في تعاملهم مع اليهود، يفهم ذلك من خلال الإشارات الآتية:-

أولاً: عين أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ= 1106-1142م) اليهودي أبا أيوب سليمان بن المعلم طبيباً خاصاً له، وكان يحمل لقب

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ4، ص7-17؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص245.

(2) ابن بلقين، التبيان، ص104-106؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ2، ص100-101؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص246.

(3) ابن بلقين، التبيان، ص106؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص421-422.

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3، تحقيق: أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، (الدار البيضاء، 1964م)، نشر تحت عنوان: "تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط"، ص353.

الوزير الفخري، وكان هو والطبيب اليهودي إبراهيم بن كامينال وكيلين ماليين للدولة يعملان في مجال جمع الجزية المفروضة على اليهود.

وقد أتيح لابن كامينال أن يخدم اليهود من خلال عمله في الدولة، ولذلك حصل على ثناء الشاعر اليهودي المعاصر له موسى بن عزرا الذي قال إنه كان درعاً لقومه عند حصول مشكلات لهم، وأنه بالرغم من وجوده في الأندلس إلا أن رعايته تصل إلى اليهود في العراق ومصر[1].

ثانياً: ذكر ابن عذاري أن مُعاهِدَةَ غرناطة شكوا إلى الأمير علي بن يوسف عند قدومه إليها، ولده حاكم غرناطة عمر بن علي، "فأمر بمحضره معهم في مجلس نظره، فأدلوا بحجج في ظلمه فسجنه لهم حتى أنصفهم من ظلامتهم[2]، ثم بعد ذلك أصابه طاعون كان سبب حتفه"[3].

وبالرغم من أن الرواية تحدثت عن المعاهدة الذين قد يكونون نصارى أو يهوداً أو كلاهما، إلا أنها تحمل دليلاً على سياسة إنصاف أهل الذمة التي انتهجها المرابطون.

ثالثاً: كان لعمر بن علي بن يوسف كاتب يهودي، وقد عينه في هذا المنصب بالرغم من أنه كان مكروهاً لمسلمي غرناطة، ويبدو أنه كان كثير الإساءة إليهم[4]، إذ يبين ابن عذاري أنه يهودي ليس في أصوله فحسب، بل في أخلاقه السيئة أيضاً" وكان له كاتب يهودي الأعراق والأخلاق يبغض الناس ويبغضونه، أشأم قسمة على نفسه ورئيسه ومن اتصل به. فبدأ بشؤمه أميره يناله، فجرَّ إليه

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.728-729; BROYDE, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.208;
الموسوعة العبرية، م25، ص487 .

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ4، ص77.

(3) م. ن، جـ4، ص77 .

(4) م.ن، جـ4، ص77 .

العزل وأورده السجن وأدَّاه إلى الهلكة، وغدا شؤمه عليــه، فاستؤصــل مالــه، ونهبت داره، وطلب ليوقع به، ففرَّ وهلك بعد ذلك، وكان أشقر أزرق دميم الخَلق في وجهه خال"[1].

ومن المحتمل أن يكون اليهود قد تقلدوا وظائف أخرى لم تكشف عنهــا المصادر، بدليل ما جاء في إحدى الرسائل الرســمية المرابطيــة التــي بعثهــا تاشفــين بن علي إلى القضاة والفقهاء يأمرهم بعدم إسناد وظائف الدولة لأهــل الذمة[2]، غير أن قراره الذي صدر سنة (538هــ=1143م) جاء متــأخراً، أي قبل ثلاث سنوات فقط من سقوط دولة المرابطين، وهو يعكس على كل حال ما حدث على صعيد الواقع.

رابعاً: أعاد المرابطون العائدون من معركة الزلاقة إلى اليهود أملاكهــم التــي سبق أن فقدوها أثناء الثورة على الوزير اليهودي يوسف بن إسماعيل، وقد فعلوا ذلك بالرغم من مشاركة يهود المناطق الإسلامية المحتلة مع النصارى في تلــك المعركة[3].

خامساً: شهدت بعض المصادر اليهودية على تسامح المرابطين مع اليهــود، إذ يقول بِرويد في الموسوعة اليهودية في مقالة له عن يهود إشبيلية: "لقــد عــاش

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، جــ4، ص77 .

[2] مؤنس، حسين، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلــى الموحــدين، (520-540هــ=1126-1145م)، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، (مدريــد، 1954م)، م6، ع3، رسالة رقم1، ص113.

[3] الكواتي، اليهود في المغرب، ص216؛
H. GRAETZ, LES JUIFS D' ESPAGNE TRADUIT DE 1' ALLEMEND PAR GEORGES STENNE (PARIS, LIBRARIE HOUVELLE, 1872), P.183.

يهود إشبيلية في سلامٍ تحت حكم المرابطين"[1]. وقد أشار إلى ذلــك كــل مــن دوبنوف[2] والموسوعة العبرية[3].

سادساً: ذكر صاحب الحلل الموشية أن فقيهاً قرطبياً قال للأميــر يوســف بــن تاشفين عندما جاء إلى قرطبة أنه وجد مجلداً من تأليف ابــن مــسرة الجبلــي القرطبي يضم حديثاً مرفوعاً إلى النبي محمد صلى الله عليه وســلم يبــين "أن اليهود ألزمت نفسها، أنها إذا جاءت الخمس مئة عام من بعد مبعث رســول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يجئهم نبي منهم على ما زعموا، فــإن الإســلام لازم لهم، لأنهم وجدوا في التوراة قول الله تعالى لموسى عليــه الــسلام أن النبــي الرسول الذي معناه محمد لابد من ظهور الحق على يده، ونوره متصل باتصال الساعة، فزعمت اليهود أنه منهم، وأنه إن لم يجيئ على رأس الخمس مئة عام، وإلا فهو هذا. فرفع هذا الفقيه القرطبي الأمر إلى أمير المسلمين. فاجتاز إلــى مدينتهم [أليسانة] ليرى ما يصنع فيهم"[4]. ويكمــل صــاحب الحلــل الموشــية روايــته لهذا الخبر "فيذكر أنه استخلص منهم جملة مالٍ بسبب ذلك، وأن قاضي الجماعة أبا عبد الله محمد بن علي ابن حمد بن التغلبي أجرى مسألتهم معه على وجه تركهم ففعل"[5]. وتؤكد بعض المصادر النصرانية هذا الخبــر، وتبــين أن وجهاءهم خرجوا إليه، ورجوه أن يعفيهم من هذا الالتزام، واستعدوا مقابل ذلك أن يدفعوا إليه مبلغاً كبيراً، فوافق ولم يكرههم على الإسلام، وكان ذلك في سنة (500هـ=1106م)[6].

---

(1) SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.208.

(2) HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.728-729.

(3) الموسوعة العبرية، م25، ص487.

(4) ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص80 .

(5) م.ن، ص80.

(6) نقلاً عن: ضياء باشا، الأندلس الذاهبة، دول الطوائف ودولة المرابطين وبداية دولة الموحدين، جــ2، (عمان-1989م) ص118؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.728; H. BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

وأرى في عدم إجبار يوسف بن تاشفين اليهود على الوفاء بالتزام أجدادهم دليلاً على تسامحه وحكمته. فقد كان بإمكانه أن يكرههم على الإسلام دون أن يجد معارضة من فقهاء المسلمين، بسبب وجود ذلك الحديث. لكنه رأى أن قبوله لمالٍ يتقوى به المسلمون على أعدائهم، خير من أن يضم إلى صفوفهم مجموعة من المنافقين الهاربين من الحق، لن يزيدوا المسلمين إلا خبالاً.

وقد خاض بعض المؤرخين اليهود المعاصرين في هذه الحادثة، وصوروها على أنها محاولة لإكراههم على الإسلام، قد نجوا منها برشوة يوسف بن تاشفين بأموالهم(1).

سابعاً: لم تمنع سياسة التسامح التي انتهجها المرابطون مع اليهود أن يأخذوا حذرهم منهم، يدل على ذلك قول الحميري: "وكان علي بن يوسف منع اليهود من سكنى مراكش، فلا يدخلها أحد منهم إلا نهاراً، ثم ينصرفون في العشية، وليس دخولهم إياها إلا لأموره وما يختص به، ومتى عثر على أحد منهم بات بها استبيح ماله ودمه"(2).

ولا أجد في تصرف الأمير المرابطي تعصباً أو خروجاً عن سياسة التسامح. لأن من حق المرابطين بل من واجبهم أن يتخذوا كل الإجراءات الضرورية لحفظ أمنهم. وأرى أن المرابطين قد خصوا مراكش من بين مدن المغرب والأندلس بهذا الإجراء لأنها كانت "دار مملكة المرابطين"(3)، ولأنها

---

(1) ينظر: DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.728,
H. BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA VOL.11, P.550.

(2) الروض المعطار، ص76-77. أكد ذلك الإدريسي فقال: "وكانت اليهود لا تسكن مراكش عن أمر أميرها علي بن يوسف".
الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية. مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تصحيح ونشر: هنري بيريس، (الجزائر، دار الكتاب، 1957م)، ص45.

(3) الناصري، الاستقصاء، جـ2، ص23.

خصصت لأمرائهم وجندهم، حيث "اتخذ يوسف بن تاشفين مدينة مراكش لنزوله ونزول عسكره"[1]. ولذلك يجب أن تبقى بعيدة عن غير الموثوقين الذين يمكـــن أن ينقلوا أسرارها وأخبارها لأعداء المسلمين، ويمكن أن يشتركوا معهـــم فـــي مؤامرات ومكائد خطيرة. وقد خصوا اليهود بهذا الإجراء لأنهـــم يعلمـــون أن التآمر والخيانة والإفساد ومعاداة المسلمين صفات ملازمة لليهـــود، لا يزيلهـــا تسامح معهم، أو طول إحسان إليهم. وقد استمد المرابطون هذه التصورات مـــن خلال التاريخ الطويل لليهود في معاداة الإسلام والمسلمين. ومن خلال القـــرآن الكريم الذي يُحذِّر منهم كثيراً.

لقد تعامل المرابطون مع اليهود بهذه الروح المتـــسامحة بـــالرغم مـــن علمهم بالتجارب المريرة التي عاناها المسلمون من اليهود في عصر الطوائـــف عندما وصلوا إلى مناصب عليا في بعض دولها، وبالرغم من علمهم بما فعلـــه يهود بلنسية بالمسلمين عندما سقطت في يد النصارى[2]، وبالرغم من مـــشاركة اليهود الذين سبق أن نعموا بعدل المسلمين، في معركة الزلاقـــة إلـــى جانـــب النصارى[3]، ومشاركتهم أيضاً في معركة أقليش الشهيرة (16-شوال-501هـ= 29-مايو-1108م) إلى جانب الجيش القشتالي الذي هزم وقُتل قائـــده شـــانجه (SANCHO) ولي عهد ألفونسو السادس، وولده الوحيد بـــالرغم مـــن تفوقـــه العددي، هذه المشاركة التي انقلبت إلى نكبة على رؤوس اليهود، حيث اتهمهـــم رجال الكنيسة وعلى رأسهم أسقف طليطلة برنارد (BERNARD) بأنهم سبب

---

(1) الناصري، الاستقصاء، جـ2، ص23.

(2) ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ1، ص422، ترجمة رقم: 1198؛ ابن عذاري، البيـــان المغرب، جـ4، ص41.

(3) ينظر: ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص57 ؛ الحميري، الروض المعطـــار، ص289-290؛ عبد الواحـــد المراكـــشي، المعجـــب، ص134؛ BROYDE, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.486.

الهزيمة الكبيرة التي حلت بهم، إذ كانوا في ميسرة الجيش، ولم يصمدوا أمام ضربات المسلمين الذين بدأوا بهم، فلاذوا بالفرار، محدثين الذعر والارتباك في صفوف النصارى. لقد هاجم النصارى المنهزمون اليهود في طليطلة وبقية الأقاليم التابعة لهم، وصبوا عليهم جام غضبهم، فقتلوا الكثيرين، ونهبوا أموالهم وكان الوجيه اليهودي سليمان بن فاريسول أحد هؤلاء القتلى[1].

وأعتقد أن سياسة ضبط النفس واستمرار التسامح التي التزم بها المرابطون في تعاملهم مع اليهود، ترجع إلى مبادئ وأحكام الإسلام التي حرص المرابطون على تطبيقها في دولتهم. ومن أهم هذه المبادئ قول الله تعالى: { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } [2]،وقوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّه شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [3]. فلا يجوز على وفق هذه المبادئ أن يتحمل يهود غرناطة الذين ما زالوا في ذمة المسلمين، مثلاً خيانة أو جريمة يهود بلنسية أو طليطلة الذين خرجوا من ذمتهم. لقد التزم المرابطون كسلطة بذلك بالرغم من استغاثات مسلمي المناطق الأندلسية المحتلة التي تصور دور اليهود في التحريض عليهم والتنكيل بهم. ومن ذلك، الرسالة التي بعث بها

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.732;
MEYER KAUSERLING, TOLEDO, THE JEWISH ENCYCLO PEDIA, VOL.12, P.176;
BROYDE, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.486;
H. BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1200.
عن هذه المعركة، ينظر: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص425 .

(2) سورة فاطر، آية 18.

(3) سورة المائدة، أية 8.

الشاعر إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن عبيد النفزي إلى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، يقول فيها:

أمير المسلمين ألا تعود | لأندلس بها مرض شديدُ
وأنت طبيبها والله يشفي | فمالك لا تطب ولا تعود
وشوذر ثم مرتش لو تراها | ونار الكفر يضرمها اليهودُ[1]

غير أن ما تحمله المرابطون كسلطة حاكمة ومسؤولة عن تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية، لا يستطع أن يتحمله عامة المسلمين الذين تؤثر ردود الفعل والعواطف في تصرفاتهم، وخصوصاً عندما تتزامن أخطاء اليهود مع أحداث خطيرة على المسلمين، ويكون لليهود دور فيها. يقول ابن عذاري: "وثارت العامة بقرطبة في هذه السنة في رجب على اليهود -لعنهم الله- بسبب قتل وجد بين أظهرهم، ففتحت منازلهم، وانتهبت أموالهم، وقتل نفر منهم"[2] ويقول ابن قطان: "وقتل يهودي مسلماً سنة 529هـ، فاستطال المسلمون على اليهود فنهبت أموالهم، وهدمت ديارهم، وذلك بقرطبة"[3].

ولا أعتقدُ أن حادث القتل هذا، هو وحده الذي أدى إلى هذه الانتفاضة على يهود قرطبة، فمثل هذه الانتفاضات تحدث عادة بعد استفزازات متواصلة وكثيرة تولد غضباً، يظل يزداد ويتراكم حتى تأتي الشرارة التي تفجره. ولا نملك معلومات مفصلة عن أسباب هذا الغضب، إلا أن مشاركة يهود المناطق الأندلسية المحتلة في الهجمات الصليبية على الأندلس، ودعمهم لها بأموالهم[4]،

(1) الحسين، يعقوبي، قصائد غير منشورة، في الاستصراخ والإصراخ، مجلة دراسات أندلسية، ع5، (1411هـ-1990م)، ص80.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ4، ص93 .

(3) نظم الجمان، ص217.

(4) ينظر: DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.732.

وقيامهم بالتحريض على مسلمي تلك المناطق، والمشاركة في إذلالهم والتنكيل بهم[1]، تكفى لإثارة غضب مسلمي قرطبة الذين طالما أحسنوا إلى اليهود. إضافة إلى أن هذا الحادث كان قريباً من هجمة صليبية خطيرة كانت ستوقع قرطبة في أيدي الصليبيين، حيث فاجأ الجيش القشتالي جنود المرابطين شمالي قرطبة في ذي الحجة سنة (528هـ=1133م)، ففر معظم الجنود، وما عادوا وحققوا النصر، وحموا مدينتهم إلا عندما رأوا قائدهم تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ثابتاً رابط الجأش يقاتل[2] ويقول: "لا أسلم وأسلم الأمة ولا أبرح أو تنجلي عما انجلت عليه هذه الكرة"[3].

ثانياً: الموحدون واليهود

ظهر الضعف على الدولة المرابطية في أواخر أيامها، نتيجة لضعف الالتزام بالمبادئ التي قامت عليها الدولة وقويت بها[4]، وأصبح المرابطون غير قادرين على الصمود في وجه الصليبية التي حشدت لاحتلال الأندلس كل إمكانات النصارى في أسبانيا الشمالية وأوروبا، ورأى مسلمو الأندلس مدنهم تتساقط واحدة تلو الأخرى[5]، فاستغاثوا بالموحدين[6]، الذين أقاموا دولتهم في المغرب مكان دولة المرابطين، على المبادئ التي دعا إليها زعيمهم الأول أبو

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ4، ص41؛ الحسين، دراسات أندلسية، ع5، سنة (1411هـ-1990م)، ص80.

(2) ينظر: .ابن عذاري، البيان المغرب، جـ4، ص90.

(3) م. ن، جـ4، ص90.

(4) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص177، 208؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص265.

(5) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص265؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص461-463.

(6) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص265؛ المقري، نفح الطيب، م2، ص30.

عبد الله المهدي محمد بن تومرت، وهي صفاء العقيدة، والتوحيد الخالص، والتمسك بالدين وتطبيقه، ونبذ كل ما لا يرتضيه[1].

بدأت سيطرة الموحدين على الأندلس سنة (541هـ=1146م)[2]، وقد وقف اليهود من الموحدين موقفاً سلبياً، يظهر من خلال رواية ابن صاحب الصلاة، التي يشرح فيها كيف تآمر يهود غرناطة مع إبراهيم بن همشك الخارج على حكم الموحدين، حيث اتفق معهم على أن يأتيهم في ليلة معينة إلى باب الربض بغرناطة، فيكسروه له، فيدخلها هو وجنوده، وقد تم ذلك حسب الاتفاق ودخل ابن همشك بجنوده إلى المدينة، لكن الخليفة الموحدي بعث إليهم جيشاً سنة (558هـ=1162م)، استعادها وفتك بالخارجين ومن معهم من المتآمرين اليهود[3].

كما وقف يهود المناطق الأندلسية المحتلة من الأسبان في حربهم ضد الموحدين، يحدثنا عن ذلك الضبي، إذ يقول في معرض وصفه لجيش ألفونسو الثامن، أنه كان "ينيف على خمسة وعشرين ألف فارس ومئتي ألف راجل، وكان معه جماعات من تجار اليهود، وقد وصلوا لاشتراء أسرى المسلمين وأسلابهم، وأعدوا أموالاً، فهزمهم الله تعالى"[4].

وعندما فرّ النصارى واليهود المنهزمون إلى طليطلة، لاحقهم الجيش الإسلامي المنتصر، وفرض حصاراً على المدينة، وقام اليهود –حسب المصادر اليهودية– بالمشاركة في الدفاع عنها، وإجبار المسلمين على الانسحاب[5].

---

[1] ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، (بيروت، دار مكتبة الهلال، 1981م)، ص50؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص248–249.

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ2، ص199؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص265.

[3] المن بالإمامة، ص187.

[4] بغية الملتمس، ص45–46.

[5] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.734.

أما عن سياسة الموحدين مع اليهود، فلم أجد في ما اطلعت عليه من مصادر إسلامية معلومات كافية، تمكننا من تقديم صورة واضحة عنها، لكن المعلومات القليلة التي تذكرها تكفي لنفي ما تردّدَ في الدراسات والمصادر اليهودية، من أنّ يهود الأندلس أُرغموا بالقوة على الدخول في الإسلام، وأن بِيَعهم حُوِّلت إلى مساجد، وأنهم جُرِّدوا من التوراة، ومزِّقت كتبهم الدينية، وأنهم ظلوا يتظاهرون بالإسلام إلى نهاية عهد الموحدين في الأندلس، والذي استمر إلى سنة (620هـ=1223م)[1].

وهناك أسباب تقود إلى رفض ما أوردته المصادر اليهودية، ووضعه ضمن أكاذيب اليهود ومبالغاتهم، وهذه الأسباب هي:-

1- رواية عبد الواحد المراكشي التي يبيِّن فيها أنَّ الخليفة الموحدي أبا يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن أمر في أواخر أيامه بأنْ يُميَّز اليهود عن غيرهم "بلباس يختصون به دون غيرهم، وذلك ثيابٌ كحيلة، وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع، تبلغ إلى تحت آذانهم، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب، ولم يزالوا كذلك بقية أيامه وصدراً من أيام ابنه أبي عبد الله، إلى أن غيّره أبو عبد الله المذكور، بعد أن توسلوا إليه بكل وسيلة، واستشفعوا بكل من يظنون أنّ شفاعته تنفعهم، فأمرهم أبو عبد الله بلباس ثياب صفر وعمائم صفر، فهم على هذا الزي إلى وقتنا هذا - وهو سنة 621هـ-"[2].

---

[1] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.729-731; GOITEIN, SOLOMON DUB FRITZ, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, (PRINCENTON UNIVERSITY DECEMBER 1972), P.52, 208-209; BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.486.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص304، 305.

وعند التأمل في هذه الرواية يتبيّن وجود يهود في الأندلس يعلنون عن دينهم، بدليل أنه يفرض عليهم زياً خاصاً، وأنهم يطالبون الخليفة رسمياً كيهود بتغيير هذا الزي، ولو أنهم كانوا يُكرهون على الإسلام، ويضطرون للتظاهر به، لما فرض عليهم زياً، ولما قاموا كيهود بالمطالبة بتغيير الزي، وتبديله بزي آخر. وفي قول المراكشي: "جميع يهود المغرب" مؤشر إلى وجود اليهود في المغرب والأندلس في عهد الموحدين.

2- نفى الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب (580-595هـ=1184-1198م) إلى أليسانة أبا الوليد محمد بن أحمد بن رشد، "لقول من قال إنه ينسب في بني إسرائيل، وإنه لا يعرف له نسب في قبائل الأندلس..."[1].

وأجد في تصرف الخليفة الموحدي هذا دليلاً على وجود اليهود في عهد الموحدين في أليسانة، فلو أنها كانت خالية منهم، أو أن سكانها كانوا معلنين إسلامهم، لما نفي إليها ابن رشد، إذا أن الغرض من نفيه إلى مدينة اليهود كان توجيه الإهانة له، وتأكيد اتهام أعدائه له بأنه من أصول يهودية.

3- لم يرد في المصادر الأندلسية أو المغربية ما يدلُّ على قيام الموحدين بإجبار اليهود على الدخول في الإسلام، ولو حدث ذلك فعلاً لذكرته مصادرنا بشكلٍ واضح، إذ يعد ذلك حدثاً مهماً لا يمكن أن تجمع مصادرنا على إهماله لو أنه وقع فعلاً.

4- رواية المؤرخ الأندلسي المعاصر للموحدين ابن صاحب الصلاة التي يقول فيها: "وكان في بياسة سنة (553هـ=1158م) عالم غرناطي يدعى عبد الله بن سهل، يحضر دروسه جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود[2]. ولو كانت الأندلس خالية من اليهود، وأنهم كانوا مضطرون للتظاهر بالإسلام كما تزعم

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر السادس، ص26، ترجمة رقم: 51.

[2] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص400.

مصادرهم ودراساتهم، لما وُجِد يهود يحضرون الدروس في زمن حكم الموحدين للأندلس.

5- اشتهر عدد من الكتاب اليهود في زمن الموحدين، أمثال يوسف زبارا الأندلسي (ت: 597هـ=1200م) وهو صاحب كتاب "البهجة والسرور"[1]، ولو أنهم أكرهوا على الإسلام، لما لمعت أسماؤهم كيهود، ولما مارسوا نشاطهم الفكري فيها. كما مارس الأحبار اليهود تعليمهم الديني في زمن الموحدين، فقد ذُكر أن موسى بن ميمون قد تتلمذ في مدينة فاس عاصمة الموحدين على يدي يهوذا الكاهن[2].

6- إن تناقض المعلومات التي تقدِّمها المصادر اليهودية، يدعو إلى الشك في جميع المعلومات التي توردها عن هذا الموضوع، ومن ذلك التناقض، قول بعض المصادر إنّ ضغط الموحدين عليهم، وإكراههم، قد استمر لمدة عشر سنوات فقط[3]، في حين أن مصادر أخرى ذكرت أنه استمر طوال مدة حكم الموحدين للأندلس[4].

7- أقام الموحدون في المغرب والأندلس دولة ملتزمة بالإسلام، حريصة على تنفيذ تعاليمه، ولا يعقل أبداً أن يقدموا على مخالفة نص قرآني واضح وصريح،

---

(1) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص120-121.

(2) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص88-89.

(3) H. BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.3, P.964-965; H. BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.550;
مقالة أسبانيا، الموسوعة اليهودية -بالعبرية-، ص286.

(4) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.729-731; GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.52; BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.486.

وهو قول الله تعالى: "لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغـــيّ..."[1]، ولـــم يعرف عن المسلمين عبر تاريخهم الطويل أنهم أكرهوا أحداً على الإسلام، فكيف يعقل أن يقدم الموحدون على ذلك، وهم الملتزمون بالإســـلام والـــداعون إلـــى الالتزام بمبادئه؟! .

ثالثاً: سلطنة غرناطة واليهود

أدى الموحدون دورهم في حماية الأندلس، وحققوا انتـــصارات كبيـــرة على الصليبيين وحرروا بعض المدن الأندلسية من قبـــضتهم[2]. ثـــم أصـــابهم الضعف الذي ينتظر كل قوي على هذه الأرض، مهما كانت قوته، ومهما طـــال أمدها، فهُزم الموحدون في معركة العقاب سنة (609هـ=1212م)[3]، وكانـــت هذه الهزيمة "أولُ وَهَنٍ دخل على الموحدين"[4]، حيث تساقطت بعـــدها المـــدن الأندلسية واحدة تلو الأخرى، ولم يستطع المسلمون أن يحتفظوا إلا بغرناطة وما حولها من مناطق جنوبي الأندلس، وأقاموا فيها مملكة تعاقـــب علـــى حكمهـــا سلاطين ينتسبون إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري، وكان أوّلهـــم، ومؤسس هذه السلطنة أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر المعـــروف بـــابن الأحمر. واستطاع بنو الأحمر أن يحفظوا سلطنتهم لأكثر من قـــرنين ونـــصف بالرغم من قوة الممالك الأسبانية القريبة منهم، والطامعة في أملاك المسلمين[5].

---

(1) سورة البقرة، من الآية 256.

(2) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، جـ6، ص198، ترجمة رقم: 569؛ الضبي، بغية الملتمس، ص66-67؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص265، 271.

(3) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص321 -322؛ ابن الخطيـب، الإحاطـة، م1، ص383، المقري، نفح الطيب، م4، ص383.

(4) الحميري، الروض المعطار، ص138.

(5) ينظر: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص515-517.

لم أجد عن يهود سلطنة غرناطة في المصادر الإسلامية إلا القليل من المعلومات. وتشكو المصادر اليهودية كذلك من قلة المعلومات المتوفرة لديها عن هذا الموضوع[1].

لكننا نستطيع أن نستنتج أن بني الأحمر تعاملوا مع اليهود على وفق الأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة، فأعطوهم حقوقهم كاملةً، وألزموهم بكل ما عليهم من واجبات، من غير تشدد أو تفريط. ويبدو أنهم أفادوا من تجارب الحكومات الإسلامية السابقة في الأندلس، والتي تظهر أن المبالغة في التساهل معهم تضر بهم وبالمسلمين، وأن المبالغة في التشدد معهم تحقق أيضاً النتيجة نفسها، وأن الحل هو فقط في اتباع السياسة التي رسمتها شريعة الإسلام. والمعلومات والإشارات التاريخية الآتية هي التي تقودنا إلى هذا الاستنتاج.

أولاً:- جُعل لليهود لباس خاص يميّزهم عن المسلمين، ويُعرفون به[2] فكانوا يعتمرون "قلنسوة صفراء، إذ لا سبيل ليهودي أن يتعمم البتة"[3]، وكان بعض الحكام يصدرون أوامر خاصة بلباس اليهود، عندما يلاحظون تراخياً منهم في التزام زيهم.

يروي ابن الخطيب، وهو شاهد عيان من غرناطة بني الأحمر أنه: "لما تصيَّرَ الأمر إلى السلطان نصر سنة (708هـ)، اشتدّ في إقامة الحدود، وإراقة المسكرات، وأخذ يهودُ الذمة بالتزام سمة تشهرهم، وشارة تميزهم ليوفوا حقهم من المعاملة التي أمَرَ بها الشارع في الطرق والخطاب"[4]. كما حظر عليهم ركوب الجياد[5]. ويقول ابن الخطيب: إن من مناقب السلطان أبو الوليد إسماعيل

---

[1] H. BEINART. GRANADA, ENCYCLPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852;

[2] ينظر: مناقشة مسألة الزي الخاص باليهود في الفصل الرابع من هذا البحث.

[3] المقري، نفح الطيب، م1، ص223.

[4] الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص383.

[5] م. ن، ص388.

بن فرج (713-725هـ) أنه "أخذَ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم، وشارة تميزهم، وليوفى حقهم من المعاملة التي أمَر بها الشارع في الخطاب والطرق، وهي شواشي صفر[1]".

وكونُ ابن الخطيب يَعدُّ هذا العمل من مناقب ذلك السلطان، دليل على أن بعض السلاطين كانوا يتهاونون في تطبيقه، وهو دليل أيضاً على أنه كان مطلباً للمسلمين[2].

ثانياً:- استخدم سلاطين غرناطة بعض تجار اليهود جواسيس لهم على النصارى في الممالك الأسبانية، لكنهم لم يعينوا يهودياً واحداً في منصب كبير طوال مدَّة حكمهم لغرناطة التي زادت على قرنين ونصف[3].

ثالثاً:- أدَّت السياسة المتوازنة التي اتَّبعها سلاطين غرناطة مع اليهود إلى عدم قيامهم بأي تمرد على حكمهم، كما لم تقم أية انتفاضات شعبية عليهم[4]، كتلك التي حدثت في غرناطة في عهد باديس بن حبوس.

رابعاً:- صارت غرناطة المسلمة ملجأ لليهود الهاربين من اضطهادات النصارى لهم[5]، تلك الاضطهادات التي نتجت عن ممارسة اليهود للرِّبا بأبشع صوره، إذ صاروا يسيطرون على اقتصاديات الممالك النصرانية، ويتحكمون في شعوبها، بعد أن أغرقوها بالديون لهم[6].

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص388.

(2) ينظر: م.ن، ص388.

(3) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص63-77.

(4) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص97.

(5) م.ن، ص97-98.

(6) H. BEINART, TOLEDO, ENCYCLPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1203-1204.

خامساً:- استُخدِمَ الطبيب يحيى بن الصائغ اليهودي، طبيباً خاصاً لبني الأحمـــر في أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. وقد تبيَّن للسلطان أبـــي الحجاج يوسف الثاني (793-797هــ=1390-1394م)، أنه أعدَّ سُــماً لقتلـــه بتدبير من خالد القائم بدولته. فقام بقتل خالد، وسجن اليهودي، ثم قتله في السجن سنة (794هــ=1391م)[1].

وعندما شهدت سنة (794هــ=1391م) مذابح مروعة لليهود، وتدميراً لمعابدهم، وإجباراً على التنصر، قامت به جماهير النصارى ورجال دينهم، بـــدأ في إشبيلية ثم انتقل إلى جميع المدن الأسبانية[2]، تدفق المهاجرون اليهود إلـــى غرناطة والشمال الأفريقي التي يحكمها المسلمون، وقـــد أظهـــر المُتَـــصَّرُون يهوديتهم عندما صاروا تحت حكم المسلمين[3].

وقد حصلت هجرات يهودية أخرى إلى غرناطة قبـــل أحـــداث ســـنة 794هــ في إشبيلية، وكان عدد اليهود الذين لجأوا إلى غرناطـــة فـــي إحـــدى المرَّات ثلاث مئة عائلة يهودية، وقد حدث ذلك سنة(766هــــ=1367م)، فـــي عهد السلطان أبي عبد الله محمد الخامس[4].

سادساً:- استخدم بعض حكام الممالك النصرانية اليهودَ في سفاراتهم إلى مملكة غرناطة[5]، ومن هؤلاء السفراء الحكيم بـــن زرزار[6]، ويوســـف بـــن وقـــار

---

(1) ابن خلدون، العبر، جــ4، ص178-179.

(2) H. BEINART, SEVILLE, ENCYCLPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1204.
مقالة أسبانية، الموسوعة العبرية، م 26، ص380.

(3) H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852.

(4) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص97-98.

(5) H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852.

(6) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص333-334.

الإسرائيلي الطليطلي[1]. وقد عومل هؤلاء السفراء معاملة حسنةً، وقد تحدَّث ابن الخطيب عن علاقته الحسنة مع هذين السفيرين[2]، وبين أنه استعان بيوسف بن وقَّار في الحصول على أخبار ملوك قشتالة، ويظهر نص رواية ابن الخطيب الاحترام المتبادل بينهما، إذ يقول: "وقد كنتُ طلبتُ شيءاً من ذلك [أخبار ملوك قشتالة] من مظنته، وهو الحكيم الشهير، طبيب دار قشتالة وأستاذ علمائها، يوسف بن وقَّار الإسرائيلي الطليطلي، ولما وصل إلينا في غرض الرياسة عن سلطانه"[3]، ثم ينقل ابن الخطيب ما جاء في رسالة ابن وقار إليه بقوله: " قال الحكيم: "سألت أعزك الله وأدام كرامتك أن أثبت لك ما تحقق عندي من التواريخ التي وقع فيها نسب ملك قشتالة وتفرع ملوكها، فأثبت لك ذلك مما استخرجته من الكتاب الذي أمر بعمله الملك الأعظم دون ألفنش، قصدتُ أن يكون ذلك عندك بأصل"[4].

سابعاً:- لم تُغير المواقف والممارسات السيئة لليهود ضد مسلمي غرناطة وضد المسلمين الخاضعين لحكم النصارى موقف سلاطين ومسلمي غرناطة من اليهود الذين يعيشون تحت حكمهم، وظلت الأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة هي التي تحكم العلاقة بين المسلمين واليهود.

ومن مواقف وممارسات يهود أسبانيا النصرانية ضدَّ المسلمين، قيامهم بمساعدة جيمس الأول ملك أراغون للاستيلاء على مرسية سنة (641هـ=1243م) بعد أن استعادها المسلمون الذين ثاروا على الحكم النصراني وسيطروا على المدينة، ومن أولئك الذين قدموا الدَّعم للنصارى،

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص332.

[2] م. ن، ق2، ص332-334.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص322.

[4] م. ن، ق2، ص322.

يهودا دي لا كافـــاليرا (JUDAH DE LA CAVALERIA)، الـــذي قـــام بإقراض المال لتجهيز السفن البحرية التي حاربت مـــسلمي مرســـية[1]، وكـــان اليهود يتولون للنصارى جمع الضرائب من المـــسلمين، ويعـــاملونهم بمنتهـــى القسوة، ولذلك أوكلت إليهم هذه المهمة في مرسية وما حولها، منـــذ احتلالهـــا، وحتى نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. ومن الذين تولوا هذه المهمة في مرسية إسحاق بن يعيش سنة (707هـ=1307م)، وسليمان بن لوب الذي حصل على حماية خاصة من ملك أراجون ثم رحل عنها إلى ميورقة سنة (780هـ=1378م)[2].

كما أسهم اليهود في الحـــرب ضـــد ســـلطنة غرناطـــة، ففـــي ســـنة (894هـ=1488م) حصل صاموئيل أبو العافية على حماية الملكين الكاثوليكيين فرديناند وإيزابيلا تقديراً له على خدماته لجيشهما خلال الحرب ضـــد ســـلطنة غرناطة[3]، وكان اليهود قد أظهروا ترحيبهم وتعاونهم مع ملوك النّصارى حينما بدأت المدن الأندلسية تسقط في أيديهم، فلما احتلّت جيـــوش فردينانـــد الثالـــث (614-650هـ=1217-1252م) إشبيلية ســـنة (646هـــ=1248م)، خـــرج يهودها لاستقباله، وقد أعدوا له مفتاحاً نُقش عليه بالعـــبرية عبـــارة تقـــول: "سيفتحها ملك الملوك، وسيأتي ملك الأرض"[4].

---

(1) H. BEINART. MURCIA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.12, P.530.

(2) IBID VOL.12, P.530.

(3) IBID VOL.12, P.530.

(4) H. BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1202.

ما يزال هذا المفتاح محفوظاً في كاتدرائية إشبيلية. ينظر:

H. BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1202.

وقد قدَّم لهم فرديناند الثالث ثلاثة مساجد تقع بالقرب من حيهم، ليقيموا عليها معابد لهم، إضافة إلى العديد من المنازل والبساتين التي كانت تعود للمسلمين، وذلك مكافأةً لهم على موقفهم وخدماتهم في الحرب ضد المسلمين[1].

وفي مطلع القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي سمحت السلطات النصرانية في طليطلة لليهود بامتلاك عبيد مسلمين، ويبدو أن اليهود قد قسوا كثيراً على مسلمي هذه المدينة[2]، ولذلك نجدهم سنة (756هـ=1355م) يشاركون النصارى في الهجوم على الحي اليهودي في طليطلة[3].

ثامناً:- عندما وضع فقهاء المسلمين شروط سلطنة غرناطة لقبول الاستسلام للملكين الكاثوليكيين فرديناد وإيزابيلا، سنة (897هـ=1491م) لم ينسوا أن يضعوا شرطاً يقضي "بأن يتمتع اليهودُ من أهل غرناطة والبيَّازين وأرباضهما، والأراضي التابعة لها، بما في هذا العهد من الامتيازات، وأن يسمح لهم بالعبور إلى المغرب خلال ثلاثة أشهر، تبدأ من يوم 18-ديسمبر"[4]، 1491م.

ولأن الفقهاء لا يجهلون طبيعة اليهود، ويعلمون ما فعلوه بالمسلمين عندما تولّوا جمع الضرائب منهم في المدن الأندلسية المحتلة، اشترطوا " ألا يُولّى على المسلمين مباشر يهودي، أو يُمنح أية سلطة أو ولاية عليهم"[5]. وقبلت

---

(1) H. BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1202

(2) H. BEINART, TOLEDO, ENCYCLPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1203.

(3) IBID, VOL.15, P.1204.

(4) عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس، (مصر، ط2، 1958م)، ص234. ينظر:
H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852.

(5) عنان، نهاية الأندلس، ص232؛ ينظر: IBID, VOL.7, P.853.

يذكرنا ذلك بأحد شروط استسلام مسلمي طليطلة للنصارى سنة (509هـ= 1115م)، حيث نص على منع اليهود من شراء أسرى حرب مسلمين، ومنعهم من تولي القضاء الخاص بالمسلمين. ينظر: الموسوعة العبرية، م 26، ص384.

الشروط، وتم التوقيع على المعاهدة بتاريخ (21-محــرم-897هـــ=25-11-1491م)[1]، وسرعان ما نقض النصارى عهدهم، وخرقوا شــروط المعاهــدة شرطاً شرطاً. وأصدر الملكان بخصوص اليهود قراراً يأمر بطردهم من أسبانيا وغرناطة بتــاريخ 31-2-1492م[2]. وبذلك خانا عهديهما الذي جاء فيه: " إن ملكي قشتالة يؤكدان ويضمنان بدينهما وشرفهما الملكي، القيام بكلٍّ ما يحتويــه هذا العهد من النصوص، ويوقعانه باسميهما ويمهرانه بخاتميهما"[3].

وقد نُفذ قرار طرد اليهود من أسبانيا النصرانية تنفيذاً صارماً، وتــدفق المهجَّرون اليهود يبحثون عن ملجأ آمن يأويهم، فوقع اختيار معظمهــم علــى شمال أفريقيا[4]، ودول المشرق[5]، التي ما تزال شمس الإســلام تــسطع فــي سمائها، وتفيض دفئاً وعدلاً وحريةً وتسامحاً على كل الذين يحيون بنورهــا، أو يستضيئون بضيائها، ذلك النور الذي طالما حاول اليهود وغيرهم مــن عــشاق الظلام أن يطفئوه بأفواههم، بالرّغم من أنه بدَّدَ الظلم والظلمات عنهم، منــذ أن أشرقت به أرض الأندلس سنة (92هـــ=711م).

---

[1] عنان، نهاية الأندلس، ص236.

[2] H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.853.

[3] عنان، نهاية الأندلس، ص235.

[4] H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1205.

[5] ينظر: S. D, GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.52, 208-209.



الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية لليهود في الأندلس

المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية لليهود في الأندلس.

المبحث الثاني: العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واليهود في الأندلس

المبحث الأول
الأوضاع الاجتماعية لليهود في الأندلس

عاش اليهود داخل المجتمع الإسلامي في الأندلس أكثر من ثمانية قرون، فتأثروا بعادات المسلمين وتقاليدهم. لكنّ عيشهم في تجمعات أو أحياء خاصة بهم، والسماح لهم بممارسة عاداتهم وتقاليدهم وشعائرهم الدينية داخلها، مكنهم من المحافظة على كثير من العادات والتقاليد اليهودية.

والنقاط التالية تقدم وصفاً لأوضاع اليهود الاجتماعية في الأندلس، وتبين مدى تأثرهم بالمجتمع الإسلامي.

1- اهتمام يهود الأندلس بأنسابهم:

اهتمَّ يهود الأندلس بأنسابهم وتفاخروا بها، وكانت بعض عائلاتهم تنسب نفسها إلى موسى أو داود أو هارون -عليهم السلام- ومن هذه العائلات عائلة المؤرخ اليهودي أبراهام بن داود التي تزعم أنها تنتسب إلى النبي داود عليه السلام، وتقول: إنها جاءت إلى الأندلس من القدس في زمن نبوخذنصر[1]. وكان الأفراد الذين ينسبون أنفسهم إلى أحد الأنبياء، يعلنون ذلك ويفاخرون به، ولذلك وجدنا جميع المصادر الإسلامية التي عرّفت بأبي الفضل حسداي تذكر نسبه، وتبين أنه من بيت شرف اليهود[2].

---

(1) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.309, VOL.3, P.164.

(2) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89-90؛ الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص457؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ2، ص441، ترجمة رقم: 441؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص293-294.

ومما يدلُّ أيضاً على اهتمامهم بالنسب أنَّ الشاعر الأندلسي ابن خيرة عندما أراد أن ينافق إسماعيل بن نغدله، ويتقرَّب إليه في زمن هيمنة اليهود على مقاليد الحكم في غرناطة، قال شعراً نسب فيه اليهود في الأندلس إلى موسى عليه السلام، حيث قال:

ومن يكُ موسى منهمُ ثم صِنوه فقل فيهم ما شئتَ لن تبلغَ العُشرا[1]

كما مدحه بالثناء على خاله وعمه على طريقة العرب في المدح، فقال: "فتىً كَرُمَ خالاً وعمّاً"[2].

ومن الواضحِ أنَّ اليهود تأثروا في ذلك بالعرب الذين تميَّزوا عن غيرهم من الأمم بالاهتمام الكبير بأنسابهم. ويعترف بذلك آشتور فيقول:" وبما أنَّ العربَ علَّقوا أهمية كبرى على أصل العائلة، وفاخروا بنسب أجدادهم القدماء، فإنَّ تتبع الأنساب وإظهار شرف الأجداد، صار من المسائل المهمة والأساسية ليهود الأندلس بشكلٍ عام، وللعائلات والأفراد بشكلٍ خاص"[3].

ومثلما فاخر يهود الأندلس بأنسابهم العائلية، وبأصولهم المقدسية، فاخروا أيضاً بكونهم أندلسيين، واعتقدوا أنَّهم يتفوَّقون على اليهود في جميع بلدان العالم، وأنَّ قدراتهم ومواهبهم هي التي مكنتهم من إحداث النهضة اللغوية والأدبية والعلمية في الثقافة اليهودية. وقد عبَّر يهود الأندلس عن شعورهم بالتفوُّق على غيرهم من اليهود، في كثيرٍ من كتاباتهم. فقد كتب مؤرخ يهودي أندلسي عن هجرة أحد علماء اليهود من الأندلس إلى العراق، حيث تمَّ تعيينه رئيساً للمدرسة اليهودية فيها، وتحدَّث عن الانحلال الفكري الحاصل لدى يهود

---

(1) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص765.

(2) الشنتريني، الذخيرة، م2، ص762.

(3) THE JEWS, VOL.3, P.164.

العراق مهد التلمود، وقارنها بالإنجازات الثقافية لليهود في الأنــدلس[1]. وفــي قصائده كان سليمان بن جابيرول يشدِّد على ارتباطه ببلــده الأنــدلس، وقــارن منجزات علماء يهود الأندلس بمنجزات علماء يهود العراق[2]؛ ويذكر آشتور أن مفكراً يهودياً ولد ونشأ في الأندلس، ينصح ولده، فيقول: "لــيكن رفاقــك مــن إخواننا الأندلسيين فقط، لأنهم ذوي مهارات فكرية وتفهــم ونقــاء ذهنــي"[3].

2- لغة يهود الأندلس

صارت اللغة العربية لغةً ليهود الأنــدلس، بهــا يتكلَّمــون ويفكــرون ويكتبون[4]، وقد استخدموا العربية العامية نفسها التي يستخدمها مسلمو الأندلس، حتى داخل بيوتهم، وفي ما بينهم. كما استخدموا في بعض الأحيان اللغة العجمية التي يستخدمها نصارى الأندلس[5]، مثلما كان يفعل المسلمون أحيانــاً، إذ كــان كثير من المسلمين يفهم هذه اللغة ويستعملها في مخاطبة هؤلاء النصارى. ومما يدل على ذلك رواية الخشني في معرض حديثه عن قاضي قرطبة سليمان بــن أسود الغافقي (ت:373هـ=983م)[6]، التي يقول فيها: " فتقدَّمت امــرأة إلــى القاضي، فقالت له بالعجمية: يا قاضي، انظر لشقيَّتك هذه، فقال لها بالعجميَّــة:

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.165.

نقلاً عــن ABRAHAM B.DA'UD. THE BOOK OF TRADITION [SEFER HA KABBALA], P.75.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.165.

(3) THE JEWS, VOL.3, P.166.

(4) ينظر: تفاصيل استخدام اليهود للغة العربية في الفصل الثقافي من هذا البحث.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.159.

(6) الخشني: قضاة قرطبة، ص167.

لستِ أنتِ شقيَّتي، إنمَّا شقيَّتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار[1].

3- الأسماء والألقاب عند يهود الأندلس

اعتاد يهود الأندلس أن يتخذوا اسمين، واحد عبري والآخر عربي، ومما يؤكد وجود اسم عربي واسم عبري لليهودي الأندلسي قول السموءل بن يحيى، -الذي أسلم بعد أن كان يهودياً- متحدثاً عن أبيه ذو الأصل الأندلسي: "وذلك أنَّ كثيراً من متخصصيهم يكون له اسم عربي غير اسمه العبري مشتق منه، كما جعلت العرب الاسم غير الكنية "[2].

وقد تُرِكَ يهود الأندلس يتسمَّوْن بأسماء عربية، فتسمى كثير منهم بأسماء مشتركة وردت في كلٍّ من التوراة والقرآن، لكنهم تقيَّدوا بالنطق العربي للاسم، فتسموا بموسى[3]، بدل "موشي"، وإبراهيم[4]، بدل "أبراهام"، وهكذا.

كما تسموا بأسماء عربية خالصة، حتى في معناها مثل "سَهل"[5]، و"بسّام"[6]، و"يعيش"[7]، و"عبد الصمد"[8]، و"نسيم"[9].

---

(1) الخشني: قضاة قرطبة، ص167.

(2) السموءل بن يحيى، بذل المجهود في إفحام اليهود، (القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة، د. ت)، ص4.

(3) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلى، ص78، ترجمة رقم: 11.

(4) م.ن، ص73، ترجمة رقم:11؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص527.

(5) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلى، ص73، ترجمة رقم:11؛ المقري، نفح الطيب، م2، ص307.

(6) المقري، نفح الطيب، م3، ص529.

(7) أرسلان، الحلل السندسية، جـ1، ص371.

(8) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص288؛ ترجمة رقم: 206.

(9) المقري، نفح الطيب، م3، ص522.

كما أطلق الكثير من يهود الأندلس على بناتهم أسماء عربية، مثل "أميرة"[1]، وسموهنَّ أيضاً بأسماء أسبانية مثل "يالومبا" أو "سيتبورا"[2]، وأخرى عبرية مثل "قسمونة"[3].

4- ملابس اليهود في الأندلس

ألزم يهود الأندلس بلباسٍ محدَّد، ولكن ليس طوال مُدَّةِ وجودهم في الأندلس، وإنمَّا في بعض الأوقات فقط، ونتيجة لظروف وأسبابٍ معينة.

ولم أجدْ روايات تاريخية تدلُّ على إلزام اليهودِ في الأندلس بزيٍّ خاص منذ فتحها وحتى عصر الموحدين. وفي الكتب العديدة التي كتبها باللاتينية بعض نصارى الأندلس في منتصف القرن التاسع الميلادي، وبالغوا فيها بتصوير أوضاعهم، ووصفوها بأنَّها سيئة لم يذكروا أبداً أنَّهم ألزموا بزيٍّ خاص أو علاماتٍ معينة توضع على ملابسهم[4]. وهذا يعني أنَّ أهل الذمة عموماً لم يُلزموا بذلك خلال تلك المدة. ويفهم من رواية للمراكشي أن يهود الأندلس لم يلزموا بزي خاص قبل عصر الموحدين حيث يقول: "وفي آخر أيام أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي أمر أن يميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم"[5].

وعندما وُجِّه سؤالٌ إلى الفقيه الأندلسي أبي بكر بن العربي من بعض أصدقائه في مدينة طنجة، وذلك أثناء وجوده في سبته[6]، وطلب منه السائلون أن يفتيهم "في رجل يهودي، وهو الحكيم ابن قبنال، يُعَمَّمُ ويتختَّم ويركب

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.146.

(2) IBID, VOL.3, P.146

(3) المقري، نفح الطيب، م3، ص530.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.71

(5) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص304-305.

(6) الونشريسي، المعيار، جـ2، ص254.

السروج على فاره الدواب، ويقعد في حانوته من غير غيار ولا زنار، ويمشي كذلك في الأسواق بغير غيار يعرف به، بل بأفضل زيٍّ كبار المسلمين وأحسنه"[1]. وأن يجيبهم مستشهداً بأمثلة تاريخية "وهل كانوا على مثل هذا الحال في زمن الصحابة والتابعين ومددِ ملوك المسلمين؟ أو هل مُنعوا من مثل هذا الزي وألزموا ما يعرفون به من المسلمين؟"[2]، لم يضرب لهم هذا الفقيه الأندلسي أمثلة من الأندلس، ليدلل على قيام الحكام بمنع اليهود والنصارى من التشبه بزي المسلمين وإلزامهم زياً خاصاً، بل نجده يستشهد بأمثلةٍ من بغداد، حيث يصف الزي الذي ألزموا به فيها[3]. ثم يقول: "وقد رأيتُ ذلك كله، وشاهدته بدار الإسلام، وحضرة الخلافة ببغداد حرسها الله"[4]، ثم يصف حادثة وقعت فيها مع ثلاثة إخوة من اليهود تتعلق بهذا الموضوع[5].

ويختم إجابته بالقول: "هذه صفة غيار أهل الذمة بحضرةِ الخلافة دار الإسلام حرسها الله، قائم فيها الحق بالسُّنة أبداً، فخذها مجَّاناً ممن شاهده وعاينه وتحققه وسكن الحضرة العالية"[6].

وفي اعتقادي أنّ أبا بكر بن العربي الذي عاش في الأندلس في عصر المرابطين لا يملك أمثلة حول هذا الموضوع من الأندلس، ولو أنَّ حكام الأندلس منذ فتحها وحتى عصره ألزموا أهل الذمة بلباس خاص، لاشتهر ذلك، وعرف وصف هذا اللباس، ولما اضطُّر ابن العربي أن يستشهد للسائلِ المغربي بأمثلة من المشرق البعيد، ولاكتفى بأمثلة من بلده الأندلس.

---

[1] الونشريسي، المعيار، جـ2، ص254.

[2] م.ن، جـ2، ص254.

[3] م.ن، جـ2، ص255-256.

[4] م.ن، جـ2، ص256.

[5] م.ن، جـ2، ص256-257.

[6] م.ن، جـ2، ص257.

كما تدلُّ مطالبات بعض فقهاء الأندلس، المهتمين بشؤون الحسبة، بإلزام اليهود والنصارى بزيٍّ خاص، أو بالغيار كما عُرِف في كتب الفقهاء، على عدم التزامهم أو إلزامهم به من قبل الحكام. وقد ظهرت هذه المطالبات في عصر الطوائف بعد أن كثرت تجاوزات اليهود.

ويبدو أنَّ الفقهاء رغبوا في إلزام اليهود بهذا الأمر الذي يُعَدُّ في حكم المستحب، وليس الواجب[1]، لوضع حدٍّ لتكبرهم وتجاوزاتهم على الإسلام والمسلمين. وأسوة بما يجري العمل به في الشمال الأفريقي وبلاد المشرق. ومن هذه الفتاوى قول ابن عبدون: "يجب أن لا يُترك أحدٌ من المتقبلين، ولا من الشُّرَطِ، ولا من اليهودِ، ولا من النصارى، بزيٍّ كبار الناس، ولا بزيٍّ فقيه، ولا بزيٍّ رجلٍ خيرٍ ... يجب أن تكون لهم علامة يُعرَفون بها على سبيل الخزي لهم"[2]. وقول الجرسيقي: "ويُمنع أهل الذمة من الإشرافِ على المسلمين في منازلهم، والتكشيف عليهم ومن إظهار الخمر والخنزير في أسواق المسلمين، ومن ركوب الخيل بالسروج، والزيّ بما هو من زيٍّ المسلمين، أو بما هو من أبَّهة، وينصب عليهم علماً يمتازون به من المسلمين، كالشكلة[*] في حقِّ الرجال، والجلجل في حقِّ النساء"[3].

---

[1] الماوردي، الأحكام السلطانية، ص229.

[2] رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص51.

[*] الشكلة: ذكرها فانيان فقال: "الشكلة علامة مميزة فرضت على اليهود" دون تفاصيل أخرى أو تقديم وصف لها. فانيان، تكميلات القواميس العربية، (بيروت، مكتبة لبنان، د. ت)، ص91.
أما هوبكنز فقد قال عنها: "وكانت الشكلة عبارة عن قمص طولها ذراع في عرض ذراع، وبرانس وقلانس زرق"، ينظر:هوبكنز، ج.ف.ب، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة: أمين توفيق، (ليبيا، تونس، الدار العربية للكتابة، 1980م)، ص123-124.
وهذا يعني أنّ الشكلة عنده هي زيٌّ خاص، وليست علامة مميزة.

[3] الجرسيقي، رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسيقي في الحسبة، حققها ونشرها: إ. ليفي بروفنسال مع رسائل أخرى تحت عنوان: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م)، ص122.

والظاهر أنَّ الفقهاء كانوا يطمحون إلى إلزام أهل الذمة في الأندلس بما يلزم به أمثالهم في بغداد عاصمة دار الخلافة في ذلك الوقت، وما وصفوه في فتاواهم من أزياء خاصة بالرجال وأخرى بالنساء، لا يدلُّ في رأيي على أنه كان زيًّاً خاصاً بهم، وأن الفقهاء يطالبون بإعادتهم إليه، وإنما هم يطالبون بما شاهدوه[1]، أو سمعوا عنه في بلدان أخرى، أو قرأوه في كتب أحكام أهل الذمة، التي تصل إليهم من تلك البلدان، وقد أشار الونشريسي إلى دراسة عدد من فقهاء الأندلس في أواخر القرن الخامس الهجري كتاباً بعنوان: "الفصول الجامعة في ما يجب على أهل الذمَّة من أحكام الملِّة" على يد فقيه طنجي رواه عن مؤلفه البغدادي، عندما كان هناك[2].

ولدينا إشاراتٌ من عصر الطوائف، يُفهم منها عدم وجودِ زيٍّ خاص باليهود. حيث يقول أبو إسحاق الإلبيري في قصيدته التي صوَّر فيها أحوال يهود غرناطة في عصر الطوائف:

وإني احتللتُ بغرناطة ... فكنتُ أراهم بها عابثين...

وهم يلبسون رفيعَ الكِسا ... وأنتم لأوضاعها لابسون[3]

ويؤكد حسين مؤنس أن اليهود في عهد بني أمية في الأندلس كانوا يلبسون ملابس العرب[4].

---

[1] ينظر:الونشريسي، المعيار المعرب، جـ2، ص256-257، يقارن مع ابن بسام المحتسب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص207، ومع: الجرسيقي، رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسيقي في الحسبة، ص122.

[2] المعيار المعرب، جـ2، ص258.

[3] لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص232.

[4] فجر الأندلس، ص523.

نقلاً عن:

LEVE-PROVENCAL, MISTOIRE DE L'ESPAGNE MUSULMANE, (PARIS), 1951, I, P.80-81.

لقد تسامحت السلطات الإسلامية في الأندلس مع اليهود والنصارى وتغاضت عن إلزامهم بزيٍّ خاص في وقتٍ كان أمثالهم في بلدان المسلمين يُلزمون به، وبشكلٍ حازمٍ في بعض الأحيان[1]. وكان هذا الزيُّ سائداً في كثير من الأوقات حتى في بلاد المغرب المجاورةِ للأندلس، ففي عهد الأغالبة أمر القاضي عبد الله بن أحمد بن طالب أثناء ولايته الثانية من (267-275هـ=880-888م)، بأن يضع اليهود على أكتافهم رقاعاً بيضاء في كلٍّ رقعة منها قرداً وخنزيراً[2]. ويروي المجيديلي أنه "كتب عبد الله بن أحمد بن طالب إلى بعض قضاته في اليهودِ والنصارى، أن تكون الزنانير عريضة صغيرة مخالفة للون وجوه ثيابهم ليعرفوا بها، فمن وجدته تركها بعد نهيك فاضربه عشرين سوطاً مجرَّداً، ثمَّ صيِّره في الحبس، فإن عاد فاضربه ضرباً وجيعاً بليغاً وأطل حبسه"[3]، وقد ذكر هذه الرواية أيضاً الونشريسي[4]. ولم يكن فقهاء القيروان يتساهلون في مسألة اللباس حتى مع اليهودِ المقرَّبين من الحكام.

إذ يروى أن المعز بن باديس بعث طبيبه ابن عطاء اليهودي لمقابلة أبي عمران موسى "فلما دخل على الشيخ في داره ظنه الشيخ بعض رجال الدولة إلى أن قال بعض الحاضرين: أكرمك الله إنه من خيارِ أهل مِلَّته، فقال الشيخ: وما مِلَّته؟ فقال: هذا ابن عطاء اليهودي، فغضب أبو عمران ... وأمره

[1] ينظر: الونشريسي، المعيار المعرب، جـ2، ص256-257.

[2] المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس، جـ1، قام على نشره: حسين مؤنس، (القاهرة، ط1، 1951م)، ص381. عباس أبو الفضل، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، (بيروت، منشورات دار الحياة، ليبيا، دار الفكر، 1968م)،جـ2، ص205.

[3] المجيديلي، كتاب التيسير في أحكام التسعير، ص78-79.

[4] الونشريسي، المعيار المعرب، ج6، ص421.

بالخروج وهو يرعد، وكان غير معلَّم، فأمر الشيخ بصبغِ طرف عمامته لشهرتهِ"[1].

وفي عصر الموحدين فرض على يهود الأندلس زيٌّ خاص في أواخر عهد الخليفة أبي يوسف يعقوب يحدِّثنا عنه عبد الواحد المراكشي فيقول: "أمر أن يُميَّز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم، وذلك ثيابٌ كحيلة، وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريبٍ من أقدامهم، وبدلاً من العمائم كلوتات على أشنع صورة، كأنها البراديع تبلغ إلى تحتِ آذانهم، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب، ولم يزالوا كذلك بقية أيامه وصدراً من أيام ابنه أبي عبد الله [الناصر]، إلى أن غيَّره أبو عبد الله المذكور، بعد أن توسَّلوا إليه بكلٍّ وسيلة، واستشفعوا بكلٍّ من يظنون أنَّ شفاعته تنفعهم، فأمرهم أبو عبد الله بلباس ثياب صفر وعمائم صفر، فهم على هذا الزي إلى وقتنا هذا -وهو سنة 621هـ[2]-، ولكن الزركشي خالف المراكشي، فذكر أنَّ المنصور أمرهم "بعمل الشكلة، وجعل قمصهم طول ذراع في عرض ذراع، وجعل لهم برانس، وقلانس زرق"[3].

وأرى أن قول المراكشي هو الأصح، والدليل على ذلك أن ملابسهم كانت في سلطنة غرناطة ذات لون أصفر، ويبدو أن ذلك اللون كان في عهد الموحدين وبقي سائداً في سلطنة غرناطة بعد سقوط دولة الموحدين.

---

(1) الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تصحيح وتعليق: إبراهيم شبوح، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1968م)، جـ3، ص161.

(2) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص304-305.

(3) الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدين والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضورة، (تونس، ط2، 1966م)، ص16.

أما عن ملابس اليهود في مملكة غرناطة في عهدِ بني الأحمر، فيحدّثنا عنها ابن الخطيب في معرض وصفه لسياسة السلطان نصر أحد ملـوك بنـي نصر (708-713هـ=1308-1313م) بقوله: "وأخذ يهود الذِّمَّةِ بالتزامِ سـمةٍ تشهرهم، وشارة تميزهم، ليوفوا حقهم من المعاملة التي أَمَرَ بها الـشارع فـي الطرق والخطاب"[1]. كما يصف ابن الخطيب ملابس اليهود في عهد الـسلطان إسماعيل بن فرج (713-725هـ=1313-1324م) الذي خلف السلطان نصر، فيقول: "وأخذ يهود الذمَّة بالتزامِ سمة تشهرهم، وشارة تميزهم، وليوفى حقهم من المعاملة التي أمَرَ بها الشارع في الخطاب والطرق، وهي شواشي صفر"[2].

ويصف المقري ملابسهم في عهد بني نصر ويبين أنهم كانوا يعتمرون "قلنسوة صفراء، إذ لا سبيل ليهودي أن يتعَمَّمَ البتة"[3]. ويروي ابـن الخطيـب حادثة طريفة حدثت في مملكة غرناطة النصرية حول هذا الموضوع، وفي مـا يبدو في عهد سلطانها إسماعيل بن فرج، حيث يقول: "ولقد حدَّثَ مـن يخـفُّ حديثه، من الشيوخ أولي المجانة والدعابة، قال: كنا عاكفين على راحٍ، وبرأسي شاشية ملفٍّ حمراء، فحاول أصحابي إنامتي، حتى أمكن ذلك، وبادروا إلى رقاعٍ من ثوبٍ أصفر، فصنعوا منها شاشية ووضعوها في رأسـي مكـان شاشـيتي، وأيقظوني فقمت لشأني، وقد هيأوا ثمناً لشراء بقل وفاكهة وجهزوني لـشرائه، فخرجتُ حتى أتيتُ دكان السوق فساومته، فلما نظر إليَّ قال لصاحبه: جـزا الله هذا السلطان خيراً، والله لقد كنتُ أبادِرُ هذا اللعين بالسلام عند لقائه أظنُّهُ مسلماً، وبصق عليَّ فهممتُ أن أوقع به، ثم فطنتُ للحيلةِ، فانتزعتها، وبادرتُ فأوسعتهم

(1) اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ص71.

(2) الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص396.

(3) نفح الطيب، م1، ص223.

ذمًّا، وعظم خجلي، وسبقني إليهم عين لهم عليّ، فكان الـضحك يهلكهـم عنـد دخولي"[1].

وهناك مجموعة من التساؤلات يمكن أن تُثار حول موضـوع اللبـاس المحدد الذي فرض على أهل الذمَّة في دار الإسلام. ومن هذه التـساؤلات: مـا حكم فرض لباس معين على أهل الذمَّة؟، وهل قام هذا التشريع علـى أسـاس نصوص من الكتاب والسنة؟ وما الهدف أو المصلحة التـي جعلـت المـسلمين يطبقونه عليهم في بعض العصور؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات نستشهد بقول الماوردي الخبير في السياسة الشرعية: "وأمّا المستحبُّ فستةُ أشياء: تغييرُ هيئـاتهم بلـبس الغيـار، وشـدّ الزنّار..."[2]، وبقول ابن القيم: "وأمّا الغيارُ فلم يُلزموا به في عهد النبي صـلى الله عليه وسلم، وإنَّما اتُّبع فيه أمر عمر رضي الله عنه"[3].

ويدلُّ القولان السابقان على عدم وجود نصٍّ فـي الكتـابِ أو الـسنة يقـضي بفرض زيٍّ على أهل الذمَّة، وأنَّ حكمه في الشريعةِ يُعدُّ مستحبًّا وليس واجباً، ومن المعروف أنّ المستحب هو ما يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه[4].

أما عن الأسباب التي جعلت المسلمين في بعض العـصور يحرصـون على إلزام غير المسلمين بزي خاص، فيمكن حصرها بما يأتي:-

أ- لكي يُعرف المسلم من غيرِ المسلم، فيحصلُ كلٌّ على حقه، ويطالب بما عليه من واجبات، إذ أنَّ الشريعة الإسلامية التي كانت هي الدستور في دار الإسلام، قد جعلت للمسلم حقوقه وواجباته، ولغير المسلم حقوقه وواجباته. فكيف سيعطى

---

[1] الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص396.

[2] الماوردي، الأحكام السلطانية، ص229.

[3] أحكام أهل الذمة، ق1، ص236.

[4] أبو زهرة، محمد، أصول الفقه، (القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت)، ص39.

الفرد حقوقه ويطالب بواجباته، إذا لم يكن هناك علامات تجعـل مـن السَّهل التفريق بين المسلم والذمي. وبما أنَّ ملامح المسلمين وغير المسلمين وأشكالهم في دار الإسلام كانت متقاربة، وهم جميعاً يجيدون اللغة العربية، ويملكون حق التنقل وارتياد معظم الأماكن، فكان لابدَّ من علامات فارقة في الملبس، تمكِّن ولاة الأمرِ والمحتسبين والقضاة وحتى جمهور المسلمين من التعامل معهم وفق قانون الدولة الذي هو أحكام شريعة الإسلام.

وقد لاحظنا الإشارة إلى هذا السبب في نصِّ رواية ابن الخطيب عندما قال: "وأخذ يهود الذمّة بالتزام سمة تشهرهم وشارة تميزهم، وليوفى حقهم من المعاملةِ التي أمَرَ بها الشارع في الخطاب والطرق"[1].

ب- إن فرض زيٍّ خاص على غير المسلمين مهم لأمن المسلمين، لأنه يُصَعِّبُ على جواسيس أعداء المسلمين من اليهود والنصارى، القيام بمهماتهم التجسسية، إذ يُكتشفون بسهولة بسبب زيهم، ويحذر المسلمون منهم.

جـ- ليس المسلمون وحدهم هم الذين جعلوا لغيرِ المسلمين علاماتٍ يعرفون بها. "ففي أوربا قرَّرَ المجمع المسكوني المنعقد في لاتران (LATRAN). بروما سنة (612هـ=1215م)، بأن يحمل اليهود شارة صفراء ضرورية (LA ROUELLE) بقصد التمييز بين النصارى واليهود. وقد علَّق أحد المجتمعين على هذا الإجراء بقوله: إنَّ الدواعي الكامنة وراء هذه الإجراءات في العصور الوسطى ليست عنصرية، لأنَّ المسلمين والمرضى بالجذام والمومسات يحملون شاراتٍ مميزة، وهي تهدف إمَّا لمنع الاختلاط أو التحذير من معاشرة تعدُّ مُضرَّة من الناحية الدينية"[2]. ويقول جوزيف رينو: "ينصُّ قانون أصدره مجمع الأساقفة

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص396.

[2] الكواتي، اليهود في المغرب، ص125.

نقلاً عن: FRANCOIS DE FONTETTE, LE RACISME, (PARIS, 1981), P.31

في طركونة في سنة 1239م وقرار أصدره أسقف بيزبير في سنة 1368م، على أنَّه يتحتم على المسلمين ذكوراً وإناثاً أن يلبسوا أزياء خاصة بهم تتميَّـزُ عـن ملابس المسيحيين [النصارى] من حيث اللون والشكل معاً، ومثلهم في ذلك مثل اليهود"[1].

وأعتقد أنَّ ما تقوم به جميع دول العالم في عصرنا هذا من عملِ هويَّاتٍ أو بطاقات خاصَّة للمقيمين فيها، وأخرى تخصُّ مواطنيها، تشبه مسألة الزي أو العلامات الفارقة التي كانت تخصص لغير المسلمين المقيمين في الدولة الإسلامية. ولو توفَّرت في تلك العصور الوسائل المتوفِّرة اليوم في عصرنا، لعمل بها، ولما لجأ المشرعون إلى مسألة الزيِّ الخاص وغيره من العلامات الأخرى.

والظاهر أنّ اليهودَ كانوا يتهرَّبون من الالتزام بالزيّ الذي يخصَّصُ لهم، لسببين الأول هو شعورهم بأنَّ في تمييزهم بزيٍّ خاص إهانة وإذلالاً لهم[2]. ومما يدلُّ على أنَّ التمييز لا يقصد منه الإهانة والإذلال قول أبي عبد الله المازري: "كون اليهود يكلفون تغيير أطرافهم، أو اتخاذ علَم يتميزون به، هذا مما فُعِلَ عندنا حديثاً وقديماً في الأمصار الكبار"[3]، وتعليق الونشريسي على هذا القول: "وقوله في الأمصار الكبار معناه حيث يكثر اللَبس. وأما الصغار، أو حيث تكون القرية لهم فظاهر كلامه أنه لا يُحتاج إليه"[4]. وفي هذه الفتوى دليل واضحٌ على أن المقصود باللباس هو تمييزُ الأشخاصِ ومعرفتهم، إذ لم يتوجب

---

[1] جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا، ص235.

[2] ينظر: الونشريسي، المعيار المعرب، جـ2، ص256.

[3] م.ن، جـ2، ص259.

[4] م.ن، جـ2، ص259.

إلا في المدن الكبيرة التي من الصعب معرفة جميع سكانها، أما في قراهم أو في القرى الصغيرة، فليس بواجب لأن تمييز اليهود ومعرفتهم يكون سهلاً.

والسبب الثاني هو ادعاؤهم بأنَّ هذا الزيّ، يُدلِّل على أنهم يهود، ويعرِّض أموالهم وحياتهم للخطر.ويردُّ على ذلك أحد فقهاء المغرب المطلعين على حقائق عصرهم، حيث يقول: وما يفعله اليهود اليوم في الأسفار من ركوب الخيل، والسروج الثمينة، ولبس فاخر اللباس، والتحلّي بحلية المسلمين في لبس الخف والمهماز، والتعَّمم بالعمائم فمحظورٌ شنيع، ومنكرٌ فظيع، يُتقدَّم في إزالته بما أمكن. وربما يجعلون لذلك مُحلِّلاً، زعمهم أنهم يخافون على أنفسهم وأموالهم إنّ ظهر عليهم زيُّهم الذي يعرفون به، وهم في ذلك كذابون، لما شاهدنا من حصول الأمن القوي لهم عند العرب، والحظوة الكبيرة لما يرجون من حصولِ النفع منهم، فيرضى العربي أن يستأصل هو وجميع أهله في نجاةِ اليهودي الذي معه"[1].

5- يهود الأندلس والطعام

يشترك يهود الأندلس مع غيرهم من اليهود في كثير من العادات الخاصة بالطعام، والتي يقولون إنها تستنِدُ إلى تعاليم دينية. ويختلفون عنهم في بعض العادات والأكلاتِ وطرق إعدادها، فهم متفقون على عدم أكلِ ذبائح المسلمين، وبعض أطعمتهم. وفي ذلك يقول السموءل بن يحيى الأندلسي الذي كان يهودياً وأسلم: "فما بالُ هؤلاء [اليهود] لا يأكلون من ذبائح المسلمين؟!، بل من سكن في الشام وبلاد العجم لا يأكلون من أيدي المسلمين اللبن والجبن والحلوى والخبز، وغير ذلك من المأكولات"[2]. ويقول أيضاً في وصفه لفرقة الربانيين الذين منهم جل يهود الأندلس: "وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم

---

[1] الونشريسي، المعيار المعرب، جـ2، ص248.

[2] بذل المجهود في إفحام اليهود، ص56.

من الأمم من سائر اليهود، لأن أولئك الفقهاء المفترين على الله قد أوهموهم أنَّ المأكولات والمشروبات إنما تحلُّ للناس بأن يستعملوا فيها هذا العلم الذي نسبوه إلى الله وإلى موسى، وأنَّ سائر الأمم لا يعرفون هذا، وأنَّهم إنما شرفهم الله بهذا وأمثاله من الترهات التي أفسدوا بها عقولهم، وصار أحدهم ينظر إلى من ليس على ملَّتهِ كما ينظر إلى سائر الحيوانات التي لا عقل لها، وينظر إلى المآكل التي تأكلها الأمم كما ينظر الرجل إلى العذرة، أو صديد الموتى، وغير ذلك من الأشياء القذرة التي لا يسوغ لأحدٍ أكلها، فهذا هو الأصل في بقاء هذه الطائفة على أديانها، لشدة مباينتها لغيرها من الأمم، ولأنهم ينظرون إلى الناس بعين النقص والازدراء إلى أبعد غاية"[1].

وهناك لحم لا يأكلونه إذ يسمونه "طاهور" أو "طريف"، وهو لحم الذبائح التي يعتقدون أن اليهودي الذي ذبحها لم يلتزم بتعليمات الذبح المتبعة عندهم. وكان يهود الأندلس كغيرهم من اليهود يبيعون هذه الذبائح أو لحمها إلى المسلمين دون أن يخبروهم بحقيقتها. وقد أورد الونشريسي مسألة حول هذا الموضوع حيث يقول: "سئل ابن سحنون عن قومٍ يهود ذبحوا الغنم لأنفسهم، فربما خرج لهم في ذلك شيء يسمونه طاهوراً فيبيعون ذلك ولا يبينوه، وما علمنا أنَّ أحداً منهم بين لنا ذلك، فأجاب: "إذا وقع في ذبيحتهم ما لا يستحلونه، فيبيعونه للمسلمين ولا يبينونه، فيمنعون من البيع في الأسواق، ولو في موضعٍ يشتري منهم أهل الأسواق"[2].

---

[1] بذل المجهود في إفحام اليهود، ص59-60.

[2] المعيار المعرب، جـ2، ص29.

وأورد أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف فتوى لأحد الفقهاء يقول فيها: "فإن كان ما اشتراه من اللحم منهم مما لا يأكلونه، مثل الطريف وشبهه، فيفسخ شراؤه"[1].

أما المسلمون فإنهم يستحلّون أكل ذبائح اليهود وأطعمتهم[2].لكنهم يعتقدون أنَّ "ما ذبحوا لأعيادهم وضلالهم، فتركه أفضل لأنَّ أكله من تعظيم شركهم"[3].

ويفسر السموءل بن يحيى سبب عدم أكل طعامِ اليهود غيرهم في الوقت الذي يستبيح فيه المسلمون أكل طعامهم بأن أئمتهم حرموا عليهم مؤاكلة الأجانب[4].

ويبدو أنَّ يهود الأندلس كانوا يولون الطعام اهتماماً كبيراً، إذ اشتهرت في الأندلس طبخات معينة نسبت إليهم. وقد ذكر صاحب كتاب "الطبيخ في المغرب والأندلس" بعض أسماء هذه الطبخات، وقدَّم وصفاً لها، وأسماؤها هي:- "لون من فروج يهوديّ "[5]، "ولون يهودي محشو مدفون"[6]، و"حجلة يهودية"[7]، و"لون من حجلة يهودي"[8].

---

[1] في آداب الحسبة والمحتسب، حققها ونشرها مع رسائل أخرى: إ. ليفي بروفنسال تحت عنوان: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، (القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي بالقاهرة، 1955م)، ص94.

[2] لقوله تعالى: { ...وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ...} سورة المائدة، من الآية 5.

[3] ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب، ص95.

[4] السموءل بن يحيى، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص55.

[5] مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، "صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد"، م9، 10، (مدريد، 1961-1962م)، ص68

[6] م.ن، ص74

[7] م.ن، ص67

[8] م.ن، ص70

وقد تحدث ابن حزم عن إحدى عادات يهود الأندلس في الطعام بقولـــه: "إنهم يلتزمون أكل الفطير في مرور الوقت المذكور في كل عام"[1].

كما أشار آشتور إلى بعض عاداتهم في الطعام، فذكر أن هنـــاك باعـــة متجولين من اليهود كانوا يطوفون في الأحياء اليهودية، ويبيعون فيهـــا الطعـــام المُعدّ على وفق أذواقهم[2]، وأنّ أفراد العائلة اليهودية كانوا يأكلون فرادى، بينما يجتمعون لتناول الطعام معاً في أيام السبت والأعيـــاد[3]. وأنَّ مـــن الأكـــلات المفضَّلة في أيام الأعياد، الفطائر المختلطة بالخل والنبيذ والتي تدعى "بواريد"، وكذلك "الهريسة" المصنوعة من الدقيق واللحم المقطع، إضـــافة إلـــى الفطيـــر المحشو بقطع الدجاج والفطر[4].

وكان من عادة اليهود أنهم يقيمون في الأعياد الولائم الخاصـــة بـــأفراد الطائفة اليهودية في كلِّ مدينة يقطنون فيها، وأن الأغنياء هـــم الـــذين يتولَّـــون الإنفاق على هذه الولائم ويقيمونها في بيوتهم، ويقول آشتور: "إنه في مثل هـــذه المناسبات كان المضيفُ يستأجرُ طباخاً معروفاً بمهارته وخبرته الطويلة، وكان هذا الطباخ يقدِّم الفواكه للضيوف، ثمَّ يليها الحمام المطبوخ بالخل، وتلك وجبـــة شهية راقية. وتُنهى الوجبة بالحلويات، ثم يضع الخدم الفاكهة علـــى طـــاولات صغيرةٍ مستديرة"[5].

6- أعياد يهود الأندلس

لليهود أعياد عديدة ومتنوعة، منها ما يعتقدون أن التوراة جاءت بهـــا، وأخرى محدثة، أما الأولى فخمسة أعياد، وهي: عيد رأس السنة العبرية، وعيد صوماريا، وعيد المظلة، وعيد الفطير، وعيد الأسابيع، ويسمى عيد العنـــصرة

---

(1) الرد على ابن النغريلة اليهودي، ورسائل أخرى، ص69.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.122.

(3) IBID, VOL.3, P. 145.

(4) IBID, VOL.3, P. 158.

(5) IBID, VOL.3, P.160.

وعيد الخطاب[1]. وأما المحدثة فأشهرها عيدان هما: عيد الفوز[2]، وعيد الحنكة[3].

وذكر آشتور نقلاً عن مصادر يهودية أن يهود الأندلس كانوا يحيون هذه الأعياد، ويؤدون جميع طقوسها على طريقتهم الخاصة، حيث يقيمون تلك الطقوس داخل بيوتهم، وفي معابدهم، ويصحبون أولادهم إلى المعابد، ويجتمعون على موائد الطعام داخل بيوتهم، وعلى الولائم في بعض بيوت أثريائهم[4].

ولم أجد في المصادر الإسلامية التي اطلعت عليها ذكراً لاحتفال يهود الأندلس بهذه الأعياد غير ما ذكره ابن الأزرق الأندلسي[*]، عن سؤال وجه إليه "عن اليهود يصنعون رغائف في عيد لهم يسمونه عيد الفطير، ويهدونها لبعض

---

[1] للاطلاع على تفاصيل عن هذه الأعياد اليهودية. ينظر: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، م1، (مصر، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر، نسخة مصورة عن دار الكتب، د.ت)، ص195-196؛ القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ2، (مصر، المؤسسة المصرية العامة، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، د.ت)، ص436-437.

[2] للاطلاع على تفاصيل عن عيد الفوز، ينظر: النويري، نهاية الإرب، م1، ص196؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ2، ص437.

[3] للاطلاع على تفاصيل عن عيد الحنكة. ينظر: النويري نهاية الإرب، م1، ص197؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ2، ص438-439.

[4] THE JEWS, VOL.3, P.148-152.

[*] أبو عبد الله بن الأزرق: ويعرف بالأندلسي، ولد سنة (831هـ=1428م)، بمالقه، وتوفي سنة (896هـ=1491م) بالقدس، تولى القضاء بغرناطة، كما تولى الإفتاء والتدريس، زار تلمسان ودخل إلى تونس، ثم توجه إلى القاهرة. من أهم آثاره "الإبريز المسبوك في كيفية أدب وسير الملوك" و"بدائع السلك في طبائع الملك". وقد قام محمد بن عبد الكريم الجزائري بتحقيق الكتاب الأخير. وصدر عن (الدار العربية للنشر، تونس، ليبيا، 1977)، ينظر: مقدمة المحقق، ص9-24.

جيرانهم من المسلمين، فهل يجوز قبولها منهم، وأكلها أم لا؟"[1]، وقد أجاب ابن الأزرق بعدم جواز قبولها منهم[2]. ولهذا العيد اسم آخر عند اليهود، وهو عيد الفصح، وهو يبدأ من اليوم الخامس عشر من شهر نيسان، ويستمر سبعة أيام يأكلون خلالها الفطير، وينظفون بيوتهم من خبز الخمير، وذلك احتفالاً بذكرى خلاصهم من فرعون، وغرقه[3].

وحول عجينة الفطير التي يصنعها اليهود في هذا العيد، يقول حسن ظاظا: "خبز الفطير المفروض على اليهود في فصحهم قد جرت العادة أن يدخلوا في عجينته دماً بشرياً يأخذونه من ضحية يقتلونها من أمة أخرى غير اليهود، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين"[4]. وعن نتائج هذه العادة على اليهود يقول أيضاً: "إنها جلبت على أماكن التجمع اليهودي في الشرق والغرب مشاكل كثيرة، فقد كان الحي اليهودي الذي يسكنون فيه يهاجم، وينتشر فيه القتل والتنكيل بمجرد اختفاء طفل أو شخص من مجتمع غير يهودي مجاور في عيد الفصح... ومن ذلك ما يروى من قتل اليهود للطفل المسيحي "هيوج" من مدينة "لنكولن" بانجلترا في موسم الفصح سنة 1255م، وسجلّ هذه التهم يطول تتبعه، كالذي قيل إنه حدث في لندن سنة 1257م، وفي "بفورتسهايم" بألمانيا سنة 1261م، وفي "فورثامبتون" سنة 1279م، وفي "ميونخ" بألمانيا سنة 1258م..."[5].

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، جـ11، ص111؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، مقدمة المحقق، ص21.

(2) ينظر: نص الجواب كاملاً في: المعيار، جـ11، ص111-112.

(3) النويري، نهاية الإرب، جـ1، ص196؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ2، ص437.

(4) ظاظا، حسن، الفكر الديني اليهودي، (دمشق، دار القلم، بيروت، دار العلوم، ط2، 1407هـ-1987م)، ص185.

(5) ظاظا، حسن، الفكر الديني اليهودي، ص185.

ولم أجد نصاً صريحاً يدل على ممارسة يهود الأندلس لهذه العادة، لكنني أمام هذه الحوادث العديدة التي تدل على تأصلها عند اليهود، وممارستها في العصور الوسطى، صرت أربط بينها وبين حادثة قتل المسلم الذي وجدت جثته في الحي اليهودي بقرطبة سنة (529هـ=1135م)، والتي أدت إلى مهاجمة المسلمين لهذا الحي، والفتك باليهود، ولاسيما أن ابن عذاري الذي روى هذه الحادثة لم يشر إلى سبب قتل المسلم، حيث قال: "وثارت العامة بقرطبة في هذه السنة في رجب على اليهود لعنهم الله، بسبب قتل وجد بين أظهرهم"[1]. ويزيدنا تأكداً من صحة هذا الربط، أنّ شهر رجب في عام 529هـ يوافق شهر نيسان من عام 1135م، وهو الشهر الذي يحتفل فيه اليهود بهذا العيد[2].

7- المرأة اليهودية في الأندلس

نظرت الشريعة اليهودية إلى المرأة نظرة احتقارٍ وصغار، فيقول الحبر اليهودي بابا بترة: "ما أسعد من رزقه الله ذكوراً، وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الإناث"[3].

ولا يسمح اليهود للمرأة بالالتحاق بالمدارس الدينية، وهي في شريعتهم خفيفة عقل.

وقد جاء على لسان الحاخام أليعازر:"كل من يُعلِّم ابنته التوراة، فكأنمَّا يعلمها السخافة"[4].

---

[1] البيان المغرب، جـ4، ص93.

[2] تبين لي ذلك عند الرجوع إلى جدول مقارنة التواريخ الهجرية بالتواريخ الميلادية.
ينظر: العجيري، صالح محمد، تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية، (الكويت، منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1981م).

[3] شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، ص 284، كحالة، عمر رضا، الزواج، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م)، جـ1، ص33.

[4] ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، (بيروت، دار النفائس، ط2، 1972م)، ص58.

ومهمة المرأة تقتصر عندهم على الإنجاب وتأدية مهام البيـــت وتربيـــة الأطفال.وإذا تزوجت، وكان لها خدم في بيت أبيها، وأحضرتهم معها إلى بيـــت زوجها، فعندئذٍ يمكن أن تُعفى من بعض الأعمال، ولكن مهما كان عدد الخـــدم الذين أحضرتهم معها، فإنها لا تعفى من الغزل، مثلمـــا أكَّـــد الحبـــر أليعـــازر (ELIEZER)، ولزوجها أن يرغمها عليه، لأنَّ البطالة تقود إلى الفساد[1].ويَعدُّ المشرِّع اليهودي المرأة المتزوجة كالقاصر والصبي والمجنون بحيث لا يجـــوز لها البيع والشراء[2].

إنَّ هذا التشدُّد من الشريعة اليهودية في النظرة إلى المـــرأة، هـــو فـــي تصَوُّري الذي جعلها تكاد تكون غائبة الذكر في المصادر التاريخية الأندلـــسية والمغربية. إذ لم أجد للمرأة اليهودية الأندلسية غير إشاراتٍ طفيفة، لا يمكن أن تسهم في تكوين صورةٍ واضحة عنها، ولذلك اضطررنا لبيان صـــورتها فـــي الشريعة اليهودية التي استمدَّ منها يهود الأندلس نظرتهم وكثيراً من تـــصوراتهم عن المرأة وكيفية معاملتها.

ومن هذه الإشارات، إشارة المقري إلى الشاعرة قسمونة بنت إســـماعيل اليهودي، التي يدلُّ تمكنها من الشعر العربي على وجود نـــساءٍ يهوديـــات فـــي الأندلس، قد أخذن بنصيبٍ وافرٍ من التعليم، وتدلُّ المعاني التي عبرت عنها في شعرها على بعض صفات المرأة اليهودية في الأندلس. فهي محافظة، وترغـــب في الارتباط برجلٍ، ولكن عن طريق الزواج الشرعي، كما أنَّ زواجها لايتمُّ إلا بإذن وليِّها الذي هو والدها إن كان حيَّاً، كما أنَّها حييَّةً لا تـــصرِّح إلـــى أهلهـــا برغبتها في الزواج، بالرغم من رغبتها فيه وحاجتها إليه.كل ذلك يفهم من أبياتٍ شعرية عربية قالتها قسمونة، نجدها في رواية المقري الـــذي يقـــول: "وكانـــت

---

[1] شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، ص285–286.

[2] م.ن، ص285.

بالأندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، وكان أبوها شاعراً، واعتنى بتأديبها،... ونظرت في المرآةِ فرأت جمالها، وقد بلغت أوان التزويج، ولم تتزوج، فقالت:

أرى روضة قد حان منها قطافها ... ولست أرى جانٍ يمدُّ لها يداً

فوا أسفي يمضي الشباب مضيَّعاً ... ويبقى الذي ما إن أسمِّيه مفردا

فسمعها أبوها، فنظر في تزويجها.

وقالت في ظبيةٍ عندها:

يا ظبيةً ترعى بروضٍ دائماً ... إني حكيتكِ في التَّوحش والحَوَرْ

أمسى كلانا مفرداً عن صاحبٍ ... فلنصطبر أبداً على حكم القَدَرْ.[1]

والظاهر أنَّ اختلاط يهود الأندلس بالمسلمين، ورؤيتهم لمكانة المرأة وحقوقها في الشريعة الإسلامية، وفي المجتمع الإسلامي، قد أثَّر في عقلية يهود الأندلس، ودفعهم للتحرر من بعض قيود شريعتهم المهينة للمرأة، والبحث عن مخرج لهم من تلك القيود. فالشريعة اليهودية وأحبارها يمنعون المرأة من التعلُّم في المدارس كما بينا سابقاً، لكنَّنا نجد أنّ أبا قسمونة قد اهتم بتعليم ابنته بنفسه حتى أصبحت شاعرة مقتدرة.

"واعتنى بتأديبها، وربَّما صنع من الموشَّحة قسماً، فأتمتها هي بقسمٍ آخر، وقال أبوها يوماً: أجيزي:

لي صاحبٌ ذو مهجةٍ قد قابلت ... نعمى بظلمٍ واستحلّت جُرْمها

ففكَّرت غير كثيرٍ وقالت:

كالشمس فيها البدرُ يقبسُ نوره أبداً ... ويكسف بعد ذلك جِرْمها

---

[1] المقري، نفح الطيب، م3، ص530.

فقام كالمختبل، وضَمَّها إليه، وجعل يُقبِّلُ رأسها، ويقول: أنتِ والعشر كلمات أشعرُ مِنِّي[1].

ولا يمكن أن تكون قسمونة هي الفتاة اليهودية الوحيدة في الأندلس التي حظيت بالتعلُّم من قبل أبيها، بل هي في رأيي واحدة من بين الكثير من اليهوديات اللائي تعلَّمن في بيوتهن.

والشريعة اليهودية تحرم المرأة نهائياً من الميراث، وتجعله من حق الولد الأكبر فقط[2]. ولذلك وجدنا يهودياً أندلسياً يجدُ مخرجاً له من هذا الظلم وذلك بحبس عقارٍ على ابنته وعلى عقبها. حيث يقول القاضي ابن سهل:
"سئلتُ عن يهوديٍّ حبس على ابنته فلانة البكر في حجره، وولاية نظره جميع القلعة التي بموضع كذا، وحدها كذا، وعلى من يولد له، وعلى أعقابهم، وأعقابِ أعقابهم، فإن لم يولد له ولد، فذلك حبسٌ على ابنته المذكورة، وعلى عقبها، وعقب عقبها، فإن انقرضوا رجع حبساً على مساكين المسلمين بلورقة، وقال في العقد: إنَّه أدار ذلك لابنته، بما يحوزُ به الآباء لأبنائهم، حتى تبلغ مبلغ القبض لنفسها"[3]. والذي يجعلنا نميل إلى أنَّ تصرُّف اليهودي هذا مع ابنته كان بتأثيرٍ من المسلمين، توصيته بالعقار إلى مساكين المسلمين في حال انقطاع عقب ابنته.

وقد وجدت توافقاً بين ما استنتجته من خلال نصوص المصادر الإسلامية، وبين ما استنتجه نؤمان من المصادر اليهودية، حيث يقول: "والبنات لا يرثن من أبيهن عندما يكون هناك أولاد، ولكن إعالتهن ومهرهن كانت من أملاك الأب. وكان هناك اختلاف كبير بين مركز المرأة اليهودية في القانون،

---

(1) المقري، نفح الطيب، م3، ص530.

(2) ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص195-196.

(3) ابن سهل، الحكام الكبرى، ص68.

ومكانتها في الحياة "[1]. وورد ذكرٌ لامرأةٍ يهودية قرطبية من أهل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[2]عند الونشريسي حيث يقول: "وسئل فقهاء قرطبة عن يهودي ذكر أنَّ امرأةً طلبته، وهي منهم عند قضاتهم بأشياء ادَّعتها على أبيـــه، وأنه على الفعل عليه في ما طالبته به، وأنَّ بـــيده ســـجلاً لقاضـــي الجماعـــة، ووثائق منعقدة بالخط العربي، وشهود المـــسلمين، وأثبـــت أنَّ قـــضاة اليهـــودِ وفقهاءهم على عداوةِ أبيه، وأتت المرأة، وزعمت أنَّ حقها ثبت عند قـــضاتهم، وشهودها من اليهود، ومتى خرج نظرها عنهم بطل حقها"[3].

وتظهر المرأة اليهودية الأندلسية في هذه الرواية قوية ترفـــع قـــضيتها بنفسها، وتقف أمام القضاة اليهود، وتناقش القضاة المسلمين، وتحاورهم من أجل إثبات حقها. وأرى أن هذه الشجاعة والجرأة لا تصدر عن امرأة جاهلة، وتـــدل على أن تلك المرأة كانت مثقفة، وهي صفات يمكن أن توصف بها الكثيرات من نساء يهود الأندلس.

8-الزواج عند يهود الأندلس

نصَّت الشريعة اليهودية على أنّ الزواج فرض من الفروض على كـــلٍّ يهودي مهما كانت حالته الاجتماعية والصحية، فهو فرض على الصغار والكبار والفقراء والأغنياء والعلماء والجهلاء لأنه يجب عليهم الاشتراك فـــي اســـتبقاء النسل[4]. ومع ذلك فقد وجد من اليهودِ من عزف عن الزواج، مثـــل اليهـــودي

---

(1) NEUMAN, ABRAHAM A, THE JEWS IN SPAIN, (PHELDELPHIA, 1944), VOL.2, P.63.

(2) خلاف، تاريخ القضاة في الأندلس، ص191.

(3) الونشريسي، المعيار المعرب، جـــ10، ص128-129.

(4) الكواتي، اليهود في المغرب، ص127؛ كحالة، الزواج، جـــ1، ص32-33.

الأندلسي إسحاق بن قسطار (ت:448هـ=1056م)، الذي "لم يتخذ قط امرأة"[1].
وتحرِّم شريعة اليهود الزواج من غير اليهود الذين تسميهم كفاراً.

ويجوز عند اليهود الزواج من بنت الأخِ وبنت الأخت، بينما لا يجوز للمرأة أن تتزوج ابن أخيها أو ابن أختها وحرَّم كثيرٌ من فقهائهم زواج بنت الأخ. وهناك شاعرٌ يهوديٌ أندلسي اسمه موسى بن عزرا أحب ابنة أخيه، وطلب أن يتزوجها، لكن أباها رفض ذلك[2]، وهذا يشير إلى أنَّ هذه المسألة كانت مسألة خلافية بين علمائهم في الأندلس، وقد سُمح ليهود الأندلس بالزواج على طريقتهم، ولم يعارضوا حتى في الزواج من المحارم. وقد جاء في المدونة "قلت أرأيت أهل الذِّمّة إذا كانوا يستحلّون في دينهم نكاح الأمهات والأخوات وبنات الأخِ أنخليهم وذلك. قال: أرى أنه لا يعرض لهم في دينهم، وهم على ما عوهدوا عليه، فلا يُمنعون من ذلك إذا كان ذلك مما يستحلون في دينهم "[3].

وقد أباحت الشريعة الإسلامية للمسلم أن يتزوج من يهودية. وقد صرَّح بذلك فقهاء المسلمين، نذكر منهم ابن العطار، الذي قال: "وللرجل المسلم أن يتزوَّج الحرَّة النصرانية واليهودية في مذهب مالك"[4].ومع وجود هذه الإباحة، إلا أننا لم نقرأ في ما اطلعنا عليه من مصادر،عن مسلمين تزوجوا من يهوديات في الأندلس، بينما كثرت حالات الزواج هناك من نصرانيات، وسبب ذلك في تصوري يعودُ إلى تحريم شريعة اليهود لتزويج نسائهم من غير اليهود، إضافة إلى المبادئ اليهودية العنصرية التي تجعلهم أكثر ميلاً إلى المحافظة على

---

[1] صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89.

[2] محمد بحر، اليهود في الأندلس، ص70.

[3] مالك، وآخرون، المدونة، م2، ج4، ص312.

[4] ابن العطار، محمد بن أحمد الأموي، كتاب الوثائق والسجلات، تحقيق ونشر: شالميتا، ف.كورنيطي، (مدريد، مجمع الموثقين المجريطي، المعهد الأسباني العربي للثقافة، 1983م)، ص17.

عنصرهم اليهودي من الاختلاط بغيرهم، كما أنَّ صورة اليهـود فـي أذهـان المسلمين، والتي تكوَّنت من خلال مواقفهم القديمة المعادية للأنبياء وللإسـلام، جعلت المسلم لا يميلُ إلى الزواج من يهودية يمكن أن تصير أمّاً لأولاده.

وبسبب اشتغال كثير من يهود الأندلس بالتجـارة الخارجيـة، وعـدم اصطحابهم لزوجاتهم في أغلب الأحيان، وغيابهم الطويل عن ديارهم[1]، كثرت حالات زواج يهود أندلسيين من يهوديات غير أندلسيات. فتبين وثائق الجنيزة أنَّ يهودياً أندلسياً اتخذ زوجة يهودية من القاهرة[2]، وآخر اتخذ زوجة من اليمن[3]. ويبدو أنَّ بعض هؤلاء التجار، كان يترك زوجته في بلدها، وينزل عندها كلَّمـا مرَّ بهذا البلد. يمكن أن يفهم ذلك من رسالة بعث بها تاجر يهودي من الأنـدلس إلى زوجته في القاهرة يقول فيها: إني أعتزم المجيئ على الجيتاني، وهي سفينة يمتلكها تاجر من جيتا (في إيطاليا)[4]. كما تزوج أشخاص يهود زوجات غيـر أندلسيات، ودون أن يكونوا تجاراً، مثل يوسف بن إسماعيل بن نغدله ابن وزير غرناطة ورئيس طائفتها، الذي تزوَّج ابنة العالم التلمودي الكبير نسيم بن يعقوب المقيم في القيروان[5].

ومن الإجراءات المتبعة عند اليهود تحرير عقود شرعية ليتمَّ الاعتراف بهذا الزواج، ويصحب هذا العقد بيان بكلٍّ القطع التي تحضرها العروس معها، إضافة إلى ما يُتَّفق عليه من شروط[6].

---

(1) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص258.

(2) S.D GOITEIN, JEWS AND ARABS, THEIR CONTACTS THROUGH THE AGES, P.112.

(3) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص258.

(4) م.ن، ص213–214.

(5) م.ن، ص235–236.

(6) سرور، محمد شكري، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، (القـاهرة، دار الفكـر العربي، 1978–1979م)، ص218–219.

والزواج من أكثر من امرأة عند اليهود جائز، ولم يرد في تحريمه نصٌّ واحد، لا في الكتاب المقدس، ولا في التلمود[1]، وقد مارسه يهود الأنــدلس[2]، لكنه كثر بين أغنيائهم فقط[3]. وقد وجِّه سؤال إلى الحبر موسى بن حنوخ فــي قرطبة (ت: 360هـــ=970م)، يبيِّن أن يهودياً يدعى يعقوب تزوج من امرأتين هما ليَّا وراحيل[4].

وقد نتج عن تعدد الزوجات مشكلات تقوم بها على الأغلــب الزوجــة الأولى، وهناك حالات عديدة طلبت فيها زوجات يهوديات أندلــسيات الطــلاق وحصلن عليه، وأخذن حقوقهن المنصوص عليها في العقد، وذلك بالرغم مــن حبهنَّ لأزواجهن، ودافعهن فقط هو رفض الإهانة التي تراها الزوجة في زواج زوجها من أخرى[5].

وكانت إحدى أهم المشكلات الاجتماعية المتعلِّقة بموضوع الزواج، هي غياب الأزواج عن زوجاتهم مدة طويلة، وعن ذلك يقــول نؤمــان: "وعــدد لا يحصى من النساء اللائي تركهنَّ أزواجهن، والذين لم يعودوا، أجبرن على البقاء مهجورات، لأنه لا يوجد هناك سبل شرعية لتحريرهن"[6].

9- الموسيقى والغناء

كانت الموسيقى والغناء من بين الفنون التي أخذها اليهود عن مــسلمي الأندلس، وقد ترجمت مصادرنا لبعض الموسيقيين اليهود، أمثال إســحاق بــن

---

(1) ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص192.

(2) NEUMAN, THE JEWS OF SPAIN, VOL.2, P.52; ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.147.

(3) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص204.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.268.

(5) NEUMAN, THE JEWS OF SPAIN, VOL.2, P.55.

(6) IBID, VOL.2, P.49-50.

شمعون اليهودي القرطبي، الذي تصفه بأنه "أحد عجائب الزمان في الاقتدار على الألحان، وكان قد لازم ابن باجة، وأحسن الغناء بلسانه ويده، ... وكان له نظمٌ رائق كفاك من قوله:

قُمْ هاتِ كأسَكَ فالنعيم قد اتَّسَقْ	والعودُ عن داعي المسرَّةِ قد نَطَقْ
ولديكَ من حَثِّ الكؤوس أزهاراً	في الخزِّ يَمْرَحُ كالأراكةِ في
والزهر زهرٌ والرياضُ سماؤها	والفجر نهرٌ والشقائق كالشَّفَقْ[1]

وقد مرت بنا سابقاً رواية المقري التي تذكر منصور اليهودي المغني الذي بعثه الحكم إلى المغرب لدعوة زرياب إلى الأندلس، وتبين كيف تم إكرامه فيها[2]. مما يدل على اهتمام أمراء الأندلس بالغناء، الأمر الذي انتقل أيضاً إلى يهودها.

وكان العلم بالموسيقى، واحداً من العلوم التي ذكر صاعد الأندلسي أنَّ أبا الفضل حسداي بن يوسف، قد اهتم بها "ومنهم صنعة الموسيقى، وحاول عملها"[3].

وفي الحفلات الخاصَّة بيهود الأندلس، كان المغنُّون فيها من اليهود، أمَّا المغنيَّات فلم يكن بينهنَّ يهوديات، وهن من الجواري غير المسلمات[4].

---

(1) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، جـ1، ص127، ترجمة رقم: 60.

(2) المقري، نفح الطيب، م3، ص124-125.

(3) صاعد، طبقات الأمم، ص89.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.163.

المبحث الثاني

العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واليهود في الأندلس

قبل الخوض في موضوع العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واليهود في الأندلس، أجدُ من المهم أنْ أقدِّم لذلك بتوضيح صورة اليهودي في ذهن وعقلية المسلم الأندلسي، والأسباب والعوامل التي أدت إلى تكوين هذه الصورة، وذلك لأنَّ صورة اليهودي في أذهان المسلمين قد أثرت في العلاقات الاجتماعية بين مسلمي ويهود الأندلس. والمصادر الأندلسية تقدِّم لنا مجموعة من النصوص والروايات المعبِّرة عن تلك الصورة.

ومن هذه النصوص قول ابن حزم الأندلسي: "اعلموا أيها الناس، علَّمنا الله وإياكم ما يقرِّبنا منه، ويُزلف حظوتنا لديه، أنَّ اليهودَ أبهتُ الأمم، وأشدّهم استسهالاً للكذب، فما لقيتُ منهم أحداً قط مجانباً للكذب القبيح على كثرة من لقينا منهم، إلا رجلاً واحداً في طولِ أعمارنا، فطال تعجبي من ذلك، إلى أنْ ظفرتُ بسرِّهم من ذلك في هذا الباب، وهو أنَّهم يعتقدون بسخفهم وضعفِ عقولهم، أنَّ الملائكة الذين يحصون أعمال العباد لا يفقهون العربية، ولا يحسنون من اللغات شيءاً إلا العبرانية، فلا يكتب عليهم كلّ ما كذبوا فيه بغير العبرانية، فحسبكم بهذا المقدار من الجهل العظيم، والحمق التام"[1].

ويدعو ابن حزم إلى الحذر منهم، وعدم التقليل من خطرهم، فيقول: "وقال أبو نصر بن نباته:

فلا تحقرنَّ عدوّاً رماك ... وإن كان في ساعديه قصر

فإنَّ السيوف تجذُّ الرقاب ... وتعجزُ عما تنال الإبرُ

---

[1] الرد على ابن النغريلي، ص64-65.

لاسيّما إن كان العدوُّ من عصابة لا تحسن إلا الخبث، مع مهانة الظاهر، فيأنسُ المغترُّ إلى الضعف البادي، وتحت ذاك الختل والختر والكيد والمكر، كـالـيهود الذين لا يحسنون شيءاً من الحِيَل، ولا آتاهم الله شيءاً من أسباب القوة، وإنَّمـا شأنهم الغش والتخابث والسرقة، على التطاول والخضوع، مع شدةِ العـداوةِ لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم"[1].

وقول الونشريسي واصفاً إحدى الفرق: "وهم أشدُّ في كيدِ الـدين مـن اليهود والنصارى، لأنَّ هذين المذهبين، أعني اليهودُ والنصارى، قد عرف الناس أنَّهم كفار، ولا يلبس على الناس أمرهم، ولا يُخشى على المسلمين أن يظنوا أنَّ عندهم خيراً"[2].

وقول أبي إسحاق الإلبيري واصفاً يوسف بن إسماعيل بن نغدله وزيـر باديس:

تخيَّـرَ كاتبـه كـافراً ولو شاء كان مـن المـسلمين[3]

وقول ابن الخطيب متحدِّثاً أيضاً عن كفر إحدى الملل:" وتعرَّض إليـه قومٌ من الصفاعين والأوغاد من أهل سلا، ممن يأنف يهود لعنة الله على كفارها من انتسابهم إلى نحلتها، وتعلُّقهم بأذيالِ ملَّتها"[4].

وقول المعتمد بن عباد عندما نفي إلى جبل فازار بالمغرب الذي يكثـر فيه اليهود: "غُرِّبنا بنقضِ العهود، لبلدٍ أهله يهـود، وبنـاؤه عـود، وجيرانـه قرود"[5].

---

[1] الرد على ابن النغريلي، ص45-46.

[2] الونشريسي، المعيار المعرب، جـ2، ص446-447؛ قارن، المعيار، جـ11، ص168.

[3] ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، جـ2، ص133، ترجمة رقم: 444.

[4] نفاضة الجراب، ص307.

[5] الحميري، الروض المعطار، ص435.

وقول آخر أمراء غرناطة في عهد الطوائف عبد الله بن بلقين عنهم: "وأخلاقهم كلّها مطابقة لما يدلُّ عليه زُحَل من البخلِ، والقذارة، والخبثِ، والمكر، والخديعة"[1].

وقولُ الكاتب أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم في رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه: "وأبدأ بحديثِ اليهودي موصل كتابك: دخل الحضرة عقب جولة كانت لي مع ابن مُخامس-حشر الله كليهما مع صاحبه- فوالله لا أعلم حال من منهما أضعف وأظلم، أحالُ اليهودي بمضادّة الدين، أم حال هذا المسلم؟"[2]. واستشهاده في إحدى قطعه النثرية بقول الشاعر أحمد بن الحسين:

ما مقامي بأرضِ نخلة إلا كمقامِ المسيح بين اليهود[3].

وقولُ أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد واصفاً أحد خصومه: "فإنّه بقية من بني إسرائيل الذين استحلُّوا الحرام، واجترحوا السيئاتِ والآثام"[4].

وقول ابن خلدون في معرض نهيه للمعلمين والمربين عن اللجوء إلى العنفِ والقهر: "وهكذا وقع لكلِّ أمَّةٍ حصلت في قبضةِ القهر، ونال منها العسف... وانظره في اليهود، وما حصل بذلك فيهم من السوء، حتى إنَّهم يوصفون في كلِّ أفقٍ وعصر بالخزح، ومعناه في الاصطلاحِ المشهور: التخابث والكيد"[5].

---

(1) ابن بلقين، التبيان، ص188-189.

(2) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص161.

(3) م.ن، ق1، م1، ص159.

(4) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص214-215.

(5) ابن خلدون، المقدّمة، تاريخ العلامة ابن خلدون، كتابة العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت، ط3، 1967م)، م1، ص1043.

وقول ابن عبدون: "فإنهم لا يرون نصيحة مسلم، إلا أن يطبِّبوا أهل ملَّتهم، ومن لا يرى نصيحة مسلم. كيف يوثق على المهج؟"[1].

وقول الأديب الأندلسي أبي طالب عبد الجبار مبيناً رأيه في عقيدة اليهود:

وطابقوا اليهودَ في التجسيم أفٍّ له من منطقٍ ذميمِ[2].

وقول أصبغ بن محمد القرطبي (ت:505هـ=1111م) يهجو أحد معاصريه:

لو إلينا يكونُ دفنك حيًّا لدفنَّاك في قبور اليهودِ[3].

وقول أبي محمد بن الياسمين عبد الله بن حجاج الإشبيلي يهجو واحداً:

يا أعرق الناسِ في نسلِ اليهودِ ومَنْ تأبى شمائله التفصيلِ للجُمَلِ
خذها بحكم اجتماعِ الذَّمِّ واحدةً تُغني عن النعت والتوكيدِ والبَدَلِ[4]

وقول والد ابن سعيد الأندلسي لولده ابن سعيد الذي كان صديقاً لابن سهل الإسرائيلي معترضاً على اشتراكه مع ابن سهل في هجاءِ إبراهيم بن حجاج: "ما أبعد الفَلاحَ عن وجهك! ما كفى أنَّك أدخلتَ روحك في النميمة بهجو الأعيان، حتى رضيتَ أن تكون زاملةً ليهوديٍّ شاعر"[5].

وقولُ أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم محذراً من غش اليهود: "ويُتحفَّظُ من احتيالِ اليهود لعنهم الله وخِدَعهم"[6].

---

(1) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في الحسبة والقضاء، ص57.

(2) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص924.

(3) العماد الأصفهاني، جريدة القصر، ق4، جـ2، ص242.

(4) ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار المعارف، ط2، د.ت)، ص46.

(5) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلَّى، ص141.

(6) أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، "صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد"، نشر: حسين مونس، (م6، ع2، 1378هـ-1958م)، ص121.

وقول ابن عبدون: "يجب أن لا يُباع ثوبٌ لمريضٍ، ولا ليهـودي، ولا لنصراني، إلا أن يُعرَّفَ به، ولا لخليعٍ أيضاً"[1]، فقد جمع ابن عبـدون ثـوب اليهوديّ باعتبار أنَّ الناس ينفرون منه مع ثوبِ المريض والخليع.

وقول الونشريسي في تعقيبه على نازلة "ما إذا اشترى الرجل داراً لهـا بئر مشتركة مع الدار التي تجاورها، ثم ألفى تلك الدار المجـاورة ليهـودي أو نصراني"[2]: "ومسألتنا وجود النفرة في النفس من البئر المشتركة مع يهودي أو نصراني، فليتأمَّل ذلك"[3].

وقول الونشريسي أيضاً: "سئل القابسي عن رجلٍ بجواره يهـودي، قـد ربى معهم، فربما جاءوه في حاجة، أو عرضت له إليهم حاجة، وربما مشى في طريق ملاصقة لهم، فيجري بينهم حديث أو ابتسام، وكلام لين، وهـذا الرجـل يقول: الله عالم ببغضي لليهود، ولكن طبعي لين"[4].

وللضبي رواية لها دلالتها في هذا الموضوع، يبَيِّنُ فيها أنَّ أبا عبـد الله بن طاهر التدميري[5]، انـزعج كثيراً عندما رأى في منامه أنه سيحـشر يـوم القيامة مع يهودي من سكان مصر، ولم تهدأ نفسه إلا بعد أن بحث عن اليهودي

---

(1) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص50.

(2) الونشريسي، المعيار، جـ5، ص208.

(3) م.ن، جـ5، ص208.

(4) م.ن، جـ11، ص300-301.

(5) لم تنص الرواية صراحة على أنَّ الحادثة وقعت مع ابن طاهر. ولكن يفهم ذلك من نصٍّ ورد فيها وهو: "وحكى أبو العباس وليد بن عبد الرحمن الفرضي التدميري، قال: سمعت أبا عبـد الله بن طاهر الزاهد، أيام جاورنا في قريته يقول: حدَّثني الثقة، وكنا إذا سمعناه يقولها حسبناه يريد نفسه". الضبي، بغية الملتمس، ص84-85. ثم إنَّ هذه الحادثة ذكرت في موضعٍ يترجم فيه الضبي لأبي عبد الله بن طاهر.

ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص83.

ووجده، وأخبره بما رأى في منامه، وأسلم اليهودي على يديه، وحسن إسلامه[1]. وفي ذلك دليلٌ على أن هذا المسلم الأندلسي يعتقد أن اليهود ليست على شيء.

ولم ينفرد مسلمو الأندلس بهذا التصوُّر عن اليهود، بل شاركهم فيه المسلمون في كلِّ زمانٍ ومكان، ولتأكيد ذلك نذكرُ قول الشاعر جمال الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن المقرَّب العيوني (572-629هـ=1176-1231م):

فاق اليهودَ لآمةً وغُلُولا … من كلِّ مغلولِ اليدين عن النَّدى[2]

وشهد عبد الله بن سلام اليهودي الذي أسلم وأصبح صحابياً، بإحدى صفات اليهود في قوله: "يا رسول الله: إنَّ اليهودَ قومٌ بُهت"[3].

وليس المسلمون وحدهم هم الذين حملوا هذا التصوَّر عن اليهود، بل لقد حمله النصارى أيضاً، ولذلك حرَّموا على اليهود دخول القدس، ورفضوا تسليمها للمسلمين زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا بعد أن "اشترطوا أنْ لا يساكنهم اليهود فيها"[4].

تُرى ما السبب الذي أدَّى إلى تكوين هذه الصورة عن اليهود في أذهان المسلمين؟ والجواب في رأيي يتلَخَّصُ في عداء اليهود الشديد للإسلام والمسلمين، هذا العداء الذي لم يبدأ من بعثةِ الرسول محمد صلى الله عليه وسلَّم، وإنَّما بدأ منذ أن نشأ بنو إسرائيل، وأرسل الله فيهم أباهم يعقوب (إسرائيل) نبيَّاً، فعادوا دينه، وخانوا مبادئه، وأجمعوا على أن يقتلوا أخاهم يوسف، واستمرَّ

---

[1] الضبي، بغية الملتمس، ص83-86. (ترجمة رقم: 154).

[2] ابن المقرب العيوني، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن علي، ديوان ابن المقرب، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، (مصر، ط1، 1383هـ-1963م)، ص411.

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، جـ13، ص227.

[4] الحميري، الروض المعطار، ص69.

عداؤهم للأنبياء المسلمين[1] المؤمنين، فكفروا بهم، وعاندوهم، وقتلوا العديد منهم، حتى عرفوا بأنَّهم قتلة الأنبياء[2].

وكان للقرآن الكريم الدور الأول في تكوين صورة اليهود في أذهان المسلمين وتصوراتهم، حيث أوضحت آياته الكريمة التي يتلوها المسلمون باستمرار تاريخ اليهود الطويل في تكذيب ومعاندة الرسل، وفي معصية أوامر الله تعالى، والاستهزاء بآياته، كما أيقنوا بأن اليهود أعداؤهم عندما قرأوا قول الله تعالى: { لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...} [3].

ولم ينس المسلمون أنَّ اليهود حاولوا مرَّاتٍ عِدَّة قتل نبيِّهم محمد –صلى الله عليه وسلم– بل إنَّ منهم من يعتقد أنَّ موته كان على أيديهم[4].

---

[1] أعتقد أنَّ الأنبياء جميعاً كانوا مسلمين. والآيات الدالة على ذلك كثيرة. أذكر منها قول الله تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ} آل عمران/67. وقوله تعالى: { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ۞ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ۞ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ۞ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}. البقرة/ 130–133. وقوله تعالى في قصة ملكة سبأ: { قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ۞ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ۞ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}. النمل/29–31. وعندما آمنت ملكة سبأ بدين سليمان {قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. النمل/44.

[2] قال الله تعالى: { ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}. آل عمران/112.

[3] ينظر: سورة المائدة، آية 82.

[4] ابن قيم الجوزي، زاد المعاد، جـ2، ص140، أبو عبد الله، زاد المعاد في هدي خير العباد، جـ2، (دار الفكر، ط2، 1392هـ–1972م)، ص139–140.

وقد أورد ابن سعيد الأندلسي شعراً نسبه إلى اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغدله، وذكر أنه كتبه إلى أهل غرناطة بعد قتلهم أبيه[1]، ويدلُّ هذا الشعر على تباهي يهود الأندلس بقتلهم لكلٍّ من المسيح والنبي محمد عليهما الصلاة والسلام. وهذا الشعر هو:

أقتيلاً بسنجل ليس تخشى	حَشْرَ جسمٍ، وقد سمعتَ النصيحا
غودِرَ الجسم في الترابِ طريحاً	وغدا الرُّوحُ في البسيطةِ ريحا
أيها الغادرون هلاًّ وفيتم	وفديتم شبه الذبيحِ الذبيحا
إنْ لم يكن قتلكم دون ذنبٍ	قد قتلنا من قبل ذاك المسيحا
ونبيًّا من هاشمٍ قد سممنا	خرَّ من أكلةِ الذراعِ طريحا[2]

وهم يعتقدون أيضاً أنّ اليهود كانوا وراء الفتنة الكبرى التي أدَّت إلى استشهادِ عثمان رضي الله عنه، وإلى فتنٍ وحروب، عانى المسلمون، وما زالوا يعانون من آثارها[3]. ويعرف المسلمون ما يكنُّه اليهود لدينهم ولنبيهم من كره وحقد، وما تحويه كتبهم من توصيات تدعو إلى الحقد على المسلمين، كتلك التي سجَّلها سفر حازوحار وجاء فيها: "يا أبناء إسرائيل اعلموا أننا لن نفيَ محمَّداً حقه من العقوبة التي يستحقها حتى ولو سلقناه في قِدْرٍ طافح بالأقذار، وألقينا

---

[1] أخطأ ابن سعيد الأندلسي عندما ذكر أنّ الوزير اليهودي اليهودي الذي قتله مسلمو غرناطة في ثورتهم على اليهود هو إسماعيل بن نغدله، إذ خالف بذلك المصادر الإسلامية التي ذكرت أنه يوسف بن إسماعيل، كما خالف ابن بلقين أحد أمراء غرناطة، ومعاصر هذا الحدث، إضافة لمخالفته للمصادر اليهودية، تفاصيل هذا الموضوع تنظر في فصل اليهود والسلطة.

ولذلك أرى أنّ هذا الشعر قد نسب خطأ إلى يوسف بن إسماعيل. والظاهر أنه ليهودي أندلسي قاله في أعقاب مقتل يوسف بن إسماعيل.

[2] ورد هذا الشعر، وكذلك نسبته إلى يوسف بن إسماعيل عند ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ2، ص115. ترجمة رقم: 427.

[3] ينظر: الطبري، تاريخ، جـ4، ص340-396، 506-544؛ جـ5، ص5-48.

عظامه النخرة إلى الكلاب المسعورة، لتعود كما كانت نفايات كلاب، لأنه أهاننا، وأرغم خيرة أبنائنا وأنصارنا على اعتناق بدعته الكاذبة، وقضى على أعزّ آمالنا في الوجود، ولذا يجب عليكم أنْ تلعنوه في صلواتكم المباركة أيام السبت، وليكن مقرّه في جهنَّم وبئس المصير"[1].

وقد عبَّر ابن حزم عن معرفته بكره اليهود في الأندلس للإسلام ونبيِّه بقوله: " فإنَّ بعض من تقلَّى قلبه للعداوةِ للإسلام وأهله، وذوِّبت كبده ببغضه للرسول صلى الله عليه وسلم من متدهرة الزنادقة، المستترين بأذلِّ الملل، وأرذل النحل من اليهود..."[2].

ومما ساعد على تكوين هذه الصورة لليهودِ في أذهان المسلمين، أنَّ اليهود "ينظرون إلى الناسِ بعينِ النقصِ والازدراء إلى أبعد غاية"[3]. فقد جاء في التلمود: "الفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودِ وبقية الشعوب"[4]. وأظهر التلمود كرهاً شديداً، وحقداً خاصاً للمغاربة. فجاء فيه: "إنَّ سكان المغرب شعبٌ من المجرمين"[5].

وظهرت هذه العنصرية والاحتقار لغير اليهود في فتوى لأكبر علماء اليهود موسى بن ميمون ذو الأصل الأندلسي، حيث يقول: "إنَّ لليهود الحق في

---

(1) ناجي، س، المفسدون في الأرض، (دمشق، العربي للإعلان والنشر والطباعة، ط2، 1973م)، ص123.

نقلاً عن: سفر حازوحار المطبوع بالفرنسية سنة 1907م، جـ2، ص88.

(2) ابن حزم، الرد على ابن النغريلي اليهودي، ص46.

(3) السموءل بن يحيى، بذل المجهود، ص59-60.

(4) مظهر، سليمان، قصة الديانات، (دار الوطن العربي، د.ت)، ص376.

(5) نقلاً عن: الكواتي، اليهود في المغرب، ص65.

اغتصاب النساء الغير مؤمنات، أي الغير يهوديات، فهنَّ في نظر التلمود وشراحه من الحاخامات كالبهائم، لأنهنَّ غير يهوديات"[1].

وقد عبَّر القرآن الكريم عن استهتارهم واحتقارهم للأمم الأخرى في قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} [2].

والفرق بين الدافع في عداء اليهودي للمسلم، والدافع في عداء المسلم لليهودي هو أنَّ اليهودي يعادي على أساسٍ عنصريٍّ أُمَمِيّ، فهو عدوٌّ لكلٍّ من هو غير يهودي، وهذا النوع من العداء لا يمكن أن ينتهي، لأنَّ غير اليهودي لا يمكن أن يصبح يهودياً، إذ أنَّ اليهودي في نظر اليهود هو يهودي النسب والدين، ولا يُعَدُّ يهودياً من اعتنق اليهودية وأصوله ليست يهودية.

أما دافع عداء المسلم لليهودي فسببه معاداة اليهودي للإسلام، وإذا ما توقَّف هذا العداء، ودخل اليهودي في الإسلام، فإنَّ عداء المسلم له يتوقف، ويصبح واحداً من المسلمين. وقد عبَّر عن ذلك عمر بن عبد العزيز –رضي الله عنه– عندما قال: "فإن أسلم فهو منَّا ونحن منه"[3]، وعبر عنه الفقيه سحنون عندما قال: "إلا من عداوتنا لليهودي والنصراني، إنما هي في الدين"[4]. وعبَّرت عنه أفعال الرسول صلّى الله عليه وسلم، فقد تزوج من صفية بنت حيي بن أخطب بعد أن أسلمت فصارت أمَّاً للمؤمنين مع أنها كانت يهودية، وابنة يهودي شديد العداء للمسلمين[5]، وتزوج طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من يهودية

---

[1] الكواتي، اليهود في المغرب، ص129.

[2] سورة: آل عمران، آية: 75.

[3] ورد هذا النص في رسالة بعث بها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى أحد عماله. ينظر: ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ق1، ص214.

[4] ابن العطار، كتاب الوثائق والسجلات، ص333.

[5] ابن هشام، السيرة النبوية، ق2، جـ3، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة، ط2، 1375هـ–1955م)، ص336.

بالشام[1]. ولو كانت هناك دوافع أخرى للعداء غير معاداة اليهود للإسلام، لما سمح الإسلام لأبنائه بالارتباط باليهود بعلاقاتٍ تصل إلى حدِّ التزوج منهم.

وبالرغم من بشاعة الصورة التي يحملها المسلمون في الأندلس عن اليهود، ومعرفتهم بأخلاقهم وطبائعهم، إلا أنَّهم تعاملوا معهم بالعدلِ والإنصاف الذي أمرَ به ربهم في قوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّه شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[2]. وأوصى به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: "ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيءاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة"[3]. وقوله: "من آذى ذمِّياً فأنا خصمه، ومن كنتُ خصمه خصمته يوم القيامة"[4].

وقوله: "من قتل معاهداً لم يَرَحْ رائحة الجنة، وإنَّ ريحها توجد من مسيرةِ أربعين عاماً"[5].

وحضّ عليه الصحابة الكرام بأفعالهم، وأقوالهم. ومن ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه مرَّ ببابِ قومٍ وعليه سائل يهودي يقول: شيخ كبيرٌ ضرير البصر، فقال له عمر: ما ألجأك إلى هذا ؟ قال: الحاجة والجزية. فأخذ

---

(1) مالك وآخرون، المدونة، م2، جـ4، ص308.

(2) سورة المائدة، آية:8.

(3) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، جـ2، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1371هـ-1952م).

(4) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير من حديث البشير النذير، جـ2، (مصر، مطبعة الحلبي البابي، ط4، 1373هـ)، ص473.

(5) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني، جـ13، ص132.

عمر بيده، وذهب إلى منزله، وأعطاه شيءاً، ثم أرسل إلى خازن بيت المــال، وقال له: انظر هذا وأمثاله: فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبَته، ثمَّ نخذلــه عنــد الهِرَم، وقرأ قوله تعالى: "إنَّما الصدقات للفقراءِ والمساكين، وقال: والفقراء هــم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنــه الجزيــة وعــن ضربائه"[1]. وسار على هذا النهج الخلفاء من بعده، إذ كتب عمــر بــن عبــد العزيز-الذي كانت الأندلس إحدى ولاياته- يوصي أحد الولاة ويقول: "ثمَّ انظر من قِبَلَكَ من أهل الذِّمَّة، قد كبرت سِنُّه، وضعفت قوَّته، وَولَّت عنه المكاســب، فأجرِ عليه من بيتِ مال المسلمين ما يصلحه، فلو أنّ رجلاً من المسلمين كان له مملوك كبرت سِنُّه، وضعفت قوَّته، وَولَّت عنه المكاسب، كان من الحقِّ عليه أن يقوته، حتى يُفرِّق بينهما موتٌ أو عتق". وما ذكره ابن كثير فــي تفــسيره "أنَّ رجلاً سأل ابن عباس، فقال: إنَّا نُصيبُ في الغزو من أموالِ أهلِ الذِّمَّةِ الدجاجة والشاة، قال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال نقول: ليس علينا بذلك بأس. قال: هذا كما قال أهل الكتاب: "ليس علينا في الأميين سبيل". إنَّهم إذا أدوا الجزية لم تَحِلّ لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم"[2]. ودعا إليه فقهاء المسلمين مثــل ابــن حــزم الأندلسي الذي يقول: "إنَّ من كان في الذِّمَّةِ وجاء أهــلِ الحــربِ إلــى بلادنــا يقصدونه، وجب علينا أنْ نخرج لقــتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذِمَّةِ الله تعالى، وذِمَّةِ رسوله صلَّى الله عليه وسلم، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة"[3]. وقول القرافي المالكي: "فمن اعتدى عليهم، ولــو

---

[1] أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، (القــاهرة، المطبعــة الــسلفية، ط4، 1392هـــ-1972م)، ص144.

[2] ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيــق: محمــد علــي الصابوني، (بيروت، دار القرآن الكريم، ط3، 1399هـ)، ص292.

[3] القرافي، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، الفروق، جـ3، (مطبعــة دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1346هـ).

بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله تعالى، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذمة دين الإسلام"[1]

وقد التزم مسلمو الأندلس عملياً بهذه المبادئ والأوامرِ والتوصيات، والمصادر الإسلامية تحتوي على أمثلة كثيرة تدلُّ على ذلك، وهم لم يقسوا على اليهود إلا ردًّاً على نقضهم لعهودهم وتجاوزهم لحدودهم. ومن هذه الأمثلة، أنَّ الفاتحين المسلمين أعطوا أهل الأندلس منذ أن دخلوها عهوداً تضمَّنت حفظ حقوقهم. ومن هذه العهود العهد الذي أبرمه عبد العزيز بن موسى بن نصير مع تدمير عند فتح مدينة تدمير، إذ جاء فيه: "هذا كتابٌ من عبد العزيز بن موسى لتدمير بن عندريس، إذ نزل على الصلح، أنَّ لهم عهد اللهِ وميثاقه، وما بعث به أنبياءه ورسله، أنَّ له ذِمَّة الله عز وجل، وذِمَّة محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، إلا يُقدَّمَ له، وإلا يُؤَخَّرُ لأحدٍ من أصحابه بسوء، وأنْ لا يُسْبَوْنْ، ولا يُفرَّق بينهم وبين نسائهم وأولادهم، ولا يُقتلون، ولا تُحرْق كنائسهم، ولا يُكرهون على دينهم"[2].

وبالرغم من أنه لم تصل إلينا وثائق أخرى من العهود المبرمة بين المسلمين واليهود في الأندلس، إلا أنَّه من المؤكد أنَّ عدداً منها قد أبرم، وأنها احتوت على الحقوق نفسها، لأنَّ أحكام اليهود والنصارى واحدة في الشريعة الإسلامية. ومن الأمثلة الدالة أيضاً على التزامهم بتلك المبادئ والعهود رواية النباهي التي يقول فيها: "كان القاضي سليمان بن الأسود رجلاً صالحاً متقشِّفاً صليباً في حكمه، مهيباً وكان السبب في تقليد الأمير محمد إياه قضاء قرطبة، حُكمٌ أمضاه بمدينة ماردة، وهو قاضٍ عليها للأميرِ عبد الرحمن والده، ومحمد

---

[1] م.ن، جـ3، ص14.

[2] العذري، ترصيع الأخبار، ص524.

أميرٌ عليها: وقد احتبس لرجلٍ يهودي من تجار جلِّيقية مملوكة أعجبته، واشـتطَّ اليهوديُّ في سَوْمها، فدسَّ غلمانه لاختلاسها من اليهودي، وفزع اليهودي إلـى سليمان بمظلمة، واستشهد بمن حول دار الإمارة ممن عرف خبرها. فأوصـل سليمان إلى محمد، يُعرِّفه بما ذكره اليهودي، وما شُهد به لديه، ويُقبِّحُ عنده سوء الأحدوثة عنه، ويسأله دفع مملوكته إليه، فأنكر محمد ما زعمه اليهودي، ولـواه بحقِّه، فأعاد القاضي إليه الرسالة يقول له: إن هذا اليهودي الضعيف لا يقدرُ أن يدَّعي على الأمير بباطل! وقد شهد إليه سليمان ثانية، يُقسم بالله العظيم، لئن لـم يصرف على اليهودي جاريته، ليركبنَّ دابته من فوره، ويكون طريقه إلى الأمير والده، يعلمه الخبر، ويستعفيه من قضائه. فلم يلتفت محمد إلى وصـيته. فـشدَّ سليمان على نفسه، وركب دابته سائراً إلى قرطبة، وكانت طريقه على باب دار الإمارة، فدخل الفتـيان إلى محمد، فعرَّفوه بسيره فأشفق من ذلك، وأرسل خلفه فتىً من ثقاته، يقول له: إنَّ الجارية قد وجد خبرها عند بعض فتيانه، وقد كـان أخفاها بغيرِ أمره، وها هي حاضرة تُرَدُّ إلى اليهودي، فلحقه الرسول على ميلٍ أو نحوه من ماردة، وأعلمه.فقال: والله لا أنصرفُ من موضعي راجعاً، أو أوتى بالجارية إلى هذا المكان، ويقبضها اليهودي ها هنا! وإلا مضيتُ لوجهي. فأرسل محمد الجارية إليه فلما صارت بين يديه، أرسل في اليهوديّ مولاها وفي ثقـاتٍ من ثقاتِ أهل البلد، ودفعها إليه بمحضرهم. وأعجب الأميرَ محمداً ما كان منه، واسترجحه، واعتَقَدَ تفضيله، فلما ولي الخلافـة، واحتـاج إلـى قـاضٍ، ولاَّه وأعزَّه"[1].

ومثلما تظهر الرواية عدل القاضي الأندلسي، وإنصافه لليهودي، فهـي تُظهر أيضاً عَدْلَ الحاكم الأندلسي، الذي أعجبه أن يتشدَّد القاضي كلَّ هذا التشدُّد

---

[1] النباهي، المرقبة العليا، ص56–57؛ قارن: ابن سعيد، المغرب في حلي المغـرب، جـ1، ص151–152، ترجمة رقم:91.

من أجل إنصاف اليهودي، بالرغم من أنَّ إنصافه قد سبب حرجاً لـــه، ودفعـــه للخضوع إلى أمر القاضي.

ومما يؤكِّد هذا الإعجاب أنَّ الأمير محمداً عندما صـــار أميـــراً علـــى الأندلس (238-273هـ=852-886م)، رفع القاضي سليمان بن أســـود إلـــى منصب قاضي الجماعة[1].

كما تظهر الرواية أيضاً أنّ العدل والإنصاف والجرأة في قول الحـــق، صفات تحلَّى بها مسلمو الأندلس إذْ أنَّ الذين شهدوا الحادثة منهم، توجهوا إلـــى القاضي، وشهدوا مع اليهودي، ولم يمنعهم من الإنصاف والشهادة الصادقة، أنَّ الأمر يتعلَّق بيهوديّ، يعلمون عداءه للإسلام والمسلمين، وأنَّهم بـــشهادتهم تلـــك سوف يناصرونه على أميرٍ مسلم.

ومما يدلُّ أيضاً على أنَّ نظرة المسلمين في الأندلس إلى اليهود لم تمنع المسلمين من إنصافهم، قول ابن عبد الرؤوف: "وإن كسر مـــسلم خمـــر ذِمّـــي عوقب"[2]. وتصريح بعض فقهاء الأندلس بضرورة أن يجلس القاضي المـــسلم خارج المسجد، كي يتمكَّن اليهودُ وغيرهم من الوصول إليه، ورفع تظلماتهم[3].

كما ظهر إنصاف المسلمين لليهود وهم يتحدثون عن بعض رجـــالاتهم. حيث يقول صاعد الأندلسي في معرض وصفه لابن جابـــيرول: "لطيف الذهن، حسن النظر"[4]، ويقول في وصف إسحاق بن قسطار: "وكان حميـــد المـــذهب،

---

[1] الخشني، قضاة قرطبة، ص155؛

ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـــ1، ص151-152؛ النبـــاهي، المرقبـــة العليا، ص56.

[2] ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب، ص95.

[3] خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس، ص225-227.

[4] طبقات الأمم، ص89.

جميل الأخلاق، جالسته كثيراً، فما رأيتُ يهودياً مثله في رجاحتــه، وصـــدقه، وكمال مروءته"[1].

ويقول الشنتريني: "يقول الوزير الكاتب أبي عامر أحمد بن عبد الملــك بن شهيد: جلس إليّ يوماً يوسف بن إسحاق الإسرائيلي، وكان أفهم تلميــذ مــرَّ بي"[2]. ويقول المقري: "ولأهل الأندلس دعابة، وحلاوة في محاوراتهم، وأجوبة بديهية مسكتة، والظرف فيهم، والأدب كالغريزة، حتى في صبيانهم ويهودهم"[3]. ويقول أيضاً في معرض حديثه عن ابن سهل الإسرائيلي: "ولمَّا غرق قال فيــه بعض الأكابر: عاد الدرُّ إلى وطنه"[4]. ويقول ابن سعيد الأندلسي فـــي وصـــفه لإبراهيم بن الفخار اليهودي: "وكان والدي يصفه بالتفنن في الـــشعر ومعرفـــة العلوم القديمة والمنطق"[5].

وقد لاحظ يهود الأندلس إنصاف المسلمين لهم، وحرصهم على العـــدل، فكانوا إذا اختلفوا مع مسلمين، ورفع الخلاف إلى القضاء الإسلامي، يتوجَّهـــون إليه، وهم واثقون مطمئنون بأنَّهم سينصفون، ويأخذون حقَّهم، حتى لـــو كـــان خصمهم أميراً أو ابن أمير[6].

وكانوا يدلون بحججهم، ويجادلون عنها، ويطالبون بحقهم، دون أدنى خـــوفٍ أو وجل وقد لاحظ ذلك أيضاً آشتور، واعترف به[7].

---

[1] طبقات الأمم، ص89؛ قارن: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص498.

[2] الذخيرة، ق1، م1، ص233.

[3] المقري، نفح الطيب، م3، ص381.

[4] م.ن، م3، ص522-523.

[5] ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـــ2، ص23، ترجمة رقم: 339.

[6] النباهي، المرقبة العليا، ص56-57.

[7] ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.88.

وأمامنا قضايا كثيرة تدلُّ على ذلك، منها قول ابن سهل: "فهمنا –وفقك الله– ما تنازع فيه ورثة ابن علاء واليهودي بأن قال ورثة ابن علاء: إنّ ابن علاء باع من اليهودي درنوكاً(*) وشقة، وبقي ثمنهما عنده.وقال اليهودي: لم أشترهما منه، أنا دلال أبيع للناس، فسألني بيعهما له، فبعت الدرنوك بثمن والشقة بثمن، وأوردت جميع ذلك عليه وأخذتُ أجرتي منه، فالذي يذهب إليه جل أصحاب مالك وسحنون معهم، أنَّ القول قول اليهودي مع يمينه"[1].

ومنها قضية الخلاف بين يهوديٍّ وغلام مسلم التي ذكرها ابن سهل، ويدَّعي فيها اليهودي أن الغلام عبده، وأنه يهوديّ وليس مسلماً، ويدّعي الغلام أنه مسلم وأنه خدم اليهودي، مقابل الأجر وليس على سبيل العبودية[2]. ففي هذه القضية نلاحظ جرأة اليهودي في مخاطبة القاضي، إذ يقول ابن سهل: "وسأل اليهودي أن يحبس الغلام في السجن. ثم قال الأمين: أَبِقَ الغلام مني من غير تفريط في الاحتراسِ به، فقال اليهودي: إنه كان سبب إباق الغلام، أنَّ الأمين خرج به مع نفسه إلى ضيعته... وطلب اليهودي إغرام الأمين قيمة الغلام"[3].

ودفع عدل المسلمين وإنصافهم أن يفضِّل كثيرٌ من اليهود الاحتكام إلى القضاة المسلمين على الاحتكام إلى القضاة اليهود، إذا اختلفوا في ما بينهم معتقدين أنَّ القضاة المسلمين أكثر عدلاً وإنصافاً من قضاتهم. وعن ذلك يقول الونشريسي: "سئل ابن العطار عن جماعة من اليهود، يطالبون شخصاً منهم

(*) الدُّرنوك: ضرب من البُسُط ذو خَمْل، وتشبّه به فروة البعير.

الزاوي، الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط، جـ2، مادة: "درنك"، (دار الفكر، ط3، د.ت)، ص176؛ مرعشلي، نديم وأسامة، الصحاح في اللغة والعلوم، م1، مادة: "درنك"، (بيروت، دار الحضارة العربية، 1974م)، ص400.

(1) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص73.

(2) م.ن، ص47–51.

(3) م.ن، ص48–49.

بمظالم ودعاوى، ويزعمون أنَّ لهم براهين ببيِّنة يهود، ويذهبون إلى محاكمته ببينة اليهود، والمدّعى عليه يرغب بمحاكمته عند حكام المسلمين، إذ بيده وثيقة عربية بعدول المسلمين مما يطالبونه به"[1].

كما أورد الونشريسي مسألة بعنوان: "اختلاف يهودي ويهودية بقرطبة على التقاضي عند المسلمين أو اليهود"[2]. وقد انزعج قادة اليهود كثيراً من هذه الظاهرة، إذ يقول آشتور: "وكان رؤساء الطائفة اليهودية بطبيعة الحال، يعارضون ذلك بشِدَّة، وطالبوا اليهود بأن يلجأوا إلى المحاكم اليهودية"[3].

وفي رواية الضَّبِّي التي استشهدنا بجزء منها سابقاً، والتي تتحدَّث عن وزير صاحب المرية اليهودي، الذي كان يردِّد اسم محمد-صلى الله عليه وسلم- بطريقة ساخرةٍ مهينة، وضربه على إثر ذلك الفقيه عبد الله بن سهل فقتله. تُظهر بقية الرواية أنَّ الفقيه بمجرد أنْ قتل اليهودي، ركب دابته وغادر المدينة بأقصى سرعة[4]، "وحينئذٍ تحقَّق الفقيه أنه آمن في سربه"[5]. ومما تدلُّ عليه هذه الحادثة، وجود العدل والإنصاف في التعامل مع يهود الأندلس. فالفقيه يعلم أنَّ بقاءه في إمارة المرية، سيعرِّضه للمحاكمة، وربما للعقاب الشديد، لأنه قتل يهوديًاً. ولن يغفر له أمام القضاء الإسلامي، أنَّ المقتول يهوديٌّ، وأنَّه كان يهين النبي صلى الله عليه وسلم، وأنَّ قاتله فقيه مشهورٌ ذو مكانة رفيعة وهيبة كبيرة[6]. لأنه لا يجوز في وجود دولة وقضاةٍ للمسلمين أنْ يتصرَّف الأشخاص وحدهم نيابة عن السلطة، ويصدروا الأحكام وينفِّذوها.

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، جـ10، ص156.

(2) الونشريسي، المعيار المعرب، جـ10، ص128-130.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P87.

(4) الضبي، بغية الملتمس، ص346، ترجمة رقم: 928.

(5) م.ن، ص346، ترجمة رقم: 928.

(6) م.ن، ص345-346، ترجمة رقم: 928.

وفي معرض ترجمته لأيوب بن سليمان السهيلي، من ولد سهيل بن عبد العزيز بن مروان الذي عاش في عهد المرابطين[1]، يقول ابن سعيد الأندلـــسي: "اتفق له في طريقه، أن أكرمه بدوي نزل عنده، وقد تخيَّل أنه رسولٌ من بعض ملوكِ الملثمين، أو ممن يلوذ بهم.فلما أعلمه غلامه أنه من بني أميَّة هاج، وأخذ رمحه، وحلف أن لا يبقى له في منزل، فقال لغلامه: إذا سئلتَ عني فقل إنه من اليهود، فإنه أمشى لحالنا"[2].

كما دفع عدل المسلمين وإنصافهم، وعظمة دينهم، أن يترك عـــددٌ مـــن اليهود دينهم، ويدخلوا في الإسلام. وذلك بالرغم مما يُعرفُ بـــه اليهـــود مـــن صعوبة أن يتحولوا إلى دينٍ آخر.وقد كان من بين الداخلين في الإسلام يهودٌ من مشاهير علمائهم أمثال أبي عمر يوسف بن صديق الذي تولّى قضاء اليهود فـــي قرطبة من (430-439هـــ=1047-1083م)، وكان إسلامه في نهاية عـــصر المرابطين، وفي أواخرِ أيام حياته[3].

وقد ترجم ابن عبد الملك المراكشي لأحمد بن إبراهيم بن يهوذا، كواحدٍ من علماء الأندلس المسلمين[4]، ويظهر اسمه أنه من أصولٍ يهودية، وذكر ابن باجة طبيباً أندلسياً يدعى أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي، وقال بأنه مـــن أفاضل الأطباء في الأندلس[5]، ويدلّ اسمه أيضاً ووصفه بأنـــه مـــن أفاضـــل

---

(1) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـــ1، ص60-61، ترجمة رقم: 11.

(2) م.ن، جـــ1، ص61، ترجمة رقم: 11.

(3) HAIM BEINART, CORDOBA , ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.215;

عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص67.

(4) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ق1، ص65، ترجمة رقم: 51.

(5) عبد الرحمن بدوي، رسائل جديدة لابن باجة "مجلة معهد الدراسات الإسلامية فـــي مدريـــد"، م15، (مدريد، 1970م)، ص9.

الأطباء. واسم أبيه وجده على دخول هؤلاء في الإسلام. كما ترجم ابن الفرضي لمحمد بن عزرة من منطقة وادي الحجارة بالأندلس، والذي يدلُّ اسمه على أصوله اليهودية. وعدَّه أحد علماء المسلمين في الأندلس[1]. وإنَّ هذه الترجمات تدل على دخول عدد من اليهود في الإسلام عن رغبةٍ فيه واقتناع.

وقد أورد الونشريسي مسألة مهمة في هذا المجال، تُظهر أنَّ صبيَّاً يهودياً أسلم وهو ابن ثمان سنين "وسئل ابن زرب عن يهوديٍّ صبي أسلم، وهو ابن ثمانية أعوام، هل يحال بينه وبين أمه التي تحضنه ؟"[2].

لقد كان المسلمون في الأندلس دعاةً إلى دينهم بخلقهم وسلوكهم والتزامهم بمبادئ دينهم وبترغيبهم غير المسلمين في الدخول فيه. "وذكر ابن سهل في هذا المقام قضية طريفة: فيمن قال لامرأة نصرانية أسلمي وأعطيكِ داري هذه، لدارٍ هو فيها ساكن، فأسلمت ثمَّ مات الزوج قبل أن تقبضها المرأة، قال القاضي: الدار لها والإشهاد يجزيها من الحيازة، لأنها ثمن إسلامها، وليس من بابِ العطيِّة"[3].

والظاهر أنَّ ظاهرة دخول يهود في الإسلام قد أزعجت يهود الأندلس، فقاوموها وكانت إحدى وسائل المقاومة في ما يبدو إغراء الداخلين منهم في الإسلام بالعودة إلى اليهودية مقابل تنصيبهم في مناصب الطائفة الإدارية المهمة. يفهم ذلك من الخطاب الذي كتبه أبو محمد عبد الغفور بن ذي الوزارتين، وهو إشبيلي من أهل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي-إلى أحد الأمراء، وأرسله إليه مع طبيب يهودي حيث يقول فيه: "وحمَّلتهُ المتطبب أبا فلان، كريمة

---

[1] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق2، ص34، ترجمة رقم: 1186.

[2] الونشريسي، المعيار المعرب، جـ2، ص354.

[3] خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس، ص406.

رهطه، النابه الذكر في أعلام سبطه، زعيم يهود، المسوَّد فيهم المسَوُد، بحكم التوقُّف عن الملَّةِ الحنيفيَّة، والتردد في المذاهب الأحبارية"[1].

نشأت بين مسلمي ويهود الأندلس علاقات مختلفة منها الحسن ومنها دون ذلك.

أما العلاقات الحسنة فتعبِّر عنها النصوص والروايات الآتية: -

1- وقعت في قرطبة[2] سنة(202هـ=817م) في عهد الأمير الحكم[3] حادثة ينقلها عبد الواحد المراكشي عن ابن حيان فيقول: "ومن أعجبِ ما حكى أبو مروان بن حيَّان المؤرِّخ مما يتَّصل بخبرِ هذه الوقعة قال: كان أشدِّ الناسِ على الحكم هذا تحريضاً رجلٌ من الفقهاء اسمه طالوت، كان جليل القَدْرِ في الفقهاء، رحل إلى المدينة، وسمع من مالك بن أنس، وتفقَّه على أصحابه، وكان قويّاً في دينه، فلما أوقع الحكم بأهل الربض، وأمر بتغريبِ من بقي منهم، كان ممَّن أمر بتغريبه طالوت الفقيه، فعسر عليه الانتقال، ومفارقة الوطن، ورأى الاختفاء إلى أن تتغيَّرَ الأحوال، فاستخفى في دارِ رجلٍ يهودي سنة كاملة، واليهودي في كلِّ ذلك يُكرمه أبلغ الكرامة، ويعظِّمه أشدّ التعظيم، فلمَّا مضت السنة، طال على الفقيه الاختفاء، فاستدعى اليهودي، وشكره على إحسانه إليه، وقال له: قد عزَمتُ غداً على الخروج، وقصد دار فلان الكاتب، لأنَّه قرأ عليّ، ولي عليه حق التعليم، وقد بلغني أنَّ له جاهاً عند هذا الرجل، فعسى هو يشفعُ لي عنده فيؤمِّنني ويدعني في بلدي، فقال له اليهودي: يامولاي لاتفعل، فما آمنهم عليك، وجعل يحلفُ له بكلِّ يمين يعتقده، أنه لو أقام عنده بقية عمره، ما أملَّهُ ذلك، ولا ثقل

---

[1] الشنتريني، الذخيرة، ق2، م1، ص364.

[2] تنظر هذه الحادثة عند: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص75-77؛ عياض، ترتيب المدارك، جـ2، ص505-507؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الرابع، ص150-151؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، 21-22؛ ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، ص243-244؛ المقري، نفح الطيب، م2، ص639.

[3] ينظر: ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص42.

عليه، فأبى إلا الخروج، فخلَّى بينه وبين ذلك، فخرج حتى أتى دار ذلك الكاتب بغلس، فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل عليه رحَّبَ به، وأدنى مجلسه، وسـألـه أين كان في هذه المدَّة ؟ فقصَّ عليه قصَّته مع اليهودي، ثم قال له اشفع لي عند هذا الرجل، حتى يؤمنني في نفسي، ويَمنّ عليَّ بتركي في بلدي فوعده بـذلك، وركب من فوره، ودخل على الحكم"[1]. ويكمل ابن القوطية أحداث هذه الرواية، ويبين كيف عفى الحكم عن طالوت، وعفا عن اليهودي الذي آواه في بيتـه[2]، ويقول ابن عاصم الغرناطي في نهاية روايته لهذه الحادثـة أن الحكـم: "كتـب لليهودي بالحرمة، ولعقبه من بعده"[3].

وتدلُّ هذه الرواية على قيام علاقاتٍ حسنة بين مـسلمين ويهـود فـي الأندلس، فلولا أنَّ طالوت كان على علاقةٍ حسنة باليهودي، لما لجأ إلى بيتـه، ومكث فيه لمدة سنة، ولولا وجود علاقة حسنة لما خاطر اليهودي بنفسه ومالـه وأهله وولده، وأخفى طالوت في بيته، وعندما عزم على الخروج رجاه واستحلفه أن لا يخرج خوفاً وحفاظاً عليه.

2- قول ابن حزم الأندلسي: "ولقد كنتُ يوماً بالمرية، قاعداً في دكان إسـماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي، وكان بصيراً بالفراسةِ، محسناً لهـا، وكُنَّـا فـي لَمّة"[4].

3- قول ابن سعيد الأندلسي: "وخرجت مرَّة مع أبي إسحاق إبراهيم بـن سـهل الإسرائيلي إلى مرج الفضة بنهر إشبيلية، فتشاركنا في هذا الشعر:

غيـري يميـل إلـى كـلامِ اللاحـي ويمـدُّ راحتـه لغيـرِ الـراحِ[5]

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص21-22.

[2] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص75-76.

[3] ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، م1، ص244.

[4] ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، جـ1، ص114.

[5] المقري، نفح الطيب، م2، ص307.

وقول والد ابن سعيد الأندلسي لولده ابن سعيد: "حتى رضيتَ أن تكــون زاملــة ليهودي شاعر"[1].

4- قيام علاقة حسنة بين يوسف بن وقار الإسرائيلي الطليطلي ولسان الدين بن الخطيب. يدلٌّ على هذه العلاقة الطريقة التي يخاطب بها اليهودي ابن الخطيب، وكذلك طريقة ابن الخطيب في الحديث عن ذلك اليهودي. حيث يقول: "وقد كنتُ طلبتُ شيءاً من ذلك [أخبار ملوك قشتالة] من مظنّته، وهو الحكــيم الــشهير، طبيبُ دار قشتالة، وأستاذ علمائها، يوسف بن وقّار الإسرائيلي الطليطلي، لمــا وصل إلينا في غرضِ الرياسة عن سلطانه، فقيَّد لي في ذلك تقييداً، أنقــلُ منــه بلفظه، أو بمعناه ما أمكن، وأستدرك ما أغفل، إذ ليس بقادحٍ في الغرض. قــال الحكيم: سألتَ أعزّك الله، وأدام كرامتك أن أثبت لك ما تحقَّق عندي من التواريخ التي وقع فيها نسب ملك قشتالة"[2].

5- اعتماد بعض المسلمين على أشخاص يهودٍ في حمل رسائلهم إلى أصدقائهم. يظهر ذلك من رواية الشنــتريني التي تبيِّن وصول رسالة إلــى الكاتــب أبــي المغيرة عبد الوهاب بن حزم من أحد أصدقائه عن طريــق يهــوديٍّ أوصــلها إليه[3]، حيث ردَّ أبو المغيرة على الرسالة بقوله: "وأبدأ بحديث اليهودي موصل كتابك"[4].

ومن رواية أخرى أشرنا إليها سابقاً، يرد فيها نص رسالة بعث بها أبو محمد عبد الغفور بن ذي الوزارتــين أبي القاسم إلى أحد الأمراء، ويظهر هــذا النص أنَّ حامل الرسالة كان يهودياً "وأنفذته من كتاب...حملته المتطبب أبا فلان

---

(1) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلّى، ص141.

(2) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص322.

(3) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص161.

(4) م.ن، ق1، م1، ص161.

كريمة رهطه، النابه الذكر في أعلام سِبْطه، زعيم يهود، المسوَّد فيهم المسود"[1].

6- ارتبط أبو المطرف بن الدَّباغ بعلاقة وثيقةٍ مع أبي الفضل حسداي بن يوسف، الذي كان يهودياً، ثم أعلن إسلامه[2].

7- كان الوزير ابن عمار (ت: 479هـ=1086م) على علاقة وثيقة أيضاً بحسداي إذ كتب إليه من سجنه الذي أودعه إياه ابن عباد، يقول:

أدرك أخاكَ ولو بقافيةٍ كالطلِّ يوقظ نائم الزهرِ
فلقد تقاذفت الركاب به في غيرِ مَوْماةٍ ولا بَحْرِ[3]

ويقول أيضاً:

دع ذا وصلنا غير مؤتمرٍ مستأثراً بالحمدِ والشكرِ
واكتب إلينا إنها ليدٌ تمحو الذي كتبت يدُ الدهرِ[4]

8- يدلُّ تتلمذ عدد من اليهود على أيدي أساتذة مسلمين على وجود علاقات حسنة بين الأساتذة المسلمين والتلاميذ اليهود. ومن الإشارات الدالة على هذه التلمذة، قول الكاتب أحمد بن عبد الملك بن شهيد: "جلس إليَّ يوماً يوسف بن إسحاق الإسرائيلي، وكان أفهم تلميذٍ مرَّ بي"[5].

وقول ابن سعيد عن إسحاق بن شمعون اليهودي القرطبي أنَّه: "أحد عجائب الزمان في الاقتدار على الألحان، وكان قد لازم ابن باجة "[6].وقول المقري عن

---

[1] الشنتريني، الذخيرة، ق2، م1، ص364.

[2] الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص282-284؛ العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ق4، جـ2، ص353-354.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص128.

[4] م.ن، ص128.

[5] الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص233-234.

[6] ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص127، ترجمة رقم: 60.

إبراهيم بن سهل الإسرائيلي: "وقرأ على أبي علـــيّ الـــشلوبين، وابـــن الـــدباج وغيرهما"[1].

9- قيام بعض يهود الأندلس بإهداء جيرانهم المسلمين رغائف بمناســبة عيــد يهودي يسمونه عيد الفطير فقد "سئل القاضي أبو عبد الله بن الأزرق عن اليهود يصنعون رغائف في عيدٍ لهم يسمونه عيد الفطير، ويهدونها لبعض جيرانهم من المسلمين فهل يجوز قبولها منهم وأكلها أم لا؟"[2]. وقد ورد في الإجابة على هذا السؤال القول "كثير من جهلة المسلمين يقبل ذلك منهم في عيد الفطيرة"[3].

10- استخلص جوايتاين من وثائق الجنيزة أنه "كانت الأموال والبضائع تـــودع طرف رجال الأعمال المسلمين الذين كانوا يسافرون مع القوافل أو بالسفن فـــي الوقت الذي كان فيه معظم الربابنة المذكورين [إن لم يكن جمـــيعهم] مـــسلمين، ونحن نجدُ في أوراق الجنيزة أدعية وتمنيات طيبة للتجار المسلمين، كذلك نجـــد أنَّ اليهود كانوا يزورون بيوت شركائهم في العمل من المسلمين، ويهنئونهم في أيام الأعياد"[4]. ويقول أيضاً: "جاء في إحدى وثائق الجنيزة: إذا كانـــت هنـــاك قافلة، وكان يسافر فيها مسلمون مؤتمنون، تكرَّمْ بإرسالِ البضائع معهم"[5].

11- ورد في إحدى وثائق الجنيزة، نص رسالة بعث بها تاجر أندلسي في مدينة فاس إلى أبيه يافث اللافي بن علا في المرية سنة (535هـــ=1140م) وجاء في هذه الرسالة القول: "ولو أنني كنتُ أمتلك من الشجاعة هنا ما أمتلكه في المرية

---

(1) المقري، نفح الطيب، م3.

(2) الونشريسي، المعيار المعرب، جـــ11، ص111-112.

(3) م.ن، جـــ11، ص111-112.

(4) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص238.

(5) م.ن، ص218.

لنجوتُ بأقل من هذا"[1]، وهو يقارن وضع اليهود في المرية بوضـــعهم خـــارج الأندلس، فيقول: " إلى درجة أنه بالمقارنة فإن المرية تعد مكان الخلاص"[2].

ولا شك أن معرفة يهود الأندلس بالمسلمين هناك، واخـــتلاطهم بهـــم، ونشوء علاقات حسنة بينهم، هي التي جعلت هـــذا التـــاجر الأندلـــسي يمتلـــك الشجاعة في المريَّة.

12- يتحدّث صاعد الأندلسي عن علاقته باليهودي إسحاق بن قسطار فيقـــول: "جالسته كثيراً فما رأيتُ يهودياً مثله في رجاحته وصدقه وكمال مروءته"[3].

13- إنَّ المعاملة الحسنة التي عامل بها كثيرٌ من مسلمي الأنـــدلس اليهـــود، لا تعني أنَّ هؤلاء المسلمين قد غيروا نظرتهم إلى اليهود.فلقد أحسنوا معـــاملتهم، وأقاموا معهم العلاقات مع بقاء صورة اليهودي كما هي في أذهانهم. وقد وجدنا ذلك عند ابن حزم الذي أقام علاقة حسنة مع إســـماعيل بـــن يـــونس الطبيـــب الإسرائيلي[4] بالرغم من تصريحاته الواضحة عن سوء أخلاق اليهودِ وطبائعهم وفساد عقائدهم[5]، ووجدناه عند ابن الخطيب الذي كانت له علاقة حـــسنة مـــع يوسف بن وقار الإسرائيلي الطليطلي[6]، مع أنَّه يقول في موضعٍ آخـــر، وهـــو يتحدَّث عن كفرِ إحدى الفرق: "ممن يأنف يهود لعنة الله علـــى كفارهـــا، مـــن انتسابهم إلى نحلتها"[7].

---

(1) GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.53.

(2) IBID, P.55.

(3) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89.

(4) رسائل ابن حزم الأندلسي، جـــ1، ص114.

(5) الرد على ابن النغريلي، ص45-46، 64-65.

(6) أعمال الأعلام، ص322.

(7) نفاضة الجراب، ص307.

وسبب إحسان المسلمين معاملة الذميين اليهود في الأندلس، بالرَّغم من الصورة السيئة التي يحملونها عنهم، هو أنَّ العقلية الإسلامية، قد تكوَّنت وتشكلت على أساس المنهج الإسلامي الذي يعرِّف المسلمين بصفات وأخلاق وطبائع اليهود، ليحذروهم، وفي الوقت نفسه يأمرهم بالعدل والقسط في معاملتهم { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [1] و{ لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [2]. وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى، أنْ يرافق القسط وعدم الظلم في معاملة اليهود، إهانة وعدم إكرام، حيث قال: "أذلوهم ولا تظلموهم، وأهينوهم ولا تكرموهم، وسموهم ولا تكنوهم"[3].

كما أوصى بذلك العمرين المشهورين بالعدل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزُّهم إذ أذلَّهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله"[4]، وقال: "سموهم ولا تكنوهم، وأذلوهم ولا تظلموهم، وإذا جمعتكم وإياهم طريق فألجئوهم إلى أضيقها"[5]، وقوله لأحد عماله الذي بعث إليه يستأذنه في الاستعانة بالأعاجم: "إنهم أعداء الله، وإنهم لغششة، فأنزلوهم حيث أنزلهم الله"[6]. ولم تمنع هذه التوصيات الكثيرة عمر رضي الله عنه أن يمسك شيخاً

---

(1) سورة المائدة، من الآية 8.

(2) سورة الممتحنة، آية 8.

(3) الونشريسي، المعيار، جـ2، ص254.

(4) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح، المستطرف في كل فن مستظرف، (القاهرة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، 1368م)، جـ1، ص111.

(5) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، جـ1، تهذيب وترتيب: عبد القادر بدران، (بيروت، دار المسيرة، د.ت)، ص180.

(6) الأبشيهي، المستطرف، جـ1، ص111.

يهودياً كفيفاً من يده، ويعطيه من بيت مال المسلمين، ويوصي برفع الجزية عنه وعن أمثاله من اليهود، وفرض مخصصاتٍ مالية لهم[1]. وقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في كتابٍ إلى عماله: "وأنزلوهم منزلتهم التي خصَّهم الله بها من الذلِّ والصغار"[2].ولم تمنع هذه التوصية عمر رضي الله عنه أنْ يوصي أيضاً أحد ولاته بقوله: "ثم انظر من قِبَلَكَ من أهل الذمة، قد كبرت سِنّه، وضعفت قوته، وولَّت عنه المكاسب، فأجرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه[3].

فلا تناقض إذاً في منهج الإسلام بين الإحسان إليهم والقسط معهم، وإهانتهم وإذلالهم. لأن الله تعالى مشرِّع هذا المنهج، يعلم المعاملة التي تلائمهم وتناسب أخلاقهم وطبائعهم. وقد مرَّ بنا سابقاً كيف أدَّى إكرامهم وتقريبهم وتسليمهم المناصب في إمارة غرناطة في عهد الطوائف الذي كثر فيه انحراف الحكام عن منهج الإسلام، إلى تسلُّطهم على المسلمين واستهزائهم بآياتِ القرآن الكريم.

وقد التزم بعض المسلمين في الأندلس بمنهج الإسلام في التعامل مع اليهود، بينما تجاوزه آخرون. وقد نقل المقري عن ابن سعيد نصَّاً يظهر التزام أحدُ المسلمين بمنهج الإسلام في التعامل معهم حيث قال في معرض حديثه عن إبراهيم بن الفخار اليهودي: "قال ابن سعيد: أنشدني لنفسه يخاطب أديباً مسلماً كان يعرفه، قبل أن تعلو رتبته، ويُسفِّر بين الملوك، ولم يزده على ما كان يعامله به من الإذلال، فضاق ذرعُ ابن الفخار، وكتب إليه:

أيا جاعلاً أمرين شبهين ماله ... من الفعل إحساسٌ به يتفقَّدُ

[1] أبو يوسف، الخراج، ص144.

[2] ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ق1، ص212-213.

[3] م.ن، ق1، ص38.

جعلتَ الغنى والفقر والذلَّ والعُلا	سواء فما تنفــكُّ تــشقى وتجهــدُ
وهل يستوي في الأرضِ نجــدٌ	فتطلب تسهيلاً وســيرك مُــصْعِدُ
وما كنت ذا مَيْزٍ لمن كنتَ طالباً	بما كنتَ في حالِ الفــراغِ تعــوَّدُ
وقد حالَ ما بيني وبينك شــاغلٌ	فلا تطلبني بالذي كنــتَ تعهــدُ[1]

وظهر التعبير عن رغبة المسلمين في الالتزام بمنهج الإسلام في التعامل مع اليهود، في سؤالٍ ورد إلى القابسي[2] حول هذا الموضــوع، وفــي إجابــة القابسي عليه حيث يقول الونشريسي: "وسئل القابسي عن رجلٍ بجواره يهودي، قد رَبِيَ معهم، فربما جاءوه في حاجة، أو عرضت له إليهم حاجة، وربما مشى في طريقٍ ملاصقة لهم، فيجري بينهم حديث أو ابتسام، وكلامٌ لين، وهذا الرجل يقول: الله عالم ببغضي لليهود، ولكن طبعي لين. أتراه من هذا في حرجٍ أم لا؟ وما يردُّ عليه أفتنا رحمك الله. فأجاب: إن كنتَ تسألُ لنفسك، فلا تخالط من على خلاف دينك فهو أسلم لك. وأما جارك من أهل الذمَّة، فيستقضيك حاجة لا مأثم فيها، فتقضيها له فلا بأس. أمَّا لين قولك له إن خاطبك فإن لم يكن فيه تعظيم له ولا تشريف، ولا ما يغبِّطه في دينه، فلا بأس إذا ابتليتَ به، وأمَّا إن سلَّم عليك، فالردُّ عليه أن تقول: وعليك، ولا تزد. وأما سؤالك عن حاله وحال من عنــده،

---

(1) المقري، نفح الطيب، م3، ص527.

(2) القابسي: هو أبو الحسن علــي بــن محمــد بــن خلــف المعــافري القــروي، ولــد ســنة (324هــ=935م)،وهو مــن الفقهــاء الزهــاد الــورعين. لــه تــصانيف بديعــة. تــوفي سنة(403هــ=1012م).

ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات الحفاظ (بيروت، دار الكتــب العلمية، ط1، 1983م)، ص419.

فما لك فيه فائدة، وما عليك منه، إنْ أنت لم تكثر، ولم تُفرِط فيه، ولكن بقدر ما يدعو إليه حق الجوار والله يعلم المفسد من المصلح، والله وليٌّ بالتوفيق"[1].

أما بالنسبة لتجاوزات بعض المسلمين عن منهج الإسلام في التعامل مع اليهود، فتصورها العديد من الأمثلة التاريخية[2]، نذكر منها قول أبي الحسن بن الزقاق أحد كتاب مملكة بلنسية في غلامٍ يهودي كان يجلس معه وينادمه يوم سبت:

وحبب يوم السبت عندي أنني ينادمني فيه الذي أنا أحببتُ

ومن أعجب الأشياء أني مسلم حنيفٌ ولكن خير أيامي السبتُ[3]

وقول أبي أحمد عبد العزيز بن خيرة في مدح إسماعيل بن نغدله:

وما اكتحلت عيني بمثل ابن يوسف ولست أحاشي الشمس من ذا ولا

وقوله فيه أيضاً:

ولو فرقوا بين الضلالة والهدى لما قبلوا إلا أناملك العشرا

ولا ستلموا كفيك كالركن زلفة فيمناك لليمنى ويسراك لليسرى

وقد فزت بالدنيا ونلتُ بك المنى وأطمح أن ألقي بك الفوز بالأخرى

أدين بدين السبت جهراً لديكمُ وإن كنت في قومي أدين به سراً

وقد كان موسى خائفاً مترقباً فقيراً وأمّنت المخافة والفقرا[5]

---

(1) الونشريسي، المعيار، جـ11، ص300-301.

(2) ينظر: الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ص253-254؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص288، ترجمة رقم: 206؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص529.

(3) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ2، ص328، ترجمة رقم: 567؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص19.

(4) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص764.

(5) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص765.

والملاحظ أنّ المسلمين الذين ارتبطوا بهذا النوع من العلاقات مع اليهود كانوا أهل خمر ومجانةٍ وفسق، فابن الزقاق سالف الذكر يتحدث عن صحبة خمر ومجون مع غلامه اليهودي[1]؛ وابن خيرة له أقوال وأشعار تدل على إدمانه للخمر، ومن ذلك استحلافه أحد أصدقائه بالقول: "فبحرمة الكأس التي رضعنا"[2]، وقوله متغنياً بحب الخمر:

فإذا ما الكؤوس دارت بريقي فاح في الأفق منّي مسكٌ عتيقُ[3]

ولم يرض الشنتريني عن هذا النوع من العلاقات مع اليهود، فعقب على أبيات ابن خيرة بالقول: "وله في هذه القصيدة من الغلو في القول، ما نبرأ منه إلى ذي القوة والحول[4]"؛ ولم يرض مسلمو الأندلس عن الأخفش بن ميمون الذي سلك سلوك ابن خيرة، فقال بعضهم محرضاً المعتصم ابن صادح عليه: يا سيدي لا تُقَرِّب هذا اللعين فإنه قال في اليهودي:

ولكن عندي للوفاء شريعة تركت بها الإسلام يبكي على

وصدق الله العظيم الذي نفى الإيمان عن الذين يحبون أعداءه، حيث يقول سبحانه: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...} [6]، ونهى عن موالاتهم

---

[1] ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ2، ص328، ترجمة رقم: 567،؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص19.

[2] الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص755.

[3] م.ن، ق1، م2، ص760.

[4] م.ن، ق1، م2، ص765.

[5] المقري، نفح الطيب، م3، ص387-388.

[6] سورة المجادلة، آية 22.

بقوله: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [1]. وعدَّ الذين يخالفون أوامره ويوالون اليهود أصحاب نفوس مريضة، {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم...} [2].

ومن الأمثلة على هذه العلاقات الشاذة أيضاً، العلاقة التي وقع فيها سعيد بن سليمان بن جودي "أمير العرب المنتزين بمدينة غرناطة من كورة إلبيرة"[3] مع امرأة يهودية، حيث يشير ابن عذاري إليها بقوله: "وقُتل في دار عشيقة له يهودية غدراً"[4]، وكان قتله سنة (284هـ=897م)[5]؛ وهذه العلاقة تدلُّ على وجود علاقات لمسلمين مع يهوديات منذ مرحلة مبكرة، وهي علاقات شاذة ونادرة، لم يقع فيها إلا ذوو الأهواء والشهوات، ولم يرض عنها جمهور المسلمين في الأندلس؛ والظاهر أنّ هذه العلاقات المنحرفة لابن جودي مع امرأة يهودية، كانت من أهم أسباب قتل أصحابه له، ولذلك اختاروا أن يقتلوه في بيتها. يقول ابن حيان: "وانبسط كثيراً على أصحابه، واستخفَّ بهم حتى دبَّر عليه كبيران منهم محمد بن عثمان بن سيد أبيه، ويزيد بن عبد السلام حيلة فقتلاه بها... وكان من أكبر ما نقمه عليه أصحابه استهتاره بالنساء، ونهمه فيهنّ، وانحطاطه في طلبهنّ، إلى ما يقبُحُ ذكره"[6].

---

[1] سورة المائدة، آية 51.

[2] سورة المائدة، من الآية 52.

[3] ابن حيان، المقتبس، نشر الأب ملشور م. أنطونية، ص123.

[4] البيان المغرب، جـ2، ص134.

[5] ابن حيان، المقتبس، نشر الأب ملشور م. أنطونية، ص30.

[6] م.ن، ص30.

ولم يمنع أصحابه من قتله بسبب هذا الانحراف أنه كان زعيماً عربيـــاً يتصدى بجدارة واقتدار لعمر بن حفصون كبير الخارجين على الدولة[1]، "وأنـــه كان شجاعاً بطلاً وفارساً مجرِّباً، قد تصرَّف مع فروسيته في فنون العلم، وتحقق بضروب الأدب، فاغتدا أديباً وشاعراً محسناً [2].

كما وقعت خلافات ومنازعات بين مسلمين ويهود في المجتمع الأندلسي بعضها يتعلَّق بنواحي دينية، حيث كان بعض اليهود، يتعمدون في إيذاء مشاعر المسلمين الدينية، فيسبون شريعتهم[3]، أو يستهزئون بقرآنهم[4]، أو يذكرون نبيهم محمداً–صلى الله عليه وسلم– بسوء[5]، فلا يحتمل المسلمون ذلك، ويردون على هذه الإساءات والتجاوزات ردوداً عنيفة في بعض الأحيان[6].

وبعض هذه الخلافات يرجع إلى منافسات شخصية، ويقدم المقري مثالاً على ذلك فيقول: "كان في زمان إلياس بن المدَوَّر[7] اليهودي الطبيـــب الرنـــدي طبيب آخر. كان يجري بينهما من المحاسدة ما يجري بين مشتركين في صنعة. فأصلح الناس بينهما مراراً. وظهر لإلياس من ذلك الرجل الطبيِّب ما ينفِّر الناس منه، فكتب إليه:

---

(1) م.ن، ص30.

(2) م.ن، ص30؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جــ2، ص134.

(3) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص418؛ الونشريسي، المعيار، جــ2، ص344، 363–364.

(4) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جــ2، ص114، ترجمة رقم: 426؛ ابن حزم الأندلسي، الرد على ابن النغريلة اليهودي، ص47.

(5) الضبي، بغية الملتمس، ص345–346.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب، جــ3، ص231؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص233.

(7) ترجم له ابن سعيد الأندلسي، وذكر أن اسمه إلياس بن صدّود اليهودي. ينظـــر: ابـــن ســـعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جــ1، ص336.

لا تخـــدعنَّ فمـــا تكـــون مـــودة ما بين مـــشتركين أمـــراً واحـــداً

انظر إلى القمرين حين تـــشاركا بـــسناهما كـــان التلاقـــي واحـــداً

يعني أنهما معاً لمّا اشتركا في الضياء، وجب التحاسد بينهما والتفرقة، هذا يطلع ليلاً، وهذا يطلع نهاراً، واعتراضهما يوجب الكسوف[1].

وعندما لمع اسم الطبيب اليهودي إبراهيم بن الثرثار الذي عمـــل لـــدى السلطان محمد الخامس في غرناطة، أثارت شهرته حسد الطبيـــب الغرنـــاطي محمد اللحمي الشقوري، فوضع كتاباً بعنوان "قمع اليهود عن تعدي الحدود"[2].

وقد حرص المسلمون في الأندلس علـــى أن يحـــافظوا علـــى هيبـــتهم وعزّتهم، وألا يشمتوا فيهم اليهود، يظهر ذلك من رواية لابن القوطية يقول فيها: "وذلك أنّ رجلاً يعرف بالقصبي كانت له وجهة، وكان يوفده عبد الرحمن بـــن الحكم إلى "قارله" ملك الإفرنجة، وإلى ملك الروم، فتوفي عن ثلاثة آلاف دينار فضة، وترك أيتاماً، ووجب على القاضي تثقيف المال وتحصينه، فلما جُلب إليه، وصار بين يديه، ذهب المال، فاتهم به ابنه المكنى بـــأبي عمـــرو، واتهـــم بـــه كاتبه... فلما بلغ محمد الخبر أعظمه، وأساءه ما نزل في الأيتام فـــي مـــالهم، لمكان أبيهم منه ومن أبيه قبله، فجمع أهل العلم وشاورهم فيه، فأشار جمـــيعهم باستحلاف القاضي، حاشى بقيّ بن مخلد، فإنه قال: إنّ من الشماتِ بنـــا عنـــد اليهود والنصارى أن نتسحلف قاضينا، والمأمون على فروج نـــسائنا وأحـــسابنا

---

[1] نفح الطيب، م3، ص528-529.

ذكر ابن سعيد الأندلسي، هذين البيتين، لكنه جعل عجز البيت الثاني كلمة "فاسدا" بدلاً علـــى "واحدا "، وهو الأصح في رأي، لأن كلمة "واحدا" كانت عجزاً للبيت الأول، وتكرارها فـــي بيتين متتاليين يُعَدّ ضعفاً لغوياً وأدبياً.

ينظر: ابن سعيد الأندلسي، جـــ1، ص336.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، م2، ص42.

وأيتامنا، أرى للأمير أصلحه الله، أن يجبر هذا من بيت المال، فصار إلى رأيه، وأمر بعزله"[1].

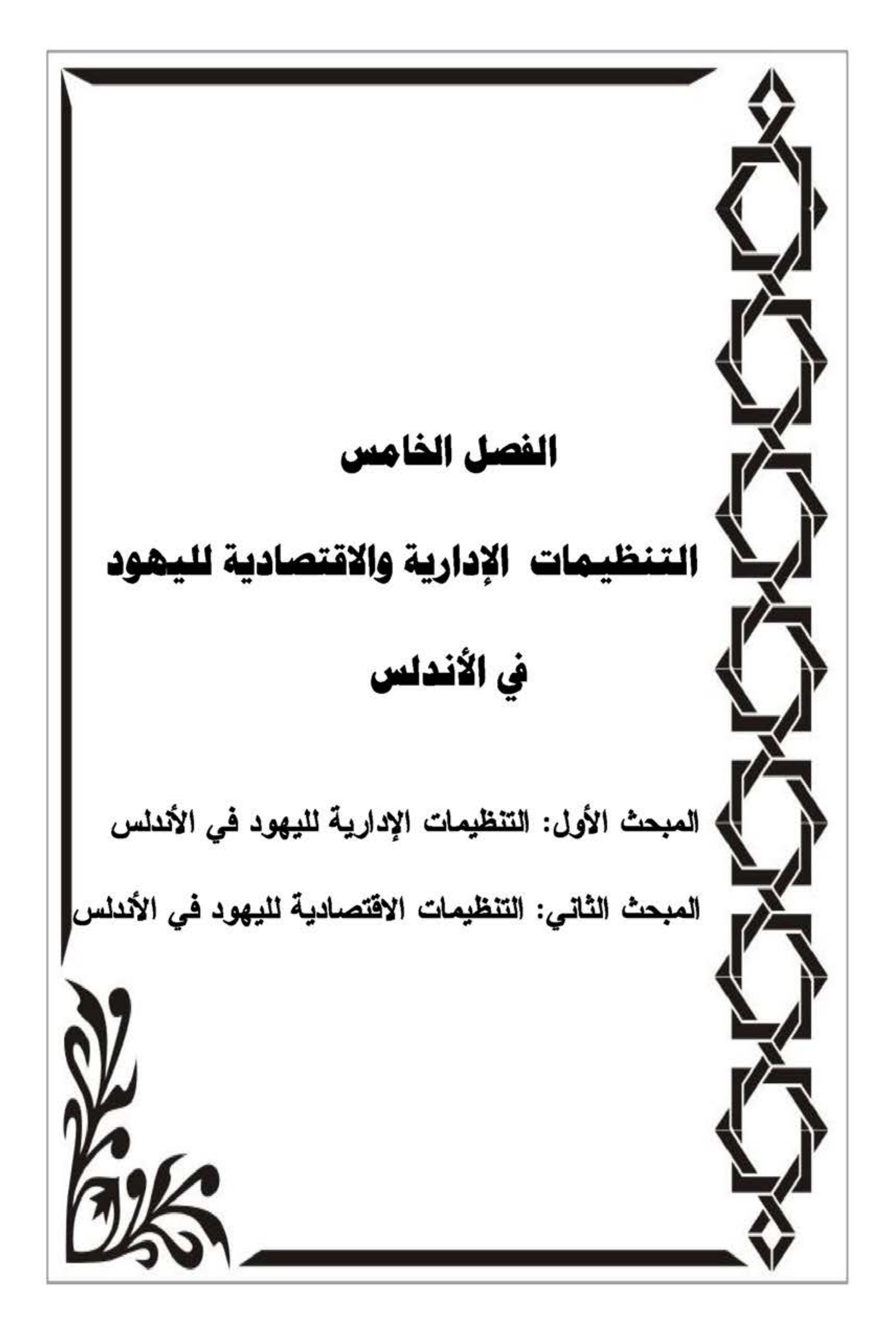
وهناك خلافات ومنازعات عادية على أملاكٍ وعقاراتٍ ناتجة عن علاقات ومعاملات كانت تحدث بين مسلمي ويهود الأندلس في مختلف العصور[2]، وكانت هذه النزاعات تردّ إلى القضاء الإسلامي فيحكم فيها بالعدل والإنصاف[3].

---

(1) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص92-93.

(2) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص65-66؛ الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ص253-254؛ الونشريسي، المعيار، جـ2، ص227-228.

(3) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص47-56، 65-66، 73.



الفصل الخامس

التنظيمات الإدارية والاقتصادية لليهود في الأندلس

المبحث الأول: التنظيمات الإدارية لليهود في الأندلس

المبحث الثاني: التنظيمات الاقتصادية لليهود في الأندلس

المبحث الأول
التنظيمات الإدارية لليهود في الأندلس

أولاً: التظيم الإداري

أ- رئيس الطائفة اليهودية (الناسي)

قام الأمير عبد الرحمن الأول (138-172هـ=755-788م)، بتعيين الأمير القوطي أرطباس رئيساً لطائفة النصارى في الأندلس[1]. ومنذ ذلك الحين مال الحكام الأمويون إلى تعيينِ النصارى من ذوي المكانة في هذا المنصب، بناءاً على اقتراحِ أعضاء طائفتهم، أو بسبب تقرب هؤلاء الأشخاص منهم[2]. وكذلك كان خلفاء أرطباس على هذا المنصب، رؤساء للطائفة النصرانية عبر الأندلس بأكملها[3]. وكان رئيس النصارى هذا يحملُ اللقب الروماني قومس (COMES)[4]، ويمثّلُ إخوانه في الدين أمام الحكومة، وكان مسؤولاً عن دفع النصارى للجزية المفروضة عليهم، ويشرف على كلٍّ شؤون الطائفة، ويقف على رأسِ الإدارة القضائية التي تحكم في القضايا بين أعضاء الطائفة في الأمور المدنية باتباع القانون القوطي (FUERO JUSGO) . وكان جباة الجزية المحليين والقضاة يعملون تحت إشراف القومس. وكان هو كبير قضاة النصارى. وكانت الحكومة الإسلامية

---

[1] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص61.

[2] ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.78.

[3] ينظر: ابن حيان، المقتبس، نشر: ملشور م. أنطونية، ص92، 102؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، م2، ص15، 33.

[4] القومس (COMES) كلمة لاتينية تعني نديم الملك، وهي موجودة في اللغات الأوربية، وتعني حاكم منطقة متمتع باستقلال تام أو محدود. ينظر: البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس وأوربا"، ص99، (هامش المحقق).

بدورها تساعد أولئك المسؤولين عن الطائفة النصرانية في تنفيذ وظائفهم، وجمع الضرائب المفروضة لاحتياجات الطائفة الخاصة. وكان إطار العمل هذا قد استمرّ طوال حكم بني أميَّة للأندلس[1].

ومثلما قام الحكام الأمويون بتعيين القومس ليكون رئيساً للطائفة النصرانية، قاموا كذلك بإيجاد منصب لقائد الطائفة اليهودية. وكان لقب صاحب هذا المنصب هو"ناسي" (NASI)[2]، وكان أسلوب تعيينه مشابهاً لتعيين القومس. وفي بعض الأحيان كان الحاكم المسلم يعيِّن يهودياً في وظيفة حكومية مهمة، وإذا ما حاز هذا اليهودي على رضا الحاكم، فإنه يقوم باستدعاء أكابر اليهود، ويأخذ موافقتهم على تعيين ذلك الموظف الكبير ناسيًّا لكل يهود الأندلس. وفي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي كان الناسيَّان اللذان تعاقبا على هذا المنصب، وكتب عنهما المؤرِّخ اليهودي إبراهيم بن داود، قد تمَّ تعيينهما من قبل الحكومة، وبناءاً على مبادرتها[3]. وكانت وظيفة الناسي مشابهة لوظيفة القومس، حيث كان يمثِّلُ اليهود أمام الحكام المسلمين، ومسؤولاً عن الجزيةِ المفروضة عليهم، ويقوم بدور كبير القضاة في طائفته[4]. ولم ينس الشعراء اليهود المعاصرون لحسداي بن شبروط، والذين تغنوا به، أن يذكروا سماته وخصاله كقاضي. وعندما عزم حسداي على محاسبة سكرتيره مناحيم بن ساروق، مارس

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.78

(2) HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.222;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.79;
الموسوعة العبرية، م26، ص383.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL. 3, P.79.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.79.
عن مسؤولية الناسي عن جمع الجزية. ينظر: ابن بلقيس: التبيان، ص38.

وظيفته ككبير للقضاة، وأصدر حكماً ضده، على الرغم من أنَّ المتهم لم يكن حاضراً[1].

وسار أمراء الطوائف على الطريقة نفسها في تنظيم شؤون اليهود، حيث عين كلٌ واحدٍ منهم رئيساً لليهود في إمارته، وظلَّ رؤساء الطوائف اليهودية في الأندلس يحملون أيضاً لقب "الناسي" الذي كان يطلق من قبل على رؤساء اليهود في المشرق. وطلب بعض رؤساء اليهود من قادة اليهود ورؤساء مدارسهم في العراق أن يمنحوهم ألقاباً تليق بالخدمات الكبيرة التي يقدمونها إلى طوائفهم، فمنح بعضهم لقباً جديداً هو "الناغيد"، وصار هذا اللقب يطلق على إسماعيل بن نغدلة، وولده يوسف من بعده[2]، اللذان تعاقبا على رئاسة الطائفة اليهودية في غرناطة[3]. ويصف الشنتريني أهمية هذا اللقب في معرض حديثه عن إسماعيل بن نغدلة فيقول "وتُسمَّى من خططهم الشرعية بالناغيد، معناه المدَبِّر بالعربية، خطة تحاماها قدماؤهم، وتطأطأ عنها قديماً زعماؤهم، اجترأ هو عليها[4].

لكن لقب الناسي كان أكثر تأصلاً في الأندلس، فبعد مدة من الزمن عاد رؤساء الطائفة إلى استخدامه. وكان تعيين أولئك (الناسيم)[*] قد صار ممارسة مقبولة، وظلَّت واجباتهم دونما تغيير. وكما في الأوقات السابقة فإنهم عملوا كممثلين لطوائفهم، وقاموا بمحاولاتٍ من أجل رفاهية الطوائف والأفراد، وكانوا مسؤولين عن دفع الجزية. وقاموا بدور كبار القضاة[5].

---

(1) IBID, VOL.3, P.80.

(2) IBID, VOL.3, P.80.

(3) ينظر: الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص767؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ص439.

(4) الشنتريني، الذخيرة، ص767.

(*) الناسيم: جمع لكلمة (ناسي) باللغة العبرية.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.80

والظاهر أنَّ منصب الناسي في عصر الطوائف لم يعد مقتصراً على شخصٍ واحدٍ في كلِّ الأندلس، بل صار لكلِّ إمارة أو مملكة ناسيًّاً أو رئيساً لطائفتها اليهودية.فقد شغل رئاسة الطائفة اليهودية في إشبيلية إسحاق بن باروخ البالية الذي عمل أيضاً منجماً لدى المعتمد (461-484هـ=1068-1091م)[1]، وخلفه على هذا المنصب، وفي عهد المعتمد أيضاً إبراهيم بن مير بن المهاجر[2]. وكان رئيس طائفة بجانة في نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي هو صاموئيل هاكوهين بن جوزية الذي يعود أصله إلى فاس بالمغرب، وكان ضليعاً في الشريعة اليهودية، وله مراسلات مع الجاؤون شعريره في العراق[3]. ورئيسهم في أليسانة في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يُدعى ابن ميمون[4]، وقد تولّى هذا المنصب في منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي في أليسانة أليعازر بن صاموئيل حركا، الذي كان معاصراً للجاؤون عمرام رئيس اليهود في العراق، وقد منح هذا الجاؤون في منتصف القرن التاسع الميلادي لقب (الألوف)، ولقب (روش كالا)، وأصبح من أشهر أساتذة مدرسة أليسانة اليهودية[5].

---

(1) BROYDE, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.208

(2) HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.319

(4) ابن بلقين، التبيان، ص130-131.

(5) HIAM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

ب- كبير الأحبار (الحاخام الأكبر)

وكان المنصب الثاني الذي يلي منصب الناسي في الأهمية هـو منـصب كبير الأحبار أو الحاخام الأكبر كما سُمّي لاحقاً[1]. وقد شغل هذا المنصب فـي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ=912-961م) الحبر موسـى بن حنوخ.

قام حسداي بن شبروط بمنح ابن حنوخ منـصب كبيـر الأحبـار، إذ أنَّ مناصب الأحبار والقضاة كانت بيدِ النَّاسي، المسؤول الأول في الـسُّلَم الإداري للطائفة اليهودية في الأندلس، وهذه الصلاحيات التي أعطيت للناسي هي إحدى المؤشرات على التسامح الإسلامي مع اليهود. وتعاون كل من حـسداي وابـن حنوخ على تنظيم شؤون اليهود في الأندلس، وتطوير المدرسة اليهوديـة فـي قرطبة[2]، فاستقدموا إليها عدداً من أحبار اليهود[3]، وجلبوا إليها من المـدارس اليهودية في العراق نسخاً ثمينة من التلمود[4]، وسرعان ما حصلت هذه المدرسة على شهرةٍ كبيرة، بحيث أنَّ الطلاب اليهود بدأوا بالتدفق إليها من مختلف مـدن الأندلس والشمال الأفريقي، حتى أصبحت مركزاً رئيساً مـن مراكـز التعلـيم اليهودي في العالم، ينافس مدرستي بومبديتا وسورا في العراق[5]، ولم يعد يهود

---

(1) ROYMOND P. SCHEINDLIN, THE JEWS IN MUSLIM SPAIN, THE LEGACY OF MUSLEM SPAIN, SALMA KHADRA JAYYUSI (EDITOR), P.190.

(2) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.619.

(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص24.

(4) الموسوعة العربية، م26، ص398.

(5) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.619.

الأندلس بحاجة إلى إرسال أسئلتهم الدينية إليهما، وإنتظـــار الجـــواب لـــشهورٍ عِدَّة[1].

وعند موت موسى بن حنوخ حوالي سنة (360هـ=970م) ثار صراعٌ في قرطبة على من يخلف موسى، ويتولى منصب كبير الأحبار في الأندلس.ولم يكن من الضروري الانتظار لوصولِ حبرٍ من مكانٍ بعيد، فقد أعدَّت المدرســـة اليهودية في قرطبة عدداً من الأحبار، كان أبرزهم حنوخ بن موسى بن حنوخ، ابن الحبر المتوفى، ويوسف بن أبي ثور، الذي كان عالماً ضـــليعاً مـــن يهـــود ماردة، وقد حصل على تعليمه الديني من مدرسة قرطبة، وإضافة إلـــى علمـــه، كان شاعراً، وقد أُدخلت أشعاره الدينية فيما بعد في شعائر اليهود[2]. وبطلبٍ من الخليفة الأندلسي الحكم الثاني (350-366هـ=961-976م) الذي كان يجمـــع كلَّ أعمال الأمم في مكتبته، أعدَّ ابن أبي ثور ترجمة للتلمود باللغة العربيـــة[3]. وبشكل عام كان ابن أبي ثور نوعاً جديداً من الأحبار، حيث كان يمتلك معرفـــةً في العلوم الدنيوية، بينما كان حنوخ يُمثِّلُ النمط التلمودي القـــديم، ولا يهـــتمُّ إلا بالعلوم الدينية[4].

وانقسم يهود قرطبة إلى جماعتين، الأولى تريدُ أنْ يرث حنوخ منصب أبيه والأخرى تُفضل أن يتولّى هذا المنصب الحبر يوسف بن أبي ثور[5]. وقـــد رجحت كفة حنوخ، لأن الناسي حسداي بن شبروط رئيس الطائفة اليهودية فـــي

---

[1] ابن أبي أصبعية، أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطبـــاء، تحقيـــق: نـــزار رضـــا، (بيروت، مكتبة الحياة، 1965م)، ص498.

[2] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.620

[3] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص35؛
IBID, VOL.2, P.620.

[4] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.620.

[5] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص35.

الأندلس، والذي له القول الفصل في تعيين كبير الأحبار فيها، كان يفضِّلُهُ علــى ابن أبي ثور[1]. وأصبح حنوخ بن موسى كبيراً للأحبار في الأندلس، أو الحبــر الأعظم كما كان يُسمّى أحياناً[2]. ولكن بعد موتِ حسداي (360هــ=970م) اشتدَّ الصراع في قرطبة على المنصب الحبري ليهود الأندلس، وقام حزب ابن أبــي ثور بتحدي الحبر حنوخ علناً، فقام أتباع حنوخ بحرمان ابن أبي ثــور كنــسياً، ووضعوه خارج الحظيرة اليهودية. وطلبت الجماعتان من الخليفــة المستنــصر التحكيم في نزاعهما، ووافق الخليفة فتوجّه ممثلو الحزبين المتنافسين إلى منطقة الزهراء، حيث قصر الخليفة، وقد اجتمع كلٌّ حزبٍ مع الحبر الذي يؤيده. وقــد لاحظ المستنصر أنَّ غالبية يهود قرطبة يناصرون حنوخ، فأخذ قراره لصالحه. وعندما حاول ابن أبي ثور أن يُقنع الحكم بأحقيته في هذا المنــصب، قــال لــه المستنصر ناصحاً: "لو أنَّ العرب قد تجهموا بوجهي مثلما فعل اليهــودُ معــك، لرحلتُ عن الأندلس، إنني أنصحك بالرحيل عن قرطبة[3]. واستجاب ابن أبــي ثور لنصيحة المستنصر، فرحل إلى إحدى مدن الأندلس البحرية، ثم غادرها إلى الشمال الأفريقي[4].

وأرى أنَّ سبب تفضيل المستنصر لحنوخ يعود إلى اعتقاده بأنَّ وجــود حنوخ في هذا المنصب يحقق المصلحة للدولة التي سبق أن جرَّبت أبــاه، فلــم

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.620.

(2) BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.485; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.620; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.361 .

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.620.
عن موقف المستنصر من هذا الصراع، ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص35.

(4) IBID, VOL.2, P.620,
ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص35-36.

يتسبب لها بأية مشاكل أو متاعب، كما أنَّ في تولّي شخص يؤيِّده معظم اليهود، ويفضلونه، مصلحة للدولة، إذ يضمن استقرار الطائفة ويقلِّلُ من الاختلافِ الذي يتعب حدوثه الدولة أيضاً.

توفي المستنصر سنة (366 هـ=976م)، وكان ولده هشام الذي خلفه، ما زال صغيراً، فأدار البلاد محمد بن أبي عامر الذي عُرِف بالحاجب المنصور[1].

قام المنصور بتعيين صانع الحرير يعقوب بن جاو، رئيساً أو ناسياً لليهودِ في الأندلس، ومُنح الناسي الجديد الصلاحيات نفسها التي كان حسداي بن شبروط قد تمتَّع بها، إذ كان يقوم بتعيين الأحبار والقضاة في الطوائف اليهودية، ويتولّى جمع الجزية المقررَّة على يهود الأندلس، وصار لابن جاو خدماً من اليهودِ تحت تصرُّفه، وعربة تأخذه من قصر الخليفة، فتكبَّر على اليهودِ، وتسلط عليهم، وأعلم الحبر حنوخ الذي ظلَّ كبيراً للأحبار، أنه لو تجرَّأ على اتخاذ القرارات في القضايا القانونية بدون إذنه، فسوف يضعه في قارب دون مجاديف، ويطلقه في عرض البحر[2]. ثمَّ عزم ابن جاو، وهو النصير القديم لابن أبي ثور على تجريدِ حنوخ من منصبه الحبري، واستدعاء ابن أبي ثور الذي كان في الشمال الأفريقي، معتبراً أن الحرمان الكنسي الذي صدر ضده من قبل، كان قراراً ظالماً، وعندما وصلت الدعوة إلى ابن أبي ثور، رفض تولّي ذلك المنصب بمساعدة ابن جاو، وأرسل إليه أنه لا يوجد حبرٌ أصلح من حنوخ لهذا المنصب[3].

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ2، ص272–284؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص306.

[2] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.621; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.377.

[3] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.621; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.377;
عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص36.

وسبب رفضه للتعيين بواسطة ابن جاو في رأيي، علمه بأن ابن جـاو المكروه من قبل يهود الأندلس بسبب ترفه وتكبره عليهم لن يستمر طويلاً فـي هذا المنصب، وسوف يُطرد هو أيضاً إذا ما أُبعد ابن جاو عن منصبه.

توجّه ابن أبي ثور إلى بومبيديتا في العراق، حيث طمح أن يُرَحِّب بـه كبير الأحبار هناك الحبر حيّ، لكنّه لم يفعل، لأنّ ابن أبي ثور كـان قـد تـمّ حرمانه كنـسيّاً فـي الأنـدلس، فتوجّـه إلـى دمـشق، ومـات فيهـا سـنة (304هـ=1012م)[1].

أما ابن جاو فقد تبدّلت أحواله، إذ سخط عليه المنصور، فجـرّده مـن مناصبه وأودعه السجن[2]، وتبيِّن الرواية اليهودية أنّ الخليفة هشام مرّ بالسجن برفقة المنصور، فوقف ابن جاو بالباب حتي يُرِيَهَم نفسه، وعندما لمحه هـشام، سأل المنصور عن سببِ سجنه، فأخبره بأنّ "الناسيّ" لم يتبرّع بحصّةٍ ملائمةٍ من ثرواته للدولة، فأمر هشام بإطلاق سراحه، وإعادته إلى منصبه، لكنّه لم يـتمكن من استعادةِ نفوذه القديم، بسبب عداء المنصور له[3].

وبالرغم من أنّ المصادر الإسلامية لم تتطرّق إلى هذا الموضـوع، إلا أنه لا يمكن التسليم بأنّ حاكماً مسلماً في ذلك الوقت يقوم بسجن يهودي لأنه لم يتبرّع بمبلغٍ ملائمٍ للدولة، إذ لم يعرف عن حكام المسلمين أنّهم فعلوا ذلك، حتى مع المسلمين اللذين هم أولى بالتبرّع لدولتهم، فكيف يعقل أن يكون المنصور قد فعله مع يهودي، يُفترض أنه يؤدي للدولةِ خـدماتٍ كبيـرة بجمعـه الجزيـة

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.621; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.379;
عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص36.

(2) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.621; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.379.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.621.

المفروضة على اليهود. وهل الدولة التي حاضرتها قرطبة، والتي كانت في ذلك الوقت أغنى وأقوى وأجمل مدينة في الغرب، بحاجة إلى صدقاتِ اليهودِ وتبرُّعاتهم[1]؟! والدولة الإسلامية لا يُلزمُ قانونها أهل الذِّمَّةِ إلا بالجزية[2]، وقد مرَّ بنا سابقاً، كيف كان المنصور ملتزماً بالقانون الإسلامي، وتوقَّفَ عن شراءِ أرضٍ تابعةٍ لإحدى كنائس أهل الذمَّة في قرطبة، عندما بيَّنَ له الفقهاء المسلمون أنَّ ذلك يخالف الشريعة[3].

إضافة إلى أن الخليفة هشام كان أضعف من أن يلغي أمراً أصدره المنصور بن أبي عامر[4].

ومن المحتمل أنَّ المنصور قام بسجنه لأنه اختلس من أموال الجزية التي كُلِّفَ بجمعها، وقد بينا سابقاً كيف ارتكب مثل هذه الخيانة يهودٌ آخرون في عصر الطوائف[5].

مات ابن جاو بعد عودته إلى منصبه بمدةٍ قصيرة، ولم تشر المصادر اليهودية أو غيرها إلى الشخص الذي خلفه على هذا المنصب. وظلَّ حنوخ بن

---

[1] ينظر: الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص134-135؛ الشقندي، إسماعيل بن محمد، رسالة إسماعيل بن محمد الشقندي في فضل الأندلس، "نشر ضمن كتاب فضائل الأندلس وأهلها"، نشره: صلاح الدين المنجد، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـ-1968م)، ص54-55؛ المقري، نفح الطيب، م1، ص205.

[2] ينظر: سورة التوبة، آية: 29.

[3] خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس، ص543-586.

[4] عن ضعف الخليفة هشام وعجزه وسيطرة المنصور عليه ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، جـ3، ص38-50.

[5] ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص130-131؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.59.

موسى في منصبه الحبري إلى أن توفي سنة (405هـ=1014م). عندما انهارت به منصة المعبد التي صعد عليها، ليشارك في أحد الاحتفالات الدينية[1].

وقد شغل منصب كبير الأحبار أيضاً أبو الفتح أليعازر بن ناحمان بن أزهر الذي كان كبير الأحبار في إشبيلية في مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[2]، وسعديا بن ميمون بن دنان، كبير أحبار اليهود في أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وكان يسمى "الحاخام الأكبر لغرناطة"، وكان ابن دنان شاعراً ومؤرخاً وعالماً تلمودياً[3].

ج- القاضي

وبعد منصب الحبر الأعظم، يأتي منصب القاضي، أو الديَّان كما يسمّيه اليهود، وكان الناسي هو الذي يعيِّن القضاة اليهود في المدن الأندلسية. ولكنَّ هذا النظام تغيَّر فيما بعد، حيث تُظهر فتاوى أحبار اليهود منذ منتصف القرن الحادي عشر الميلادي أنَّ القضاة صاروا ينتخبون انتخاباً[4]. ففي كتاب القوانين ليهودا البرشلوني المؤلف في مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، هناك قانون يتعلَّق بتعيين القضاة، يتضمَّن توصية بوجوب طاعة القاضي، لأنَّ الطائفة برمتها قد شاركت في انتخابه[5]. ولأنهم صاروا يُنتخبون فإنَّ القاضي اليهودي

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.622.

(2) HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201; BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.208.

(3) ROYMOND P. SCHEINDLIN, THE JEWS IN MUSLIM SPAIN , THE LEGACY OF MUSLIM SPAIN, SALMA KHADRA JAYYUSI (EDITOR) , P.190.

(4) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.622; ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.82.

نقلاً عن: RESPONSA ALFASI, NO.80, 106; RESPONSA IBN MIGASH, NO.122

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.82, 256.

في الأندلس كان يشار إليه على مدى أجيال عِدَّة باسم "المختار"[1]. وكان القاضي اليهودي يتقاضى راتباً من قبل الطائفة.

لقد منحت السلطات الإسلامية القضاة اليهود الكثير من الصلاحيات المتعلِّقة بإدارة شؤون طائفتهم الخاصة، فقد سمح لهم بالنظر في كافة القضايا المدنية والجنائية، وحتى في الجرائم الكبرى التي كان الحكم فيها يصل إلى الموت. وكان لليهود سجنهم الخاص الذي يودعُ فيه المتهمون الذين ينتظرون النظر في قضاياهم، أو أولئك الذين يرفضون الخضوع لسلطة المحكمة، أي أنَّ السجون الخاصة باليهود كانت تستخدم كوسيلة للإجبار على الطاعة[2]، وقد استفاد القضاة اليهود، وقادتهم من السماح لهم بالنظر في الجرائم الكبرى المتعلِّقة بأبناء طائفتهم في إصدار أحكام شديدة ضدَّ أصحاب المذاهب الدينية الشاذة عنهم. وفي رسالةٍ كتبها إلى رئيس المدرسة التلمودية الفلسطينية يروي الحبر يوسف بن أبي ثور (ت: 403هـ=1012م) بأنَّ جدَّ جَدِّه قد نفَّذ في المحاكم الشرعية اليهودية في الأندلس أربع أنواع من العقوبات الكبرى، وهو بذلك يشير إلى وجود المحاكم اليهودية في الأندلس في مطلع القرن التاسع الميلادي. ويتحدَّث إسماعيل بن نغدلة عن عقوبات مشددَّة نفذت في الأزمان الخالية. فيقول: إنه في العصور القديمة (في أيام أسلافنا) كان الكفار الميَّالين إلى القرائية يخضعون للجلد، وأن أولئك الذين كانوا يستحقون مثل هذه العقوبة ماتوا أثناء جلدهم[3]. ومثلما كانت عقوبة الموت تنفَّذ ضد المتهمين بالكفر، فقد نفِّذت أيضاً ضد اليهود المتهمين بالتجسس على طائفتهم. ويذكر مصدر يهودي أنه في

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.82.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.81.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.84.

نقلاً عن: JUDAH AL-BARCELONI, SEFER HA.ITTIM, P.267

النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أصدرت محكمة أليسانة عقوبة الموت بحق أحد المخبرين[1]. ووفقاً لشهادة موسى بن ميمون فإنَّ إصدار حكم الموت على المتهمين بالكفر، كان ظاهرة شائعة بين الطوائف اليهودية في الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين[2].

ويعدُّ إصدار حكم الموت خروجاً على قوانين قدماء الأحبار الذين قرروا إلغاء هذه العقوبة عقب تدمير الهيكل[3]. ومن الواضح أن ممارسة هذا الحكم في الأندلس، هو أيضاً أثر إسلامي، إذ تقضي شريعة الإسلام بحكم الموت للعديد من الجرائم، مثل الردَّة عن الإسلام، والقتل العمد.

وكانت الخلافات التي تقع بين مسلم ويهودي في الأندلس تحال إلى المحاكم الإسلامية[4]. أما قضايا اليهود فيما بينهم، فيترك الأمرُ فيها للمتخاصمين، فإمَّا أن يذهبوا إلى المحاكم اليهودية، أو يتوجهوا إلى المحاكم الإسلامية. وقد أورد الونشريسي مسألة بعنوان: "اختلاف يهودي ويهودية بقرطبة على التقاضي عند المسلمين أو اليهود[5]".

---

(1) IBID, VOL.3, P.85;
JUDAH B.ASHER - ZIKHRON YHU`DA BERLIN, 1846), FOLIO 55B.

(2) IBID, VOL.3, P.85.
MAIMONIDES'S, LETTER TO PHINEAS, THE JUDGE OF ALEXANDRIA, KO`BHES
نقلاً عن: (LEIPZIG, 1859), PART 1, FOLIO 26B, COL.1

(3) IBID, VOL.3, P.85

(4) ينظر: النباهي، المرقبة العليا، ص56-57.

(5) الونشريسي، المعيار المعرب، جـ10، ص128-130.

ومن قضاة اليهود في الأندلس، القاضي ناتان الذي كان قاضياً لليهودِ في قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر[1]. وقد أوضحنا كيف تنازل عن منـــصبه لموسى بن حنوخ الذي صار كبير أحبار اليهود في الأندلس. والقاضي يوســـف بن يعقوب بن سهل، تلميذ الحبر إسحاق بن غياث الذي كان قاضياً لليهودِ فـــي قرطبة من سنة (507هـــ=1113م) إلى سنة (517هـــ=1123م) أي في عصر المرابطين[2]. كما تولى هذا المنصب في قرطبة أيضاً الشاعر المرموق والعالم التلمودي الشهير أبو عمر يوسف بن صديق، وذلك من سنة (533هـــ=1138م) إلى سنة (543هـــ=1148م)، أي في أواخر عصر المرابطين، وبداية عـــصر الموحدين، وقد اعتنق أبو عمر الإسلام في أواخر أيامه[3]، وكان ديفيد بن حجر قاضياً ليهود غرناطة أثناء تولّي إسماعيل بن يوسف لمنصب كبير وزرائها[4].

د- الحَزَّان

ومن المناصب الإدارية داخل الطائفة اليهوديـــة، منـــصب الحـــزان، ويصف القلقشندي مهمة الحزان بقوله: "وهو فيهم بمثابة الخطيب يصعد المنبر، ويعظهم"[5]. وكان لكلِّ كنيس يهودي (حزان) خاص، ومن مهماته أيضاً الإنشاد وإمامة المصلين في المناسبات الدينية. واشترط أحبار اليهود أن يكون الحـــزان

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.618-619; HAIM BEINART CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.963;
عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص24.

(2) HAIM BEINART, , ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.964. CORDOBA

(3) HAIM BEINART, CORDOBA , ENCYCLOPEDIA , VOL.5, P.215; JUDAICA
عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص67.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.142.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، جـــ5، ص474.

متعلِّماً، صاحب سمعةٍ جيِّدة، وصوتٍ جميل، ومجيداً للأناشيد العربية. وهناك سؤالٌ وُجِّه إلى أحد الأحبار الأندلسيين المشهورين في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حول حزانٍ يتردد على بيوتِ الدعارة، وله علاقة شاذة بأحد الشبان، وقد قرَّر الحبر طرده، وحتى عندما تاب لم تتم إعادته إلى منصبه[1].

هـ - مجلس الطائفة

ومن التنظيمات الإدارية المهمة للطوائف اليهودية في الأندلس، وجود مجلس في كلٍ مدينة توجد فيها طائفة يهودية، يشرف على إدارة شؤون الطائفة في المدينة، ويتكوَّن هذا المجلس من سبعة أشخاص، وكان اليهود يسمونهم "الشيوخ"، وهم يصلون إلى هذا المجلس بالانتخاب، ومدة بقاء هذا المجلس سنة واحدة، تحسب بالتقويم اليهودي، وقد أخذ يهود الأندلس هذا التنظيم الإداري عن الرومان الذين اعتمدوا في إدارة مدنهم على مجلسٍ منتخب من أبناء تلك المدن، وقد مارس اليهود هذا التنظيم منذ عهد الحكم الروماني لأسبانيا، وتمسكوا به في عهد القوط، ولم يتركوه إلا بعد أن اشتدَّ عليهم اضطهاد القوط الكاثوليك، ثم عادوا إليه طوال مدة الحكم الإسلامي للأندلس[2]. ومن بين مهمات مجلس الطائفة أو الشيوخ، أن يُشرِّع مجموعة من القوانين، ويطالب اليهود باحترامها والالتزام بها، وكان أحبار اليهود يوصون بطاعة هذه القوانين باعتبارها قائمة على الشريعة اليهودية، وقد سُمِّيت مجموعة القوانين التي يصدرها المجلس

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.141.

نقلاً عن: RESPONSA IBN ADRET, PART 2, NO.52

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.106-107.

(TAKKANOT)، وهي كلمة عبرية، كما سميت أيضاً (الضوابط)، وهي الاسم العربي للكلمة العبرية السابقة[1].

ولاتصبح الضوابط سارية وملزمة إلا بعد أن تعرض على يهود المدينة، وتحصل على غالبية الأصوات، وفي بعض الأحيان كانت هذه الضوابط تشرَّع لمدَّة محدَّدة، وأحياناً كان يتّم القبول بها كتشريع قانوني ثابت، قد يستمر لمدة طويلة. وقد فرض قادة الطائفة عقوبات على كلٍّ من يخرق هذه الضوابط، تتراوح بين دفع الغرامات المالية والحرمان الكنسي[2]. وكانت لغة هذه الضوابط هي العربية بالرغم من وجود بعض الكلمات العبرية فيها، وذلك حتى تكون مفهومة للمثقفين، وغير المثقفين الذين لا يفهمون العبرية، ولكي يسهل على الدولة الاطلاع عليها ومراقبتها، والتأكد من عدم احتوائها على بنود ضدها. وكان من المعتاد الإعلان عنها في المعبد، بحضور جميع يهود المدينة، بعد توقيع قادة الطائفة عليها[3].

ويعيِّن مجلس الطائفة موظفين يشرفون على مراقبة الالتزام بالضوابط[4]. وتشبه مهمة هؤلاء الموظفين مهمة المحتسب، فهم يمنعون جميع الممارسات الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي ينحرف فيها اليهود عن شريعتهم وضوابطهم المتفق عليها.

---

(1) IBID, VOL.3, P.109. نقلاً عن: RESPONSA ASHER, CHAP.2, NOS, 27-28; RESPONSA ALFASI, NO.13

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.109-110. NEUMANN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.1, P.53-54;

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.110.

(4) IBID, VOL.3, P110; NEUMANN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.1, P.46.

ثانياً: التنظيم المالي

كان ليهود الأندلس تنظيماتهم المالية الخاصة، وإنّ إحدى المهمات الصعبة التي تولاها مجلس الطائفة في المدينة الأندلسية هي الإشراف على جمع الجزية المقرَّرة على يهود المدينة، وتسليمها للدولة، إمَّا مباشرة أو عن طريق المكلَّفين بجمعها من قبل الدولة، إضافة إلى جمع الضرائب والتبرعات التي يَفرضها المجلس على يهود المدينة، لتنفق على قضايا عامَّة تتعلَّق بمصلحة يهود المدينة[1].

ومن الضرائب التي تفرضها إدارة الطائفة على يهود المدينة الأندلسية ضريبة تسمى (ماؤنا) MAU`NA، وهي تجبى بشكلٍ رئيس من ذبح الماشية، وبيع الخمور، وأحياناً من كتابة محاضر المعاملات. وكانت هذه الضريبة هي المصدر الأكثر أهمية لدخل الطوائف اليهودية الأندلسية على مدى الأجيال. ولذلك خصِّصت لدفع رواتب الأحبار والمعلمين المشتغلين بالتعليم تحت سلطة الطائفة وعلى حسابها، وكان "الحزان" أحد الذين يتقاضون رواتبهم من دخل هذه الضريبة[2].

وتمَّ تخصيص ضريبة خاصة لرواتب أولئك القضاة الذين كانوا يعيشون من القضاء، ولكتاب المحكمة، ولمبعوثيها. وكان ثمَّة كاتب يهودي أندلسي عاش في ختام القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يقول: إنه في أغلب الطوائف اليهودية كان هناك "صندوق نقد للمحكمة" تجمع فيه الضرائب عند بداية أو نهاية العام[3]. وكان مقدار تلك الضرائب ونوعها يختلف من عصر إلى عصر، ومن مدينة إلى مدينة[4].

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.110-111.

(2) IBID, VOL.3, P.111.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.111.

نقلاً عن: R.JUDAH AL-BARCELONI`, CITED IN TUR HASHEN MISHPAT, NO.9

(4) IBID, VOL.3, P.111.

وكان لليهودِ في كل مدينة أندلسية "صندوق الصدقات"، وفقاً للـــضوابط التي أنشأها قدماء الأحبار، وكانت أموال هذا الصندوق تدفع إلى الفقراء، وكذلك إلى الأيتام الذين ليس لديهم دخلٌ أو أقرباء[1]. وفي حال وقـــوع بعـــض أبنـــاء الطائفة اليهودية في الأسر زمن الحروب، فإنَّ مجلس الطائفة يفرض ضـــريبة خاصة على يهود المدينة من أجل دفعها لافتداء الأسرى، وكثيراً ما كان أعضاء الطائفة في مثل هذه الطوارئ يستنجدون بطوائف اليهود في المـــدن الأخـــرى للحصول على دعمهم[2].

وإضافة إلى الضرائب المختلفة، كان للطائفة مدخولات ثابتة من أموالِ الوقف والهبات الدينية الطائفية، (HEKDESHOT) وكانت كثيرة فـــي كـــلِّ العصور. وقد اعترفت الحكومة الإسلامية بتلك الأموال المخصَّصة للمؤســـسات الدينية اليهودية، وعملت على حمايتها[3].

وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى قيام بعض اليهود بوقف عقـــاراتٍ على معابدهم فقد أورد ابن سهل في الأحكام الكبرى مسألة بعنوان: "شورى في بيتٍ متهدِّم بين دار حسان ودار شنوغة اليهود[4]" ومما قاله فيها: "قـــام عنـــدي حسان بن عبد الله، فذكر أنَّ له داراً بداخل مدينة قرطبة، بحومة مسجد صواب، تلاصق داراً أخرى موقوفة على شنوغة اليهود...[5]".

والظاهر أنَّ أموال الوقف اليهودي كانت تتعـــرَّض لتلاعـــب واعتـــداء الأحبار، وأنَّ القائمين على هذه الأوقاف لم يحوزوا على ثقة بعـــض اليهـــود،

---

(1) IBID, VOL.3, P.111.

نقلاً عن: RESPONSA ALFASI , NO.160

(2) IBID, VOL.3, P.112.

(3) IBID, VOL.3, P.112.

(4) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص60.

(5) م. ن، ص61.

ولذلك وجدنا يهوداً يوقفون أموالهم على مساجد المسلمين أو فقرائهم. حيث أورد الونشريسي سؤالاً "عن يهودي حبس داراً على مسجد قرطبة"[1]. وقال القاضي ابن سهل: "سئلتُ عن يهودي حبس على ابنته فلانة البكر في حجـره وولايـة نظره جميع القلعة التي بموضع كذا وحدها كذا، ونصف القلعة التـي بموضـع كذا... وعلى عقبها وعقب عقبها، فإن انقرضوا رجع حبـساً علـى مـساكين المسلمين بلورقة"[2].

وكانت طريقة اليهود في جمع الضرائب المفروضة على الطائفـة، أن يعيِّن مجلس الطائفة اثنين أو ثلاثة من أعضاء المجلس "الشيوخ"، ويتولّوا جميعاً جمع الضريبة المقررة، وهم مطالبون أمام بقية أعضاء المجلس بتقديم حسابات دقيقة في ذلك، وعندهم مبدأ مهم ينصُّ على عدم السماح لشخصٍ واحدٍ بجمع أيَّ نوعٍ من أنواع الضرائب بمفرده. وكانت عادة اليهود المحـافظين علـى دفـع الضرائب المقررة أن يتوجهوا إلى مكانٍ خاص داخـل المعبـد حيـث يوجـد الموظفون المعينون لاستلام الضرائب، فيسلِّموهم الضريبة، ويأخذوا منهم وصلاً بهذا الخصوص[3]. ويبدو أنهم تأثروا في طريقة تنظيمهم لجمع ضرائبهم بطريقة المسلمين في جمع الجزية منهم، حيث كان الشخص الذي يدفع الجزية يأخذ رقعة "براءة"، تدل على دفعه لها[4] وكان لدى مجلس الطائفـة الـصلاحيات لـسجن الرافضين لدفع الضرائب في مسجدٍ خاصٍّ بالطائفة[5].

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، جـ7، ص65.

(2) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص68.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.106; NEUMANN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.1, P.44-89.

(4) الكبيسي، حمدان عبد المجيد، الخراج، أحكامه ومقاديره، بغداد، نشر جامعة بغداد، 1411هـ-1991م)، ص182-183.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.114.

نقلاً عن: RESPONSA IBN ADRET, PART 4, NO.86, PART 3, NO.400

المبحث الثاني

التنظيمات الاقتصادية لليهود في الأندلس

شارك يهود الأندلس في معظم فروع النشاط الاقتصادي التي عرفته تلك البلاد. فقد اشتغلوا في التجارة الداخلية والخارجية، وفي الزراعة والصناعة، وفي العديد من المهن الأخرى، وهم بذلك يختلفون عن كثير من يهود العالم الذين تركز نشاطهم الاقتصادي على التجارة، وأهملوا الفروع الاقتصادية الأخرى، وخصوصاً الزراعة.

وقد أتاح لهم المسلمون منذ أن فتحوا الأندلس أن يشاركوا في النشاطات الاقتصادية كافة، ومنعوهم فقط من النشاطات المحرَّمة التي تقوم على الربا، ومن بيع الخمر والخنزير للمسلمين.

وفيما يأتي بيان وتفصيل للنشاطات الاقتصادية المختلفة التي مارسها اليهود:

أولاً: التجارة

أولى يهود الأندلس كغيرهم من يهود العالم، التجارة اهتماماً كبيراً، وعدُّوها الطريق الأفضل لتحقيق الربح الكبير. وقد حَضَّهم على ذلك أحبارهم، إذ وضع العالم التلمودي راب (RAB) شعاراً لأبناء مِلَّته يقول: "تاجر بمائة فلورين[*]، تحصل على لحمٍ وخمر، أما إذا استغَلَلْتَ هذا القدر نفسه في الزراعة، فأكبر ما تحصلُ عليه هو الخبزُ والملح"[1]. وفي رسالة المجمع اليهودي العالمي التي أشرنا إليها سابقاً، إلى يهود أسبانيا النصرانية، توصية لليهود بالاهتمام بالتجارة، فقد جاء فيها: "بمقتضى قولكم إنهم يأمرونكم بالتجرُّد

---

[*] الفلورين (FLORIN): "عملة فلورنسية أو هولندية أو إنكليزية".

البعلبكي، منير، المورد، (بيروت، دار العلم للملايين، 1983م)، ص356.

[1] ديورنت، ول وايريل، قصة الحضارة، جـ3، م4، ترجمة: محمد بدران، (بيروت، تونس، 1408هـ، 1988م)، ص61.

من أملاككم، فاجعلوا أولادكم تجاراً ليتمكنوا رويداً رويدً من تجريدِ المسيحيين من أملاكهم"[1].

وقد عمل يهود الأندلس في التجارة الداخلية، فشاركوا في نقل وتبادل السِّلَع بين مدن الأندلس، وكانت لهم محال تجارية في أسواق المدن التي يعيشون فيها. يقول ابن حزم الأندلسي: "ولقد كنتُ يوماً بالمريَّة قاعداً في دكان[*] إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي"[2]. إضافة إلى المتاجر التي يملكونها داخل الأحياء اليهودية. وكانت المحال التجارية في الأندلس تتركز في شوارع خاصَّة، وفقاً لنوع السِّلع التي تبيعها، وقد خصَّصَ الأندلسيون أسواق خاصة للسِّلع القيِّمة كالذهب والحرير، وكانت هذه الأسواق مغطاة بسقف، وتقع غالباً بالقرب من مسجد المدينة الرئيس، وأطلق المسلمون على ذلك النوع من الأسواق اسم"القيسارية"[3].

وقد أشار العذري إلى قيسارية المرية في قوله: "ودار صناعتها القديمة المذكورة قبل هذا قد قسمت على قسمين، فالقسم الواحد فيه المراكب الحربية والآلة والعدَّة، والقسم الثاني فيه القيسارية. قد رتب كل صناعةٍ منها حسب ما يشكل لها، قد أمن فيها التجار بأموالهم، وقصد إليها الناس من أقطارهم"[4]،

---

[1] إميل الخوري، مؤامرة اليهود على المسيحية، ص41-42.

[*] الدكان، واحد الدكاكين، وهي الحوانيت، فارسي معرب. وهذا المعنى يؤكد أن دكان اليهودي ابن يونس كان حانوتاً تجارياً.

ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكروم، لسان العرب، م3، مادة: دكان، (بيروت، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، 1375هـ-1956م)، ص157.

[2] ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، جـ1، ص114.

[3] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، استخرجه من مخطوطات عدة: الفريد البستاني، (المغرب، مطبعة الفنون المصورة، د.ت)، ص5.

[4] ترصيع الأخبار، ص86.

وكانت ساحة بلنسية في الحي اليهودي بسرقسطة تدعى فيما مضى بالقيسارية. وفي مدينة مالقة كانت القيسارية أيضاً ضمن الحي اليهودي. وتدلُّ أسماء الشوارع والحارات في الأحياء اليهودية في عدد من المدن الأندلسية على أنَّ يهود الأندلس قد تعاملوا بكلِّ أصنافِ التجارة، لكنَّهم تخصَّصوا في تجارة الأنسجة والملابس الحريرية[1].

وقد شهدت الأندلس طوال مدة الحكم الإسلامي حركة تجارية نشطة، والإشارات الدالة على ذلك كثيرة نذكرُ منها قول الشنتريني: "كتب أبو عليّ بن الربيب القروي رقعة إلى الوزير الكاتب أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم، يقول له فيها: "إني فكرتُ في بلدكم أهل الأندلس، إذ كان قرارة كلّ فضل، ومقصد كل طرفة، ومورد كل تحفة، إن بارت تجارة أو صناعة فإليكم تُجلَب، وإن كسدت بضاعة فعندكم تنفق"[2]. وقول البكري: "ويوجد بجبالِ قلعة أيوب المرّ الطيب، وأطيب كهرباء الأرض بشذونة، درهم منها يعدل دراهم من المجلوبة، وأطيب القِرمز قِرْمِزُ الأندلس، وأكثر ما يكون بنواحي إشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية، ومن الأندلس يُحمَلُ إلى الآفاق"[3]. وقول الحميري: "وكانت المرية تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام، ولم يكن بالأندلس أكثر مالاً من أهلها"[4]. وقوله في وصف زيت جبل الشرف المطلِّ على إشبيلية: "ومن هناك يُتجهَّزُ به إلى الآفاقِ بَرّاً وبحراً"[5]. وقوله في وصف قطن إشبيلية: "والقطن يجودُ

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.276. نقلاً عن: TOMAS XIMENEZ DE EMBUN, DESCRIPCION HISTORICA; DE LA ANTIGUA ZARAGOZA (SARAGOSSA, 1901), P.61.

(2) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص133.

(3) البكري، المسالك والممالك،"الجزء الخاص بالأندلس وأوربا"، ص127.

(4) الحميري، الروض، ص394.

(5) م. ن، ص59.

بأرضها، ويعم بلاد الأندلس، ويُتجهَّزُ بـه التجـار إلـى أفريقيـا وسجلماسـة وماوالاها"[1]. وقوله في وصف تجار قرطبة: "وتجارهـا مياسـير، وأحـوالهم واسعة"[2].

ومثلما اهتمَ كثيرٌ من مسلمي الأندلس بالتجـارة الخارجيـة، وبرعـوا فيها[3]، فعل أيضاً يهود الأندلس بعد أن حُرِموا من ممارستها في عهـد القـوط الكاثوليك[4].

وتتوفَّر العديد من الروايات التاريخية والوثائق التي تتحدَّثُ عـن تجـارٍ يهود، وعن مشاركاتهم في التجارة الخارجية طـوال مـدة الحكـم الإسـلامي للأندلس. إذ يروي ابن حيَّان أن تاجراً يهودياً دفع للنورمان فديـة ليفـك أسـر سعدون بن فتح السرنباقي، أحد رجالات حركة المولدين في منطقة ماردة[5]، بعد أن أسره النورمان في إحدى هجماتهم على سواحل الأندلس الغربية فـي عهـد

---

(1) الحميري، الروض، ص59.

(2) الحميري، الروض،"صفة جزيرة الأندلس"، ص153.

(3) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ليدن، مطبعة بريـل، ط2، 1909م)، ص236، 239.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.265; HAIM BEINART, SEVILLE; ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201; HAIM BEINART,MURCIA; ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.12, P.530; HAIM BEINART, LUCENA; ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(5) عن كونه أحد رجالات حركة المولدين في ماردة. ينظر: ابن حيان، المقتبس، نشر: ملشور م. أنطونيه، ص15.

الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (238-273هـ=852-886م)[1]، "وأسرته المجوس الخارجون بساحل الأندلس الغربي أيام الأمير محمد، ففداه منهم بعض تجار اليهود، يبتغي الربح معه، ففاوض اليهودي إلى أنْ هرب عنه، وأخفر ذِمتَّه، وأخسره ماله"[2].

ويروي الضبيُّ أنَّه كان مع جيش الأسبان في معركة الأرك (591هـ=1195م) "جماعات من تجار اليهود، قد وصلوا لاشتراءِ أسرى المسلمين وأسلابهم، وأعدُّوا لذلك أموالاً فهزمهم الله تعالى، واستوعب القتل أكثرهم، وحاز الموحدون جميع ما احتوت عليه محلتهم الذميمة"[3].

ويروي الشنتريني نقلاً عن ابن حيان كيف توجَّه تاجرٌ يهودي أندلسي في أعقاب سقوط مدينة بربشتر (456هـ=1064م) إلى هذه المدينة المحتلَّة لافتداء أسيراتٍ مسلماتٍ وردُّهن إلى ذويهنَّ في الأندلس للتربح[4]. وفي ردود لأحبار قرطبة اليهود في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي يوجد ذكر للمشكلات الناجمة عن مشاركة اليهود الأندلسيين في التجارةِ الخارجية. وقد طُلِبَ من الأحبار معالجة تلك المشكلات المادية الناشئة عن الغياب الطويل للتجار عن منازلهم الذي يصلُ في بعض الأحيان لسنوات عِدَّة. ومن أهم تلك المشكلات أنَّ زوجات

---

[1] كان للنورمان ثلاث هجمات على سواحل الأندلس، الأول وقع سنة (229هـ=844م). ينظر: ابن القوطية، تاريخ إفتتاح الأندلس، ص86، والثاني سنة (245هـ=859م). ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص307-309، والثالث سنة (247هـ=861م). ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص119. والهجومان الثاني والثالث وقعا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن.

[2] ابن حيان، المقتبس، ملشور م. أنطونيه، ص23.

[3] بغية الملتمس، ص45-46.

[4] الذخيرة، ق3، م1، ص188.

التجار الغائبين كُنَّ يُطالبن بتطليقهنَّ من أزواجهنَّ الغائبين منـذ مُـدَّة طويلـة، لاحتمال أنَّهم قد هلكوا في أسفارهم التجارية الطويلة ذات المخاطر الكبيرة[1].

وبسبب روابطهم التجارية الوثيقة مـع مـراكش وبقيـة دول الـشمال الأفريقي، غالباً ما كان يهود الأندلس من التجار يذهبون هناك لإقامة علاقـاتٍ لهم مع التجار في المدن ذات الموانئ. وثمة سؤال وجِّه من القيروان إلى حبـرٍ يهودي في العراق في منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، يتحـدَّثُ عن تجار من الأندلس كانوا يزورون شمال أفريقيا، وسؤال آخر وجِّه في نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي إلى أحد الأحبار، يسألُ عن اثنـين مـن الشركاء أحدهما في القيروان والآخر في الأندلس. وغالباً ما كان التجار اليهود يزورون الدول النصرانية في أسبانيا النصرانية. ويحتوي سؤال موجّه إلى أحد الأحبار اليهود الأندلسيين في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، على رواية عن تاجرٍ يهودي ذهب إلى إحدى الدول النصرانية، وظلَّ هنـاك لمـدة سـت سنوات[2].

وطرأت ظروفٌ جديدة أثناء حكم بني أمَّة للأندلس، زادت مـن أهميـة ومكانة التجار اليهود في الأندلس. فقد ازداد عداء نصارى غرب أوربا للمسلمين في المشرق والمغرب نتيجة لمحاولاتهم المتواصلة لفتح جزر وأراضٍ تابعةٍ لهم، فقد جرت محاولات لفتح جزيرة صقلية ابتدأت سنة (32هـ=652م)، واستمرَّت إلى أن فتحها المسلمون سنة (212هـ=827م)[3]، كما قام المسلمون بحمـلاتٍ

---

[1] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.277-278;
نقلاً عن: SHAARE SEDEK, PARTS, SECTION.2, P.11, 30.

[2] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.278.
نقـلاً عـن: S.ASSAF, MI- SIFRUT HA-GONIM, (JERUSALEM,1933), p.103.

[3] عن فتح المسلمين جزيرة صقلية. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص366.

عدّة على جزيرة سردينيا، وعلى جنوبي فرنسا وجنوبي إيطاليا. كما قامت جماعة من المسلمين الأندلسيين بالسيطرة على جزيرة كريت سنة (213هـ=828م)، واتخذوها منطلقاً لمهاجمة الأراضي والسفن النصرانية. وقد أدَّى هذا العداء إلى عدم تجرُّؤ التجار المسلمين من الوصول إلى غرب أوربا عبر ميناء مرسيليا حاملين معهم التوابل والزيوت وأوراق البردي وغيرها من السلع التي يحتاجها الأوربيون، مثلما كانوا يفعلون من قبل. وصار التجار النصارى غير قادرين على الوصول إلى بلدان المسلمين لجلب هذه السلع بأنفسهم، لأنَّ الطرق البحرية بين أوربا الغربية والدول الإسلامية أصبحت تحت سيطرة الأساطيل الإسلامية. وبالرغم من أنَّ الدول الإسلامية لم تمنع التجار النصارى من الوصول إلى أراضيها، إلا أنَّ كثيراً منهم كانوا يخشون من العمل في هذا المجال[1].

وكان للتجار اليهود الأندلسيين دور مهم في استمرار الحركة التجارية في البحر المتوسط بين الإمبراطورية الفرنجية في أوربا ودول المشرق، حيث قام هؤلاء التجار بأخذ السلع التي تصل إلى الأندلس من بلاد المشرق، ويحتاجها الأوربيون، وبيعها في بلاد الغال (فرنسا) التي كانت المركز الرئيس الذي تنتقل منه هذه السلع إلى دول أوربا. وعن ذلك يقول الحميري في معرض وصفه لمدينة مغانجة الواقعة في بلاد الفرنجة[2]: "ويختلف إلى مدينة مغانجة أهل

---

[1] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.279-280. عن النشاط العسكري البحري لمسلمي الأندلس ضد النصارى وأثره في عرقلة حركة التجار النصارى ينظر: أرسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، (بيروت، دار مكتبة الحياة، 1979م)، ص181-206.

[2] الحميري، الروض، ص556.

بردون واليهود بجهاز الأندلس، وذلك غزل الحرير والخز والبياض والشقيق والزئبق والأحمرة واللاذن والزعفران، وغير ذلك من السلع والبضائع"[1].

وقد عمل أيضاً تجار نصارى من الأندلس في هذا المجال، حيث وصل اثنين من إخوة إيلوغيوس (EULOGIUS) قائد المتعصبين النصارى في قرطبة إلى مدينةماينز (MAYENCE) في ألمانيا، وذلك في رحلة تجارية من الأندلس إلى تلك البلاد[2].

لكنَّ التجار اليهود في الأندلس، وفي الإمبراطورية الفرنجية كان لهم حظاً وافراً من هذه التجارة وتمكنوا من تحقيق الأرباح الطائلة من ورائها. حيث أدرك ملوك الفرنجة أهمية الدور الذي يقوم به التجار، اليهود سواء المقيمين في بلاد الغال أو القادمين من الأندلس، وقدَّموا لهم الحماية، وأعفوهم من دفع الضرائب[3]. وذكر كولان أنّ اليهود "كانوا يتحكمون في أسباب التجارة بين الأندلس والقارة الأوربية من جهة، وبين المشرق الإسلامي من جهة أخرى"[4].

وأجد في قول كولان هذا مبالغة كبيرة، إذ لم يسيطر اليهود على تجارة الأندلس مع الشرق، بل كان التجار المسلمون هم المسيطرون على هذه التجارة[5]. واليهود لم يتفوقوا إلا في التجارة مع أوربا، وكان ذلك بسبب حالة العداء مع الدول النصرانية التي لم تمكن التجار المسلمين من الوصول إليها بسهولة، وكذلك لم يستطع التجار النصارى من الوصول إلى بلاد المسلمين

---

[1] الحميري، الروض، ص556.

[2] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.279-280.

[3] IBID, VOL.1, P.280-281.

[4] ج.س.كولان، الأندلس، (ط1، 1980م)، ص96-97.

[5] عن نشاط التجار المسلمين مع الشرق الإسلامي. ينظر البكري، المسالك والممالك، الجزء الخاص بالأندلس، ص127؛ الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص133؛ الحميري، الروض، ص394؛ جوايتاين، دراسات، ص238.

بسهولة، وبقي التجار اليهود هم الوحيدون الذين يستطيعون السفر إلى بلاد النصارى وبلاد المسلمين بحرية وبلا خوف.

ولم يقتصر نشاط التجار اليهود الأندلسيين على نقل سلع بلاد المشرق من الأندلس إلى بلاد الفرنجة، بل نقلوا أيضاً المنتجات المصنَّعة في الأندلس، المشهورة بجودتها والتي كان نبلاء الفرنجة يحرصون على إقتنائها. ومن هذه السلع الملابس والمنسوجات الحريرية والقطنية والمنتجات الجلدية، والزئبق والزعفران، والحلي[1]. وكانت نساء الحكام والأمراء النصارى في الشمال ينتظرن وصول التجار اليهود بفارغ الصبر[2].

وكان ليهود الأندلس تجارة واسعة مع شمال أفريقيا وبقية البلدان الإسلامية. وتقدم رسائل التجار اليهود التي عُثر على عددٍ منها في جنيزة القاهرة معلومات مهمة عن تجارة يهود الأندلس مع تلك الدول. ففي رسالةٍ كتبت في حدود سنة (535هـ=1140م) من تاجر يهودي أندلسي في فاس إلى أبيه في المريّة، يتبيَّن أنَّ التجار اليهود الأندلسيين الذين كانوا يسافرون للتجارة مع المغرب كانوا يدفعون الجمارك عن بضاعتهم، وأنَّ مقدار ما يدفعونه باعتبارهم مواطنين في دار الإسلام أقل مما يدفعه اليهود الأجانب، ولذلك كان اليهود الأجانب يُحمّلون بضاعتهم في بعض الأحيان لليهود المواطنين كي يتخلَّصوا من دفع مبالغ أكبر. وقد دفع ذلك موظفو الجمارك في المغرب أن يطالبوا اليهود الأندلسيين بالقسم على أنَّ كلَّ ما يحملونه من بضاعةٍ يعود لهم، وليس لأحدٍ من الأجانب.

---

[1] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.291.

[2] ينظر: المقري، نفح الطيب، جـ1، ص7، 93-94.

كما يتبيَّن من هذه الرسالة أنَّ التجار اليهود الأندلسيين كانوا يجلبون معهم إلـــى المغرب الأقمشة الحريرية والنحاس والسقمونيا وصبغة النيلة وصـــبغة اللُّــك، ويستوردون منها الكحل[1].

وتبيِّن رسالة أخرى بعث بها إسحاق بن باروخ المقيم بمدينة المرية إلى أبي سعيد خلفون بن نثنيل بمدينة تلمسان فـــي 10-10-1138م، أنّ الحريــر بمختلف أنواعه والنحاس المصقول والمسبوك كان من أكثر السلع التـــي نقلهـــا التجار اليهود إلى الشمال الأفريقي، وأنَّ التوابل والشمع الفاسي الجيِّد والعـــشب الطبي من السلع التي كان يهود الأندلس يجلبونها من تلك البلاد[2].

وفي رسائل الجنيزة ذكرٌ لبضائع قادمة من الأندلس إلى تـــونس، شـــارك اليهود في إعادة تصديرها إلـــى دول أخـــرى. وفـــي رســـالة مؤرخـــة فـــي 1083/1/10م، يتبيَّن أنّ تجاراً يهوداً نقلوا الصنوبر من الأندلس إلى تونس[3]. وتبيِّن رسالة أخرى مؤرخة في أواخر شهر ديسمبر/1141م، ومرسلة من مدينة فاس إلى المرية أن التجار اليهود في الأندلس كانوا يجلبون الشَّب بكميات كبيرة من مراكش، وأنَّ السلع الأندلسية المصنَّعة كانت تنقل من قبلهم إلـــى الـــشمال الأفريقي، ومن السِّلع التي ذكرتها هذه الرسالة الموازين والمثاقيل[4].

وكانت بعض مراسلات التجار اليهود تحتوي على تقارير عن موقـــف السكان في البلد التي كتبت فيه الرسالة من اليهود، وعـــن الأحـــداث الـــسياسية الكبيرة فيها، وعن أهم أخبار الطائفة اليهودية، وذلك لتأثيرِ ذلك على تحرّكاتهم

---

(1) GOITEN, SOLOMON, DOB FREITZ, LETTERS OF MEDIEVAL, JEWISH TRADERS, P.51-55.

(2) IBID, P.259-263.

(3) جواتيان، دراسات، ص234.

(4) GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.266.

وتجارتهم[1]. وقد جاء في الرسالة الآنفة الذكر، والتي كتبت في مدينة فاس في عهد الموحدين العبارة التالية: "وتنتشرُ كراهية اليهود في هذا البلد، إلى درجة أنه بالمقارنة معه فإن المرية تعد مكان الخلاص"[2].

كما تاجر يهود الأندلس مع مصر، وهناك رسائل متبادلة بين تجار يهود وصلوا إلى الإسكندرية وبين شركائهم في الأندلس. وتبيِّن إحدى هذه الرسائل أنَّ الصوف المصبوغ كان أحد السِّلع التي يجلبها بعض التجار اليهود من مصر إلى الأندلس[3]. وتبيِّنُ رسالة أخرى أنهم كانوا يجلبون منها أيضاً المسك، وأنَّهم كانوا ينقلون إليها العنبر[4].

وتدُلّنا بعض الرسائل المتبادلة بين التجار اليهود في الأندلس ووكلائهم في الخارج على حاجة التجار اليهود في الأندلس الذين يعملون في مجال التجارة الخارجية إلى وكلاء ثقات يعملون معهم. وقد نجمت العديد من المشكلات بين التجار اليهود في الأندلس ووكلائهم بسبب تلاعب الوكلاء في بعض الأحيان، وعدم أمانتهم، وقد أرسل يهودي أندلسي إلى يهودي آخر في الإسكندرية يطلب منه أن يكون وكيلاً له هناك، فاشترط الأخير لقبولِ هذه الوكالة أن لا يتحمل مسؤولية الخسارة الناجمة عن مخاطر الرحلات التجارية، وأن لا يُطالب بحلف اليمين[5].

وكتب تاجر يهودي أندلسي سنة (433هـ=1141م) رسالة إلى شريكه في المغرب يشكو فيها من عدم توَفّر شخص موثوق يرسل معه الأموال

---

(1) IBID,P.55,264-267.

(2) IBID, P.55.

(3) GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.232-233.

(4) جوايتاين، دراسات، ص214.

(5) GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.233-235.

والبضائع إلى المغرب، حيث يقول: "قلبي يحترق لأنني جمعت الذهب، ولم أعثر على أيِّ شخص يمكنني أن أرسله معه، ولذا يجب أن أرسله مع ديفيد، وهذا لايروق لي أبداً"[1].

وكثيراً ما كان التجار اليهود يضعون ثقتهم في التجار المسلمين، ويأمنونهم على بضائعهم، وقد جاء في إحدى رسائل الجنيزة: "إذا كانت هناك قافلة، وكان يسافر فيها مسلمون مؤتمنون، تكرَّم بإرسال البضائع معهم"[2].

ونجد في أوراق الجنيزة أدعية وتمنيات طيبة من تجار يهود لتجار مسلمين حملوا أماناتٍ معهم للتجار اليهود. كذلك نجد قيام بعض المشاركات في الأعمال التجارية بين المسلمين واليهود، وأنَّ اليهود كانوا يزورون بيوت شركائهم في العمل من المسلمين، ويهنئونهم في أيام الأعياد[3].

وكان تجار الأندلس اليهود يسافرون في رحلاتهم التجارية على متن سفن أندلسية وغير أندلسية. وتبيّن رسالة أرسلها زكري بن حنانيل من الإسكندرية في سنة (494هـ=1100م) إلى عروس بن جوزيف في الأندلس، أنَّ السفينة الأندلسية التي كان زكري سيسافر على متنها من الأندلس، سوف يتأخر إبحارها، لأنَّ السلطان في مصر قرَّر إفراغ هذه السفينة لتكون جاهزة لاستخدامها عند الضرورة في الحرب ضد الصليبيين الذين وصلوا للتوّ، وقد اضطر زكري من أجل ذلك لركوب سفينة متجهة إلى المهدية، وإلى إرسالِ رسالة إلى شريكه في الأندلس ليخبره بذلك[4].

---

(1) GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.265.

(2) جوايتاين، دراسات، ص218.

(3) م. ن، ص238.

(4) جوايتاين، دراسات، ص222.

وكتب تاجر يهودي من الأندلس إلى زوجته في القاهرة يقول: "إني أعتزم المجيئ على الجيتاني، وهي سفينة يمتلكها تاجر من جيتا (GAETA) في إيطاليا[1]. وكان التجار اليهود في العصور الوسطى يفضلون السفر في البحر على السفر في البر، لأنه أكثر أماناً، ويقدِّرُ جوايتاين من خلال دراسته لوثائق الجنيزة أنَّ نسبة سفر اليهود بالبّر إلى سفرهم بالبحر تساوي1: 20[2].

لقد جذب الازدهار الاقتصادي الذي تميَّزت به الأندلس اليهود من مختلف البلدان للمتاجرةِ معها. وقد ساعد انتشار اليهود في مختلف بلدان العالم، وتعاونهم، على نجاحهم في مجال التجارة الخارجية[3]. يظهر ذلك من خلال وثائق الجنيزة، إذ تبيِّنُ إحدى هذه الوثائق أنَّ تاجراً يهودياً قدم إلى الأندلس من خراسان، وأقام علاقاتٍ جيدة مع اليهود في إشبيلية، وعندما غادرها متوجهاً إلى القدس حمّلوه رسالة إلى صديقهم الجاؤون سليمان بن جودة، رئيس أكاديمية القدس حتى عام (443هـ=1051م)، وأوصوه به خيراً، فاستقبله وساعده، وعندما قرَّر السفر إلى القاهرة حمله سليمان بن جودة خطاباً إلى صديق له في القاهرة يقول فيه: "حامل هذا الخطاب يهودي من خراسان، أوصاني به كثيراً أصدقائي في إشبيلية، وهو الآن سائر إلى القاهرة، أرجو أن توليه اهتمامك"[4].

وكان التاجر اليهودي سعدان البغدادي أحد التجار اليهود الذين استقروا مدَّة من حياتهم في الأندلس. حيث احتوت وثائق الجنيزة على رسائل كتبها بيده

---

[1] جوايتاين، دراسات، ص213-214.

[2] م. ن، ص217-218.

[3] يواكيم برنز، بابوات من الحي اليهودي، ص43.

[4] جوايتاين، دراسات، ص214.

من الأندلس إلى وكلائه وشركائه في مصر. وكان كثير التنقل، حيث كتب رسائل أخرى من شمال أفريقيا ومصر[1].

وقد استغلَّ بعض التجار اليهود رحلاتهم التجارية في إقامة علاقاتٍ ثقافية مع أدباء ومشاهير اليهود في مختلف أنحاء العالم، وللبحثِ عن الكتب المثيرة للاهتمام. ومن أولئك التجار أبو سعيد حلفون بن ينثانيل هاليفي، الذي تدلُّ مراسلاته التي وُجدت في جنيزة القاهرة على أنه استقر في عدن والهند والأندلس وشمال أفريقيا. وتمكنَّ من إقامة علاقات حميمة مع كثير من الشخصيات اليهودية العلمية في عهده. وكانت صداقته مع الشاعر اليهودي الأندلسي يهودا هاليفي هي السبب في حفظ خمس رسائل خطيِّة، وعدد من الأمور المرتبطة بهذا الكاتب الكبير، إذ حُفظت في أوراق حلفون، ثم وجدت طريقها إلى جنيزة القاهرة. وإحدى رسائل حلفون إلى الشاعر يهودا هاليفي التي حفظتها جنيزة القاهرة، كتبت في 1138/7/10م، وفي سنة (535هـ=1140م) وهو العام الذي غادر فيه يهوذا هاليفي الأندلس، كتب قصيدة يتحدَّث فيها عن صداقة حلفون المخلصة[2].

وقد وصل تجار يهود من الأندلس إلى الهند، وجلبوا منها التوابل والجواهر والأحجار الكريمة والفيروز وأنواع مختلفة من الخرز والأصداف، لكنَّ نصيب اليهود من تجارة الهند كان متواضعاً، إذا ما قورن بنصيبِ غيرهم فيها[3]. وذلك بسبب كثرة المخاطر التي يتعرض لها الذين يتاجرون مع الهند.

وقد عمل كثيرٌ من اليهود الذين تركوا الأندلس في عصر الموحِّدين في التجارة، ومن أولئك اليهود ديفيد شقيق موسى بن ميمون الذي استقرَّ مع عائلته

---

(1) GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.255.

(2) GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.259-260.

(3) جوايتاين، دراسات، ص252؛ الكواتي، اليهود في المغرب، ص143.

في مصر، ثمّ خرج في رحلاتٍ تجارية عديدة إلى الهند، إلى أنْ غرق ومات في إحدى رحلاته[1].

وتبيّن بعض وثائق جنيزة القاهرة أنّ العمل في تجارة ما وراء البحـــار، كان طموحاً للشبان اليهود، يَسعَونَ لأخذ موافقة أهلهم عليه. وتُبيِّن إحدى هـــذه الوثائق أنَّ أحد الآباء قد أعطى لولده وعداً وهو ثَمِل بالسماح له بممارسة هـــذه التجارة الخطرة، وأنَّه اضطَّر للوفاءِ بوعده[2].

وأهم تجارة مارسها يهود الأندلس واحتكروها هي تجـــارة الرقيـــق، إذ كانوا يجلبون إلى الأندلس أعداداً كبيرة من الفتيان والفتيات الصغار، يشترونهم من شمال أسبانيا، وبلاد الفرنجة، ومن الدول الـــسلافية، ودول ســـاحل البحـــر الأسود، ثمَّ يعرضونهم للبيع في أسواق الأنـــدلس، فيـــشتري أمـــراء وأغنيـــاء المسلمين في الأندلس من شاءوا من هؤلاء الرقيق، ومن زادوا عـــن حـــاجتهم يحملهم التجار اليهود إلى شمال أفريقيا وإلى المشرق الإسلامي، حيث يتمَّ بيعهم هناك[3]. وسرعان ما كان هؤلاء العبيد يتعلمون العربيـــة ويتثقفـــون بالثقافـــة الإسلامية ويعتنقون الإسلام. وقد أصبح كثيرٌ منهم حرّاســـاً لأمـــراء الأنـــدلس وجنوداً وقادة في الجيش الإسلامي. وامتلك العديد مـــن الأمـــراء كثيـــراً مـــن الجواري الذين جلبهن التجار اليهود إلى الأندلس[4]. وقد مرَّت بنا روايـــة ابـــن

---

(1) GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.208.

(2) IBID, P.255.

(3) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص153؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص242؛ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، ق1، (ليدن، مطبعة بريل، 1938م)، ص106.

(4) م. ن، ص424.

سعيد الأندلسي التي تتحدَّث عن الجارية التي أراد شراءها الأمير محمد بن عبد الرحمن من التاجر اليهودي الذي بالغ في ثمنها[1].

ويتحدَّث المقدسي أيضاً عن دور اليهود في تجارة الرقيق[2]. ويقول البكري: "ومدينة فراغة (براغ)... ويأتيهم من بلاد الأتراك الإسلام واليهود والترك بالمتاجر أيضاً والمثاقيل المرقطية، فيحملون من عندهم الرقيق"[3].

وتحتوي الكتب الفقهية الأندلسية على العديد من المسائل المتعلِّقة ببيع وشراء الرقيق مما يدلُّ على شيوع هذه التجارة في الأندلس[4].

وابتدع التجار اليهود الخِصاء، لارتباطه بتجارة الرقيق، حيث لم يكن يُسمح للرجل بالعمل في مجال خدمة حريم الأمراء، إلا إذا كان خَصيًّا[5]. يقول ابن حوقل: "الخصيان فمن جلب الأندلس... ويفعل ذلك بهم التجار اليهود"[6].

---

(1) ابن سعيد، الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص151، ترجمة رقم: 91؛ النباهي، المرقبة، ص56-57.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص232.

(3) ذكرت في المتن "الدّقيق"، وقال المحقق: "وقد تقرأ: "الرّقيق" ولكنّ قراءتها: "الدقيق" أرجح يؤيد ذلك الجملة التي تليها". البكري، المسالك والممالك،"الجزء الخاص بالأندلس وأوربا"، ص162 (هامش المحقق). وأعتقد أن"الرقيق"هي الأرجح لأنه من غير المعقول أن يذهب التجار المسلمون إلى هذه البلاد البعيدة من أجل أن يأخذوا منها الدقيق المتوفر في بلدانهم، وكذلك لا يعقل أن يحمل التجار اليهود من هذه البلاد البعيدة الدقيق ذو الوزن الثقيل والربح القليل. فقد اعتادوا أن يحملوا بسبب طول أسفارهم ما خفَّ وزنه وغلا ثمنه. وهو ما يتوفر في الرقيق وليس في الدقيق. كما أنه من المعروف أن هذه المدينة تقع في بلاد السلاف التي كانت مصدراً مهماً من مصادر الرقيق.

(4) مالك ابن أنس، وآخرون، المدونة، م4، جـ10، ص311-312، ابن فرحون، تبصرة الحكام، جـ2، ص74-75؛ ابن سلمون الكناني، العقد المنظم، ص216.

(5) أرسلان، الحلل السندسية، جـ1، ص46.

(6) صورة الأرض، ق1، ص106.

وكان اليهود يجرون عملية الخصي في معظم الأحيان في مكانين رئيسين، الأول في مدينة فيردون (VERDUN) من بلاد الغال، وهي مدينة مشهورة بسوق رقيقها. والثاني في مدينة أليسانة[1]. وقد أشار المقدسي إلى هذه المدينة عندما قال: "وأمَّا الصقالبة فإنهم يحملون إلى مدينة خلف بجانة أهلها يهود فيخصونهم"[2]. ويشير المقري إلى أنَّ عملية الخصي كانت تتم على أيدي اليهود في أماكن أخرى، حيث يقول: "وتخصيهم للفرنجةِ يهود ذمَّتهم الذين بأرضهم، وفي ثغر المسلمين المتصل بهم، فيُحمل خصيانهم من هنالك إلى سائر البلاد"[3].

والجدير بالذكر أن بعضاً من يهود الأندلس هم الذين عملوا في مجال التجارة، وأنّ بقيتهم قد مارسوا أعمالاً أخرى زراعية ومهنية.

والظاهر أن الغنى الذي تحدث عنه الإدريسي عندما وصف يهود أليسانة قد جاء من خلال كثرة التجار بينهم في هذه المدينة.

وأعتقد أنَّ لقوانين الشريعة الإسلامية التي طُبِّقت في الأندلس، فوفَّرت لأهل الذِّمّة قدراً كبيراً من الحقوق، كحرية البيع والشراء والتنقل، وحمت أموالهم ودماءهم، أثرٌ كبيرٌ في إنجاحِ تجارة اليهود. وعن ذلك يقول جوايتاين: "إنَّ القدر الهائل من حرية الحركة الذي تمتَّع به اليهود، الذي عكست لنا صورته جنيزة القاهرة، كان من المستحيل أن يتحقق مالم يكن لهم وضع قانوني، ومالم يسمح بذلك مناخ السياسة العامة"[4].

---

(1) صورة الأرض، جـ1، ص46؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.289.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص232.

(3) المقري، نفح الطيب، م1، ص145.

(4) جوايتاين، دراسات، ص212-213.

ثانياً: الزراعة

اشتغل يهود الأندلس بالزراعة قبل الفتح الإسلامي للأندلس، وامتلكوا أراضٍ زراعية، تولّوا زراعتها بأنفسهم، كما عمل بعضهم إداريين في إقطاعات النبلاء القوط[1].

وبسبب الضغوط التي مارسها القوط الكاثوليك على اليهود، كان وضعهم في نهاية عهدهم في غاية الصعوبة، إذ جُرِّدوا من أملاكهم، وعملوا عبيداً في المزارع والحقول التابعة للقوط[2].

وعندما فتح المسلمون الأندلس أعطوا لليهود بعض ممتلكات وبيوت القوط الهاربين[3]، لكنَّ ذلك لم يُعِد إلى القطاع الزراعي إلا عدداً قليلاً منهم، إذ حصل الفاتحون الأوائل على معظم الأراضي الزراعية، بعد أن قُسِّمت أربعة أخماسها بينهم، وبقي خمسٌ واحد في يدِ الدولة تنفِق منه على مصالح المسلمين وفقرائهم. ومما يدل على ذلك التقسيم، رواية ابن عذاري التي يقول فيها: "ثمَّ ولّى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- السمح بن مالك على الأندلس، وأمره أن يحمل الناس على طريق الحق، ولايعدل بهم عن منهج

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.266.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.266; LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.26.

(3) ذكر ذلك آشتور. لكنه لم يرجع ذلك إلى مصادر معينة، ولم يأتِ بأدِلَّة تثبت قوله. وأرى صحة هذا القول والدليل عليه عندي أن المصادر الإسلامية ذكرت أنَّ المسلمين اعتادوا عند فتحهم للمدن الأندلسية على نقل اليهود إلى قصباتها وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً. ومن غير المعقول أن ينقلوهم إليها دون أن يقدّموا إليهم بيوتاً يسكنون فيها، وهي على ما أعتقد من البيوت الفارغة التي فرَّ عنها أصحابها.

ينظر رأي آشتور: ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.16, 266.

الرفق، وأن يُخمِّسَ ما غلب عليه من أرضها وعقارها"[1]. وقوله: "وفـــي ســـنة 101هــ ورد كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على السمح بـــن مالـــك بالأندلس... ويأمره بإخراج خمس قرطبة، فخرَّج منه الخُمُس البطحاء المعروفة بالربض، فأمر الخليفة عمر أن يتخذ بها مقبرة للمسلمين، فتم ذلك"[2].

ولم يستطع اليهود أن يحصلوا على أراضٍ زراعيـــة يمارســـون فيهـــا الزراعة، لأنه لم يكن هناك فائض في الأراضي يمكن أن يُعطى لهم، يدلُّ على ذلك الفتن التي وقعت في الأندلس في وقتٍ مبكر بسبب الصراع علـــى الأرض بين المستقرِّين الأوائل من المسلمين، والمسلمين الذين قدموا إلى الأندلس مـــن الشام سنة (122هــ=739م)[3]، بأمرٍ من هشام بن عبد الملك[4] لـــ"سدِّ إفريقيـــا وضبطها"[5].

وعندما قدم أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي والياً على الأندلس سنة (125هــ=742م)، واجتمع عليه أهل الأندلس، لم يجد في مدنها أرضاً فائـــضة يعطيها لهم، ولذلك اضطَّر إلى إعطائهم من الأراضي والأموال التي كانت فـــي يدِ العجم. يقول ابن الأبار أن أبا الخطار "لم يقدِّم في ولايته الأندلس شيءاً على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبين على البلد عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تحملهم... وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة، وبقي العـــرب البلديون من الجند الأُوَل على ما بأيديهم من أموالهم، لم يعرض لهم في شـــيء منها"[6]. ويقول ابن عذاري: "وفرَّق أهل الشام على الكُوَر، ونظر لسواهم أيضاً

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، جــ2، ص26.

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، جــ2، ص26.

[3] مجهول، أخبار مجموعة، ص42-49؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جــ2، ص31-32.

[4] مجهول، أخبار مجموعة، ص36؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جــ2، ص30.

[5] ابن عذاري، البيان المغرب، جــ2، ص30.

[6] ابن الأبار، الحلّة السيراء، جــ1، ص61-63.

بأحسن النظر، فأنزل أهل دمشق بإلبيرة، وأهل الأردن بَرية، وأهــل فلــسطين بشذونة، وأهل حمص بإشبيلية، وأهل قنسرين بجيان، وأهــل مــصر بباجـــة، وبعضهم بتدمير. وكان إنزالهم على أموال العجم من أرضٍ ونَعَم"[1].

كما أنَّ خروج اليهود مرهقون ماديّاً من حكم القوط لم يمكّنهم من شــراءِ أراضٍ زراعية يتولُّون زراعتها. وقد تغير هذا الوضع قليلاً في القرن الثالــث الهجري/التاسع الميلادي، حيث أدّت التمرُّدات في العديد من مناطق الأنــدلس[2] إلى تغيير في ملكية الأراضي الزراعية، فقد سيطر المتمــردون علـــى معظــم أراضي الخمس الخاصة بالدولة، وفقد كثيرٌ من أصــحابِ الأمـــلاك الواســعة أملاكهم، وخشي آخرون على أراضيهم فأخذوا يعرضونها للبيعِ بسعرٍ زهيــد، وكان ذلك واضحاً في جنوبي الأندلس، وإضافة إلى ذلك فإن تقسيم الأراضـــي بين الورثة على أساس أحكام الشريع الإسلامية، قد أدَّى بمـــرور الوقـــت إلـــى ظهور إقطاعيات صغيرة، وقد أدَّى ذلك كلّه إلى قدرة اليهود على الحصول على الأراضي عن طريق الشراء[3]. كما أنَّ اشتغال قسم من اليهود في عــددٍ مـــن المجالات المربحة كالتجارة والصناعة، جعل بعضهم أغنياء، ومكنهم من شراء الأراضي. وقد ساعد اليهود على زراعة أراضيهم تدفق المهاجرين اليهود مـــن الشمال الأفريقي إلى الأندلس، وكون معظم المهاجرين اليهود من الفقراء الـــذين شكلوا عمالة زراعية رخيصة[4].

وتُظهر بعض النوازل التي وردت إلى كلٍّ من فقهاء المسلمين وأحبـــار اليهود امتلاك البعض من يهود الأندلس البساتين والأراضي الزراعيـــة. ومـــن

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، جـــ2، ص33.

(2) عن هذه التمردات وآثاراها. ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب، جـــ2، ص102-192.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P. 266-267.

(4) IBID,VOL.1, P.267.

ذلك، السؤال الذي وجّه إلى ابن سهل الأندلسي الذي نصّه: "الجواب –رضي الله عنك– في مسلمٍ اشترى جناناً من يهوديين"[1]. وقول ابن سهل أيضاً: "سئلتُ عن يهودي حبس على ابنته فلانة البكر في حجره وولاية نظره جميع القلعة التي بموضع كذا وحدّها كذا، ونصف القلعة التي بموضعٍ كذا، وحدَّها كذا..."[2].
ووجِّه سؤال إلى الحبر موسى بن حنوخ جاء فيه أنَّ يعقوب تزوَّج ليَّا (LEAH) ، وأنها أنجبت له بنات، وتزوَّج في وقت لاحق من راحيل فأنجبت له البنين، وقد وهبت له راحيل عقاراً دون أيّ تقدير لقيمته، ولاحقاً قام ببيع تلك الأرض، وعوض راحيل عنها بعقارٍ آخر كان يملكه، وكتب لها صكّاً لتوثيق هذه التغييرات، وبعدها قدم يعقوب لبناته من ليا عند زواجهنَّ الأرض التي صارت ملكاً لراحيل، كما قدَّم لزوجته ليا أرضاً عن متأخِّر مهرها، وهو لم يعطِ لابنه بنيامين أرضاً من أملاكه، بل من أملاكِ راحيل[3].ويظهر تساؤل آخر يهودياً عجز عن تسديد دينه ليهودي آخر فقدَّم إليه مزرعة الكروم التي يمتلكها كرهن، إلى أن يسدِّدَ دينه من محصولها[4]. وتبيِّن هذه التساؤلات أنَّ العديد من المزارعين اليهود كانوا لا يمتلكون غير الأراضي الزراعية لتوريثها لأبنائهم[5].

وقد مكنتنا ردرد الأحبار في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين من الحصول على معلومات تتحدث عن نشاط زراعي ليهود

---

[1] ابن سهل الأندلسي، الأحكام الكبرى، ص65.

[2] م.ن، ص68؛ قارن: الونشريسي، المعيار، جـ7، ص59-60.

[3] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.268.

نقلاً عن: TSHUBHOT GONE MIZRAH U-MAARABH, ED, J,MULLER, BERLIN, 1888, NO.175 .

[4] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, 268.

نقلاً عن: TSHUBHOT , NO.201.

[5] IBID,VOL.1, P.268.

الأندلس، ومن ذلك أنهم مارسوا حراثة الأرض، وأنهم زرعوا الحبوب وأشجار الفاكهة وكروم العنب، وأنَّ الفقراء منهم كانوا يعملون عمالاً في مزارع وحقول الأغنياء. إذ ورد سؤال يتعلق بيهودي اقترض مالاً، وعندما عجز عن تسديده، اتفق مع المقرض أن يسقط عنه الدين مقابل العمل في كرومه[1].

وورد سؤالٌ من يهود الأندلس في منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى الجاؤون نطروناي بن هيلاي في العراق يطالبون فيه بالسماح لهم بتقليم كرومهم في أيام عيد الفصح بأيديهم أو بأيدي عمالٍ من غير اليهود، وذلك لأن هذه الأيام التي يمنع فيها العمل تعدُّ أنسب أوقات لتقليم الكروم في الأندلس، وقد أفتى لهم نطروناي بجوازِ ذلك[2].

وأعتقد أنه من الأسباب التي جعلت يهود الأندلس يولون الزراعة شيءاً من الاهتمام، وجعلتهم يختلفون عن الكثير من يهود العالم، الذين كانوا يجهلون الزراعة، ولا يهتمون بها:

1- كان امتلاك الجنان والبساتين إحدى مظاهر الغنى عند أمراء المسلمين وأثريائهم في الأندلس، وكان سكان الأندلس غير المسلمين يحرصون على تقليد المسلمين باعتبارهم سادة البلاد، وعندما حقق بعض اليهود الغنى عن طريق التجارة قاموا بشراء بعض البساتين، وكان من الطبيعي أن يهتموا بأشجارها حتى لا تتلف، وتفقد بساتينهم قيمتها.

2- إنَّ كثرة اليهود في الأندلس، واختلافِ قدراتهم، وثقافاتهم جعلهم يتوزعون بين مختلف فروع النشاط الاقتصادي، فكان منهم من عمل بالزراعة.

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.270.
نقلاً عن: TSHUBHOT , NO.197-198.
(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.270.

3- إنَّ التواجد الطويل لعدد كبير من اليهود في أرضٍ خصبة كثيــرة الأنهــار والأمطار كأرض الأندلس دفع بعضهم إلى ممارسة الزراعة.

4- أعطتِ الشريعة الإسلامية التي عمل بها في الأندلس لليهود الذّميين، حــقّ التملُّك، وحق ممارسة كل فروع النشاط الاقتصادي، وضمنت لهم حماية أموالهم وأملاكهم، وقد شجع ذلك اليهود على امــتلاك بعــض الأراضـــي والبــساتين وزراعتها.

ثالثاً: الصناعة والمهن الأخرى

اشتهرت الأندلس في ظل الحكم الإسلامي، بجودة وتطور صناعاتها، فقد أبدع المهندسون والحرفيون المسلمون، وطوَّروا وابتكروا، فخرجت من تحــت أيديهم أروع المنتجات، وأعجب المبتكرات، حتــى ذاع صــيتهم[1]. وتــسابق الأثرياء في مختلف أرجاء العالم على شراء صنائعهم[2].

وقد نقل المقري عن ابن حزم شهادة له في ذلك حيث يقــول: "إنَّ أهــل الأندلس صينيون في إتقان الصنائع العملية، وإحكام المهن الصّورية"[3]، كما نقل عن ابن غالب قوله في أهل الأندلس: "وهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال، ومقاساة النَّصب في تحسين الصنائع"[4]، وقوله: "ومتى دخلــوا في شغلٍ عملوه في أقرب مُدَّة، وأفرغوا فيه مــن أنــواع الخدمــة والتجويــد، مايميلون به النفوس إليهم، ويصيرُ الذكر لهم... ولا يدفع هذا عنهم إلا جاهل أو

---

(1) الإصطخري، المسالك والممالك، ص35؛ ياقوت، معجم البلدان، م1، ص245؛ المقــري، نفــح الطيب، م1، ص206-207؛ م3، ص374؛ الحميري، الروض، 127، 202؛ أرسلان، الحلــل السندسية، جـــ1، ص239-240.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.272.

ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص240-241.

(3) المقري، نفح الطيب، م 3، ص151.

(4) م.ن، م3، ص151.

مبطل"[1]. ومما يدلُّ أيضاً على شهرة الصناع المسلمين في الأندلس أنَّ خلفاء بني عبد المؤمن الموحدين اعتمدوا عليهم في تطوير مدينة مراكش إذ ينقل المقري عن ابن سعيد قوله: "إنَّ حضرة مراكش هي بغداد المغرب، وهي أعظم ما في برِّ العدوة، وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها إنما ظهرت في مَّدةِ بني عبد المؤمن، وكانوا يجلبون لها صناع الأندلس من جزيرتهم، وذلك مشهور معلومٌ إلى الآن"[2].

كما عمرت مدينة تونس وتطورَّت في عهد سلطانها يحيى بن أبي محمد بن أبي حفص، وأصبحت شبيهة بالأندلس، عندما جلب إليها ذلك السلطان الصناع من الأندلس، "ووجوه صنائع دولته لا تكاد تجدهم إلا من الأندلس"[3].

ومن أسباب التقدُّم الصناعي في الأندلس أنَّ حكامها هيأوا للصناعة أسباب النجاح، فشجعوا الصناع، وأقاموا المناطق الصناعية، ومن ذلك دار الصناعة التي بناها وأتقن بناءها الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (300-350هـ=912-961م) في الجزيرة الخضراء[4]، ودار صناعة الحديد، ودار صناعة السفن التي أقيمت في شلطيش قرب مدينة لبلة[5]، ودار الصناعة في طرطوشة[6].

في هذه البيئة، وبين الصناع المسلمين المبدعين، عاش يهود الأندلس قروناً عِدَّة. ويبدو أنهم حاولوا تقليد المسلمين في الصناعات المتميزة لكنهم فشلوا في ذلك بسبب كفاءة الصناع المسلمين، وقدرتهم على المنافسة. ويقدم المقري

---

[1] المقري، نفح الطيب، م3، ص152.

[2] المقري، نفح الطيب، م3، ص152-153.

[3] م.ن، م3، ص152-153.

[4] الحميري، الروض، ص223.

[5] م.ن، ص344.

[6] م.ن، ص391.

رواية تبين كيف أبدع عبد الرحمن الزرقال البيلتان اللتان عُدَّتا من غرائب الأندلس، وكيف حاول يهوديّ أن يسرق سرَّهما. وهما حوضان في جوف النهر الأعظم بطليطلة، "يمتلئان وينحسران مع زيادة القمر ونقصانه. وذلك أنَّ أول انهلال الهلال يخرج مِنهما يسير ماء، فإذا أصبح كان فيهما ربع سبعهما من الماء، فإذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع، ولايزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة أيام وسبعة ليال، فيكون فيهما نصفها، ولاتزالُ كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر، فإذا كان في ليلة خمسة عشر وأخذ القمر في النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يومٍ وليلة نصف سبع، حتى يتم القمر واحداً وعشرين يوماً، فينقص منهما نصفهما، ولايزال كذلك ينقص في كل يومٍ وليلة نصف سبع، فإذا كان تسعة وعشرون من الشهر لايبقى فيهما شيء من الماء، وإذا تكلَّف أحدٌ حين تنقصان أن يملأهما، وجلب لهما الماء ابتلعتا ذلك من جنبهما حتى لا يبقى فيهما إلا ما كان فيهما في تلك الساعة، وكذا لو تكلَّف عند امتلائهما إفراغهما ولم يبق فيهما شيءاً ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملؤهما في الحين". وقد فسدت حركة البيلتين بعد سقوط طليطلة في يد ألفونسو، وقيل إنَّ سبب فسادهما أن حنين بن ربوة اليهودي المنجم"أراد أن يكشف حركة البيلتين فقال له: أيها الملك، أنا أقلعهما وأردهما أحسن مما كانتا، وذلك أني أجعلهما تمتلئان بالنهار وتنحسران في الليل، فلما قلعت لم يقدر على ردِّها، وقيل: إنه قلع واحدة ليسرق منها الصنعة فبطلت، ولم تزل الأخرى تعطي حركتها"[1].

ولم يفلح يهود الأندلس إلا في الصناعات والمهن التي زهد فيها المسلمون، وذلك كصياغة الذهب والفضة، حيث يشير أحد الأمثال الأندلسية إلى

---

[1] المقري، نفح الطيب، م1، ص206-207.

أنّ معظم الصاغة كانوا من اليهود، وإذا تعامل مسلم بهذه الحرفة احتقره الناس وازدروه[1].

وقد اهتم اليهود بالصياغة في الأندلس، حتى وصلت في القــرن الرابــع الهجري/العاشر الميلادي إلى مستوى جلب لمنتجاتها شهرة كبيرة[2].

واهتموا كذلك بالدباغة والصباغة، وتدل أسماء شوارع الأحياء اليهودية القديمة في مدن الأندلس على ممارسة يهود الأندلس لهاتين المهنتين. ففي الحارة اليهودية في إشبيلية، هناك إلى الآن ساحتان تعرفان باسم: "موقــع الــدباغين"، وهما بلازا دي لوس كورتيدوز (PLAZA DE LOS CURTIDORES)، وبلازا دي لوس زورادورس (PLAZA DE LOS ZURADORES) [3].

ومن الملاحظ أنّ هاتين الساحتين تقعان بالقرب من المكان الذي كــان يقوم عليه سور المدينة، مثلما هي العادة في المدن الأندلسية خــلال العــصور الوسطى، حيث اعتادت السلطات أن تضنع الصناعات القذرة في مكان بعيد عن قلب المدينة[4]. ويعرف أحد شوارع الحي اليهودي فــي إشــبيلية حــت اليــوم بــــ"شــارع الــصباغين" كــالي دي لــوس تنــتس (CALLE DE LOS TINTES)[5]. كما تدل أسماء الشوارع في الحي اليهودي في سرقسطة، علــى

---

[1] الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد، أمثال العوام في الأندلس، حققها ونــشرها: محمــد بــن شريفة، ق1، (1975م)، ص216.

[2] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.274.

[3] IBID, VOL.1, P.273.

نقلاً عــن: GONZALEZ DE LEON, NOTICIA HISTORICA DEL ORIGEN DE LOS NOMBERS DE LAS CALLES DE SEVILLA (SEVILLE, 1839), P.95, 145-146.

[4] IBID, VOL.1, P.273.

[5] IBID, VOL.1, P.274.

أنه في تلك الطائفة اليهودية الكبيرة كان هناك عدد كبير من الصباغين والدباغين[1].

وعمل يهود الأندلس في الخياطة والنسيج والأقمشة والدلالة في الأسواق، وفي نسخ الكتب وتجليدها، وأساكفة، وحمالين وكيالين[2]، وفي صناعة الخمور[3].

ويلاحظ أن اليهود امتهنوا العمل في مجال تصنيع الأحذية وإصلاحها في العديد من المدن الأندلسية وخصوصاً في سرقسطة[4]، ومن بين أسماء اليهود من مدينة ليون في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يظهر اسم عائلة أشخافا (ASHKHAFA) التي تعني بالعربية "الإسكافي". ولدينا حالة تدل على أن يهودياً أندلسياً كان يرتزق من هذه المهنة، وقد هاجر إلى المملكة النصرانية في الشمال الأسباني[5]. كما تشير إحدى وثائق جنيزة

---

(1) ASHTOT, THE JEWS, VOL.1, P.274.

(2) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص418؛ ابن الأحمر، إسماعيل، بيوتات، فاس الكبرى، (الرباط، دار المنصور، 1973م)، ص24؛ الحميري، الروض المعطار، ص44؛ الزغول، جهاد غالب، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الأردنية –قسم التاريخ، 1994م، ص90؛ عبد العزيز، هشام فوزي، يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي، مجلة دراسات أندلسية، تونس، ع15، رمضان، 1416هـ–1996م، ص102.

(3) ابن عمر، يحيى، أحكام السوق، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، راجعه وأعده للنشر: فرحات الدشراوي، (تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1975م)، ص96.

(4) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.274.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.274.

القاهرة، إلى أنّ يهودياً أندلسياً كان يعمل إسكافياً في الأندلس، ثم هــاجر إلـــى مصر ومارس مهنته فيها[1].

وعند التأمل في صناعات اليهود ومهنهم نجد ان معظمها بسيطة، ومن النوع الوضيع الذي ترفّع المسلمون عنه، وقد بلغ ترفع مسلمي الأندلس عن هذه الصناعات والمهن حداً جعل بعض الفقهاء يفتون برد شهادة من يتحرّف بها من المسلمين، حيث يقول ابن فرحون أنه لا تجوز شهادة من "يتحــرّف بـــالحرف الدنيئة اختياراً، ويكون ممن لا يليق به ذلك، كدباغة وحجامةٍ وحياكة، وكناسة، فأما أربابها وفاعلها مضطراً فلا يقدح فيه[2].

ويقول ابن عبدون: "ويجب أن لا يحك مسلم يهودي، ولا النصراني، ولا يرمي زبله، ولا ينقي كنيفه: فاليهودي والنصراني كانوا أولى بهذه الصّنع، لأنها صنع الأرذلين"[3].

ولا يعني ذلك أن هذه المهن كانت حكراً على اليهــود، فهنـــاك إشارات مختلفة إلى أنّ عدداً من المسلمين قد عملوا بها[4].

---

(1) جوايتاين، دراسات، ص172.

(2) تبصرة، الحكام، جـــ2، ص179.

(3) رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص48.

(4) ابن فرحون، تبصرة الأحكام، جـــ2، ص238-239، 241، 245، 265؛ الشنتريني، الذخيرة، ق2، م1، ص210.



الفصل السادس

الحياة الثقافية لليهود في الأندلس

المبحث الأول: التربية والتعليم عند يهود الأندلس.

المبحث الثاني: النشاط اللغوي والأدبي لليهود في الأندلس.

المبحث الثالث: النشاط الفكري والعلمي لليهود في الأندلس.

المبحث الأول

التربية والتعليم عند يهود الأندلس

عاش اليهود في الأندلس داخل المجتمع الإسلامي المتميز بشدة إقبال أبنائه على العلم والتعلم[1]، والذي لم يقتصر التعليم بين أفراده على فئة معينة، أو على أبناء المدن الكبرى، وإنما شمل معظم أفراد المجتمع، ووصل إلى جميع أرجاء الأندلس، يؤكد ذلك العذري، وهو يتحدث عن مدينة شلب، حيث يقول: "قل أن يرى من أهل شلب من لا يقول شعراً، و لا يتعانى الأدب، ولو مررت بالحراث خلف فدانه، وسألته الشعر لقرض في ساعته، أي معنى اقترحت عليه، وأي معنى طلبت منه صحيحاً"[2].

وكان من الطبعي أن يتأثر يهود الأندلس بهذا المجتمع الذي كان أفراده إما عالم أو متعلم، ويقلدوه في الإقبال على العلم[3]، بعد أن عاشوا قروناً في هذه البلاد قبل مجيئ المسلمين، بعيداً عن جميع العلوم والآداب، ودون أن يبرز منهم عالم واحد، وحتى القلائل المتعلمون لا يعرفون إلا العلوم الدينية التي يتناقلونها منذ قرون عدة دون زيادات أو إضافات تذكر عليها[4].

---

(1) ينظر: ابن حزم الأندلسي، رسالة أبي محمد بن حزم في فضائل الأندلس، نشرها وقدم لها: صلاح الدين المنجد، تحت عنوان: فضائل الأندلس وأهلها لابن حزم، وابن سعيد، والشقندي، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـ-1968م)، ص8؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص236؛ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص40، 114؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص374.

(2) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، 1969م)، ص541.

(3) جوايتاين، دراسات، ص155.

(4) الفت، جلال، الأدب العبري القديم والوسيط، ص130.

اتخذ يهود الأندلس بيعهم مدارس لتدريس أبنائهم الصغار، مثلما فعل المسلمون الذين كانوا يعقدون دروس العلم في المساجد، وكانت الدروس في هذه البيع تعقد في مصلى البيعة أو في غرفة جانبية داخلها. وكان تعليم الصغار في هذه البيع يتم على حساب الطائفة، أما أبناء الأثرياء فإن تعليمهم كان في مدارس خاصة، وهذه المدارس هي بيوت المعلمين الذين يتقاضون على تعليمهم أجوراً يدفعها لهم الآباء شهرياً[1]، ومثلما يفعل المسلمون، دفع الآباء اليهود إلى معلمي أبنائهم جزءاً من رواتبهم نقداً، بينما دفعوا الجزء الآخر على شكل سلع، وإضافةً إلى الأجور المحددة فإن آباء الطلاب كانوا يقدمون الهدايا للمعلمين في الأعياد اليهودية حسب قدراتهم المادية[2].

وكان تعليم أطفال اليهود في الأندلس يبدأ عندما يبلغ الطفل سن السادسة، وذلك عملاً بتوجيهات قدماء الأحبار، ولكن الأطفال النبهاء كانوا يُرسلون إلى المدارس الخاصة قبل بلوغهم ذلك العمر[3].

وحسب العُرف السَّائد بين اليهود مُنذُ القِدم، كان أبناء اليهود في الأندلس يتعلّمون أولاً القراءة والكتابة[4]؛ وكانت الطريقةُ التي يتَّبعُها المُعلمون تعتمدُ على تمرينهم على كتابة كلمات كاملة على ألواح خشبيَّة صغيرة، وبعد تعلم الكتابة والقراءة يتجهُ الطالب لدراسة التوراة مباشرة[5].

---

(1) الكواتي، اليهود في المغرب، ص157؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.91.
ينظر: جوايتاين، دراسات، ص155.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.91.

(3) IBID, VOL.3, P.92, 269.

(4) ASHTOR , THE JEWS, VOL.3, P.92-93.
ينظر: جوايتاين، دراسات، ص147-148.

(5) IBID, VOL.3, P.92-93;

وعلى ما يبدو فإنَّ هذه المرحلة من التعليم مستمدة مــن نُظــم التربيــة الإسلامية التي تبدأ بتعليم الولدان القرآن الكريم[1]، لأنه كما يقول ابن خلــدون: "أصلُ التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات. وسبب ذلك أنَّ تعليم الصّغر أشدَّ رسوخاً وهو أصلٌ لما بعده"[2].

وكان أولاد يهود الأندلس ينتقلون إلى مرحلة تعليم أعلا عندما يبلغــون سن العاشرة، حيث يدرسون ما يعرف عندهم بالشريعة الــشفوية، وفــي هــذه المرحلة كان النابهون من الأولاد يُعَلَّمونَ أيضاً اللغة العبرية، وكانــت طريقــة التعليم تعتمد على قراءة نصوص من أعمال أدبية وشعرية لكتاب وشعراء مــن يهود الأندلس، وقد أخذ المعلمون اليهود هذه الطريقة عن معلمي اللغة العربيــة المسلمين[3]، ومع وجود الاهتمام بتعليم اللغة العبرية، ووجود عَدد لا بأس به من المثقفين الذين يجيدون تلك اللغة، إلا أن اللّغة السائدة بين يهود الأندلس، كانــت اللغة العربية.

وقد تذَمَر سليمان بن جابيرول وموسى بن جقطلة من الافتقار إلى المعرفة باللغة العبرية بين اليهود الأندلسيين، وأكد ابن جقطلة أنهً على العكس من ذلــك فــإن يهود جنوب فرنسا يعرفون العبرية جيداً، بل وحتى إنهم معتادون على التحّــدث بها، وكان سليمان بن يوسف بن يعقوب الطبيب السرقسطي الذي قام بترجمــة تفسير موسى بن ميمون للميشنا من العربية إلى العبرية في أواخر القرن السابع الهجري، قد أظهر غيظه من علماء يهود الأندلس في أواخر القرن الرابع وفــي

---

(1) ينظر: القابسي، علي بن محمد بن خلف الأندلسي القيرواني، الرســالة المفــصلة لأحــوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، "نشرها الأهواني ضــمن كتابــه: التعلــيم فــي رأي القابسي"، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1342هــ، 1940م)، ص264-283.

(2) ابن خلدون، العبر، جــ2، ص1038.

(3) ATHOTR , THE JEWS, VOL.3, P.94-95.

القرن الخامس الهجريين، الذين كانوا جميعاً يكتبون ملاحظاتهم وردودهم باللغة العربية، بحجة أنها اللغة التي يفهمها جميع اليهود[1].

وكان الطلاب في هذه المرحلة أيضاً يدرسون اللُّغة العربيـــة، وكانــت القراءات المتكرِّرة للأشعار العربية تُعَدُّ طريقة جيدة للتعليم، وفي أغلب الأحيان كان الطلاب اليهود يدرسون اللغة العربية في حلقات الأساتذة المسلمين[2].

وسبب اهتمام اليهود بتعليم أولادهم اللغة العربية يرجع إلى أنهـا لغــة العلم والثقافة في الأندلس، ومن لا يتقنها، لا يستطيع أن يأخذ حظه مــن علــوم المسلمين. كما أنه سيعجز عن الدراسة في المعاهد اليهودية في الأنــدلس التــي أصبحت الدراسة فيها باللغة العربية منذ عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الذي أصدر أمراً بذلك.

ودراسة التلمود هي أعلى مرحلة في التَّعليم، وهي موجهة أساساً إلــى المثقفين ثقافةً عاليةً[3]. وكان الأولاد المنتظمون في الدراسة يصلون إلى دراسة التلمود عندما يبلغون الثالثة عشرة من العمر. وتستمر دراستهم له مُــدة ثــلاث سنوات، ينتقلون بعدها إلى دراسة المسائل الفقهية بعمق أكبر[4].

وكان التعليم عند يهود الأندلس مقتصرٌ في كلّ مراحلــه علــى الأولاد فقط، أما الفتيات فقد كنَّ يتعلّمن الغزل وبقية صنوف العمل المنزلي في بيوتهنَّ على أيدي أمهاتهنَّ[5]. وتُظهر وثائق الجنيزة التي تُعبّر عــن أوضــاع يهــود العصور الوسطى، في منطقة البحر الأبيض المتوسَّط وجود القليل من المدارس

---

(1) IBID ,VOL.3,P.100.

(2) ASHTOR , THE JEWS.VOL.3, P.95.

(3) جوايتاين، دراسات، ص117، الكواتي، اليهود في المغرب، ص155.

(4) ASHTOR , THE JEWS ,VOL.3,P.95.

(5) الكواتي، اليهود في المغرب، ص156؛ ATHOTR , THE JEWS, VOL.3,P.93.

الخاصة بالبنات، وأن المعلّمين في هذه المدارس كانوا من العميان أو من النسَّاء المتخصصات[1]، وباختصار فإنَّ تعليم الفتيات كان سطحيّ وضئيل[2].

إنَّ مستوى المدارس اليهودية التلمودية في الأندلس، وقابليتها لاجتـذاب الطلاب كانت تختلفُ باختلافِ مستوى المعلَّمين العاملين فيها. وفي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي كانت مدرسة التلمود في أليسانه هي المدرسة التلمودية الأفضل في الأندلس، ولكن في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وبعد وصول الحبر موسى بن حنوخ إلى الأندلس تفوقت عليها مدرسة قرطبة. وصارت المدرسة التلمودية الأقدر على اجتذاب الطلاب اليهود في الأندلس، وذلك بسبب جهود حسداي بن شبروط وموسى بن حنوخ في تطويرها.

وفي النصف الأول من القرن الخامس الهجري/منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، كانت هناك مدارس تلمودية في عدد من مدن الأندلس، وقد كرَّس طلاَّبها أنفسهم للدراسة باجتهاد وحماس للتعليم. وقام شاعر يهوديً أندلسيً في ذلك العصر بتصوير طريقة دراستهم وضجيجِ أصواتهم وحركاتهم أثناء الدراسةِ ومناقشاتهم بطريقة ساخرة[3].

كانت الدراسة في مدارس التلمود الأندلسية تختلفُ نوعاً ما عن تلك المدارس المشابهة في دول أخرى، وكان معلمو التلمود في الأندلس مشهورين بحسن طرقهم في التدريس، فبدلاً من إرهاق الطلاب وتشتيتهم بالمناقشات الخلافية الكثيرة بين العلماء، اعتمدوا على تدريسهم ردود أحبار العراق، التي كانت تصلهم باستمرار، والتي تميزَّت بالوضوح، وكانت دراسة الرَّدود تشكِّلُ

---

(1) جوايتاين، ص177.

(2) ASHTOR , THE JEWS, VOL.3, P.93.

(3) ASHTOR , THE JEWS, VOL.3, P.96.

موضوعاً رئيساً للدراسة في مدارس الأندلس التلمودية، وكان لردود الحبر حيّ مكانة خاصة. وكانت كتابات الحبر حنانيل تُقرأ أيضاً بشكل كبير[1].

ولم يكتف بعض الطلاب اليهود بالتعلم الديني داخل الأندلس، بل غادروها لتتلمذ على أيدي أحبار مشهورين يقيمون في بلدان أخرى، وكان غيابهم يستغرق سنوات عدة في بعض الأحيان، ومن الأحبار الذين توجه إليهم بعض الطلاب اليهود الأندلسيين الحبر رابينو غيرشون (RABBĒNŪ GERSHŌM) الذي كان يقيم في ألمانيا[2].

وأعتقد أن الطلاب اليهود قد أخذوا هذه العادة عن الطلاب المسلمين، الذين كانوا يرتحلون من بلد إلى آخر، للأخذ عن كبار العلماء.

وكان الطُلاَّب اليهود ذوي الميول نحو العلوم والأدب، يدرسون على أيدي معلمين مسلمين. ومن هؤلاء اليهود إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي، الذي تلَّقى قواعد اللغة العربية على أيدي الأساتذة المسلمين أمثال أبي علي الشلوبين، وأبي الحسن الدباج، واصبح شاعراً وباللغة العربية بارعاً. وكان الطلاب اليهود يجلسون في حلقاتِ العلمِ جنباً إلى جنب مع الطلاَّبِ المسلمين[3]. ويفاخرون بمعرفهم بالنحو العربي، ويحرصون على إظهار قدراتهم فيه، يلاحظ ذلك في كثير من أشعار إبراهيم بن سهل، مثل قوله :

---

(1) IBID, VOL.3, P.96.

نقلاً عن: RESPONSA IBN MIGASH, RESPONSA ALFASI.NO.294, NO.112;

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.96-97;

نقلاً عن:

IBN AKNIN, TIBB AL-NUFUS, NO.52; SEFER HA-MAFTEAH, (VEINNA, 1847). FOLIO 25A.

(3) المقري، نفخ الطيب، م2، ص307، الجالي، محروس، أبو نواس الأندلس، ابن سهل الإسرائيلي، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1986م)، ص32-33.

أموســى أيــا بعــضي وكلــي حقيقــة وليس مجــازاً قــولي الكــلَّ والبعــضا
خفضتُ مكــاني إذ جَزَمــتُ وســائلي فكيفَ جمعتُ الجزمَ عِنديَ والخفضا[1]

وقوله :

تنــأى وتدنــــو والتــــفاتك واجـــدُ كالــفِعلِ يعــملُ ظــاهــراً ومــُقدَّرا[2]

وقوله :

وقرأنــا بــابَ المــــضافِ عناقــاً وَحَــذَفنا الرَّقــيَــبَ كالــتــنويــــنِ[3]

ويروي الشنتريني أنَّ الشاعر الأندلسي الشهير أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، كان أستاذاً ليهودي اسمه يوسف بــن إســحاق يعلمــه الــشعر والأدب[4].

وتُبيّنُ وثائق الجنيزة أنَّ المتعلّمين من اليهود لم يقصروا اطّلاعهم على الكتب الدينية فحسب، بل كانت لهم أيضاً اهتماماتهم الزائدة بالمواضيع العلميــة المختلفة، وخاصة في مجالِ الفلسفةِ والعلوم[5].

وكان موسى بن ميمون المتوفى في مصر سنة (605 هـــ=1204م) أحد الطلّاب اليهود الذين تلقوا علمهم في الأندلس، إذ يقول عنه ابن العبري: "وكــان قد قرأ عِلْمَ الأوائلِ بالأنــدلس، وأحكــم الرياضــيات، وقــرأ الطّــبَ هنــاك

---

[1] المقري، نفخ الطيب، م3، ص524.
[2] م. ن، م3، ص525.
[3] م. ن، م3، ص525.
[4] الذخيرة، ق1، م1، ص233-234.
[5] جوايتاين، دراسات، ص206.

فأجاده"[1].وذكر ابن سعيد أنّ إسحاق بن شمعون اليهودي القرطبي الذي كان أحد عجائب الزمان في الاقتدارِ على الألحان، كان تلميذاً لابن باجه[2].

وظلَّ الطلاب اليهود يتلقون مختلفَ العلوم على أيدي الأساتذة المسلمين الأكفاء،حتى في المدن الأندلسية التي كانت تقع في قبضةِ النصارى الأسبان، وعن ذلك يقولُ المقَّري: "وكان محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي من أعرفِ أهل الأندلس بالعلومِ القديمةِ :المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب، فيلسوفاً طبيباً ماهِراً، آية الله في المعرفةِ بالأندلس، يُقرئ الأمم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلّمها، ولمَّا تغلَّب طاغية الروم على مرسية، عرف له حقَّه، فبنى له مدرسةً يُقرئُ فيها المسلمين والنّصارى واليهود"[3]. وكان في بياسة سنة (553هـ=1158م) عالم غرناطيّ يدعى عبد الله بن سهل، يحضر دروسه جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود[4].

لقد نعِمَ الطلاب اليهود في الأندلس بخير كبير عندما تُرِكوا يتتلمذون على أيدي العلماء والأساتذة المسلمين الذين ذاع صيتهم، وبلغ حداً جعل الملك الأسباني ألفونس الكبير يستقدم عالمين مسلمين من قرطبة، ويعهد إليهما بتربية وتعليم ولده ووليّ عهده[5].

إنَّ عدد الطلاب الموهوبين الذين أكملوا دراستهم إلى مستوى عالٍ كان قليل جداً، إذ أنَّ معظم الطُلاَّب المنتظمين في الدراسة كانوا ينسحبون في أعمارٍ صغيرةٍ، ويتوجَّهون إلى أعمالٍ أخرى، ولاشَكَّ أن ما تَلَقَّوْهُ من تعليم خلال

---

(1) ابن العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، (بيروت، ط2، 1958م)، ص239-240.

(2) المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص127-128 (ترجمة رقم: 60).

(3) نفخ الطيب، م4، ص130.

(4) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص400.

(5) رينو، الفتوحات الإسلامية، ص268.

الانتظام السابق في الدراسة كان يفيدهم في حياتهم الدينية والعملية. وكثيراً ما يشعر الكبار الذين لم يأخذوا بحظ وافرٍ من التعليم في صغرهم بالحاجة إلى العلم وخصوصاً العلوم الدينية. فيترددون إلى البِيَعِ لحضور الدروس الدينية التي كانت تُعقد في ليالي السبت والاثنين والخميس[1]. وفي بعض الأحيان كان الرّاغبون في التعلّم من أولئك الرجال يعقدون اتفاقاً مع أحد العلماء ليقوم بتدريسهم مقابل أجرٍ مُعَيَّن وفي أحَدِ الأسئلة الموجهة إلى الأحبار في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، هناك ذكرٌ لاتّفاقٍ حصل بين خمسة رجال في إحدى الطوائف اليهودية في الأندلس، وبين معلّم جاءَ من بلدٍ آخر، وتَعَهَّدَ بإعطائهم الدروس في كلّ أيَّامِ الأسبوع[2].

وقد اهتم العلماء اليهود بالجانب النظري التربوي فناقشوا هذه المسألة في كتاباتهم ومؤلفاتهم، إذ تطرَّقَ موسى بن ميمون في كتابه "كتاب المعارف" للطرق التي يمكن بواسطتها دراسة الشريعة اليهودية[3].

وكتب الحبر يهودا بن صاموئيل بن عباس المعروف لدى المسلمين بأبي البقاء بن يحيى بن عباس المغربي الأندلسي[4] رسالة حولَ التعليم[5]. ويمكن أن نعرفَ الآراء التربوية لأبي البقاء من خلالِ ما سجله ابنه السموءل بن يحيى بن عباس في كتابه: "بذل المجهود في إفحام اليهود" الذي ألَّفه بعد أن أسلم، وكتابه "الباهِرُ في الجبر" الذي يقول فيه : "وشغلني أبي بالكتابة بالعلم العبري ثمَّ بعلوم التوراةِ وتفاسيرها، حتى إذا أحكمتُ علم ذلك عند كمال السنة الثالثة عشرة من

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.98.

جواتياين، دراسات، ص155.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.99.

(3) الكواتي، اليهود في المغرب، ص156.

(4) عن كونه أندلسي، ينظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص217.

(5) السموءل بن يحيى، بذل المجهود، ص4؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص217.

مولدي شغلني حينئذٍ بتعلُّمِ الحسابِ الهندي، وحل الزيجات عند الشيخ الأستاذ العالم أبي الحسن الدسكري. وقرأتُ عِلْمَ الطب على الفيلسوف أبي البركات هبة الله بن علي ... والتأمُّل في علاجِ الأمراض ومشاهدة ما ينفعُ من الأعمالِ الصناعية في الطب والعلاجات ... فأمَّا الحساب والربح فإني أحكمتُ علمهما ... حينما كمل بي أربع عشرة سنة"[1]. وفي كتابه "بذل المجهود في إفحام اليهود" يقول: "وقد كنتُ قبل اشتغالي بهذه العلوم، وذلك في السنة الثانية والثالثة عشرة معتنياً بالأخبار والحكايات، شديد الحرصِ على لإطّلاع على ما كان في الزّمن القديم، والمعرفةِ بما جرى في القرونِ الخالية. فاطَّلعتُ على التصانيف المؤلفة في الحكايات والنوادر على اختلافِ فنونها، ثم انتقلتُ عن ذلك إلى محَّبةِ الأسمارِ والخرافات الطّوال، ثم إلى الدواوين الكبار، مثل ديوان أخبار عنترة ... وطلبتُ الأخبار الصحيحة فمالت نفسي إلى التواريخ، فقرأتُ كتاب مسكويه الذي سّماه "تجارب الأمم"، وطالعتُ تاريخ الطبري وغيرها من التواريخ..."[2].

إنَّ الطريقةَ التي تعلَّم بها السّموءل لم تكن على ما يبدو تشمل كلَّ أبناء اليهود ولكنَّها تُمثِّل نموذجاً لتعليمِ أبناء الشخصيات المرموقة. وأمَّا الطريقة المُثلى التي وردت في كتاب والده النظري حول التعليم فيمكن إيجازها فيما يلي: في سنّ الثالثة يبدأ الطفل بتعلَّم القراءة، وفي الرَّابعة والنِّصف يدرس الأبواب الأولى من التوراة. وعندما يصل الطفل سنّ السادسة والنصف عليه أن يدرس أسفار موسى الخمسة متبوعة بالترجمة الآرامية التي تُعدُّ مدخلاً لدراسةِ التلمود، وبعدها تأتي دراسة أسفار الأنبياء. وحينما يصل الطفل الثالثة عشرة تبدأ عملية تدريسه النحو من كتب المتخصصين في هذا الميدان كابن جناح، وداود القمحي،

---

[1] السموءل بن يحيى، الباهر في الجبر، تحقيق وتحليل: صلاح أحمد، ورشدي راشد، (دمشق، مطبعة الجامعة، 1972)، المقدّمة، ص6.

[2] السموءل بن يحيى، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص6-7.

ويهود حيوز، وأبراهام بن عِزرا، وذلك بموازاة دراسة التلمود، حيث يبدأ التلميذ بالفصل البابلي. وفي الثامنة عشرة يتزوّج الطالب، وحينئذٍ يشتغل بدراسة العلوم كالطب والفلسفة والفلك والميكانيكا والموسيقى، وتُدرس جُلُّ هذه المواد من كتب علماء المسلمين[1].

وفي التربية النظرية أيضاً، ألَّفَ الحبر اليهودي يوسف بن أكنين كتاب "طب النفوس" باللغةِ العربية، وكتبه بالحروف العبرية، وتحدث فيه عن المعلم المثالي، والتلميذ النجيب. وأَفردَ الفصل السابعِ عشر لفضائل المعلم والتلميذ، وهو على ما يبدو قد اطلع على كتاب محمد بن سحنون "آداب المعلمين". وتأثر به، وأَخَذَ عنه في كثيرٍ من الفصول[2].

---

[1] الكواتي، اليهود في المغرب، ص157.

[2] م. ن، ص157.

المبحث الثاني

النَّشاط اللغوي والأدبي لليهودِ في الأندلس

كانت اللغة العبرية زمن الفتح الإسلامي للأندلس لغة مهملة، ليس بين يهود الأندلس فحسب، ولكن بين اليهود في جميع بلدان العالم، إذ كان اليهود في معظم الأحيان لا يستعملون هذه اللغة إلا في بيعهم وصلواتهم. وكان كثير منهم لا يفهمون الترانيم والطقوس التي يؤدونها بها، ولذلك كانوا يستمعون إلى التوراةِ في بِيَعهم مترجماً إلى الآرامية[1].

وقد بدأ إهمال اليهود للعبرية في أعقاب السبي البابلي لهم (539 ق.م) البابلي لهم، إذ صارت الآرامية هي اللغة التي يستعملونها في الحياة اليومية، وتوقَّف الإنتاج الأدبي اليهودي باللغة العبرية، وانتهى أمرها كلغة حية بين اليهود. ومنذ تلك العصور وحتى القرن الرابع الهجري/العشر الميلادي لم يطرأ تطور إيجابي يستحق الذكر على قواعد هذه اللغة وآدابها. بل إنَّ اللغة القديمة التي كتبت بها التوراة قد تأثرت بعد السبي البابلي باللغات الآرامية واليونانية والفارسية، وأدخلت إليها مصطلحات وتراكيب من تلك اللغات جعلتها لغة

---

[1] راشد، سيد فرج، "دور الحضارة الإسلامية في تكوين الأدب العبري في الأندلس"، مجلة "المنهل"، (م: 45، ذو العقدة/ذو الحجة، 1304هـ-1983م)، ص118؛ شحلان، أحمد، "تأثير الآداب العربية في الآداب العبرية"، دراسات مغربية في الفلسفة والتراث والفكر العربي الحديث، مهداة إلى المفكر المغربي محمد عزيز الجنابي، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1985م)، ص174؛

ينظر: هنداوي، إبراهيم موسى، الأثر العربي في الفكر اليهودي، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963م)، ص5.

مختلفة. وهذه اللغة الجديدة هي التي كتب بها يهوذا الناسِي المِشنا في القرن الثاني الميلادي[1].

وقد ظلَّت اللغة العبرية في جميع البلدان التي تَفرَّق فيها اليهود، على حالها من الترك والإهمال إلى أن اختلط اليهود بالمسلمين، وتعلَّموا اللغة العربية وقواعدها وآدابها وقوَّموا بها ألسنتهم وأذواقهم، ورأوا كيف يخدم المسلمون لغتهم من منطلقٍ ديني باعتبارها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف. فقرَّروا خدمة لغة كتبهم المقَدَّسة، بوضع قواعد لها على طريقة المسلمين في خدمة لغتهم العربية[2].

وكان النحو العبري قد نشأ في العراق على يدي سعديا بن يوسف الفيومي (ت:279هـ=892م)، الذي كان رئيساً لمدرسة سورا. إذ ألف أول معجم عبري في تاريخ اللغة العبرية، إضافة إلى كتاب آخر من اثني عشر جزءاً ينظّم قواعد اللغة العبرية، سمّاه "كتاب اللغة" وكتبه بالعربية[3].

وبالرَّغم من أنَّ النحو العبري لم ينشأ في الأندلس، إلا أنَّ الدراسات النحوية واللغوية لم تنهض وتزدهر وتصل إلى مرحلة النضوج إلا على أيدي يهود الأندلس[4].

وأوّل عالمٍ لغوي نحوي ظهر في الأندلس هو "مناحيم بن ساروق الطرطوشي (298-349هـ=910-960م) الذي اتَّصل بحسداي بن شبروط

---

[1] راشد، "دور الحضارة الإسلامية في تكوين الأدب العبري في الأندلس"، مجلة "المنهل"، (م: 45، ذو العقدة/ذو الحجة، 1304هـ-1983م)، ص118.

[2] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص26-27؛
ASHTOR,THE JEWS, VOL.1, P.383-384,
ينظر: NEHMAN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.2, P.98.

[3] هندواي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص8.

[4] م. ن، ص9.

وزير الخليفة عبد الرحمن الناصر في قرطبة وصار سكرتيراً له. وفي تلك المدَّة التي تمتَّع فيها مناحيم بعطف حسداي وتشجيعه أنتج إنتاجه الفكري الذي هيأ له مكاناً رفيعاً في تاريخ الفكر اليهودي، وأهم أعمال منـــاحيم اللغويـــة، المعجــم العبري الذي يُسمى "محبريت" أي التفسيرات، ويُعدُّ هذا المعجم أوّل عملٍ لغوي في العبرية يغطّي جميع مفردات الكتاب المقدَّس[1]. والكتابُ مقَدَّم بمقَدّمة طويلةٍ عن النحو العبري، وطريقته في التأليف هي طريقة نحاة العرب، وقد أفاد هــذا الكتاب كثيراً العلماء اليهود في أوروبا، وكان سبباً في قَيامهم بدراساتٍ لغويـــةٍ مستفيضة، لأنه كان الكتاب النحوي الأول الذي كتـــب باللغـــة العبريـــة، إذ أنَّ مؤلفات اليهود النحوية كانت تكتب وقتئذٍ باللغة العربية[2].

وهناك معاصر لمناحيم يدعى دُوناش بن لَبْراط هاليفي، وهو أحد أفراد عائلة هاجرت إلى مراكش من بغداد، وقد ولد في فاس سنة (308هــ=920م)، وتلقى فيها تعليمه، ثم أُرسل إلى العراق حيث تعلم على يدي ســعديا الفيــومي، ودرس اللغة العربية والأدب العربي دراسة مكَّنته من معرفة فنونه. وقد أُعجب بعلوم العربية وآدابها إعجاباً جعله ينصح اليهود في بيت شعر كتبـــه بالعبريـــة ليتعلموا العربية،يقول فيه:

فلـــــــتكن الكتـــــــب المقدســـــــة جنَّتـــــك

ولـــــتكن الكتــــب العربيــــة فردوســــك

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.247

هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص10. ينظر: بالنثيا، تــاريخ الفكــر الأندلــسي، ص488-489.

(2) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.249;
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VO1.2, P.634.

ثمَّ عاد إلى مراكش، وعندما سمع بالدعم الذي يقدِّمه حسداي بن شبروط للعلماء اليهود سافر إلى قرطبة، وسرعان ما لمع اسمه بين المثقفين اليهود فيها قرطبة، حيث كان يكتب الشعر باللغة العبرية على بحور الشعر العربي، وكان رائد هذا التطوير في الشعر العبري[1]. وقد تزامن بروز دوناش مع طرد مناحيم من قرطبة، حيث غضب عليه حسداي بسبب آرائه القرّائية، وأمر بضربه وطرده، فعاد إلى طرطوشة التي جاء منها[2]، ووقعت النسخة الأصلية من كتاب مناحيم "التفسيرات" في يدِ دوناش، فَقرأه، وكتب له نقداً سمَّاه "الردود" وهو كتاب عظيم الأهميَّة لأنه مكتوب بأسلوبٍ شعري، ويعدُّ أوّل شعرٍ تعليمي نحوي في الأدب العبري[3].

وعمل دوناش هذا يدل على أنَّ النحو العبري قد وصل في الأندلس إلى درجة متقدمة من الكمال، وقد شغل دوناش مكانةً رفيعةً في تاريخ النحو العبري. وكان لكلٍّ من مناحيم ودوناش تلاميذ، وكلٌّ فريق يناصر أستاذه، ويدافعُ عنه بأسلوبٍ جدليٍّ علمي كان له أثر كبير في تقدم دراسة النحو واللغة، وتكوَّنت لكل منهما مدرسة، وكانت المجادلات بين تلاميذ كلّ مدرسة مستمرة[4].

وقد تولَّى الرَّد على كتاب دوناش ثلاثة من تلاميذ مناحيم البارزين هم إسحاق بن جقطلة وإسحاق بن قبرون ويهودا بن ديفيد، وقد شاركوا في تأليف

---

[1] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص10؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص27؛ ينظر: بالنثيا 'تاريخ الفكر الأندلس، ص489؛
ASHTOR, THE JEWS, VO1.1, P.254.

[2] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.250-251;
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VO1.2, P.634.

[3] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص10.

[4] م. ن، ص11؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.258-261;
ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص30.

كتاب سَمّوه "الرد على الرد"، دافعوا فيه عن آراء أستاذهم، وقد أهدوا كتابهم إلى حسداي بن شبروط. وخدم عملهم هذا اللغة العبرية والنحو العبري في شرحِ النظريات النحوية العبرية، لكنه لم ينتج مادةً جديدة زيادة على ما وصل إليه مناحيم ودوناش[1].

ولم ينته الجدل الفكري حول منهجية النحو العبري بين مفكري الأندلس، إذ قام أحد تلاميذ دوناش ويدعى يهودي بن شيشت بالردَّ على تلاميذ مناحيم بأسلوب هجائي شعري. وهكذا استمرَّ الجدل الأدبي وأثار المشاعر في الحلقات الفكرية اليهودية في الأندلس. وانقسم المثقفون في هذه الحلقات إلى فريقين، فريقٌ يؤيِّد مناحيم وتلاميذه، والآخر يؤيد دوناش وتلاميذه، وراح كل فريقٍ يبحثُ عن الحجج والأدلَّة لمناقضة معارضيه، فاتَّسع مجال المعرفة[2].

استمرَّ النحو العبري بالتطوُّر والازدهار على يدي أحد تلاميذ مناحيم بن ساروق، وهو أبو زكريا بن داود المشهور بيهودا بن حيوج[3]، الذي وُلِدَ في مدينة فاس سنة (360هـ=970م)، ثم انتقل إلى قرطبة حيث عاش وتلقى تعليمه فيها[4]. وقد نال الشهرة في نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، وكان له تلاميذ كثر، من بينهم إسماعيل بن نغدلة ومروان بن جناح. وكان حيوج مشهوراً عند النحاة العبريين المتأخرين بأنه مؤسس الدراسات العلمية للنحو

---

(1) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص11؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL ,1 P. 258-260;

(2) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص11؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL ,1 P.260;

(3) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص489؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.386-387;

(4) DUBNOV HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.635;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.386-387.

العبري[1]. وقد ظهر حيوج في الوقت الذي ازدهرت فيه الثقافة العربية في الأندلس، فتأثر بذلك، إذ يقول الشاعر اليهودي الأندلسي موسى بن عزرا الذي عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي: "ولما افتتح العرب جزيرة الأندلس تفهمت جاليتنا بها بعد مدة أغراضهم، ولقنت بعد لأيٍ لسانهم، وبرعت في لغتهم، وتفطنت لدقة مراميهم، وتمرنت في حقيقة تصاريفهم، وأشرفت على ضروب أشعارهم، حتى كشف الله لهم من سر اللغة العبرانية ونحوها، واللين والإقلاب والحركة والسكون والبدل والإدغام وغير ذلك من الوجوه النحوية، مما قام عليه بُرهان الحق، وعضّده سلطان الصدق، على يدي أبي زكريا يحيى بن داود حيوج"[2].

ويقول آشتور: "كان أبو زكريا حيوج مشهوراً بذهنه التحليلي، وأفكاره الدقيقة، وعند إتباعه لخطوات النحاة العرب، أوضح بأن الأفعال العبرية ثلاثية الجذور أيضاً. وكان ذلك اكتشاف غاية في الأهمية. فبضربة واحدة أنار حيوج ظلمة كل المشكلات التي تَحدَّت النحاة، حتى جاء هو، فافتتح عَصراً جديداً لعلم اللغة العبرية لكنَّ الفضل في هذا لا يعودُ إلى حيوج وحده. إذ أنه اعتمد على مناهج النُّحاة العرب، لكنه وبفضل غريزته اللّغوية عرف إلى أي مدى كان بالإمكان تطبيق هذه المناهج على لغةٍ أخرى"[3].

وأهمّ مؤلفات حيوج في النحو العبري، هي: "كتاب حروف اللِّين، وكتاب "الأفعال ذوات المِثْلين"، وهذان الكتابان اللذان صارا عملاً أساسياً للنحو العبري، أصبحا مرتبِطَين باسم مؤلفهما، وسُمِّيا كتابي حيّوج. وقد تُرجما من العربية إلى

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL,1, P.391; هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص11-12.

(2) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص12 ؛ الكواتي اليهود في المغرب، ص163.

(3) THE JEWS, VOL.1, P.388.

العبرية ثلاث مرّات، وأُعيدت صياغتهما مرّاتٍ عدّة. كما صدرت رسالة أخرى بقلم حيوج تتعلّق بقوانين التّلفُّظ، واسم هذا الكتاب بالعربيـــة "كتـــاب التنقـــيط"، ورسالة رابعة تحمل اسم "كتاب النُّتف" وهو كتابٌ في التفسير اللغوي[1].

إضافة إلى أعمال أخرى بدأها ولم يكملها، إذ توفي في ذروة شبابه في العقد الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. وعلى الرغم من عدم تمكنه من إكمال بعض كتبه، إلاّ أنّ إنجازاته الكبيرة جعلت علماء الأجيـــال اللاحقة يقدرونه، ويُجمعون على أنه أبو النحو العبري[2].

بعد موت حيوج برز في مجال النحو العبري أحد تلاميذه النُّجباء، وهو أبو الوليد مروان بن جناح، ويُسمّى بالعبرية "الحاخام يوحنا". ويسمّيه النصارى "يونا" أو مرينوس (MERINOS)، وقد ولد في قرطبة سنة (380هـ=990م)، وعاش في بيئتها العلمية المزدهرة ثم تركها سنة (403هـــ=1012م) بـــسبب الحرب الأهلية التي أعقبت سقوط الخلافة، واستقرّ في أليسانة، ثمّ انتهـــى بـــه المطاف في سرقسطة، فأقام فيها بقية حياته، وألف فيها مؤلفاته في اللغة والنحو، ومات عام (447هـ=1055م)[3].

تميزّت أعمالُ ابن جناح في النحو العبري، وكانت غزيرة تحمل كثيـــراً من الإبداع، وقد أعانه على ذلك تضلّعه من اللغة العربية، وإتقانـــه لقواعـــدها،

---

[1] IBID, VOL.1, P.389-39;
ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص13؛
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.635.

[2] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.391;
ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص11-12.

[3] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص489؛ هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص18؛
DUBNOV HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.635-636;
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.12-13.

ودراسته لأمّهات كتب النحو العربي ككتاب سيبويه[1]، ويقول فيه ابن أبي أُصيبعة: "كان...يهودياً وله عناية بصناعة المنطق، والتوَسّع في علمِ لسان العرب واليهود"[2].

ومن أهمِّ مؤلفات ابن جناح النحوية كتاب "المستلحق" الذي ينقدُ فيه كتابي الأفعال ذوات المثلين، والأفعال ذوات حروف اللين لحيّوج، ويضيف إليهما[3]. وكتاب "التشوير" الذي يرد فيه على كتاب "رسائل الرفاق" الذي ألّفه إسماعيل بن نغدله وأنصاره دفاعاً عن آراء أستاذهم حيوج الذي انتقده ابن جناح[4]. وكتاب "التنبيه" الذي يردُّ فيه على كتاب "الاستيفاء" الذي ألّفه خصومه في سرقسطة، وانتقدوا فيه كتاب "المستلحق"[5]. ورسالة "التقريب والتسهيل" المخَصَّصة لتسهيل فهم المبتدئين لكتابي حيوج السالفي الذكر. وكتاب "التسوية" الذي يردُّ فيه على جدالٍ حدث في بيت صديقه أبي سليمان بن طراقة بسرقسطة، وهوجمت فيه آراؤه من قبل أنصار إسماعيل بن نغدله[6]. وكتاب "التنقيح" الذي يُعَدُّ أهمّ مؤلفاته على الإطلاق[7]. وقد ألَّفه وهو في سنّ الشيخوخة، وقسّمه إلى

---

[1] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص18؛
ينظر: المقري، نفح الطيب، م3، ص525.

[2] عيون الأنباء، ص498.

[3] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص21؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.19.

[4] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص22؛
ينظر: بالنثيا تاريخ الفكر الأندلسي، ص492 ؛
DUBNOV HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P. 636.

[5] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص22-23؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.20-21.

[6] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص23–24؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.21-24.

[7] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص489.

كتابين، سمّى الأول كتاب "الأصول"، وهو معجم شامل لِلغةِ الكتـــاب المقـــدَّس، وسَمّى الثاني كتاب "اللُّمَع"، وهو يُعَدُّ الكتاب العلمي الجامع للنحو العبري بعد أن بلغ أَوج نضوجه وازدهاره[1].

وتُظهر كتابات ابن جناح الأثر العربي الكبير في فكره وأسلوبه[2]. ومما يدلّ على ذلك أنَّه بدأ كتابه "اللّمع" على طريقة الكتاب المسلمين حيث يقول فيه: "الحمد الله الذي خلق الإنسان، فعلَّمه النُّطْقَ، وهداه إلـــى الإقـــرارِ بربوبيتـــه، والإعلان بوحدانيته، فأوضح له سبيل الهدى، واستنقذه مـــن طريـــقِ الـــرَّدى، وخَصَّ اللُّغةَ العبرية بالفضل والميزة من بين جميع اللغات، فأنزل بهـــا كتبـــه المقدَّسة، وأبان بها شرائعه المطهرة، أحمده حمداً يبلغُ رضاه، ويوجِـــبُ الألفـــةَ لديه، والقربة من رحمته"[3]. وأنَّه يقول في موضِعٍ آخر من الكتاب نفسه: "وما لم أجد عليه شاهِداً مما ذكرتُه، ووجدتُ الشَّاهِدَ عليه من اللـــسان العربـــي، لـــم أتحرَّجّ من الاستشهادِ بواضحه، ولم أتحرَّج من الاستدلالِ بظاهره، كما يتحرَّج من ضعف علمه، وقلَّ تمييزه من أهل زماننا، لاسيما من استشعر منهم التَّقشُّف، وارتدى بالتدين مع قِلَّة التحصيل لحقائق الأمور"[4].

ومثلما اتخذ النحاة المسلمون القرآن الكريم والحديث الـــشريف أساســـاً يعتمدون عليه في دراسة النحو العربي، ويستشهدون بهما للتدليل علـــى قواعـــد لغتهم، ويستخدمون مهارتهم في اللغة لخدمة تفسير القـــرآن الكـــريم والحـــديث الشريف والتعرَّف على أسرارهما، فعل ذلك ابن جناح، حيث يقول: "وأنا مزمِعُ أنْ أستشهد على شرحِ بعض الأصول بما أمكنني من الموجود في التوراةِ، وما

---

[1] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص25-26؛
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.26-28.

[2] ينظر: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص492.

[3] الكواتي، اليهود في المغرب، ص161.

[4] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص28.

لم أجدْ عليه شاهداً من التوراةِ استشهدتُ عليه بما حضرني من التلمود"[1]، ويقول أيضاً: "ولما كانت منزلة علم اللسان أنه العلمِ الجليل النظر، العظيم القدْر المؤدي إلى علمِ كلامِ الله، المعين على العملِ بأمره ونهيه، المزلف إلى ثوابه، المبعد عن عقابه، اعتقدنا أنَّ نؤلّفَ في ذلك كتاباً نجمعُ فيه أبواباً تشتمل على أكثر علم اللغة"[2].

وتأتي أهمية مؤلفات ابن جناح من أنَّ معظمها قد وصل إلينا، وأسهم في خدمةِ اللغة العبرية المعاصرة، بعد أن أخذت هذه المؤلَفات حظَّها من العناية والاهتمام، فترجمت إلى العبرية ونشرت، وكان معظمها قد أُلف بالعربية، واستخدمت الحروف العبرية في كتابتها[3].

لقد أحدثت مؤلفات حيوج وابن جناح من بعده نهضةً لغويةً في دراسة اللغة والنحو العبري. واستمرَّ عدد من العلماء الذين جاءوا من بعدهم في الدراسة والبحث، ومن أشهر هؤلاء العلماء:

إسماعيل بن نغدله (383-447هـ=993-1055م)، الذي يُعَدّ كتابه "الاستغناء" ذو العشرين جزءاً أهم مؤلفاته في النحو العبري، غير أنَّ أعظم ما قدَّمه ابن نغدله لهذه اللغة هو تشجيعه للعلماءِ والنحاة اليهود على البحث والتأليف، مستغلاً مناصبه وأمواله.

وسليمان بن جابيرول (414-463هـ=1023-1070م) صاحب الكتاب النحوي الشعري المختصر، الذي يتحدَّث عنه بالنثيا بقوله: "ولا يظهر الأثر العربي في كبار مؤلفات ابن جابيرول فحسب، بل يتجلّى كذلك في كتاباته

---

[1] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص27.

[2] م. ن، ص27؛

ينظر: فرج، القدس، ص135.

[3] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص26.

الصغيرة، كما نرى في النحو العبري الذي نظمه في قصيدة عبرية صاغها في بحر الرجز العربي، تتألَّف من أربع مئة بيت، وهو يتحسَّرُ فيها على انصرافِ إخوانه في الدين من أهل سرقسطة عن لغتهم المقدَّسة، ويُسميهم "الجماعة العمياء"[1].

ويهودا هاليفي صاحب الكتاب المشهور كوزاري، الذي خَصَّصَ جزءاً منه لعلم الصوت وبُنيةِ النحو العبري[2].

وموسى بن جقطلة الذي ترجم كتب حيوج إلى اللغة العبرية، وألّف كتاب "المذكر والمؤنث"، وعاش حياته في سرقسطة بعد أن ارتحل عن قرطبة على إثر الاضطرابات الأهلية فيها.

ويهودا بن بلعام الذي ولد في طليطلة واستقرَّ في إشبيلية وتوفي سنة (494هـ=1100م)، وكتب عدداً من المقالات في النحو واللغة بعنوان: "ما تشابه لفظه واختلفت معناه"، و"كتاب الحروف"، وكتاب في الحركات والنبرات يُعرَف باسم: "المرشد لقراء الكتاب المقدس".

ومن هؤلاء النحويين أيضاً إسحاق بن يشوش الطليطلي الذي ألَّف كتاباً في التصاريف، وداود بن هاجر الغرناطي الذي ألَّف كتاباً في الحركات. وليفي بن التبان السرقسطي صاحب كتاب "المفتاح". وابن بارون صاحب كتاب "الموازنة" الذي يبينُ العلاقة بين اللغتين العربية والعبرية[3]. وموسى بن يعقوب بن عزرا الذي ولد في غرناطة بين السنوات (447هـ-459هـ=1055-1060م) وسط عائلة غنية، وتلقى تعليماً متنوعاً، وتضلَّع من اللغة العربية

---

[1] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص493-494.

ينظر: NEHMAN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.2, P.98.

[2] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص14.

[3] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص14-15.

وآدابها، ثمّ تغيّرت حاله فاعتزل الناس، وابتعد حتى عن أبنائه، وفي النهاية غادر غرناطة سنة (488هـ=1095م) نحو أسبانيا النصرانية، وظلّ فيها يعيش حياة الوحدة والضياع والفقر إلى أن توفي في العقد الرابع من القرن الثاني عشر الميلادي[1].

وكان كتابه "المحاضرة والمذاكرة" أهم أثر نحويّ تركه ابن عزرا، وقد تحدَّث عنه أحد المهتمين بالدراسات اليهودية المعاصرة بقوله: "كتابٌ فريدٌ من نوعه، ولم يعرف تاريخ التأليف العبري مثيلاً له ... وقد اهتمَّ بالشِّعر العبري، إلاّ أنه اتخذ له الثقافة العربية أساساً لهذا التأليف، إذ تناول الشعر والأدب عامَّة، سواء العربي أو العبري، وكان للتاريخ فيه حظ كبير أيضاً، وهو غنيٌّ بتراجم الأدباء والكتاب، ولم يترك موضوعاً من مواضيع اللغة والنحو والفلسفة والأخلاق إلا واهتمَّ به[2].

ولما كانت المؤلفات النحوية واللغوية العبرية التي كتبها علماء اليهود في الأندلس قد كتبت معظمها باللغة العربية، فإنها لم تؤثر التأثير المطلوب في البلدان الأخرى التي لا تعرف العربية. ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى التفكير في ترجمة هذه المؤلفات إلى اللغات الأخرى وخاصة إلى اللغة العبرية[3].

وممّن كان لهم الفضل في نقلِ هذا التراث الفكري اليهودي، أبراهام بن عزرا الذي نشأ في طليطلة (486-563هـ=1093-1167م)، وكان منذ حداثته متعطشاً إلى العلم، فأخذ يتجولُ في البلاد، وبذلك كان الواسطة بين الأندلس

---

[1] شحلان، أحمد، "من الأدب العربي-العبري، أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا وكتابه المحاضرة والمذكرة"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (الرباط، جامعة محمد الخامس، العدد 10، سنة 1984م)، ص64.

[2] م. ن، ص69، وعن محتوى كتاب " المحاضرة والمذاكرة " ينظر: بيريز، هنري، اللُّغةُ العربية وسكان الأندلس في القرون الوسطى، (الجزائر، 1959م)، ص15.

[3] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص15.

والممالك النصرانيةِ الأخرى في نقل المعرفة، واستقرَّ مُدَّةً من الزَّمنِ في روما، وهناك بدأ نشاطه الفكري في التفسير والنحو والشعر. ويُعَدُّ أبراهام بن عــزرا أول من نقل المعارف النحوية التي نضجت في الأندلس إلى أوربا[1].

وقد تمَّ نقلُ هذه المعارف بواسطة مؤلّفاتٍ لغويةٍ عدَّة ألَّفها باللُّغةِ العبرية التــي يفهمها المثقفون اليهود هناك، واعتمد في تلك المؤلَّفات اعتمــاداً كبيــراً علــى كتابات يهود الأندلس المؤلَّفة باللُّغةِ العربية. وقد حذا تلاميذ أبراهام حذوه فــي نقل هذا التراث، ومن أولئك التلاميذ سليمان بن برحون[2].

وكان لأبراهام بن عزرا ابن يُدعى إسحاق، ورث عن أبيه حبَّ التجول والترحال، وقد ولد في الأندلس، ورحل إلى مصر بعد دخول الموحــدين إلــى الأندلس، ومن مصر هاجر إلى العراق، حيث نزل ضيفاً على العالم اليهــودي الشهير نتانيئيل بن علي المعروف بأبي البركة هبة الله. وفي بغداد ترجم إسحاق إلى العربية شرح نتانيئيل لسفر الجامعة حوالي سنة (538هـ=1143م)، وفــي هذه السنة اعتنق نتانيئيل الإسلام، وتبعه إسحاق وأعلن إسلامه. ومات إســحاق مسلماً قبل وفاة والده أبرهام بن عزرا، وسمع الوالد نبأ وفاة ولده بعــد ثــلاث سنوات، فرثاه بقصيدةٍ مطلعها:

---

[1] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهــودي، ص15، جــلال، الأدب العبــري الحــديث، ص139؛
DUBONV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.743-744.

[2] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص15–16.

يا أبا الولد اقترب وارثه

لأنَّ اللـــه أبعـــده عـــنك[1]

كما أسهم في نقل الفكر اليهودي اللّغوي وغيره، العلماء اليهـــود الـــذين أصبحوا يعيشون تحت الحكم الأسباني بعد أن سقطت مدنهم في أيـــدي القـــوات الأسبانية، وأولئك الذين هاجروا إلى الأندلس، أمثال العلماء من أفـــراد أســـرتي "قمحي"، و "تبوّن" الذين نزحوا عن الأندلس، واستقروا في فرنسا، حيـــث أقـــام أولئك العلماء في تلك البلدان مراكز جديدة للفكر اليهـــودي، وصـــاروا أســـاتذة يدرِّسون الطلاّب اليهود وغيرهم من الأوربيين كلَّ ما تعلَّموه في الأندلس علـــى أيدي أساتذتهم المسلمين. وكلَّ ما توصَّلوا إليه من علومٍ في ظلِّ البيئةِ العلميـــة والحرية الفكرية، التي وفَّرتها للجميع دولة الإسلامِ في الأندلس[2].

أمَّا في المجال الشعري، فقد نهض يهود الأندلس بالشَّعر العبري، ونقلوه إلى مستوى لم يعرفه الأدب العبري من قبل، فبعد أنْ كان مقتصراً على المجال الديني، وخالياً من الوزن أو القافية صارَ موزوناً متعدّدَ الأغراض[3]. وقد قلّـــد الشعراء اليهود وهم يكتبون أشعارهم الشعر العربي الذي سمعوه من المسلمين، وقرأوه في كتبهم، فأحبُّوه وحفظوه واستشهدوا به في مؤلفاتهم، وقرضه بعضهم فأنتجوا أجمل الأشعار.

يقول يهوذا الحريزي في كتابه "تحكموني": "اعلموا أنَّ الـــشِّعر الرائـــع الذي يمتلئ بالنفائس والروائع هو من ممتلكات العرب في البداية، واســـتطاعوا رأبَ كل صدع فيه، وأنْ يزنوه بموازين عادلة، وأن يضعوه في مكانتـــه، بـــل

---

[1] عبد المجيد، اليهـــود فـــي الأنـــدلس، ص85؛ DOUNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.743-744.

[2] ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص17.

[3] فرج، القدس، ص137 ؛ ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص75–86.

وأثروا به على غيرهم، فنجدهم قد بنوا أساقفه، وشذبوا قصوره، وأقاموا مصاريعه، ولهم اليد الطولى بين شعراء الدنيا"[1]. ويقول أيضاً: "أقام العديدُ من اليهود بعد النفي، بين العرب في أقطارهم، وسلكوا الحديث بلغتهم، والنُّطق بنطقهم، وفي اختلاطهم بهم تعلّموا عنهم صنعه الشِّعر، فعندما كان يسكن آباؤنا الأرض المقدَّسة لم يعرفوا الشِّعرَ الموزون باللُّغةِ العبرية، فلا يوجد في أسفار أيوب والأمثال والمزامير إلا بعض الفقرات القصيرة، تشبه أبيات الشعر، ولكنها بلا قافية أو وزن[2].

وقد أوردت المصادر التاريخية والأدبية الإسلامية نماذج من الأشعار التي قرضها الشعراء اليهود في الأندلس، نذكرُ بعضاً منها، حتى يتبين أثَر الأدب العربي والثقافة الإسلامية في فكرِ وذوقِ وفنِّ هؤلاء الشعراء.

يقول نسيم الإسرائيلي:

يا ليتني كنتُ طيراً	أطيرُ حتى أراكا
بمن تَبدّلتَ غيرى	أولم تحلْ عن هواكا[3].

ويقول إسحاق بن شمعون اليهودي القرطبي:

قُمْ هاتِ كأسَكَ فالنعيمُ قد اتَّسقْ	والعودُ عن داعي المَسرَّةِ قد نُطَقْ
ولديك مَنْ حثَّ الكؤوسَ أزاهراً	في الخزِّ يْمرَحُ كالأراكةِ في الوَرَقْ

ويقول إسماعيل بن نغدله:

ياغائباً عن ناظري لم يغب	عن خاطري رفقاً على الصَّبَّ
فماله في البعد من سلوهٍ	وماله سؤل سوى القربِ[4]

---

[1] فرج، القدس، ص146.

[2] م.ن، ص147.

[3] م. ن، م3، ص522.

[4] ابن سعيد، الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ص114. ترجمة رقم: 426.

وكان صاحب أروع شعرٍ كتبه يهود الأندلس هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي (ت: 649هـ=1251م)، الذي حار أهل زمانه في حقيقةِ ديانته[1]. والذي تجعلنا أشعاره المتناقضة غير قادرين على الجزم بحقيقة العقيدة التي يخفيها صدر هذا الرجل. فقد كتب ابن سهل جُلَّ أشعاره في فتى يهودي اسمه موسى كان يحضر الدروس في حلقاتِ الأساتذةِ المسلمين، حيث رآه ابن سهلٍ فعشقة[2]. ويعتقدُ أنَّ ابن سهل قد أحبَّ في ذلك الفتى يهوديته، واتخذه رمزاً لليهوديةِ التي يُخفيها في صدره ويحنُّ إليها، وقد ساعده على ذلك أنَّ اسم الفتى على اسم النبيّ موسى عليه السلام[3].

ويستدلُّ أصحاب هذا الرأي على صِحَّةِ رأيهم بكثيرٍ من أشعاره في ذلك الفتى مثل قوله:

أموسى ولم أهجرك والله إنمّا ... هجرتُ المُنى واللُّبَّ والأنس
تركتك لا نقضاً لعهدي بل أرى ... حياتي ذنباً بعد بُعْدِكَ أو
قنعتُ على رغمي بذكرِكَ وحده ... أدير عليه الخمر والأدمع

وقوله:

ويعذلني العواذِلَ فيه جهلاً ... عزيزٌ ما يقولُ العاذلانِ
فقالوا: عبد موسى، قلت: حقاً ... فقالوا: كيف ذا ؟ قلت اشتراني
فقالوا: هل رضيتَ تكون عبداً ... لقد عرَّضتَ نفسك للهوانِ

---

[1] المقري، نفح الطيب، م3، ص522-523.

[2] ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلى، ص78.

[3] ابن سهل الإسرائيلي، أبو إسحاق إبراهيم، ديوان ابن سهل، تحقيق وشرح: بطرس البستاني، (بيروت، مكتبة صادر، 1953م)، ص138؛ الجالي، أبو نواس الأندلس، ص85-86.

[4] الجالي، أبو نواس الأندلس، ص85-86.

فقلت: نعم أنـا عـبدٌ ذلـيـلٌ   لمنْ أهوى فخلّـوني وشـأنـي[1].

وقوله:

مـا لموسـى قد خـرَّ لله لمـا   فاضَ نـورُ غـشاه ضَـوْءُ سـناه

وأنا قد صُعِقتُ من نورِ موسـى   لا أطيـقُ الوقـوف حـين أراه[2].

وقوله:

جرى القضاءُ بأنْ أشقى عليك وقـد   أوتيتَ سؤلك يا موسى علـى قَـدَرِ[3].

وقوله:

صُـعِقتُ وقـد ناجيـتُ موسـى   وأصبح طور الصَّبر من هجـره دكَّـا[4].

كما يستشهدون على تظاهره بالإسلام من شعره الذي يدلُّ على مجونـه وعبثه، إذ استخدم الآيات القرآنية الكريمة للتعبير عن معانٍ إباحيَّةَ. كقوله:

لقد كنتُ أرجو أن تكون مواصلي   فأسقيتني بالبُعْـدِ فاتحـة الرَّعْـدِ.

فبالله برِّد ما بقلبـي من الجـوى   بفاتحةِ الأعرافِ من ريقِكَ الـشَّهْدِ[5].

وهم يستدلّون أيضاً برواية المقري التي يقول فيها: "ورأيتُ في بعـض كتب الأدب بالمغرب أنه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس أنس، فسألوه لَّما

---

[1] الجالي، أبو نواس الأندلس، ص79-80.

[2] المقري، نفح الطيب، م4، ص129.

[3] الجالي، أبو نواس الأندلس، ص79.

[4] ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلى، ص83؛ ابن سهل الإسرائيلي، ديـوان ابـن سهل، ص120.

[5] المقري، نفح الطيب، م3، ص524.

فاتحة سورة الرعد هي من قوله تعالى: "المر"، وهي حروف جمعها فكوّن منها كلمة "المُـرّ"، ينظر: سورة الرعد آية: 1، وفاتحة سورة الأعراف هي قوله تعالى: "المـص"، وقـد جمـع حروفها فكوّن كلمة "المصّ"، ينظر: سورة الأعراف، آية: 1. وهي معانٍ إباحية.

أخذت منه الرَّاح عن إسلامه. هل هو في الظاهر والباطن أم لا ؟ فأجابهم بقوله: للناس ما ظهر ولله ما استتر[1]".

وبشعره في الخمر الذي يقول فيه:

فو الله ما في الأرض مجلس راحة بغير حلى الرَّاحِ التي سلَبت صبري

سآلفها إلفَ العتيق كتابه ولا أشتهي ورداً سواها لدى الحشرِ[2].

وهناك من يرى أنَّ ابن سهل قد أسلَمَ بالفعلِ، لكنَّه لم يكن متديناً ملتزماً، شأنه في ذلك شأن العديد من المسلمين في عصره[3].

فو الله ما في الأرض مجلس راحة بغير حلى الرَّاحِ التي سلَبت صبري

وهم يستدلُّون أيضاً على صحة رأيهم بأشعاره. مثل قوله:

تسلَّيتُ عن موسى بحُبّ مُحمَّدٍ هُديتُ ولولا الله ما كُنتُ أهتدي

وما عن قِلىً قد كان ذاك وإنَّما شريعةُ موسى عُطلَّت بمحمَّدِ[4].

وكذلك يستشهدون بقصيدته الطويلة[5] التي يمدح فيها النبيَّ محمد صلى الله عليه وسلَّم، ويقول في مطلعها:

جَعَلَ المهيمن حبَّ أحمد شيمةً

وأتى به في المرسلين كريمةً

---

[1] المقري، نفح الطيب، م3، ص523؛ ينظر: ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلَّى في التاريخ المحلى، ص73-74؛ ينظر: الراعي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إسماعيل، الممتع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل تحقيق وتعليق: محمد قوبعة، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 19، سنة 1980م، ص41.

[2] ينظر: ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلَّى، ص74.

[3] ينظر: الجالي، ابو نواس الأندلس، ابن سهل الإسرائيلي، ص38–39.

[4] المقري، نفح الطيب، م3، ص523.

[5] المقري، نفح الطيب، م7، ص445–453.

فغـــدا هـــواه علـــى القلـــوبِ تميمـــةً

وغدا هــداه لهــديهم تتميمــا صـــلَّوا عليـــه وســلَّموا تــسليماً[1].

وبالأبيات الكثيرة التي توضح ثقافته الإسلامية كقوله:

لله نهــرُ مـــا رأيـــتُ جمالـــه إلا ذكـــرتُ لديـــه نهـــر الكـــوثرِ[2].

وأيضاً بقصيدته التي يستحثّ فيها المسلمين على الدّفاع عن إشبيلية عندما اشتدَّ عليها حصار أعدائهم الأسبان سنة (645هـ=1247م)، ويقول فيها:

يا معشر العربِ الــذين توارثــوا شِيمَ الحَميَّةِ كــابراً عــن كــابرِ

إنَّ الإله قد اشــترى أرواحـــكم ويهنكمـــو ثـــواب المـــشتري

أنتم أحــق بنصرِ ديـــنِ نبــيِّكم وبكم تَمهَّدَ في قــديمِ الأعــصرِ[3]

وقوله:

يسائلني مـــن أيِّ ديـــن مـــداعباً وَشَمل اعتقادي فـــي هـــواهُ مُبـــدَّدُ

فـــؤادي حنيفـــيّ، ولكـــنَّ مقلتـــي مجوسية من خـــدّه النَّـــار تُعْبـــدُ[4]

ولم يقبل أحد المشككين في إسلام ابن سهل حجج المقتنعـــين بإســـلامه فقال: "ولا يكفي أن نستدلَّ على إسلام ابن سهل بقصيدته الحجازية التي يـــصف فيها ركب الحجيج وهم ذاهبون للحج، لاسيما وأنَّه لم يصدر في نظمها عن دافعٍ ذاتي، وإنما نظمها بتكليف من ابن خلاص[*] أحد ممدوحيه، كما لا نـــستطيعُ أنْ

---

[1] المقري، نفح الطيب، م7، ص445.

[2] الجالي، أبو نواس الأندلسي، ص14.

[3] ابن سهل الإسرائيلي، ديوان ابن سهل، ص8؛ الجالي، أبو نواس الأنـــدلس، ابـــن ســـهل الإسرائيلي، ص113.

[4] المقري، نفح الطيب، م3، ص522-523.

[*] هو قائد سبته أبا على حسين بن أحمد بن خلاص الذي مدحه ابن سهل.

الكواتي، اليهود في المغرب، ص166.

ندلِّل على إسلامه بشيوع الثقافة الدينية في شعره، لأنَّ يهــود الأنــدلس كــانوا يخالطون المسلمين في مجال العلم، وكانوا يتوفَّرون على دراسة العربية، وحفظ القرآن، وإن لم ينتحلوا الإسلام ديناً[1].

مات ابن سهل غريقاً في البحر في سنِّ الأربعين، فقيل: عادَ الدُّرُّ إلــى وطنه[2]. وعن موته يقول المقري: "وقد روينا أنه مات مسلماً غريقاً في البحــر فإن كان حقّاً فالله تعالى رزقه الإسلام في آخر عمره والشهادة"[3].

إنَّ الحكم في مثلِ هذه القضايا صَعْبٌ وخطير، لأنَّ الله وحده هو الــذي يعلم ما تكنّه صدور عباده. لكننا نقول: إنَّ الإنسان في العادة لا يترك دينه ودين آبائه وأجداده ويعتنقُ ديناً آخر، إلا إذا كان مُحباً لذلك الدين الجديد، وراغباً في التزام أحكامه. أماَّ إذا انتقل إليه ولم يلتزم به، بل كان يُظهِرُ استهتاره به، فــإنَّ ذلك يعني أنَّ دخوله لذلك الدِّين الجديد لم يكن إلا تظاهراً لتحقيق غاية في نفسه. والذي يُفهم من سيرةِ ابن سهل أنه كان أبعد ما يكون عن الالتزام بالإسلام. ولقد رأينا كثيراً من اليهود عبر التاريخ يظهرون الإسلام، فيطمئنَّ لهم المــسلمون، ويعاملونهم على ظاهرهم، فيقومون بالخفاء بتوجيه أعنفِ الــضربات للإســلام والمسلمين[4]. ولذلك لابدَّ من التريث والحذر والتدقيق قبل إصدار الحكــم فــي قضيَّة تتعلق بإسلام يهودي.

---

[1] عيسى، فوزي سعد، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، ط1، 1979م)، ص [استكمال].

[2] المقري، نفح الطيب، م3، ص522-523.

[3] م. ن، م3، ص525.

[4] ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ4، ص191، 283، 340-396؛ الخــضري، محمد فريد بك، تاريخ الأمم الإسلامية، جــ1، (المكتبــة التجاريــة الكبــرى بمــصر، ط8، 1382هــ)، ص21؛ الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، مكائد يهوديــة، (دار القلــم، ط1، 1394هــ-1974م)، ص167-168.

أما بخصوص الشعر العبري، فقد كان مناحيم بن ساروق من أوائل المبدعين فيه، وأفضل شعراء عصره، وكان على حدّ تعبيره "يُربِكُ كلَّ فصيح، ويلجم كلَّ شاعرِ"[1]، وقد كتب قصائد عِدَّة في مدح حسداي بن شبروط فكافأه حسداي بسخاء ولكن لم تدم المودَّة بينهما طويلاً فقد غضب عليه حسداي وطرده من قرطبة، ولم يفقد الشّاعر الأمل في استعطاف قلب ذلك الثري، فظلَّ يكتب إليه حتى عفا عنه. فلما سمع مناحيم بالعفو، هرع إلى قصر حسداي، يقرأ عليه قصائد مديحٍ قرضها لهذه المناسبة. ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى غضب عليه مَرَّة ثانية. ويبدو أنَّ انتقادات مناحيم التي وجهها إلى التلمود والربانيين، واتهام بعض اليهود له أنه يعتنق مذهب القرائين كانت سبباً في إبعاده، ولم يطرده حسداي هذه المرَّة من قرطبة، بل أرسل إليه أنصاره الذين كبّلوه بالحديد وساموه سوء العذاب، وزجّوه في غياهب سجن قرطبة.

وأرسل الشاعر لحسداي رسالة باللّغة العبرية في صورةِ قصيدة طويلة تتكون من 426 فقرة. ومن هذه القصيدة:

عظامي تبكي
هذه على تلك
أوصالي تئن
بعضها على بعض
وأنا أنوح[2]

---

[1] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص24.

للمزيد من التفاصيل عن حياة مناحيم بن ساروق وشعره وعلاقته بحسداي بن شبروط.

ينظر: ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.244-251.

[2] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص25-26.

أما دوناش بن لبرط، فهو صاحب الانقلاب الكبير في الشعر العبـري، حيث دعا من مدينة قرطبة الشعراء اليهود أن يزنوا أشـعارهم طبقـاً للبحـور العربية فتعرَّض لنقد عنيفٍ من بعض الشعراء اليهود أمثال إسحاق بن قبرون، تلميذ مناحيم بن ساروق الذي كتب قصيدة سخر فيها من دوناش، وأرسلها إلـى حسداي بن شبروط، قائلاً فيها:

هـا هـو ابـن لبـرط كتـب بـاطلاً
وظنَّ أنـه نجـح، وأصـلح القـول المـأثور
لكنـه أتلـف اللـسان المقـدَّس
بوزنـه العبريـة بمـوازين أجنبيـة[1]

كما أحدث ابن لبرط تطويراً آخر على الشعر العبري عندما أضاف إليه أغراضاً جديدة كالإخوانيات والخمريات والوصف والهجاء.

ولقد أعجب كثيرٌ من شعراء اليهود بالتجديد الذي أدخله دونـاش فـي الشعر العبري واقتفوا أثره، كما أثنى عليه اليهود المعاصرون.
يقول آشتور: "لقد حفر دوناش بن لبرط اسمه بحروفٍ من ذهب فـي سـجلات الشعر العبري بسبب ابتكاره الكبير، فقد أدخل التفعيلـة العربيـة إلـى الـشعر العبري... وكان إدخال البحور العربية إلى ذلك الشعر ذا أهميةٍ بالغةٍ بالفعل، إذا أدَّى إلى تغيرَّه تغيراً كليّاً، فصار أكثر سلامة وأفضل صقلاً، وأسـهل للحفـظ والتداول. لكنَّ دوناش لم يتعلَّم من العرب البحور والأوزان فحسب، بـل تعلَّـم أيضاً بنية الشعر، مثل استخدام المقدَّمة والانتقال والصورة البلاغية... وهو لـم يُقلِّد شكل الشعر العربي فقط، بل قلَّد محتواه أيضاً، فأدخل إلى الشعر العبـري

---

[1] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص30-31.

مواضيع العرب. وكانت إحدى الموضوعات التي أُغرم بها الـشعراء العـرب بشكل خاص هي مدح الحكمة، وقد كتب دوناش أشعاراً حول هذا الأمر. كمـا كتب أشعاراً لمدح رعاة العلم تماشياً مع التقليد العربي"[1].

ومن شعره في مجال الحكمة، قوله في قصيدة وجهها إلى حسداي بن شبروط:

قـل يـا فـؤادي الحكمـة

والمعرفـة والإدراك

احرص على مـسالك الفطنـة

وعلـى مجـالس الأدب

وابحـث عـن الحـق

ولا تكـن عنيـداً

لـئلاَّ تُخـدع[2]

كما تكلَّم عن مجالس النبيذ، لكنَّه أظهر أنَّه ينهى عنها، خوفاً من أن يلقى معارضة من بعض المحافظين الذين لم يطيقوا أن يصل التطوّر بالشعر العبري لدرجة أن يصف الخمر ومجالسه بعد أن كان دينياً فقط. ففي إحـدى قـصائده يتخيل صديقاً يدعوه إلى شرب الخمر. ويصف له مجالسها فيقول:

لسوف نشرب بـين أجمـاتِ الزهـور المـسوَّرة بـالورود

ونهجـر الأحـزان بكـلِّ أنـواعِ الحبـور

ونـشارك بالمتعـةِ والـشراب مـن الأقـداح[3].

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.253-254.

(2) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص28-29.

(3) ATHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.255.

ولم يهمل يهود الأندلس الشعر الديني "بيوطيم"، ومن الذين كتبوا في هذا الشعر مستخدماً البحور العربية إسحاق بن مرشاءول وهو من علماء أليسانه، وتلميذ مروان بن جناح. ومن أشهر قصائده الدينية تلك التي يبدأها بقوله:

إلهـــي لا تحاســـبني حـــسب خطايـــاي

ولا تَكِـــلْ لـــي حـــسب أعمـــالي

اشـــــملني بفـــــضلك لأحيـــــا

يـــارب لا تعـــاقبني علـــى خطايـــاي[1]

لقد كان ابن مرشاعول ذو قابليةٍ فذَّة كشاعر، وقد كتـب أيـضاً شـعراً دنيوياً، وتَعْرِضُ أشعاره إلى أفكارٍ جديدةٍ، لكنها تتميَّزُ بموهبة التعبيـر ولغـةٍ جميلة وواضحة، وقد كان على معرفةٍ جيدة بكلِّ مكوِّنات فنِّ الشعر، بحيث أنـه صار في النهاية علامة بارزه في الشعر العبري في الأندلس، وفي ترنيمته (من ذا الذي يشبهك)، ينتهي كلُّ مقطعٍ بآيةٍ من النصوص المقدسة، التي تكون الكلمة الأخيرة فيها اسم من أسماء الله تعالى[2].

إنَّ خصوبة الشعر العربي، وأثره القوي الذي استسلم له ابن مرشاعول، والذي وجد تعبيره الأول في القبول بالشكل العربي الموزون، يمكـن أن يُـرى بسهولة في الشعر الدنيوي، الخاص بإسحاق بن مرشاعول، فقـد كـان يؤلـف القصائد في مناسباتٍ مختلفة، ويرسلها إلى الأشخاص المهمين، وإلى أصـدقائه في مدن الأندلس، وتظهر في تلك القصائد أفكاراً وصوراً معروفة فـي الـشعر العربي، مثل: "سر الحب"، "والافتتان" الذي يثور في داخل العاشق، والتَّوق إلى صحبة الأصدقاء. وقد كتب شعراً عن جمال الشباب، وذاك موضوع جديد على الشِّعر العبري. وبالتأكيد فإن هذا الموضوع كان مألوفاً في الشعر العربي منـذ

---

[1] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص34-35.

[2] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.395.

وقتٍ طويل، وفي الأجيال التالية له صار مألوفاً كذلك في الشعر العبري. وهكذا فإن ابن مرشاءول كان رائداً. وقد أدرك معاصروه ذلك فحاز على شهرةٍ كبيرةٍ كشاعر[1].

كما ظهر في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي لأوّل مـرَّة في تاريخ الأدب العبري أدبُ الكدية، احترفه الشاعر إسحاق بن خلفون، فكـان يتنقلُ بين مُدن الأندلس مادحاً من يغدق عليه، وهاجياً من يمسك عنه، ويذكر في إحدى قصائده كيف كافأه أحد الأغنياء بقطعة جبن على مديحه له[2].

وكانت إحدى الموضوعات المتكرّرة في أشعار ابن خلفون هي العـذاب الحاصل من فراق الأصدقاء، وهو يتفوّق في هذه الأشعار بشكلٍ خاص. يقـول في إحدى قصائده:

بقلـب مـضطرب وحـزن شـديد أرثيـك
وأتنهـدً وأبكـي بحرقـة [3].

وكان لابن خلفون دوراً مهماً في تطوير الشعر العبري فـي الأنـدلس، فبعد أن أدخل دوناش الأوزان العربية إلى الشعر العبري، تبنى الشعراء اليهـود في ختام القرن الرابع الهجري/العاشر المـيلادي أغـراض الـشعر العربـي، فتواصل التطور في الشعر العبري، وكان ابن خلفون من أبرز الـشعراء فـي عصره الذين ساروا في هذا الطريق. إذ أن معظم قـصائده كانـت موزونـة،

---

(1) IBID, VOL.1, P.395-396.

(2) ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص37-38.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.397-398.

وتتناول أغراضاً مختلفة. وإضافة لما سبق فقد تناول ابن خلدون فـــي قـــصائده الغزل على طريقة الشعراء العرب[1].

وقد ظهر تعدد الأغراض في الشعر العبري واضحاً في عصر الطوائف على يدي إسماعيل بن نغدله الذي يرجع له الفضل في تطعيم الــشعر العبــري بفنونٍ جديدة اقتبسها مــن الأدب العربــي، كالــشِّعر القصــصي والخمريــات والإخوانيات والغزل ووصف المعارك ووصف الطبيعةِ والرثاء. وتُعدُّ خمريات ابن نغدله من أحسن ما كُتِبَ في العبرية في هذا الفنّ من الشِّعر، وقد كتب فيــه نحو تسع عشرة قطعة[2].

وكتب الشاعر والنَّاقد الشهير الحريزي تقييماً لقصائد إسماعيل بن نغدله، يقول فيه: "إنَّ قصائده فخمة ومهمة، ومحتواها جديد وجريئ، ولكنَّ الرُّباعيــات عميقة وصعبة إلى درجة أنها تحتاج إلى تفسير"[3].

ومن شعره في الوصف قوله:

انظر إلى الياسمين، أخــضرُ ســاقه كــالزُّمُرُّد

وأوراقــــــــــه وفروعــــــــــــه

وزهــــــــــره كـــــــــالبلور أبــــــــيض[4].

وفي وصفه لإحدى المعارك التي شارك فيها إلى جانب الدولة الزيريــة في غرناطة، يقول:

والخيــــل تجــــري رواحــــاً وغــــدوّا.

كأفـــــاعٍ أطلقـــــت مــــن جحــــور

---

[1] ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.398.

[2] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص45.

[3] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.737.

[4] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص46.

والرِّمـــــــاح التـــــــي ترمـــــــى
كـــــالبرق يمــــلأ بريقهـــا الفــــضاء[1]

وفي وسط هذه المعارك يتضرَّع الشاعر إلى ربَّه فيقول:

انظـــــــر اليــــــوم محنتــــــــي
واســـــــمع واقبـــــــل صـــــــلواتي
تـــــــذكرّ حـــــــسنةً لعبـــــــدك
ولا تحزُنِّـــــــي فـــــــي محنتـــــــي[2]

لقد ظهر أعظم شعراء النَّهضة الأدبية لليهودِ في الأندلس بُعيدَ عــصر إسماعيل بن نغدله، وفي جزء من عصره. وقد علَّق إبراهيم بن داود مؤرِّخ ذلك العصر على التطوُّر التدريجي للأدب قائلاً: "في أيام الوجيه حسداي بدأ الشعراء يزقزقون، وفي عصر إسماعيل راحوا يغرِّدون بصوتٍ عالٍ"[3].

وكان سليمان بن جابيرول حوالي (411-463هـــ=1020-1070م) أحد أولئك الشعراء الذين علت أصواتهم تغرَّد بشعر جميل. وقد ولد هذا الشاعر في مالقة، من عائلةٍ يهودية هاجرت من قرطبة، ومات أبوه وهو صبِّي، فعـــانى من الفقر في مسقطِ رأسه، مما اضطرّه للخروج إلى سرقـــسطة. وكـــان ابـــن جابيرول عليلاً، انتابته الأمراض صغيراً. ولم تثبّط ظروفه الصعبة من هِمَّته في طلب المعرفة، وقرض الشعر العبري في مقتبل عمره. وكان بالرغم من فقـــره المدقع معتزاً بنفسه[4]، كما هو واضح في أوّلِ أبياتِ قرضها وهـــو فـــي ســـنّ السادسة عشرة. يقول فيها:

---

(1) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص47.

(2) م. ن، ص47.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.637.

(4) IBID, VOL.2, P.638;

أنـــــا الــــــرئيس والــــــشّعر عبــــــد لـــــــي

أنـــــا ربابـــــة للموســــــيقيين والـــــشعراء

وســــنون حيـــاتي ســــت عـــشرة، ولكننـــــي

أحمل بــين جنبــاتي قلــب ابــن الثمــانين[1].

وهو يصوّر حالته البائسة في قصيدته المسّماة بالنفس الجريحة، فيقول:

وهمـــــــــــومي تُنبـــــــــتُ أشـــــــــعاري

وآلامـــــــــــي تطـــــــــاردُ أحزانـــــــــــي

ألهــــــــــــو وقلبـــــــــــي مُنفطــــــــــر

ألمـــــــاً لحيـــــــاتي التـــــــي تـــــــذبل[2].

ويشنُّ هجوماً عنيفاً على يهود سرقسطة، قبل أن يغادرها، في قـــصيدة بعنوان: "جَفّت حنجرتي من المناداة". يقول فيها:

إنّهـــــــم شــــــعب احتقــــــــر أجـــــــداده

وهم أحقر من أن يكونوا كلابـــاً تحـــرسُ خرافـــي

فوجـــــــــوههم لا تحمــــــــــرُّ خجـــــــــلاً[3]

لقد نال ابن جابيرول إعجاب الشعراء والنُّقاد، فقال فيه شـــاعر الجيـــل التالي موسى بن عزرا: إنه "فارس الأسلوب وسيِّد الأشعار"[4]. واعترف النّاقـــد

عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص52؛ هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص86؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.29-30.

(1) عبد المجيد، اليهود في الأنـــدلس، ص52-53؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.639.

(2) عبد المجيد، اليهـــود فـــي الأنـــدلس، ص53؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.638.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.41-42.

(4) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.639.

اللاحق الحريزي بأنَّ السَّليمان الجديد يستحقُّ تاج الشعر العبري: "لقــد عمّــده الرَّبُّ كملكٍ في مملكة الشِّعر، فهو الذي صنع نشيد أناشيد سليمان. وكــان كــل أولئك الذين تبعوه قد تبنوا ذوقه، وكانت روح موسى ترفرف فوقهم"[1].

وفي أوائل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي برز شــاعر ســبق أن ذكرنا جهوده في مجال النحو العبري وهو موسى بن عزرا، الذي تميَّزَ بولعــه بالمحسّنات البديعية وخاصة الجناس، إذ نسج على منوالِ الجناس العربي أبياتــاً عبرية أنهى كلَّ مجموعةٍ منها بكلمةٍ واحدة، يختلفُ معناها في كلِّ بيت، وجمع هذه الأبيات في كتابٍ أهداه إلى صديقٍ له يُدعى إبراهيم بن مهاجر، ويتــضمن هذا الكتاب 1210 أبيات تتناول موضــوعاتٍ مختلفــة كالخمريــات والحــب والوصف. وقد قدَّم بنظمه هذه الأبيات دليلاً قاطعاً على تمكنه وتعمقهِ في ألفاظ اللغة العبرية ومعانيها[2].

وثمة قصيدة من قصائده مشهورة بثراءِ ألوانها، يقول فيها:

لقــــــد طرحـــــــت الحديقـــــــة أنـــــــسجةً مُلَوَّنــــــةَ

ثوبـــــــــاً مـــــــــن التطريـــــــــز الأخـــــــــضر

لكن الوردة الملكة على العــرش العــالي تقــدَّمت الجميــع.

واخترقــت ســور الأوراق واســتبدلت ملابــس الــسجن

وإنّ كل مــن لا يــشرب نخبهــا يرتكــب إثمــاً كبيــراً[3].

وفي شبابه كان الشاعر ما يزال يحلم بالوجه الجميل، ودنان الخمــر، وبحديقــة تمتلئ بتغريدِ الطيور، وبجدولٍ رقراق. لكنَّ أحلامه هذه قد انتهت بسبب حُبَّــه

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.639.

(2) عبــد المجيــد، اليهــود فــي الأنــدلس، ص68. ينظــر: HAIM BEINRT, ENCYCLOPEDIA JUDACA, VOL.11, P.550.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.736-737.

الفاشل. فقد أحبَّ الشاعر ابنة أخيه، وكان متشوّقاً للزواج منها وقد أحّبتهُ الفتــاةُ أيضاً. لكنَّ والدها اعترض، وزوجها من رجلٍ آخر. وقد ملأ هــذا روح ابــن عزرا بالحزن لمدَّة طويلة. وغادر غرناطة وصار متــشّرداً. وزادت أحزانــه عندما تلقى نبأ وفاة محبوبته أثناء الولادة.

وصارت قصائده محصورة بالحديث عن الحياة والموت، وفي المواضيع الدينية[1]. وفي إحدى قصائده عن الحياة والموت يقول:

فليـــــذكر الإنـــــسان فـــــي حياتـــــه

أنـــــه يـــــسير فـــــي طريـــــق المـــــوت

يـــــسافر كـــــل يـــــوم رحلـــــة بطيئـــــة[2].

وكتب مئات عِدًّة من الأدعية والترانيم الدينية، التي تردد في المناسبات الدينية اليهودية. ومن أجل ذلك لُقَّب موسى بـــ (HASALAKH)، أي سـيد الصلوات المتمكّن[3].

ومن شعراء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أيضاً يهــوذا بن صاموئيل اللاوي (468-536هـــ=1075-1141م) من أليسانة[4]. ويعتقـد كثير من اليهود إلى الآن أن يهوذا اللاوي أحسن من نظم شعراً بالعبرية. وقـد ترك ثروة أدبيةً في المجال الديني والأدبي والفلسفي. ومن شعره الديني بيتــان سّماهما عبد الله. يقول فيهما:

عبيـــــدُ الـــــدنيا عبيـــــدُ لعبيـــــد

وإنمـــــا الحـــــرُّ هـــــو عبـــــد الله

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.737.

(2) IBID, VOL.2, P.737

(3) IBID, VOL.2, P.373

(4) HAIM BEINART, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

حين يسعى كلٌّ امرئ إلى هوايته

تقول نفسي هوايتي تسبيحُ الله[1].

وقد قرض قصائد لترتَّل في المناسبات الدينية، ومن هذه القصائد تلك التي مطلعها:

إلهي بمن أُمثِّلك؟

وليس هناك من يُعادلك

بمن أشَبِّهُك

وكل صورة من عملك [2]

وقد نظم يهوذا نوعاً من الشعر لم يطرقه أحد من شعراء العبرية قبله، وهو شعر الألغاز. ومن هذا الشّعر قوله عن القلم:

رفيع جاف أملس

أخرس ولو أنه طليق اللسان

يقتل المرء في صمت

ويريق الدِّماء في فمه[3]

وفي هذا القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي قام يهودي اسمه عليزار بن يعقوب (566-630هـ=1170-1232م) بترجمة كتاب "كليلة ودِمنة" إلى اللغة العبرية. فأقبل اليهود على قراءته، وأحبُّوا هذا النوع من القصص الخرافية، فقام أُدباؤهم بمحاولاتٍ التقليدِ هذا الكتاب، فألف اليهودي الأندلسي يوسف زبارا (535-597هـ=1140-1200م) كتاباً باللغة العربية،

---

[1] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص75.

[2] م. ن، ص75.

[3] م. ن، ص76.

يحتوي على العديد من القصص والأساطير الممتعة، وسّماه كتاب "البهجة والسرور"[1]. وقد قام يوسف قمحي بترجمته إلى العبرية بأسلوب شعري[2].

كما ألّف سليمان بن جابيرول كتاباً في الأمثال والحكم سمّاه "مختار اللآلئ"، وسجّل فيه عدداً كبيراً من الأمثال والحكم، وهي تتعلّق بموضوعات مختلفة، وقد نقل كثيراً منها عن أمثال العرب وحكمهم. ويُعدُّ كتاب ابن جابيرول بداية لظهور هذا الفنّ في الأدب العبري، بعد أن كانت الأمثال والحكم عند اليهود محصورة بما جاء في الكتاب المقدَّس، ومقتصرة على النواحي الدينية فقط[3].

وفي هذا القرن أيضاً، عرفت العبرية نوعاً جديداً من الأدب لأوّلِ مرَّةٍ، على يدِ سليمان بن صقبل، وهو فنُّ المقامات[4]. وبذلك صار اليهود يقرأون باللغة العبرية فَنّاً طالما تمتّعوا بقراءته باللغة العربية، وتمنّوا أن يجدوه في أدبهم. وقد قلّد ابن صقبل كثيرون، مثل يوسف بن زبارا. ولكنَّ أحسنهم كان أبو زكريا يحيى بن سليمان بن شاؤول الحريزي[5]، أو يهوذا بن سليمان الحريزي حسب اسمه اليهودي[6]. آخر شعراء النهضة الأدبية اليهودية في الأندلس[7].

---

[1] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص120-121.

[2] م. ن، ص123.

[3] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص494. ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص120-127.

[4] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص74.

[5] قارة، حياة، أندلسي في حلب، دراسة لترجمة خطية لابن شاؤول الحريزي الطليطلي، وجدت في الجزء الثامن من كتاب "قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان" لابن الشعار الموصلي، وهي محطوطة نشرت بالتصوير من طرف معهد العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت، مجلة دراسات مغاربية، ع8، 1998م، ص7-8.

[6] م. ن، ص9؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص81.

[7] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.745.

ولد الحريزي في الأندلس سنة (565هـ=1165م)، وهاجر شمالاً إلى أسبانيا النصرانية وهو صبيّ، وهناك واصل تعليمه في مدارس يهودية ظلَّت تحت تأثير الثقافة الإسلامية، بالرَّغمِ من وجودها على أرضٍ غير إسلامية. واكتسب يهوذا شهرته من ترجمته لمقامات الحريري العربية إلى اللغة العبرية. وقد حرص يهوذا في ترجمته هذه أنْ يصبغها بصبغةٍ يهوديةٍ، بمعنى أنه لم يتقيدَّ بالنَّص العربي الذي يشيرُ أو يقتبس آيات من القرآن الكريم أو أمثالاً أو تقاليد عربية، أو أسماء لقبائل وشعراء عرب[1].

والحريزي لم يتعلَّم أيّ مهنةٍ غير الأدب والترجمة. لذا فقد كان يتجوّل في شمال أسبانيا وجنوب فرنسا، يترجم ما يُطلبُ منه من العربيةِ إلى العبرية، ويمدحُ بالعبرية كل من يغدق عليه، ويهجو كلَّ من يمْسِكُ عنه. وبعد أن قضى شبابه متجوّلاً، فكر في أواخر أيامه أن يقوم برحلةٍ إلى الشرق، ليمدح أثرياء اليهود هناك أملاً في الإغداقِ عليه، وزارَ مصر والشام والعراق، وكان في كلِّ بلدٍ يحلُّ فيه يمدحُ وجهاء اليهودِ فيها. وفي سوريا بدأ كتابة مقامات بالعبرية ليهودها اللذين يمدُّون له يد المساعدة المالية.

ومقاماته التي تُسمى اليوم "بتحكموني" والتي كتبها بالعبرية تتضمَّن خمسين مقامة. وفي هذه المقامات أثبتَ الحريزي أنه أديب ممتاز، يستطيع أن يتلاعب بالألفاظ، و يُحسن استعمال المحسنات اللفظية والبديعية. وتشتمل مقامات الحريزي على فكاهة وفلسفة وحكم وأمثال. ومما زاد في أهمية المقامات الحريزية اشتمالها على مقامتين ضمَّنهما تاريخ الأدب العبري في الأندلس[2]. ويعترف الحريزي في إحدى هاتين المقامتين أنَّ شعره أقلّ من أن يُقارن بأشعار فحول الشعراء أمثال ابن جابيرول، ويهوذا هاليفي، وموسى بن عزرا وغيرهم.

---

[1] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص92؛ IBID, VOL.2, P.745.

[2] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص93-94.

يقول: "ونحن الآن نلتقط فضلات حصادهم الذي نسوه. إننا نتّبعُ خطواتهم، لكننا لا نستطيعُ أن نأخذ القيادة منهم"[1].

ويشير إلى أنَّ عصره يُمثِّل بداية غروب شمس العصر الذهبي للأدب العبري بقوله: "لقد عثر سليمان وموسى ويهوذا على أشخاصٍ متنوِّرين كرماء، اشتروا منهم جواهرهم، لكنّي ولِدتُ في العصر الذي اختفى منه كل الرُّعاة، وقد عثروا هم على أنهار الفردوس، أما أنا فقد عثرت على الحرارة والجفاف"[2].

وفي إحدى مقاماته يقدم وصفاً للشعراء والأدباء اليهود في الدول التي زارها، وهو يقسو كثيراً على شعراء تلك البلدان الذين لم يكونوا أكثر من مقلّدين للشعراء اليهود الأندلسيين[3].

مات الحريزي سنة (622هـ=1225م)، وبموته أسْدِلَ السّتارُ على مرحلةٍ من أزهى مراحل الأدب العبري، استمرت أربعة قرون، واستحقّت أن تُسمّى بالعصر الذهبي للأدب العبري[4].

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.745.

(2) IBID, VOL.2, P.746.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.7

(4) م. ن، ص95.

المبحث الثالث

النشاط الفكري والعلمي لليهود في الأندلس

أولاً: العلوم الدينية

ظلت الدراسات التلمودية لليهود في الأندلس تحتل المرتبة الأدنى في الإنتاج الفكري اليهودي، وذلك بسبب توجه معظم المثقفين اليهود هناك نحو الدراسات الأدبية والفلسفية والعلمية، واستمر هذا الحال إلى أن احتلَّ حسداي بن شبروط منصباً مهماً في حكومة الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ=912-961م)، وصار يُقلد ملوك وأمراء وأثرياء المسلمين في الأندلس، الذين رغبوا في جعل بلدهم مركزاً للعلم والحضارة، فجلبوا إليه العلماء وشجعوهم، وأرسلوا إلى المشرق الإسلامي من يحضر إليهم ما يصدره العلماء هناك من كتب ورسائل، فكان الكتاب يشتهر في الأندلس في بعض الأحيان قبل أن يشتهر في بلد المؤلف نفسه؛ لقد أرسل حسداي إلى مختلف البلدان من جلب إليه نسخ التوراة الثمينة، وغيرها من الكتب التي كان يسمع عنها[1]؛ وفي الرسائل التي يصف بها يهود جنوب إيطاليا لحسداي اضطهاد السلطات البيزنطية لهم، ذكر أنه قام صاموئيل مبعوث حسداي إليهم بنسخ كتاب جوزيف بن غوريون، واستغرق في نسخه ثلاثة أشهر[2].

ولم يقتصر نشاط ابن شبروط في هذا المجال على جلب الكتب، بل أرسل إلى علماء اليهود المشهورين من يدعوهم ويَعِدُهم ويشجعهم على القدوم

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.228-229, 237.

ينظر بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص488-489؛

HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.963.

(2) JACOB MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE, VOL.2, P.25-26.

إلى الأندلس، ويتحدث شاعر يهودي أندلسي عن حسداي فيقول: "إنه غرز أعمدة الحكمة، وجمع حوله رجالاً ذوي علم ومعرفة من فلسطين إلى العراق"[1].

ويعبر هذا النشاط الذي قام به حسداي عن روح التسامح، وعن الحرية الفكرية والدينية التي كانت تسود في الأندلس، فلو أنّ حسداي يعلم أنّ نشاطاته تلك تتعارض مع سياسة الحكومة، لما قام بها وعرَّض نفسه ومنصبه للخطر.

وكان الحبر اليهودي الإيطالي موسى بن حنوخ قد نقل إلى الأندلس العلوم التلمودية، والسن اليهودية المعروفة في إيطاليا، وتخرج على يديه العديد من التلاميذ، الذين صاروا يخدمون هذه الدراسات؛ وكانت ترجمة التوراة والميشنا إلى اللغة العربية التي يفهمها يهود الأندلس أكثر من اللغة العربية من أهم الأعمال التي دعمت الدراسات الدينية اليهودية، وقد قام بترجمة التوراة إسحاق فالسكيز في قرطبة سنة (335هـ=964م)[2].

وكان إسماعيل بن نغدله أحد تلاميذ الفاسي، وقد قام بالرغم من مهماته السياسية والأدبية بتأليف تفسير للتلمود، احتوى على تاريخ ومنهجية ما يُدعى بـ"السنة الشفوية"[3].

وكان الحبر الأعظم لأليسانة هو إسحاق بن غيَّاث (ت: 482هـ=1089م)، وهو أستاذ متبحِّرٌ في التفسير والفقه اليهودي، وكانت إنجازاته الرئيسة قد تركزت في مجال التلمود، ولكن لم يُحفظ منها إلا القليل؛ وأفضل أعمال ابن غيَّاث التي ما تزال محفوظة، ويردد اليهود الكثير منها هي

---

(1) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.230.
نقلاً عن: IBN EZRA, MOSES, SHIRAT YISRAEL, P.63-64.

(2) طاهر، حامد، "منهج النقد التاريخي عند ابن حزم"، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (ع6، 1408هـ-1988م)، ص613.

(3) IBID, VOL.1, P.237;
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.643.

قصائده الدينية، وهي تزيد على ثلاثمائة قصيدة، نظـم معظمهـا علـى نمـط الموشحات العربية[1].

وكـان للعـالم التلمـودي المغربـي إسـحاق الفاسـي (404-496هـ==1013-1102م) الذي ارتحل في زمن المرابطين إلـى الأنـدلس، واستقر في أليسانة، أثرٌ كبيرٌ على تطور الدراسات التلمودية، وقد عَدّه اليهـود خليفة الأحبار المشرقيين، وناقلُ علمهم إلى الأندلس؛ وقد أصبح الفاسي رئيـساً للمدرسة التلمودية في أليسانة، تلك المدينة التي أصبحت المركز الروحي الجديد ليهود الأندلس بعد قرطبة وغرناطة؛ وقد تقاطر الطلاب اليهود من كل أرجـاء الأندلس إلى تلك المدرسة، وتلقوا العلوم التلمودية على يدي ذلك العالم الكبير[2].

ويُعدّ كتاب "التلمود المختصر" أعظم أعمال إسـحاق الفاسـي، حيـث اختصر فيه التلمود، وسجل في مختصره ما يعتقد أنه مهمٌ ومفيد، فسَهّل علـى الطلاب استيعاب العلوم التلمودية؛ وعندما توفي الفاسي حزن يهـود الأنـدلس، وكتب أعظم شعرائهم في ذلك العصر يهودا هاليفي على شاهدِ قبـره الأبيـات التالية:

في يوم سيناء، ارتعـشت الجبـال تـشريفاً لـك
لقـد قابلـك ملـك الـرَّب
وحفـر التـوراة علـى ألـواح قلبـك
ووضـع تاجـه المفقـود علـى رأسـك[3]

---

(1) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص62؛
DUBNOV, HISTOY OF THE JEWS, VOL.2, P.644.

(2) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.643-644;
HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(3) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.644.

وكانت إشبيلية هي المركز الآخر بعد أليسانة التي انطلقت منها دراسة التلمود، وكان الحبر إسحاق الباليا المعاصر للفاسي فاعلاً جداً هناك، وقد كتب بحوثاً عدة عن قانون التلمود، تحتوي على كثير من التحليل والنقد والتفسير؛ وبعد دخول المرابطين إلى إشبيلية جُرِّد الباليا من مكانته العالية، وقضى أغلب حياته في غرناطة، ومنها بدأ جدلاً فكرياً مع الفاسي، وتبادل الحبران النقد واللوم كتابياً وشفوياً[1].

وتقول الرواية اليهودية أنه عندما أحس الباليا بدنوٍّ أجله شعر بالقلق على ولده باروخ، الذي كان في السابعة عشرة من عمره، فاستدعاه، وأمره بالذهاب إلى أليسانة للتتلمذ على يدي إسحاق الفاسي[2].

وكان أبو زكريا يحيى بن صاموئيل بن بلعام، أو "يهودا"، حسب اسمه العبري، أحد علماء اليهود التلموديين في الأندلس، وقد ولد في طليطلة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وتعلم فيها، حيث درس الكثير من البحوث التلمودية مثل كتاب "الأديان والآراء" للحبر سعديا، ثمّ انتقل إلى إشبيلية، وعمل فيها معلماً، وهناك وضع ابن بلعام أهم مؤلفاته الدينية، وهي تفسيراتٌ للتوراة باللغة العربية، وكان جريئاً في كتابته، إذ انتقد كثيراً من آراء المشاهير قبله أمثال سعديا وإسماعيل بن نغدله[3].

ومن علماء اليهود التلمودين أبو الحسن اللاوي، أو يهودا اللاوي، وقد عاش في الأندلس خلال المدة من (468-536هـ=1075-1141م)، وهو

---

(1) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.644-645.

(2) ولفنسون، إسرائيل، موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط6، 1355هـ-1936م)، ص3؛
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.645.

(3) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.173-176;
الموسوعة العبرية، م25، ص487.

صاحب كتاب "الحجة والدليل في نصر الدين الذليل" الذي قيل أنه استغرق في تأليفه عشرين سنة، وأنه كان رداً على سؤال أحد اليهود، ويدافع اللاوي فيه عن اليهودية بالمقارنة مع الفلسفة اليونانية والديانتين النصرانية والإسلامية، وقد قسم كتابه إلى خمسة أقسام؛ ويتضح من خلال هذا الكتاب ثقافة صاحبه الواسعة، وتمكنه من العقيدتين النصرانية والإسلامية، وفلسفة الإغريق، وفلسفة ابن سينا[1].

لقد تطورت الدراسات الدينية اليهودية في الأندلس تطوراً كبيراً، ونال الأحبار اليهود الذين تلقوا علومهم في الأندلس شهرة واسعة، وصار يهود المشرق ينظرون باحترام إلى الأحبار الذين يأتون إليهم من الأندلس.

وتشير العديد من وثائق الجنيزة المكتشفة في القاهرة إلى عالم يهودي قدم إلى مصر من الأندلس، يدعى إسحاق بن صاموئيل الأندلسي، وتبين الرسائل والوثائق من سنة (481هـ=1088م) إلى سنة (521هـ=1127م) أن إسحاق هذا قد لقي تبجيلاً كبيراً من يهود مصر، وأنه قد أصبح قاضياً لهم لسنوات عدة، وأنه قد منح ألقاباً فخرية مثل "معلم الكلية"، و"رجل المحكمة القدير"، وأنه بالرغم من تكريم يهود مصر له، إلا أنه كان يتباهى بأصله الأندلسي، ويحافظ على اتصالاته بأحبار اليهود في الأندلس[2].

وكان أشهر عالم على الإطلاق أنجبه يهود الأندلس هو موسى بن ميمون، الذي يسميه العرب موسى بن ميمون عبيد الله، ويسميه الأوربيون "ميمونيدس"، ويختصر اليهود اسمه إلى "رمبم"، وقد ولد بقرطبة سنة

---

[1] الكواتي، اليهود في المغرب، ص160؛ الحفني، عبد المنعم، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، (بيروت، دار المسيرة، ط1، 1980م)، ص160؛ جلال، الدب العبري، ص135-136.

[2] ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.4-6.

(530هـ=1135م)[1]، وتربى في بيئة علمية، حيث عمل والده ميمون التلمودي قاضياً، بعد أن تخرج من مدرسة الفاسي بأليسانة، وقد تعلم موسى الكثير من الأدب العربي والعبري قبل أن ترحل عائلته من قرطبة إلى المرية سنة (543هـ=1148م)[2]، وفي المرية تلقى موسى المزيد من التعليم الديني، كما درس الفلسفة والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية على أيدي الأساتذة المسلمين[3]؛ وصار لابن ميمون توجهاً فكرياً خاصاً وحماساً لكتابة أفكاره، ورغبة في تطوير الدراسات التلمودية، فبدأ في سنة (553هـ=1158م) بكتابة تفسير شامل للميشنا[4]، وقد انتهى منه بعد عقد كامل[5].

وفي سنة (555هـ=1160م) هاجرت عائلة ابن ميمون إلى فاس؛ وهناك تتلمذ موسى على يدي علم يُدعى يهوذا الكاهن؛ ولم تستقر أسرة ميمون طويلاً في فاس، بل تركتها حوالي سنة (561هـ=1165م)، وأبحرت إلى عكا ثم إلى مصر، واستقرت في مدينة الفسطاط، حيث كان الخلفاء [الفاطميون] يحسنون معاملة اليهود وغيرهم من الذميين؛ وأنشأ يهود الأندلس الذين ازداد عددهم في الفسطاط في زمن الموحدين مدرسة لتعليم علوم الديانة اليهودية

---

[1] ولفنسون، موسى بن ميمون، ص1-3؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص88؛ LUZARUS GRUNHUT, MOSES B. MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.9, P.73.

ديورانت، قصة الحضارة، جـ3، م4، ص120.

[2] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.759-760.

[3] ولفنسون، موسى بن ميمون، ص4-7؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص88؛ جلال، الأدب العبري، ص146.

[4] الميشنا: قسم من التلمود، الذي ينقسم إلى قسمين: الميشنا والجمارا، والميشنا بمثابة المتن، والجمارا بمثابة الشرح. ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص90؛ ولفنسون، موسى بن ميمون، ص43.

[5] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.762.

والفلسفة والرياضيات والطب؛ وانضم موسى بن ميمون لهذه المدرسة، وواصل البحث والدرس، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح من أساتذتها المبـــرِّزين[1]، وعندما حكم الأيوبيين مصر صار ابن ميمون طبيباً للحكام الأيوبيين، ثم رئيساً للطائفة اليهودية في مصر[2].

لقد كان الإنتاج الفكري لابن ميمون غزيراً في علوم الديانة اليهوديـــة، وقال عنه ابن أبي أصيبعة: "عالم بسنن اليهود، ويُعدّ من أحبارهم"[3]، ومن أوائل الكتب التي كتبها ونشرها، كتاب بعنوان "مناظرة عن الردة"، وقد كتبه وهو في المغرب رداً على رسالة أرسلها أحد الأحبار إلى الطوائف اليهودية في أفريقيا، يفتي فيها بأن أي يهودي ينطق بالشهادة يُعدّ مرتداً، حتـــى وإن كـــان يتظـــاهر بالإسلام، ويمارس الشعائر اليهودية؛ وقد هاجم ابن ميمون –الذين كـــان أحـــد اليهود المتظاهرين بالإسلام– ذلك الحبر، وأثبـــت صـــحة يهوديـــة وتـــصرف المتظاهرين بالإسلام؛ وفي سنة (564هـ=1168م) أنهى ابن ميمون تفـــسيره للميشنا الذي بدأ به عندما كان شاباً في الأندلس، وقد كتبه بالعربية وسماه كتاب السراج، وفيما بعد ترجمه العديد من العلماء إلى العبرية؛ وفي مقَدّمته ذكر بـــأن الهدف من وراء عمله هو تمكين الطلاب من استيعاب الميشنا، وإدراك التفسير العملي لكلٍّ قانون فيها[4].

---

[1] عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص88–89.

[2] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.762.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص583.

[4] DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.672.

ينظر: ولفنسون، موسى بن ميمون، ص43–45؛

L. GRUNHUT, MOSES B.MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.2, P.74.

ويعلق ولفنسون على أسلوب ابن ميمون في الكتابات الدينيـــة بقولـــه: "وأسلوب موسى العبري غني بالمفردات، دقيق في التعبير، وهو ليس بأســلوب الميشنا الخالص، كما أنه ليس بأسلوب الكتاب المقدس، وإنما هو خلــق جديــد خاص به قد أثرت فيه الأساليب النثرية العربية المألوفة عند علماء المسلمين في عهده، وكان أسلوب موسى بن ميمون العبري قد أصبح المثل الأعلى لكلٍ مــن دوّن في التشريع بالعبرية"[1].

إنّ عقلية موسى بن ميمون وثقافته التي تشكلت وتأثرت بالبيئة العلميــة التي تميزت بها الأندلس تحت حكم المسلمين، مكنته من الإبداع في كل ما كتب، ولا تزال مؤلفات ذلك الرجل من أمهات الكتب التي يرجع إليها علماء اليهود في الديانة والفقه اليهودي[2]، مما جعلهم يقولون فيه "من موسى [النبي عليه السلام] إلى موسى [ابن ميمون] لم يظهر كموسى"[3].

يقول إسرائيل ولفنسون: "ولسنا نعلم رجلاً آخر من أبناء جلدتنا غير ابن ميمون، قد تأثرَّ بالحضارة الإسلامية تأثراً بالغ الحد، حتى بدت آثاره، وظهرت صبغته في مدوناته، من مصنفات كبيرة ورسائل صغيرة"[4].

مات موسى بن ميمون في مصر سنة (601هـ=1204م)، ثــمَّ نُقلــت عظامه إلى طبرية حسب طلبه قبل موته، وقد كُتب على قبره هناك بالعبرية ما ترجمته: "دُفن في هذا القبر موسى بن ميمون الطريد المحروم الكافر"[5].

---

[1] ولفنسون، موسى بن ميمون، ص49؛
LAZARUS GRUNHUT, MOSES B. MAIMAN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.2, P.74.

[2] ولفنسون، موسى بن ميمون، التصدير؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص90.

[3] ولفنسون، موسى بن ميمون، ص26؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص90.

[4] ولفنسون، موسى بن ميمون، ص ك.

[5] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص240؛
LAZARUS GRUNHUT, MOSES B. MAIMAN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.9, P.74.

ويروي ابن العبري أنه رأى جماعة من يهود بلاد الفرنج بأنطاكية وطرابلس، يلعنونه ويسمونه كافراً[1]؛ وقد دفع ذلك بالبعض للقول بأن موسى بن ميمون قد أسلم في أواخر أيامه[2]، لكن اليهود في وقتنا الحالي يرفضون ذلك[3]، إذ يقول ولفنسون عن العبارة السابقة التي على قبره أنها من وضع أعدائه، وأن هناك عبارة أخرى على القبر هي: "دفن في هذا القبر معلمنا موسى بن ميمون مختار الجنس البشري"، وأنّ هاتين العبارتين المتناقضتين تعبران عن الخلاف بين طائفتين يهوديتين متنازعتين حول شخصية موسى بن ميمون[4].

ولا يعرف شيء عن الكتابات الدينية لليهود في سلطنة غرناطة المسلمة في عهد سلاطين بني نصر، غير أننا نعرف أنه كان هناك عدداً من العلماء والكُتّاب أمثال يهودا بن طيبون، وسعديا بن ميمون بن دنان، وسليمان بن جوزيف بن أيوب[5]، وإبراهيم سينيور (SENIOR)، وسليمان بن فيرغا[6].

والجدير بالذكر أن الفكر الديني اليهودي قد تأثر بالفكر الديني الإسلامي تأثراً كبيراً، وممن كتب في هذا الموضوع اليهودي نفثالي فيدر، وهو يقول في كتابه "التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية": "إن الديانة اليهودية تأثرت تأثراً عظيماً بالبيئة الإسلامية"[7]، ويذكر نفثالي أن الوضوء كان من بين العبادات الكثيرة التي تأثر بها اليهود، فقلدوا به المسلمين، إذ أن الشريعة اليهودية لا

---

(1) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص240.

(2) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص90؛ جلال، الأدب العبري، ص146.

(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص90.

(4) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص26؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص89-90.

(5) HAIM, BEINART, GRNADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.853.

(6) HAIM, BEINART, MALAGA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.1, P.817.

(7) فيدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ص9،

توجب غسل القدمين في الوضوء، ولكن اليهود الذين عاشوا في أرض الإسلام صاروا يغسلون أقدامهم تقليداً للمسلمين[1]، وقد عبر عن ذلك شاعر يهودي يُدعى مناحيم دي لونزانوا، فقال في إحدى قصائده:

لا يكن العرب أكثر منك طهارة

الذين يغسلون أيديهم وأرجلهم بالماء في الفجر وظهراً وعشية

وحتى في الليل بينما يشتد البرد، ويسقط الثلج[2].

ويتحدث فيدر أيضاً عن ذلك التأثير فيقول: "إن كبار المشرعين لم يتحرجوا من أن يستخدموا في تأليفهم أفكاراً وخواطر مأخوذة من التأليف في الإسلام وفلسفته، وكثيراً ما توغل هذا التأثير حتى في استعمال كلمات نجدها حيث لم تكن نتوقعها تماماً، ويكفي ذكر شاهد واحد وهو هذه العبارة: "فليفتنا سيدنا وأجره مضاعف في السماء، فهذه العبارة التي اقترنت طوال مئات السنين بالأسئلة التي كانت تعرض على الجاؤونيم من رؤساء الطائفة اليهودية، ومن خلفهم، مصدرها هي الأخرى من الخارج"[3].

ثانياً: الجدل الفكري بين المسلمين واليهود في الأندلس.

وقعت في الأندلس العديد من المجادلات الفكرية بين المسلمين واليهود، وقد ساعد على حدوث هذه المجادلات، الحرية الفكرية التي توفرت لهم، وإتقانهم للغة العربية، وحصول بعضهم على مناصب حكومية مهمة، ورغبتهم في الحفاظ على معتقداتهم التي يمكن أن يؤثر عليها فكر المسلمين وعقيدتهم.

---

[1] فيدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ص12-22.

[2] م.ن، ص21.

[3] فيدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ص10. ينظر: جوايتاين، دراسات، ص152.

وكانت أهم المجادلات التي شهدتها الأندلس، هي المجادلة بين ابن حزم الأندلسي (384-456هـ=994-1063م) وإسماعيل بن نغدله، وقد بدأت هذه المجادلة، عندما وقعت في يد ابن حزم نسخة من رسالة لابن نغدله يردّ فيها على كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنّحل"، ذلك الكتاب الذي يناقش فيه ابن حزم ما اشتملت عليه التوراة التي بين أيدي اليهود من تناقض وتحريف وتبديل، حيث أفرد لذلك فصلاً خاصاً سمّاه "فصل في مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة في الكتاب الذي تُسَمِّيه اليهود التوراة"[1]؛ وقد رد ابن حزم على ابن نغدله في رسالة خاصة، وصلتنا، ونشرت تحت عنوان: "الرد على ابن النغريلة اليهودي"[2].

ولم تكن هذه المجادلة هي المجادلة الأولى التي يخوضها ابن حزم مع إسماعيل بن نغدله، فقد التقى به قبل ذلك في مالقة سنة 404هـ، وسأله عن قول التوراة: "لا تنقطع من يهوذا المخصرة، ولا من نسله قائد حتى يأتي المبعوث الذي هو رجاء الأمم"، فقال ابن نغدله: لم تزل رؤوس الجواليت ينتسلون من ولد داود، وهم من بني يهوذا، وهي قيادة وملك ورياسة، فقال ابن حزم: هذا خطأ، لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود، ولا من غيرهم، وإنما هي تسمية لا حقيقية لها، ولا له قيادة، ولا بيده مخصرة..."[3]. ثم لم يذكر ابن حزم ماذا كان رد ابن نغدله عليه، وفي موضع آخر تساءل ابن حزم عن قول إبراهيم -عليه السلام- إن ساره أخته، فقال ابن نغدله: إنّ نص اللفظة في التوراة "أخت"، وهي لفظة تقع في العبرانية على الأخت، وعلى القريبة، فقال ابن حزم:

---

[1] ينظر: الحاردلو، إبراهيم، التوراة واليهود في فكر ابن حزم، (الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1982م)، ص27-29.

[2] ينظر: ابن حزم الأندلسي، الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، ص45-81.

[3] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، جـ1، ص152-153.

يمنع من صرفنا هذه اللفظة على القريبة ها هنا قوله: لكن ليست من أمّي، وإنما هي بنت أبي، فوجب أنه أراد الأخت بنت الأم، قال: فخلط [ابن نغدله] ولم يأت بشيء[1].

كما يروي ابن حزم في إحدى رسائله أنه كان يتردّدُ على دكان لطبيب يهودي يدعى إسماعيل بن يونس، وأنه كان يناظره، ثم يدعوه إلى الإسلام، وهو يتحدث عنه فيقول: "وكان يقول إذا دعوناه للإسلام وحسمنا شكوكه ونقضنا عِلَلَه: الانتقال في الأديان تلاعب[2].

وهناك مجادلة حدثت بن أحد اليهود والمفتي ابن لب، يسألُ فيها اليهودي عن القضاء والقدر بأبيات شعرية، يقول فيها:

أيا علماء الدين ذمي دينكم — تحيَّر دُلّوه بأوضح حجة

إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم — ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

قضى بضلالي ثم قال ارض — فهل أنا راضي بالذي فيه

دعاني وسد الباب دوني فهل إلى — دخولي سبيل بيّنوا قضيتي؟

إذا شاء ربي الكفر مني مشيءة — فهل أنا عاصٍ باتباع المشيءة؟

وهل لي اختيارٌ أن أخالف حكمه؟ — فبالله فاشفوا بالبراهين علتي.

فرد عليه ابن لب بقصيدة طويلة منها قوله:

فصدِّقْ وآمن بالنبي محمدٍ — فملته قد عطّلت كل ملّةِ

وعولْ على علم الشريعة — دليل هُداها من كتاب وسنة[3].

وذكر الشاطبي حواراً دار بينه وبين يهودي ينكر خلق عيسى عليه السلام من غير أبٍ بقوله: هل يكون شيءاً من غير مادة؟ فرد عليه: "فيلزمك إذاً

---

[1] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، جـ1، ص135.

[2] ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، جـ1، ص114.

[3] الونشريسي، المعيار، جـ11، ص266، 350.

أن يكون العالم مخلوقاً من مادة، وأنتم معشر اليهود لا تقولــون بــذلك، فأحــد الأمرين لازم: إما صحة خلق عيسى من غير أب، وإما بطلان خلق العالم مــن غير مادة" فبهت اليهودي من جوابه المفحم[1].

ويروي المقري إحدى المناظرات الطريفة فيقول: "سمع يهودي بالحديث المأثور "نِعْمَ الإدام الخل"، فأنكر ذلك حتى كاد يُصرِّح بالقدح، فبلغ ذلك بعــض العلماء، فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل وأسبابه سنة، قال: فما تمَّت حتى ظهر فيهم الجذام"[2].

وقد كان للسموءل المغربي الأندلسي، بعد إســلامه دورٌ فــي منــاظرة اليهود، وذلك في كتابه "بذل المجهود في إفحام اليهود" الذي يقول عــن ســبب تأليفه له: "والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة الردّ على أهل اللجاج والعناد، وأن يظهر ما يغور كلمتهم من الفساد، على أنّ الأئمة ضــوعف ثــوابهم- قــد انتدبوا لذلك في مناظراتهم اليهود أنواع السالك، إلا أنَّ أكثر ما نوظروا بــه لا يكادون يفهمونه أو يلتزمونه، وقد جعل الله في إفحامهم طريقاً مما يتداولونه في أيدهم من نص تنزيلهم، وإعمالهم كتاب الله عند تبديلهم، ليكون حجــة علــيهم موجودة في أيديهم... [3].

وانتهج السموءل المنهج الذي سار عليه ابن حزم، مناقشاً إيــاهم فــي كتابهم بصورة جدلية مبرزاً التناقض الموجود في كتــبهم، داحــضاً حججهــم وأقوالهم وآراءهم بالأدلة العقلية.

---

[1] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الإفادات والإنشاءات، تحقيــق: "أبــو الأجفــان، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1983م)، ص156.

[2] المقري، نفح الطيب، م5، ص256.

[3] بذل المجهود في إفحام اليهود، ص20.

ومن الحجج العقلية التي اعتمد عليها في مسألة تكذيب اليهود لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام: "إذا سألنا يهودياً عن موسى عليه السلام، وهل رآه وعاين معجزاته؟ فهو بالضرورة يقرّ بأنه لم يشاهد شيءاً من ذلك عياناً، فنقول له بماذا عرفت نبوة موسى وصدقه؟ فإن قال: إن التواتر قد حقق ذلك، وشهادات الأمم بصحته دليل ثابت في العقل، كما ثبت عقلاً وجود بلاد وأنها لم نشاهدها، وإنما تحققنا وجودها بتواتر الأنباء والأخبار، قلنا أن هذا التواتر موجود لمحمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام، كما هو موجود لموسى عليه السلام، فيلزمك التصديق بهما"[1].

واعتمد على الأدلة النقلية من الكتاب المقدس، عارضاً ما جاء فيه باللغة العبرية مع ترجمته إلى العربية، ثم يناقش الفكرة أو الفقرة مبيناً وجه التناقض فيه ليصل في النهاية إلى قضية تحريف اليهود لكتابهم.

وهو يتحدث عن الأسباب التي دفعته لاعتناق الإسلام وترك اليهودية فيقول: "ثم لما فحصت ودققت واتصلت إلى معرفة هذه القواعد الدينية ورأيتها أنها حديثة، وليس لها سند في التوراة، فقلت لنفسي: ويه ويه، ما الذي يحملك على قعودك في هذه الشريعة الغير ممكن إتقانها والعمل بها، لا بل وممتنع أيضاً"[2].

وبعد أن يسرد تلك الأسباب يقول: "فهذا وأمثاله هو الذي أحوجني أن أترك الدين اليهودي المتروك بالطبع، إذ نراه كميت لا يتحرك، وأتبع الدين المحمدي الحي المتحرك، والمحبوب صافيه ومخلصه عند كل عاقل، وأجهر بصوتي وأقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله"[3].

---

[1] بذل المجهود في إفحام اليهود، ص23.

[2] السموءل بن يحيى، بذل المجهود، ص9-10.

[3] م.ن، ص78.

وقد استمر الجدل الفكري بين مسلمي ويهود الأندلس حتى في المدن التي كانت تسقط في يد النصارى الأسبان[1].

واستخدم اليهود قدراتهم على المجادلات الفكرية والدينية التي تطورت في ظل الحكم الإسلامي للأندلس في مجادلة النصارى بعد سقوط المدن الأندلسية في أيدي الأسبان، إذ خاضوا مع علماء النصارى في طرطوشة وبرشلونة وغيرها من المدن الأسبانية مجادلات ساخنة ذاعت شهرتها[2].

ثالثاً: الفلسفة

لم يعرف عن اليهود عبر تاريخهم الطويل اهتمام يستحق الذكر في مجال الفلسفة، اللهم إلا ما كتبه فيلو اليهودي (25ق.م-50م) في الإسكندرية محاولاً أن يحمي المعتقدات اليهودية من الثقافة اليونانية الوثنية التي كانت الإسكندرية مركزها[3].

يؤكد ذلك ابن العبري صاحب الاطلاع الواسع على الفكر الفلسفي بقوله: "العبرانيون لمفارزتهم باقي الأمم، حرموا تعلم الحكمة، مقتصرين على الشرائع وسير الأنبياء"[4]، ويؤكده صاعد الأندلسي بقوله: "وأما بنو إسرائيل فلم يشهروا بعلوم الفلسفة، وإنما كانت عِنايتهم بالشريعة"[5]. ويشهد على ذلك المستشرق اليهودي مونك فيقول: "لم يوجد في كتبهم- أي في كتب اليهود- أي أثر لهذه

---

[1] ينظر: الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد، مقامع الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشرفي (تونس، 1975م)، ص119-122.

[2] MARTIN GILBERT, JEWISH HISTORY ATLAS, P.34.

[3] هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص138-139.

[4] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص21.

[5] طبقات الأمم، ص131.

التأملات الميتافيزيقية التي نجدها لدى الهنود أو اليونان، ولم تكن لهم فلسفة بالمعنى الذي نطلقه على هذه الكلمة"[1].

فالفلسفة اليهودية ظهرت للوجود بصورة واضحة أثناء العصر الوسيط، أي في ظل الحكم الإسلامي، حيث شعر اليهود لأول مرة في تاريخهم بالأمن والطمأنينة[2].

وأول شخصية بارزة مشهورة تمثل الفلسفة بين اليهود الأندلسيين هو سليمان بن جابيرول، الذي اشتهر بنشاطه الفكري في الشعر والنحو والفلسفة وشرح الكتاب المقدس؛ أما عمله الفلسفي الكبير فهو كتاب "ينبوع الحياة"، وهو عبارة عن محاولة فلسفية بين أستاذ وتلميذ، وقد اشتق اسم الكتاب من أنه يرى أن المادة والصورة أساس الوجود، ومصدر الحياة في كل شيء مخلوق[3]؛ ويتلخص مضمون الكتاب في أنّ العالم يتكون من الإله والعالم الروحي والعالم المادي، أما الإنسان فيتكون من العالم الروحي والمادي، فجسمه من العالم المادي، وروحه وإدراكه من العالم الروحي، فهو إذا عالم صغير؛ وهو يرجع الفضائل والرذائل إلى الحواس الخمس[4]، وقد تأثر في كتابه بفلسفة ابن مسرة الأندلسي[5]، المولود بقرطبة سنة (269هـ=883م)[6]، وتُرجم الكتاب إلى

---

(1) النشار، علي سامي، والشربيني، عباس احمد، الفكر اليهودي وتأثيره بالفلسفة االإسلامية، (الإسكندرية، منشأة المعارف، 1972م)، ص4.

(2) م.ن، ص14.

(3) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص148.

(4) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص57-58؛

الحفني، الموسوعة النقدية، ص27،

(5) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص493.

(6) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص141.

اللاتينية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، والى العبرية في القرن التالي[1].

ومن الفلاسفة المشهورين في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يحيى بن يوسف بن باقودا، الذي عاش في سرقسطة، وكتابه الرئيس في الفلسفة كان بعنوان "الهداية إلى فرائض القلوب"، وقد عرض يحيى في مقدمته لكتابه إلى السبب الذي دعاه إلى كتابته، وهو أنّ القرن الذي كان يعيش فيه نسي الحياة الباطنية، وبيّن أنّ العامّة قد انكفأوا على العبادات والطقوس، فأدوها مجرد حركات فقط، إذ كانت بعيدة عن التعقل وحضور القلب، فانعدم التأمل والنظر؛ وأن الخواص قد تحجرت قلوبهم بظواهر الشريعة التلمودية، ونسوا العنصر الأساسي للدين، ولذلك كتب هو كتابه شفاء للناس من هذه النكبات، وليقدم لهم عقائد تقودهم إلى حياة روحية حقة[2].

ويذكر بالنثيا مقتطفات من فاتحة كتاب ابن باقودا[3]، ثم يعلق عليها بقوله: "وأسلوبه في الكتاب، كما هو ظاهر، شديد الشبه بأساليب المسلمين، مما حدا بسالومون يهودا وجولدتسيهر إلى مقابلته ببعض ما كتب المسلمون في هذا الباب، فَتَبَيَّنَ للأول منهما أن يحيى ينقل في بعض الأحيان نقلاً حرفياً عن بعض كتب الغزالي، وأورد فقرات من كتاب "الحكمة في مخلوقات الله" لأبي حامد،

---

(1) الكواتي، اليهود في المغرب، ص175.

(2) الشربيني والنشار، الفكر اليهودي، ص25؛ قارن: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص72؛ ينظر: ابن باقودا، يحيى بن يوسف، الهداية إلى فرائض القلوب، اعتنى بطبعه من أصل نسخ أوكسفورد وباريس وبتسبورج، إبراهيم بن سليمان بن بنيامين يهودا، (ليدن، ط1، 1907-1912م)، ص3-34.

(3) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص494-496.

وقابلها بما يشبهها من كلام يحيى في "الهداية" "[1]، وقد ذكر بأن كتاب ابن باقودا هذا أول كتاب في الفلسفة الأخلاقية[2].

ويعلِّق آشتور على كتابات ابن باقودا بالقول: "فهو لم يستعر فقط العديد من الأفكار والمفاهيم من الأدب العربي، ويستشهد بالكثير من المقولات المنسوبة إلى محمد [صلى الله عليه وسلم] ورجالات الإسلام، وحتى آيات من القرآن، بل إنَّ الآراء نفسها التي ذكرها، لم تكن متناسقة مع العقائد اليهودية الرسمية"[3].

ويبدو أن الأمر لم يتوقف على نقل الفكر، بل وصل إلى درجة أخطر، جعلت الفقيه الأندلسي ابن عبدون يسارع إلى الإفتاء بأنه "يجب أن لا يباع من اليهود ولا من النصارى كتاب علم، إلا ما كان من شريعتهم، فإنهم يترجمون كتب العلوم، وينسبونها إلى أهلهم، وأساقفتهم، وهي من تواليف المسلمين[4].

نشأت في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بين المسلمين فلسفة عرفت بالفلسفة الإلهية، وأخذت هذه الفلسفة الجديدة تحارب الفلسفة الكلامية؛ وقد عبر عن هذه الفلسفة الجديدة الإمام الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة"، ووصلت أفكاره إلى الأندلس، فتصدى لها بعض فلاسفة المسلمين، ومنهم أبو الوليد محمد بن رشد (520-595هـ=1126-1198م)، وقد انعكس

---

[1] بالنثيا، تاريخ الفكر الإسلامي، ص496.

[2] الحفني، الموسعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص34.

[3] ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.57.

للمزيد من التفاصيل عن فكر يحيا بن بقودة، وتأثره بالمسلمين، ينظر:

كتابه: "الهداية إلى فرائض القلوب"؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.51-58.

[4] ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في الحسبة والقضاء، ص57.

هذا الجدل الفكري على يهود الأندلس، فقلدوا فلاسفة المسلمين حتى في خلافاتهم[1].

وكان يهودا هاليفي أو اللاوي (478-543هـ=1085-1148م) من أشهر فلاسفة اليهود في الأندلس الذين قلدوا الغزالي في تصديه للفلاسفة، ولهذه الغاية ألف يهودا كتابه المسمى "كتاب الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل"، كتبه بالعربية، وترجمه يهودا بن تبون أخيراً إلى اللغة العبرية؛ وقد دافع يهودا في كتابه هذا عن الدين والتعاليم اليهودية، وهاجم الفلاسفة، وانتقدهم انتقاداً مراً لأنهم أرادوا أن يؤيدوا الدين بالفلسفة[2].

ونشأ عن هذا أن قام كثير من فلاسفة اليهود يدافعون عن الفلسفة، مثلما حدث عند المسلمين؛ وكان أشهر الفلاسفة اليهود في هذا المجال إبراهيم بن داود (504-576هـ=1110-1180م) المولود في طليطلة، وقد ألف في ذلك كتاب "العقيدة الرفيعة"، ردّ فيه على يهودا اللاوي، وبين أن الفلسفة لا تتعارض مع الدين، وأن التوراة تشتمل على كل شيء[3]. واستخدم ابن داود في كتابه الحجج نفسها التي استخدمها كل من الفارابي وابن سينا في الرد على الغزالي[4]، وقد كتب إبراهيم بن داود كتابه باللغة العربية، وفي سنة(795هـ=1392م) قام صاموئيل موتوت بترجمته إلى العبرية[5].

وكان موسى بن ميمون (530-601هـ=1135-1204م) أشهر فيلسوف يهودي عرفته الأندلس، ويمثل كتابه "دلالة الحائرين" ذروة التفكير

---

(1) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص151.

(2) م.ن، ص150-151.

(3) م.ن، ص150-151؛ الحفني: الموسوعة النقدية، ص30.

(4) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص500؛ هنداوي، الأثر العربي، ص153.

(5) هنداوي، الأثر العربي، ص153.

اليهودي الفلسفي الذي تأثر بالفكر الإسلامي في القرون الوسطى[1]. "وهو يُعدّ بحق جُماع ما في اليهودية من لاهوت وفلسفه، ولقد حاول ابن ميمون أن يوفق فيه بين العقل والدين، كما فعل ابن رشد وابن حزم بعده"[2]، وقد كُتب الكتاب باللغة العربية، ثم تُرجم إلى العبرية واللاتينية، والى لغات أوربية أخرى كثيرة[3].

رابعاً: التاريخ والجغرافيا

من الملاحظ أن يهود الأندلس لم يهتموا بكتابة التاريخ، فعلى مدى القرون الثمانية التي عاشوها تحت حكم المسلمين في الأندلس لم يبرز منهم في هذا المجال إلا مؤرخ واحد هو إبراهيم بن داود (504-576هـ=1110-1180م)؛ وفي الكتاب التاريخي الوحيد الذي كتبه بعنوان "هكبالاّ" بمعنى "التصوف"، لم يتناول ابن داود التاريخ الأندلسي، بل ركز على تاريخ كتابة التلمود، وكيف انتقلت السلطة الروحية ليهود من المشرق إلى المغرب، وقد عرض في كتابه روايات تتعلق بالحياة الاجتماعية ليهود الأندلس[4].

وبالرغم من عدم وجود مؤلفات تاريخية لليهود إلا أن هناك ما يدل على اهتمام بين يهود الأندلس بقراءة التاريخ ومعرفته، إذ ذكر ابن أبي أصيبعة حينما

---

(1) هنداوي، الأثر العربي، ص156.

(2) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص502-503.

(3) م.ن، ص502.

للمزيد من التفاصيل عن كتاب "دليل الحيران"،

ينظر: DUBNOV, HISTORY OFG THE JEWS, VOL.2, P.767-772.

(4) محمد بحر، اليهود في الأندلس، ص82؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.756.

ينظر:

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.6-7.

ترجم لحسداي بن شبروط، بأنه أول من فتح ليهود الأندلس باب علمهم في الفقه والتاريخ بعد أن كانوا يستشيرون في هذه المسائل المدرسة اليهودية في بغداد[1].

كما أشتهر دوناش ابن لبراط بين اليهود باطلاعه الواسع على التـــاريخ اليهودي، ويظهر كتاب "المحاضرة والمذاكرة" لموسى بن يعقوب بـــن عـــزرا اهتماماً كبيراً منه بالتاريخ إذ يحتوي على معلومات تاريخية كثيرة[2].

وعلى طريقة الرحالة والجغرافيين المسلمين قام أفراد من يهود الأندلس برحلات إلى دول عديدة، وألفوا كتباً عن رحلاتهم، دونـــوا فيهـــا كثيـــراً مـــن المعلومات التاريخية والجغرافية المهمة.

ومن أوائل الرحالة اليهود إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشـــي الذي عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكان تاجراً للعبيد تجول في جنوب ألمانيا سنة (335هـــ=965م)، وقابل الإمبراطور أوتو. وترك إبراهيم رحلة مدونة تُعدُّ اليوم في حكم المفقود، وقد أمكن التعرف عليهـــا مـــن خـــلال النقول الكثيرة منها عند كلٍ من البكري والقزوينـــي. ورحلتـــه تحتـــوي علـــى معلومات شيقة ومفصلة عن إمارات الصقالبة في أوروبا الوســـطى، كبلغاريـــا وبولندا والتشيك، وأورد تفاصيل واسعة عن بعض المدن الساحلية أو القريبة من الساحل بفرنسا وهولندا وألمانيا[3].

---

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص492؛

السموءل بن يحيى، بذل المجهول في إفحام اليهود، ص6-7.

(2) الكواتي، اليهود في المغربن ص173.

(3) البكري، المسالك والممالك، "الجزء الخاص بالأندلس"، ص80، 81، 155، 170، 174؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، 1969م)، ص206، 556، 575، 600، 601، 607؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص83؛

ينظـــر: E.DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268.

والطرطوشي "لم يكن تاجراً فحسب... بل كان من المحبين لاقتناء الكتب، كما كان شخصاً مثقفاً دقيق الملاحظة"[1].

ومن الذين كتبوا في هذا المجال أيضاً بنيامين التطيلي المتوفى سنة (586هـ=1190م)، الذي ألف كتاباً بعنوان "همساعوث" أي "الرحلات"، ويُعدّ كتابه هذا مرجعاً مهماً في تاريخ اليهود وأحوالهم وجغرافية البلاد التي كانوا يعيشون فيها في عصره، فقد كتب بالتفصيل عن رحلاته في الشمال الأسباني، وجنوب فرنسا وإيطاليا وتركيا وجزائر بحر أيجه وقبرص وسوريا وفلسطين والعراق واليمن وصقلية، ووصف مدنها الرئيسة، وأسماء اليهود البارزين في كل مدينة؛ فنجد مثلاً أنه أفرد جزءاً كبيراً لوصف روما والإسكندرية، وأشار إلى المعاملة الطيبة التي كان يلقاها اليهود تحت ظل الخلافة الإسلامية، كما كتب أيضاً عن البلاد التي لم يزرها، ولكنه سمع عنها مثل الهند وسيلان وبولندا وروسيا[2]؛ وقام عزرا حداد بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية، عن الأصل العبري، وتمّت طباعته في بغداد سنة (1346هـ=1945م)[3]؛ وقد تأثر بنيامين التطيلي في كتابه هذا بطريقة الرحالة المسلمين وأساليبهم[4].

---

(1) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب، ص83.

(2) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.756-757;

عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص81-82.

ينظر: التطيلي، بنيامين بن يونه، رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حداد، (بغداد، المطبعة الشرقية، ط1، 1364هـ=1945م)، ص25-28.

(3) ينظر: التطيلي، رحلة بنيامين، "صفحة الغلاف".

(4) ينظر: فرج، القدس، ص135.

خامساً: الطب

اهتمَّ يهود الأندلس بتعلم الطب، وعدُّوه وسيلةً للكسبِ وللحصول على مناصب رفيعة لدى حكام الأندلس وأمرائها[1]؛ وقد تعلم معظم الأطباء اليهود الأندلسيين في المعاهد الإسلامية، على أيدي الأطباء المسلمين الذين تفَوقوا في هذا المجال، وأكثروا فيه التأليف. يظهر ذلك من خلال قائمة تراجم الأطباء الأندلسيين التي أوردها ابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء".

ومن أطباء اليهودِ في الأندلس يحيى بن إسحاق الذي استوزره عبد الرحمن الناصر، وذكر له ابن أبي أصيبعة كتاباً في الطب دون إشارةٍ إلى اسمه أو محتواه[2]. وإسحاق بن قسطار الذي خدم مجاهد العامري مؤسس إمارة دانية[3]؛ وابن بكلارش الذي خدم بطبِّه أمراء بني هود في الأندلس، فقد ألف كتاب "المجدولة" في الأدوية المفردة، وأهداه إلى المستعين بالله أبي جعفر بن أحمد بن المؤتمن بالله بن هود[4]؛ وأبو الفضل بن حسداي، الذي يروي الشنتريني أن ذي الوزارتين أبو عامر بن الفرنج أرسل إليه أبياتاً من الشعر يطلب منه دواء يدعى "الدياخيلون"، فردَّ عليه أبو الفضل بأبياتٍ شعريةٍ يقول فيها:

يا آخذاً باليمين	في المجدِ شتَّى الفنونِ
سلِّم العلمي في الط	بِّ والقرابـاذينِ
لا ينبغي أن يُداوى	الخُرّاج بالتليينِ
حتى يُقوَّم رَدْعُ الـ	أخلاطِ بالتسكينِ

---

[1] ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص488-498؛ NEHMAN,THE JEWS IN SPAIN, VOL.2, P.108.

[2] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص488-489.

[3] م.ن، ص498.

[4] م.ن، ص501.

وقـــــد بعثــــــتُ شـــــراباً يُعـــزى إلـــى الزرجـــونِ
يُغنـــــي إذا ذقتـــــه عـــن شـــــرابِ الافـــــسنتينِ[1]

والطبيب اليهودي إسماعيل بن يونس الذي كان بصيراً بالفراسة محسناً لها، وهو من أهل المرية[2]؛ وأبو أيوب سليمان بن المعلم الإشـبيلي[3]، وأبـو الحسن مايز بن قمنال[4]، اللذان كانا طبيبين لبعض حكام المرابطين؛ وإلياس بن المدور الرُّندي الذي عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[5]؛ ومروان بن جناح صاحب كتاب "التلخيص"، الذي تكلَّم فيه عن الأدوية، وحـدَّد مقادير الأوزان والمكاييل المستخدمة في صناعتها[6]؛ ومنجم بن الفوال الذي قال عنه ابن أبي أصيبعة: "من سكان سرقسطة، وكان متقدماً في صناعة الطب"[7]؛ ويحيى بن الصائغ الذي كان طبيباً خاصًّا لبني الأحمر في أواخر القرن الثـامن الهجري/الرابع عشر الميلادي[8]؛ وأبراهام بن الثرثار الذي كان طبيباً في بلاطِ محمد الخامس النصري، والذي أثارت شهرته حسد الطبيب الغرنـاطي محمـد اللحمي الشقوري، فوضع كتاباً بعنوان "قمع اليهود عن تعدّي الحدود"، وعنـدما خُلع محمد الخامس، وانتقل إلى المغرب عام (760هـ=1359م)، لجـأ ابـن

---

(1) الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص487.

(2) ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، جـ1، ص114.

(3) HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA ,VOL.14.

(4) الأهواني، عبد العزيز، "على هامش ديوان ابن قزمان"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، (م18، مدريد، 1974-1975)، ص77.

(5) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى الغرب، جـ1، ص336، ترجمة رقم: (نقص)؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص528.

(6) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص498.

(7) عيون الأنباء، ص498.

(8) ابن خلدون، العبر، جـ4، ص178-179.

الثرثار إلى قشتالة، ومن هناك انتقل إلى المغرب، واتصل بسلطانه المخلوع، ثم عادَ معه إلى غرناطة[1].

وأشهرُ عالمٍ يهوديّ كتب في الطب، واشتهر به، وتأثر بأطباء المسلمين هو موسى بن ميمون الذي تعلَّم الطب على أيدي المسلمين في الأندلس والمغرب[2]، يقول عنه القفطي: "قرأ علم الأوائل بالأندلس، وأحكم الرياضيات وأخذ أشياء من المنطقيات، وقرأ هناك الطب فأجاده"[3]، ومارسها في مصر، ووضع فيها مؤلفاته الطبيعة التي بلغت عشراً، بين مقالةٍ ورسالةٍ دُوِّنت جميعها بالعربية[4]، منها اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس[5]، والذي يسمى كتاب "المختصر"[6]، الذي تحدَّث عنه القفطي بقوله: "وصنف مختصراً لواحد وعشرين كتاباً من كتب جالينوس، فجاء في غاية الاختصار"[7] ومقالة في البواسير وعلاجها، ومقالة في السموم والتحرز من الأدوية القَتَّالة[8].

ومقالة في تدبير الصحة ألفها للملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي[9]، وكتاب "شرح أسماء العقار" شرحَ فيه أسماء العقاقير المستعملة في صناعة الطب. وقال

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، جـ2، ص42، 53.

[2] ولفنسون، موسى بن ميمون، ص142.

[3] القفطي، أخبار العلماء، ص209.

[4] م.ن، ص143.

[5] جالينوس: أحد علماء الإغريق الذين عاشوا في القرن الثاني الميلادي، وهو أشهر أطباء العالم القديم ؛ ولفنسون، موسى بن ميمون، ص144.

[6] م.ن، ص144.

[7] القفطي، تاريخ الحكماء، ص 329.

[8] ولفنسون، موسى بن ميمون، ص150 ؛
LAZARUS GRUHUT, MOSES B. MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOUPEDIA , VOL 9,P.82.

[9] ينظر:ولفنسون، موسى بن ميمون، ص146-150؛
LAZARUS GRUHUT, MOSES B. MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.9, P.73-74.

في مقدّمته: "قصدي في هذا الكتاب شرح أسماء العقاقير الموجودة في أزمانننــــا، المعروفة عندنا، المستعملة في صناعة الطِّب في هذه الكتب الموجودة لدينا"[1].

أمَّا أكبر رسائله الطِّبية شهرةً فهي "فصول موسى" وتشمل على 1500 قانون طبي، استخلصت من مُصَنَّفاتِ جالينوس وغيره من أطباء الإغريق، وله عليها تعليقات ونقد، وقد ذَكَرَ فيها من أطباء المسلمين ابن زهر وابن رضوان. وقد تُرجمت إلى العبرية واللاتينية[2].

والجديرُ بالذّكر أن بعضاً من أَطبَّاء اليهود في الأنـــدلس لــم يلتزمـــوا بأخلاق مهنتهم، وتعمّدوا في تسميمٍ وقتل بعض مرضاهم من المسلمين[3]. وكان أحد ضحايا هذا النوع من الأطباء اليهود أبو سعيد بن لب الذي قدَّم له طبيـــب يهوديّ دجاجة اقتصر على ماء الوردِ في إنضاجها، بعد أن أوهمـــه أنَّ عملهـــا على تلك الصفة مما ينعش قوَّته ويُنهضها، فتسبّب في موته[4]. وكذلك موسى بن مفروح الذي حاول أن يستقلَّ بغرناطة عن دولةِ المرابِطين[5]، فَدُسَّ إليه يهودي ينتحِل الطب، سقاه يوم أربعاء، ودفن يوم جمعه[6].

وقد أثَّرت مثل هذه التجاوزات على سمعة الأطباء اليهود لدى مـــسلمي الأندلس، وقام الفقهاء بتحذير المسلمين منهم. وها هو ابن عبدون يقول: "فإنَّهم لا

---

[1] ابن عبد الله الإسرائيلي القرطبي، أبو عمران موسى، شرح أسماء العقار، نـــشر وتـــصحيح ومراجعة ماكس مايرهوف، (بغداد، مكتبة المثنى، 1940م)، ص3.

[2] ولفنسون، موسى بن ميمون، ص143 ؛
LAZARUS GRUHUT ,THE JEWISH ENCYCLOPEDIA ,VOL.9,P.82.

[3] ينظر:ابن خلدون، العبر، ج4، ص178–179.

[4] ابن عاصم الغرناطي، جنَّة الرضا، ص128–129.

[5] ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص76–77.

[6] م.ن، ص76–77.

يرون نصيحةَ مسلَمٍ، إلا أن يُطبِّبوا أهل ملَّتهم، ومن لا يرى نصيحةَ مسلمٍ، كيف يوثق على المُهج؟![1]

وتكشف إحدى الرسائل التي بعث بها المجمع اليهـودي العـالمي فـي الآسِتانة إلى يهود أسبانيا النصرانية، والمؤرخة في 13-كـانون الثـاني سـنة 1984م، عن أن استغلال اليهود لمهنة الطب في قتل أعدائهم لم يكـن تـصرفاً فردياً، وإنما بتوجيه من قادتهم وأحبارهم، فقد جاء في الرسالة: "أيهـا الأخـوة الأعزاء بموسى، تلقينا كتابكم وفيه تطلعون على ما تقاسونه من الهموم والبلايا، فكان وقع هذا الخبر شديد الوطـأة علينـا، وإلـيكم رأي المرازبـة [الحكـام] والربانيين:... بمقتضى قولكم إنهم يعتدون على حياتكم، فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم"[2].

وقد عانى النصارى الأسبان في المدن الأندلسية المحتلة من أخلاقيـات بعض الأطباء اليهود، ووجدوا أنهم لا يتورعون من قتل مرضاهم. فأصـدرت الكنيسة تشريعاً يحرّم على النصارى التداوي عند الأطباء اليهود[3].

سادساً: الفلك والرياضيات

اهتم اليهودُ بعلم الفلك للاستعانةِ به في معرفةِ التقويم السنوي، وتحديـد أيَّامِ أعيادهم، لكنَّ مَعرفِتهم فيه ظلَّت محدودةً، ولم تتحسَّن إلا عندما عاشوا فـي دولة الإسلام، حيث تمكَّنوا في الشرق الإسلامي من كتابةِ مقالات بسيطةٍ عـن طول السنة الشمسية والقمرية، وعن النجوم والأبراج والاسطرلابِ والرياحِ[4].

---

(1) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في الحسبة والقضاء، ص57.

(2) الخوري، مؤامرة اليهود على المسيحية، ص41-42.

(3) NEHMAN ,THE JEWS IN SPAIN ,VOL.2, P.110.

(4) WAXMAN ,A AHISTORY OF JEWISH LITERATURE (N,Y. BLOCH PUPLISHING COMPANY ,1938) ,VOL.1 ,P.444,447; NEHMAN ,THE JEWS IN SPAIN ,VOL.2 ,P.103-104.

وفي الأندلس نبغَ عدد من اليهود في الفلك والرياضيات، وذلك بسبب وجود الأساتذة المسلمين الكبار الذين تتلمذ اليهود وغيرهم على أيديهم، أمثال مسلمة بن أحمد المجريطي المتوفى عام (398هـ=1007م) "إمام الرياضياتِ في الأندلس، وأعلم من كان قبله بعلم الفلكِ وحركات النجوم"[1]؛ وأصبغ به السمح الذي برع في النجوم والهندسة، وأبو القاسم الصفَّار أستاذ الرياضيات في قرطبة، وابن زيدٍ القرطبي منجّم الخليفة المستنصر بالله (350-366هـ=961-976م)، وصاحب كتاب "تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان"[2]، وإبراهيم بن يحيى النقَّاش المعروف بالزرقبال المتوفى عام (480هـ=1087م)، الذي قال عنه القفطي: "إنه أبصرُ أهلُ زمانه بأرصادِ الكواكبِ وهيئة الأفلاك"[3].

ومن مشاهير وأوائل اليهود في الأندلس في علم الفلك "حنان"، الذي كان قاضياً لليهودِ في قرطبة سنة (360هـ=970م)، وصاحب كتابٍ مطول في الفلك[4]. وأبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الذي يقول فيه ابن أبي أصيبعة: "برع في علمِ العدد والهندسة وعلم النجوم"[5]، دون أنه يذكر مؤلفاته. وأبراهام بن يحيى (ت: 531هـ=1136م)، الذي دَوَّن مؤلفاته باللغة العبرية، وهذه المؤلفات هي:-

1- مقالات في الهندسة.

2- كتاب في النجوم.

3- دائرة معارف في الهندسة والحساب والفلك والموسيقى.

---

(1) القفطي، أخبار العلماء، ص214؛ ينظر: ابن حزم، رسالة أبي محمد بن حزم في فضائل أهل الأندلس، ص18.

(2) المقري، نفح الطيب، م2، ص128.

(3) القفطي، تاريخ الحكماء، ص143.

(4) NAXMAN ,A HISTORY OF JEWISH LITERATURE ,VOL.1 ,P.448.

(5) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص499.

4- كتاب في الجداول الفلكية يُسَمَّى "جداول البتّاني"، لأنه تبع فيها الفلكي المسلم البتاني[1].

ولابن يحيى كتاب في الفلك هو كتاب "شكل الأرض" يّعَدُّ أهم كتبه، وهو أول كتابٍ فلك يكتب باللغة العبرية[2].

أما أبراهام بن عزرا (486-563هـ=1093-1167م)، فقد أَلَّف في الفلك والتنجيم كتباً عِدَّة منها :-

1- كتاب عن الاسطرلاب يسمى آلة النحاس.

2- ترجمة للفلكي المسلم "البتاني" على جداول الخوارزمي الفلكية.

3- كتاب الولادة، وكتاب القسمة والنَّصيب يُبيِّن فيه الحوادث التي تحدث للإنسان بواسطة النُّجوم[3].

وإسحاق بن باروخ البالية الذي عمل فلكياً لدى المعتضد (415-462هـ=1024-1069م)[4]، ويتحدَّث آشتور عن علم الفلك عند يهود الأندلس فيقول: "وكان حساب "الدورات" في التقويم اليهودي قد حدَّده حسن بن مارحسن، وهو فلكي يهودي من قرطبة، وقد قام به بالتوافق مع نظام الفلكي العربي الشهير البتاني. وفي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي كان ثَّمة عدد لا يستهان به من مفكري اليهود في الأندلس فلكيين، وقد اعتمدوا جميعاً على جداول ودراسات المسلمين"[5].

---

(1) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص172 ؛ NEHMAN ,THE JEWS ,VOL.2 ,P.103.

(2) م.ن ص172.

(3) م.ن ص173 ؛ ينظر: NEHMAN.THE JEWS ,VOL.2 ,P.103.

(4) HAIM BEINART ,SEVILLE ,ENCYCLOPEDIA JUDAICA ,VOL.14 ,P.1201.

(5) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.7.

أمَّا في مجال الرياضيات فقد ظلَّت معرفة اليهود فيها محدودة، تقتصرُ على بعض المحاولات التي تخدم قضاياهم الدينية، إلى أن عاش اليهود تحت حكم المسلمين وخصوصاً في الأندلس، وتوفرت لهم البيئة العلمية والأساتذة الكبار، فتعلَّموا وبرز فيها عدد منهم أمثال إبراهيم بن يحيى الذي ألَّف كتاباً في المساحات والمقاييس، كانت له أهمية كبيرة فترجمه عالم الرياضيات أفلاطون التيفولي إلى اللاتينية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[1]. وأبراهام بن عزرا الذي ألَّف في الرياضيات كتباً عديدة أهمها كتاب في خواص الأعداد العشرة الأولى وكتاب في المقاييس الهندسية[2]. والسموءل المغربي الأندلسي الذي ألَّف "كتاب القوافي في الحساب الهندي"، وكتاب "إعجاز المهندسين"، وكتاب "المثلث القائم الزاوية"[3]، وكتاب "الباهر في الجبر" الذي يقول في مقدمته : "هذا الكتاب الذي جمعنا فيه أصول صناعةِ الجبر والمقابلة، وبرهنا منها على ما لم نجد أحداً برهن عليه، وكملنا بما أودعناه من الأعمالِ المبتكرة والأشكال المبتدعة، ما كان في أيدي الناس هذه الصناعة. وعلَّلْنا فيه ما زعم فيتاغورس أنه أدركه بطريق الوحي"[4].

---

(1) هنداوي، الأثر العري في الفكر اليهودي، ص 174.

(2) م. ن، ص174.

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 472.

(4) السموءل، الباهر في الجبر، ص9.

الخاتمة ونتائج البحث

توصلت الدراسة إلى عددٍ من النتائج، وفي ما يأتي بيان لأهمها:

❁ كان أول استقرار لليهود في شبه الجزيرة الأيبيرية في القرن السادس قبل الميلاد، وقد نُقِلوا إليها أسرى مع ملكها إشبان بعد أن شارك مع نبوخذنصر في فتح القدس.

❁ عاش اليهود في أسبانيا تحت حكم العديد من الأقوام، وكانوا في معظم الأوقات مكروهين، بسبب تكبرهم على الأمم الأخرى، واستحلال أكل أموالهم بالباطل، واستهزائهم بمعتقداتهم. وكان الأشدُّ قسوة على اليهود هم القوط الكاثوليك، إذ استعملوا طرقاً عِدَّة لإجبارهم على التّنصر، وعندما فشلوا حولوهم جميعاً إلى عبيدٍ لهم.

❁ كان الفتح الإسلامي للأندلس مُخلِّصاً لليهود، ومنقذاً لهم من العبودية والانقراض.

❁ تواجد اليهود في معظم مناطق ومدن الأندلس، وكان تواجدهم كبيراً وملفتاً للنظر في بعض المدن كأليسانة وطركونة وبيانة.

❁ سمح المسلمون لليهود بالسكن في قصبات المدن الأندلسية –داخل أسوارها– ، بعد أن حرمهم القوط من ذلك. وساووهم بأبناء القبائل العربية المسلمين عندما جعلوا لهم أحياء خاصة بهم في مدن الأندلس، ولم يجبروهم على العيش داخلها، بل أتاحوا لهم متى شاءوا أن يقيموا بين ظهراني المسلمين، مجاورين لهم في مساكنهم.

❁ لم يحدث أي تنسيق بين المسلمين واليهود لفتح الأندلس كما يدَّعي الأسبان، ولم يكن لليهودِ دورٌ يذكر في عمليات الفتح كما يدّعي اليهود، فهم لم يفعلوا أكثر من المشاركة في حراسة بعض المدن المفتوحة، وكانوا تحت إمرة المسلمين، وحتى هذه المهمة كانوا يفشلون في أدائها، إذا تعرَّضت المدينة التي

يشاركون في حراستها لهجوم أو تمرد من النصارى، إذ كانوا يهربون ويتركون الجنود المسلمين يواجهون المتمردين وحدهم، مثلما حدث في إشبيلية.

❁ شهدت العهود التي التزم فيها الحكام بالمنهج الإسلامي في التعامل مع اليهود، والتزم فيها اليهود بشروط عقد الذمة هدوءاً وعلاقاتٍ طبيعية بين اليهود والسلطة، وبين المسلمين واليهود عموماً. وقد ظهر ذلك واضحاً في القرون الثلاثة الأولى من الحكم الإسلامي للأندلس، حيث حصل اليهود على معاملةٍ حسنة، ولم تحدث منهم تجاوزات تؤدِّي إلى ردودِ فعلٍ عنيفة ضدَّهم، وقد حدث ذلك أيضاً في عهد المرابطين، وفي سلطنة غرناطة، على مدى نحو قرنين ونصف من الحكم الإسلامي لها.

❁ خرج بعض حكام الطوائف عن المنهج الإسلامي في التعامل مع اليهود، فقرَّبوا عدداً منهم، وسلموهم مناصب حكومية مهمة في دويلاتهم، ووصلت أحياناً إلى منصب رئاسة الوزارة مثلما حصل في غرناطة في عهد باديس.

وتجاوز اليهود في عهد الطوائف حدودهم، ولم يلتزموا بشروط عقد الذمة، فتسلَّطوا على المسلمين، وسخروا من دينهم، وتآمروا عليهم، وحتى على الحكام الذين قرَّبوهم، وكانت النتيجة تعاسة على كل من المسلمين واليهود، حيث عانى المسلمون من ظلم وتسلّط اليهود مع أنهم يعيشون في دار الإسلام، وتحت حكم المسلمين، وعانى الحكام من مؤامرات اليهود عليهم، وعانى اليهود كذلك من ردودِ فعلٍ عنيفة ضدَّهم، أدَّت في غرناطة إلى تشردهم وقتلِ عددٍ كبيرٍ منهم.

❁ حاول اليهود في عهد الطوائف إقامة دولة يهودية في مدينة المريَّة، حيث اتفق الوزير اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغدله مع حاكم المرية ابن صمادح، على تسليمه غرناطة، مقابل تنازل ابن صمادح عن المرية لابن نغدله، ليقيم فيها

لليهود دولة، وعندما علم مسلمو غرناطة بذلك ثاروا على اليهود، وقتلوا ابن نغدله وكثيراً من أعوانه، وأفشلوا المحاولة.

❁ تعرَّض حكام الطوائف الذين قرَّبوا اليهود ونصَّبوهم، وسلَّطوهم على رقاب المسلمين لانتقاد العلماء، ونقمة جماهير المسلمين.

❁ سمح المسلمون لليهود الذين حصلوا على مناصب مهمة في بعض العهود في الأندلس، بالإفادة من مناصبهم في خدمة اليهود داخل وخارج الأندلس.

❁ لم يُقَدِّرْ يهود الأندلس إحسان المسلمين إليهم، وكانوا يشاركون النصارى الأسبان في التنكيل بمسلمي المدن الأندلسية المحتلة، ويدعمونهم بالمال في حربهم ضد مسلمي الأندلس، ويشاركون في القتالِ معهم في بعض الأحيان.

❁ أظهر يهود الأندلس الطاعة والولاء للسلطة في زمن قوة المسلمين في القرون الثلاثة الأولى من حكم المسلمين للأندلس، وعندما ضعفت السلطة في عهد الطوائف وفي العهود اللاحقة، وازدادت قوة النصارى الأسبان، كثرت مؤامرات اليهود على السلطة الإسلامية، وزادت خياناتهم ونقضهم لعهودهم، وتجاوزاتهم على الإسلام والمسلمين.

❁ كان لمسلمي الأندلس علاقات اجتماعية طبيعية باليهود، وقد أحسنوا إليهم وأنصفوهم بالرغم من علمهم بسوء طبائعهم، وشِدة عدائهم للمسلمين، وذلك لأنَّ دينهم يأمرهم بالإحسان إلى اليهود عندما يكونوا تحت حكمهم، وفي ذمتهم.

❁ حدثت بعض العلاقات الفردية المتجاوزة لحدود الشريعة بين مسلمين ويهود في الأندلس، ولم يقع في هذا النوع من العلاقات إلا مسلم منحرف من أصحاب اللهو والمجون، وكانت هذه العلاقات النادرة والشاذة محل انتقاد عامة المسلمين ومثقفيهم وعلمائهم.

❁ كان لليهود في الأندلس رئيساً للطائفة يسمى "الناسي"، وكان حكـــام الأندلس هم الذين يتولون تعيينه، وكان مسؤولاً أمامهم عن جمع الجزيـــة مـــن اليهـــود وتسليمها لهم، إضافة إلى تنظيم شؤون الطائفة الدينة والإدارية والمالية.

❁ كان ليهود الأندلس قضاتهم، ومحاكمهم الخاصة التي تفصل في خلافـــاتهم، وضرائب خاصة ينفقون منها على الشؤون العامة لطائفتهم، إضافة إلى تنظيمات إدارية ومالية أخرى.

❁ سُمح ليهود الأندلس بممارسة النشاطات الاقتصادية كافة، بيد أنهم ركـــزوا على التجارة، وخصوصاً تجارة العبيد، وحققوا من ورائها أرباحاً كبيرة، ولـــم يفلحوا إلا في الصناعات والمهن الوضيعة التي زهد بها المسلمون.

❁ أثرت الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي تأثيراً كبيراً فـــي ثقافـــة اليهـــود، وغيَّرت في فكرهم وأدبهم ولغتهم وتشريعاتهم، وحتى في طقوسهم وعباداتهم.

❁ لم يكن علماء ومفكرو اليهود في الأندلس أولو فكرٍ مبدعٍ وخلاق كما يدَّعي اليهود، بل كانوا مقلدين لعلماء ومفكري المسلمين، ومتأثرين بفكرهم إلـــى حـــد كبير.

❁ أسهم المثقفون اليهود في الأندلس بنقل ثقافة وعلوم وفكر المـــسلمين إلـــى أوربا، فقانت على أساسها النهضة العلمية الأوربية الحديثة.

التوصيـــات:

لقد تبيَّن للباحث من خلال دراسته لموضوع اليهود في الدولة العربيـــة الإسلامية في الأندلس أنَّ هناك موضوعات جديرة بالبحث، وما تزال تخلو منها المكتبة العربية، وهي بحاجة إلى اهتمام وجهود الباحثين، وهذه الموضـــوعات هي:-

1- دراسة أوضاع اليهود والنصارى تحت حكم المسلمين في المغرب ومـــصر والعراق وبلاد الشام، وخلال العهود الإسلامية المختلفة.

2- دراسة أوضاع المسلمين تحت حكم النصارى الأسبان في المدن الأندلـــسية المحتلة.

3- دراسة أوضاع اليهود في أسبانيا النصرانية.

وختاماً فإني أحمد الله عزَّ وجل كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الذي شرح صدري للبحث في هذا الموضوع، ومنحني القـــدرة علـــى خـــوض غماره، ويسَّر لي كلَّ ما أعانني على إخراجه بهذه الصورة، وأسأله سبحانه أن يجعل كلَّ ما بذلته فيه جهاداً في سبيله، أجده في ميزان حسناتي يوم القيامة.

والفضل لله وحده في كلِّ صوابٍ وتوفيق وخيرٍ جاء به البحـــث، وأمَّـــا الخطأ والزلل والنسيانْ، فمن نفسي، ومن الشيطان، وأستغفر الله عنـــه وأتـــوب إليه، وأسأله سبحانه أن يغفر لي ذنبي كلَّه، دِقهُ وجُله، علانيته وسِرَّه.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتاب المقدس

العهد العتيق، (بيروت، طبع في مطبعة المرسلين اليسوعيين، 1882م).

ثالثاً: المصادر العربية

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، ت:658هـ=1259م).

1- التكملة لكتاب الصلة، جزءان، عني بنشره عزت العطار الحسيني، (مصر، مطبعة السعادة، ط1، 1956م).

2- الحلة السيراء، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة، الشركة العربية، للطباعة والنشر،ط1، 1963م).

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح، (ت: 850هـ=1446م).

3- المستطرف في كل فن مستظرف، جزءان، (القاهرة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، 1368هـ).

ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف بن محمد، (ت: 807هـ=1404م).

4- بيوتات فاس الكبرى، (الرباط، دار المنصور، 1973م).

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي، (ت: 560هـ=1164م).

5- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1409هـ-1989م).

6- وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تصحيح ونشر: هنري بيريس، (الجزائر، دار الكتاب، 1957م).

ابن آدم، يحيى القرشي، (ت: 203هـ=818م).

7- كتاب الخراج، (القاهرة، المطبعة السلفية، 1347هـ).

ابن إسحاق، محمد المطلبي، (ت: 152هـ=769م).
8- السيرة النبوية، 4ج، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، (القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي، ط2، 1375هـ-1955م). اشتهر الكتاب بسيرة ابن هشام.

الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، (ت: في النصف الأول من القرن الرابع الهجري).
9- المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، (مصر، 1381هـ=1961م).

ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الجزري، (ت: 668هـ=1269م).
10- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، (بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965م).

ابن باقودا، يحيى بن يوسف، (عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي).
11- الهداية إلى فرائض القلوب، اعتنى بطبعه من اصل نسخة أوكسفورد وباريس وبترسبورج: إبراهيم سالم بنيامين، (ليدن، ط1، 1907م-1912م).

البخاري، أبو عبد اله محمد بن أبي الحسن، (ت: 256هـ=869م).
12- صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

ابن بسام المحتسب،
13- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق وتعليق: حسام الدين السامرائي، (بغداد، مطبعة المعارف، 1968م).

ابن بشكوال، خلــف بــن عبــد الملــك الخزرجــي الأنــصاري، (ت: 578هـ=1182م).

14- الصلة، قسمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القــاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1410هـ-1989م).

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، (ت: 487هـ=1094م).

15- المسالك والممالك، تحقيق وتقديم: أدريــان فــان ليــوفن، وأندري فيري، (قرطاج، بيت الحكمة، الدار العربيــة للكتــاب، د.ت).

16- المسالك والممالك، (الجزء الخاص بالأنــدلس وأوربــا)، تحقيق: عبد الرحمن الحجــي، (بيــروت، دار الإرشــاد، ط1، 1968م).

البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، (ت: 279هـ=892م).

17- فتوح البلــدان، 3ق، فــي 1م، نــشره ووضــع ملاحقــه وفهارسه: صلاح الدين المنجــد، (القــاهرة، مكتبــة النهــضة المصرية، 1957م).

ابن بلقين، الأمير عبد الله بن باديس بن حبوس بن زيري، (انتهــى حكمــه لغرناطة، سنة 483هـ=1090م)،

18- التبيان، حققه ونشره: إ.ليفي بروفنسال، تحــت عنــوان: مذكرات الأمير عبد الله، آخر أمراء بنــي زيــري بغرناطــة، (القاهرة، دار المعارف، 1955م).

بنيامين التطيلي، بن يونه النباري الأندلسي، (قام برحلته من سنة 561-569هـ=1165-1173م).

19- رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حداد، (بغداد، المطبعة الشرقية، ط1، 1364هـ-1945م).

ابن جبير، محمد بن أحمد، (ت: 614هـ=1217م).

20- رحلة ابن جبير، (بيروت، دار مكتبة الهلال، 1981م).

الجرسيفي، عمر بن عثمان بن العباس، (ت: في النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).

21- رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي في الحسبة. نشرت ضمن كتاب: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: إ.ليفي بروفنسال، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م).

ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، (توفي بعد سنة 377هـ=987م)،

22- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م).

ابن حزم، الأندلسي، أبو محمد علي بن محمد، (ت: 465هـ=1063م).

23- الرد على ابن النغريلة اليهودي، ورسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، (القاهرة، مكتبة دار العروبة، 1960م).

24- رسائل ابن حزم الأندلسي، 4ج، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1401هـ-1980م).

25- رسالة أبي محمد بن حزم في فضائل الأندلس، قدم لها ونشرها مع رسائل أخرى: صلاح الدين المنجد، تحت عنوان:

فضائل الأندلس وأهلها، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـ-1968م).

26- طوق الحمامة في الألفة والألاف، حققه وقدم له: صلاح الدين القاسمي، (تونس، دار أبو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م).

27- الفصل في الملل والأهواء والنحل، نشر مع كتاب "الملل والنحل" لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، 4ج، (طبعة سنة 1321هـ).

الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف، (ت: بعد 759هـ=1357م).

28- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، نشر: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، (م6، ع1-2، 1378هـ-1958م).

الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت: 827هـ=1423م).

29- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (القاهرة، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980م).

30- صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار، عني بنشره: إ.ليفي بروفنسال، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937م).

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، (ت: 380هـ=990م).

31- صورة الأرض، القسم الأول، (ليدن، مطبعة بريل، 1938م).

ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، (ت: 469هـ=1076م).

32- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، الجزء الثالث، نشر: ملشور

م. أنطونيه، (باريس، 1937م).

33- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1973م).

34- المقتبس، جـ5، اعتنى بنشره: ب.شالميتا، بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف.كورنيطي، و م.صبح وغيرهما، (مدريد، المعهد الأسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، 1979م).

35- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، جزء مختص بخمس سنوات من خلافة المستنصر، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت، 1385هـ-1965م).

ابن الخراط الإشبيلي، أبو محمد (ت: 581هـ-1186م).

36- الأندلس في اقتباس الأنوار، وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق وتقديم: إيميليو مولينا، وخاثينوبوسك بيلا، (مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1990م). شارك معه في تأليفه أبو محمد الرشاطي.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت: 300هـ=912م).

37- المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحسيني، (مصر، 1381هـ-1961م).

الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد، (ت: 592هـ=1186م).

38- مقامع الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، (تونس، الجامعة التونسية، نشرية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، 1975م).

الخشني، أبو عبد الله محمد بن الحارث، (ت: 361هـ=971م).

39- قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار

الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1402هـ-1982م).

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله التلمساني (ت: 776هـ=1374م).

40- الإحاطة في أخبار غرناطة، 4ج، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (القاهرة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ط2، 1393هـ-1973م).

41- أعمال الأعلام (القسم الثاني)، حققه ونشره: إ.ليفي بروفنسال، تحت عنوان: تاريخ أسبانيا الإسلامية، (بيروت، دار المكشوف، ط2، 1956م).

42- أعمال الأعلام (القسم الثالث)، أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر تحت عنوان: "تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط"، (المغرب، الدار البيضاء، 1964م).

43- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (القاهرة، المطبعة السلفية، 1347هـ).

44- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، (بغداد، دار الشؤون الثقافية، د.ت).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت: 808هـ=1406م).

45- المقدمة، (بيروت، ط3، 1967م).

46- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 7ج، (طبعة 391هـ-1971م).

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي، السجستاني، (ت: 275هـ=888م).

47- سنن أبي داود، 2ج، (مصر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1371هـ-1952م).

الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي. (ت: 797هـ=1336م)، زاده وعلقه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، (ت: 839هـ=1435م).

48- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تصحيح وتعليق: إبراهيم شبوح، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1968م).

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت: 748هـ=1347م).

49- العبر في خبر من عبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (الكويت، 1960م).

الراعي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إسماعيل، (ت: 853هـ=449م)،

50- الممتمع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل، تحقيق وتعليق: محمد قوبعة، (حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع19-1980م).

الرشاطي، أبو محمد (ت: 542هـ=1147م).

51- الأندلس في اقتباس الأنوار، وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق وتقديم: إيميلو مولينا، وخاثينوبوسك بيلا، (مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1990م). شارك معه في تأليفه ابن الخراط الإشبيلي.

الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد، (ت: 694هـ=1294م).

52- أمثال العوام في الأندلس، تحقيق ونشر: محمد بن شريف (فاس، مطبعة محمد الخامس، 1395-1975م).

الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، (ت: 894هـ=1488م).

53-تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضوره، (تونس، ط2، 1966م).

السبتي، محمد بن القاسم الأنصاري، (ت: بعد 825هـ=1421م).

54- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سِنِّي الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، (الرباط، المطبعة الملكية، مطبوعات القصر الملكي، 1389هـ، 1969م).

ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك، (ت: 685هـ=1286م).

55- اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى، اختصار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ط2، 1400هـ-1980م).

56- تذييل ابن سعيد على جواب ابن حزم، قدم لها ونشرها مع رسائل أخرى صلاح الدين المنجد، تحت عنوان فضائل الأندلس وأهلها، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـ=1968م).

57- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (مصر، دار المعارف، ط2).

58- المغرب في حلى المغرب، جزءان، تحقيق وتعليق: شوقي ضيف، (مصر، دار المعارف، ط2، 1964م).

السلفي، صدر الدين أبو طاهر، أحمد بن محمد، (ت: 576هـ=1180م).

59- أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1963م).

ابن سلمون الكناني، أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن علي.

60- العقد المنظَّم للحكام بما يجري بين أيـديهم مـن العقـود والأحكام. نشر بهامش كتاب: ابن فرحون، تبصرة الحكام فـي أصول الأقضية والأحكام، (القاهرة، مطبعة محمـد مـصطفى، 1302هـ).

ابن السماك **العاملي**، أبو القاسم محمد بن أبي العلا، (ت: في القرن الـسابع الهجري/الثالث عشر الميلادي).

61- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سـهيل زكار وعبد القادر زمامة، (الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثـة، ط1، 1979م).

السموءل **بن يحيى بن عباس المغربي**، (570هـ=1174م).

62- الباهر في الجبر، تحقيق وتحليل، صلاح أحمـد ورشـدي راشد، (دمشق، مطبعة الجامعة، 1972م).

63- بذل المجهود في إفحام اليهود، تقديم: محمد أحمد الشامي، (القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة، د.ت).

ابن سهل، الإشـبيلي الإسـرائيلي، أبـو إسـحاق إبـراهيم، (ت: 649هـ=1251م).

64- ديوان ابن سهل، تحقيـق وشـرح: بطـرس البـستاني، (بيروت، مكتبة صادر، 1953م).

ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى، (ت: 486هـ=1093م).

65- الأحكام الكبرى، استخرجها وحققها ونشرها: محمد عبـد الوهاب خلاف، (القاهرة، المركز العربـي للـدول والإعـلام، 1400هـ-1980م). نشرت قطعة منها تحت عنوان: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة مـن مخطـوط

الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ=1505م).

66- الجامع الصغير من حديث البشير القدير، (مصر، مطبعة الحلبي البابلي، ط4، 1373هـ).

67- طبقات الحفاظ، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983م).

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، (ت: 790هـ=1388م).

68- الإفادات والإنشاءات، تحقيق: أبو الأجفان، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1983م).

ابن الشباط، محمد بن علي التوزري، (ت: 681هـ=1282م).

69- صلة السمط وسمة المرط، (قطعة منه)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1971م)، نشره ضمن كتاب: "تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان".

الشقندي، إسماعيل بن محمد، (ت: 629هـ=1231م).

70- رسالة إسماعيل بن محمد الشقندي في فضل الأندلس. نشرت ضمن كتاب: "فضائل الأندلس وأهلها"، نشر: صلاح الدين المنجد، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـ=1968م).

الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، (ت: 542هـ=1147م).

71- الذخيرة، في محاسن أهل الجزيرة، 4ق، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 399هـ-1979م).

ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، (ت: 594هـ=1198م).

72- المن بالإمامة وتاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، (بيروت، دار المغرب الإسلامي، ط3، 1987م).

ابن صاعد **الأندلسي،** أبو القاسم صاعد بن أحمد، (ت: 462هـ-1050م).

73- طبقات الأمم، نشر: لويس شيخو اليسوعي، (بيروت، المطبعة الكاثولوكية للآباء اليسوعيين، 1912م).

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، (ت: 599هـ=1202م).

74- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (القاهرة، دار الكتاب اللبناني، 1967م).

الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، (ت: 310هـ=922م).

75- تاريخ الرسل والملوك، 11ج، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف بمصر، 1968م).

ابن عاصم **الغرناطي،** أبو يحيى محمد، (ت: 857هـ=1453م).

76- جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى، 3م، تحقيق: صلاح جرار، (عمان، دار البشير، 1410هـ-1989م).

ابن عبد الله **الإسرائيلي القرطبي،** أبو عمران موسى، (ت601هـ=1204م).

77- شرح أسماء العقار، نشر وتصحح ومراجعة ماكس مايرهوف، (بغداد، مكتبة المثنى، 1940م).

ابن عبد **الرؤوف،** أحمد بن عبد الله، (ت: في النصف الأول من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي).

78- رسالة أحمد عبد الله بن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب، حققها نشرها: إ.ليفي بروفنسال، مع رسائل أخرى، تحت عنوان، ثلاث رسائل أندلسية، في آداب الحسبة والمحتسب،

(القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م).

ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد، (328هـ=949م).

79- العقد الفريد، خرجه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1967م).

ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله بن محمد بن محمد، (ت: 703هـ=1303م).

80- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الأسفار من 4-6، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1973م).

عبد الواحد المراكشي، (647هـ=1249م).

81- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبط وتصحيح: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، (القاهرة، مطبعة الاستقامة، ط1، 1368هـ-1949م).

ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي، (ت: في النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).

82- رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، حققها ونشرها: إ.ليفي بروفنسال، مع رسائل أخرى، تحت عنوان: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب. (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م).

ابن العبري، غريغوريوس الملطي، (685هـ=1286م).

83- تاريخ مختصر الدول، (بيروت، ط2، 1958م).

ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي، (ت: بعد 712هـ=1312م).

84- البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب، 4ج، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان، وإ.ليفي بروفنسال، (بيروت، دار الثقافة، د.ت).

العذري، أحمد بن عمر بن أنس، (478هـ=1085م).

85- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك. تحقيق: عبد العزيز الأهواني، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965م).

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله، (ت: 571هـ=1175م).

86- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تهذيب وترتيب: عبد القادر بدران، (بيروت، دار المسيرة، د.ت).

ابن العطار، محمد بن أحمد الأموي، (ت: 399هـ=1008م).

87- كتاب الوثائق والسجلات. تحقيق ونشر: ب.شالميتا، ف.كورنيطي، (مدريد، مجمع الموثقين المجريطي، المعهد الأسباني العربي للثقافة، 1983م).

العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد، (ت: 597هـ=1200م)،

88- خريدة القصر وجريدة العصر، 4ق، تحقيق: عمر الدسوقي، وعلي عبد العظيم، (القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت).

ابن عمر، يحيى، (ت: 289هـ=901م).

89- أحكام السوق، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، راجعه وأعده للنشر: فرحات الدشراوي، (تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1975م).

عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، (ت: 544هـ=1149م).

90- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 4ج، تحقيق: أحمد بكير محمود، (بيروت، منشورات دار الحياة، ليبيا، دار الفكر، 1968م).

ابن غالب البلنسي، محمد بن أيوب، (عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).

91- "نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة النفس في تاريخ الأندلس"، تحقيق: لطفي عبد الوحيد، (القاهرة، 1956م).

ابن فرحون، برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم اليعمري (ت: 799هـ=1396م).

92- تبصرة الحكام في أصول الأقضية والأحكام، 2ج، (القاهرة، مطبعة محمد مصطفى، 1302هـ).

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت: 403هـ=1012م).

93- تاريخ علماء الأندلس، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م).

القابسي، علي بن محمد بن خلف الأندلسي القيرواني، (ت: 403هـ=1012م).

94- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، "نشرها الأهواني ضمن كتابه: "التعليم في رأي القابسي"، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1342هـ=1940م).

القرافي، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، (ت: 684هـ=1285م).

95- الفروق، 4ج، (مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1344هـ).

القزويني، زكريا، (ت: 682هـ=1283م).

96- آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، 1380هـ-1960م).

ابن القطان، أبو الحسن علي بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي، (ت: 628هـ=1230م).

97- نظم الجمان، تحقيق: محمود علي مكي، (الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، د.ت).

القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي، (ت: 646هـ=1248م).

98- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (بيروت، دار الآثار، د.ت).

القلقشندي، أحمد بن علي بن أبي اليمن، (ت: 825هـ=1418م).

99- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (مصر، المؤسسة المصرية العامة، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، د.ت).

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، (ت: 367هـ=977م).

100- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، (بيروت، دار النشر للجماعيين، 1957م).

ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (ت: 751هـ=1350م).

101- أحكام أهل الذمة، 2ق، تحقيق وتعليق: صبحي صـــالح، (بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1983م).

102- زاد المعاد في هـــدى خيـــر العبـــاد، (دار الفكـــر، ط2، 1392هـ=1972م).

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء، (ت: 774هـ=1332م).

103- السيرة النبوية، 4ج، تحقيق: مــصطفى عبـــد الواحـــد، (القـــاهرة، مطبعـــة عيـــسى البـــابي الحلبـــي وشـــركاه، 1385هـ=1965م).

104- مختصر تفسير ابن كثير، 3م، اختصار وتحقيق: محمـــد علـــي الـــصابوني، (بيـــروت، دار القـــرآن الكـــريم، 1402هـ=1981م).

ابن الكردبوس، أبو مروان بن عبد الملك بن الكردبوس التـــوزري، (ت: بعـــد 713هـ=1313م).

105- الاكتفاء في أخبار الخلفاء، (قطعة منـــه)، نـــشر تحـــت عنوان: "تاريخ الأندلس، لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط".

مالك بن أنس، الأصبحي، (ت: 179هـ=795م).

106- المدونة الكبرى، 16ج، في 8م، (مصر، مطبعة السعادة، بغداد، مكتبة المثنى، 1323هـ).

المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، (ت: 1061هـ=1650م).

107- رياض النفوس في طبقات علمـــاء القيـــروان وأفريقيـــة وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير مـــن أخبـــارهم وفـــضائلهم وأوصافهم، جـ1، قام على نشره: حسين مؤنس، (القاهرة، ط1، 1951م).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت: 450هـ=1058م).

108- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (بغداد، 1409هـ=1989م).

مجهول **المؤلف،** (من أهل القرن الرابع أو الخامس الهجري).

109- أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1401هـ-1981م).

مجهول **المؤلف،** (عاش في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي).

110- كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، م9، 10، (مدريد، 1961-1962م).

مجهول **المؤلف.**

111- نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق: الفريد البستاني، (المغرب، مطبعة الفنون المصورة، 1940م).

مجهول **المؤلف.**

112- وصف الأندلس، نشر حسين مؤنس نصوصاً منه في تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، (مدريد، ط1، 1967م).

المجيدلي، أحمد سعيد، (ت: 1094هـ=1682م).

113- كتاب التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق: موسى لقبال، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971م).

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت: 380هـ=990م).

114- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ليدن، مطبعة بريـــل، ط2، 1967م).

ابن المقرب العيـــوني، جمـــال الـــدين أبـــو عبـــد الله بـــن علـــي، (ت: 629هـــ=1231م).

115- ديوان ابن المقرب، تحقيق: عبد الفتـــاح محمـــد الحلـــو، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمـــصر، ط1، 1383هـــ-1963م).

المقري، شهاب الدين أحمد التلمساني، (ت: 1041هـــ=1631م).

116- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرهـــا لسان الدين ابن الخطيب، 8م، تحقيق: إحسان عباس، (بيـــروت، دار صادر، 1408هـــ=1988م).

الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي ، (ت: 1279هـــ=1863م).

117- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفـــر الناصري، محمد الناصري، (الدار البيضاء، 1954م).

النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، (ت: 776هـــ=1374م).

118- كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نـــشره: إ.ليفي بروفنسال، تحت عنوان: "تاريخ قضاة الأندلس"، (القاهرة، دار الكتاب المصري، 1948م).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت: 733هـــ=1332م).

119- نهاية الإرب في فنون الأدب، 21جـــ، (مصر، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر، نسخة مصورة عن طبعـــة دار الكتب، د.ت).

الونشريسي، أحمد بن يحيى، (ت: 914هـــ=1508م).

120- المعيار المعرب والجامع المغرب عـن فتـاوى علمـاء أفريقية والأندلس والمغرب، 13ج، خرجه جماعة مـن العلمـاء بإشراف: محمد حجـي، (بيـروت، دار المغـرب الإسـلامي، 1981م).

ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله، (ت: 626هـ=1228م).

121- معجم البلدان، 5ج، (بيروت، دار صادر، ودار بيروت، 1957م).

بو يعلى **الفراء،** محمد بن حسين، (ت: 458هـ=1065م).

122- الأحكام السلطانية، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

أبو يوسف، يعقوب ابن إبراهيم، (ت: 182هـ=798م).

123- الخراج، (القاهرة، المطبعة السلفية، ط4، 1392هـ-1972م).

رابعاً: المراجع العربية والمعربة.

أرسلان، شكيب.

1- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية 3ج، (المغرب، فاس، 1355هـ، 1936م).

أوروسيوس، 2- تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، تقديم وتحقيق: عبد الرحمن بدوي، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1982م).

أوليري، دي لاس.

3- الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982م).

بالنثيا، آنخل جنثالث.

4- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمه عن الأسبانية: حسين مؤنس، (القاهرة، مكتبة، النهضة، ط1، 1955م).

بدر، أحمد.

5- دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، (دمشق، ط2، 1972م).

البعلبكي، منير.

6- المورد، (بيروت، دار العلم للملايين، 1983م).

بيرنز، يواكيم.

7- بابوات من الحي اليهودي، ترجمة خالد أسعد عيسى، مراجعة وتقديم: سهيل زكار، (دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، ط1، 1985م).

التل، عبد الله.

8- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، 1979م).

الجالي، محروس.
9- أبو نواس الأندلس، ابن سهل الإسرائيلي، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1986م).

جلال، ألفت محمد.
10- الأدب العبري القديم والوسيط، (القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس، 1978م).

جواد علي. 11- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، ط2، 1976م).

جوايتاين، س.د.
12- دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، (الكويت، وكالة المطبوعات، ط!، 1980م).

الحاردلو، إبراهيم.
13- التوراة واليهود في فكر ابن حزم، (الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1982م).

حتامله، محمد عبده.
14- أيبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، (الأردن، عمان، 1416هـ-1996م).

الحجي، عبد الرحمن علي.
15- التاريخ الأندلسي، من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ=711-1492م)، (دمشق، دار القلم، بيروت، دار المنارة، ط3، 1407هـ-1987م).

حركات، إبراهيم،

16- النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، (الـدار البيضاء، منشورات مكتبة الوحدة العربية، د.ت).

17- المغرب عبر التاريخ، جـ1، (الـدار البيـضاء، دار الإرشاد الحديثة، ط2، د.ت).

الحفني، عبد المنعم.

18- الموسوعة النقدية للفلـسفة اليهوديـة، (بيـروت، دار المسيرة، ط1، 1980م).

خان، ظفر الإسلام.

19- التلمود، تاريخه وتعاليمه، (بيروت، دار النفائس، ط2، 1972م).

الخضري، محمد فريد بك.

20- تاريخ الأمم الإسلامية، (القاهرة، المكتبـة التجاريـة الكبرى بمصر، ط8، 1382هـ).

خلاف، محمد عبد الوهاب.

21- تاريخ القضاء في الأندلس، (القاهرة، ط1، 1314هـ-1992م).

خلف الله، ابتسام المرعي.

22- العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسـلامي، (القاهرة، دار المعارف، 1405هـ-1985م).

الخوري، إميل.

23- مؤامرة اليهود على المسيحية، (بيـروت، دار العلـم للملايين، 1947م).

دنلوب، د.م.

24- تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، (دار الفكر، ط1، 1407هـ-1987م).

الدوري، عبد العزيز.

25- المؤسسات الحكومة، المدينة الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد تلعب، أشرف على النشر: د.ب. سرجنت، (اليونسكو، السيكومورنجر، 1983م).

ديورانت، ول وايريل.

26- قصة الحضارة، جـ3، م4، ترجمة: محمد بدران، (بيروت، دار الجيل، 1408هـ-1988م).

راشد، سيد فرج.

27- القدس عربية إسلامية، (الرياض، دار المريخ، 1406هـ-1986م).

أبو رميلة، هشام.

28- نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، (المكتبة العالمية، 1400هـ-1980م).

رينو، جوزيف.

29- الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرن الثامن والتاسع والعاشر الميلادي، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، (الجزائر، دار الحداثة، ط1، 1984م).

الزاوي، الطاهر أحمد.

30- ترتيب القاموس المحيط، (دار الفكر، ط3، د.ت).

الزعفراني، حاييم.
31- ألف سنة من حياة اليهود في المغرب، تاريخ، ثقافة، دين، ترجمة: أحمد شعلان وعبد الغني أبو العزم، (الدار البيضاء، مطبعة دار قرطبة، 1987م).

الزغول، جهاد غالب.
32- الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي، حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، قسم التاريخ، 1994م.

أبو زهرة، محمد.
33- أصول الفقه، (القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت).

الزين، حسن.
34- أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي، (بيروت، ط1، 1402هـ-1982م).

سالم، السيد عبد العزيز.
35- تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، 1984م).
36- قرطبة، حاضرة الخلافة في الأندلس، 2جـ، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1984م).

سرور، محمد شكري.
37- نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1978-1979).

سوسة، أحمد.

38- مفصل العرب واليهود في التاريخ، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ط5، 1980م).

شلبي، أحمد.

39- مقارنة الأديان: اليهودية، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1967م).

ضياء باشا.

40- الأندلس الذاهبة، دول الطوائف ودولة المرابطين وبداية دولة الموحدين، تعريب: عبد الرحمن إرشيدات، مراجعة وتحقيق: صلاح إرشيدات، (عمان، 1989م).

طرخان، إبراهيم علي.

41- دولة القوط الغربيين، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1958م).

ظاظا، حسن.

42- الفكر الديني اليهودي، (دمشق، دار القلم، ط2، 1407هـ-1987م).

عبد العليم، مصطفى كمال.

43- اليهود في مصر، في عهدي البطالمة والرومان، (القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1968م).

عبد المجيد، محمد بحر.

44- اليهود في الأندلس، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، 1970م).

العجيري، صالح محمد.

45- تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية،

(الكويت، منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1981م).

العريني، السيد الباز.

46- الدولة البيزنطية، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1982م).

عنان، محمد عبد الله.

47- دول الطوائف، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، 1380هـ، 1960م).

48- دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، 2ج، (القاهرة، 1380هـ-1960م).

49- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، (مصر، ط2، 1958م).

فانيان. 50- تكميلات القواميس العربية، (بيروت، مكتبة لبنان، د.ت).

فرحات، يوسف شكري.

51- غرناطة في ظل بني الأحمر، (بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر، 1982م).

فيدر، نفتالي.

52- التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ترجمة محمد سالم الجرح، (مصر، مكتبة دار العروبة، 1965م).

الكاندهولي، محمد يوسف.

53- حياة الصحابة، 4م، (دمشق، 1389هـ-1996م).

الكبيسي، حمدان، عبد المجيد.

54- الخراج، أحكامه ومقاديره، (بغداد، نشر جامعة بغداد، 1411هـ-1991م).

كحالة، عمر رضا.

55- الزواج، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م).

كحيلة، عبادة.

56- تاريخ النصارى في الأندلس، (القاهرة، ط1، 1414هـ-1993م).

كراتشكوفسكي أغناطيوس يوليا نوفتش.

57- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، 2ج، نقله إلى العربية: صلاح الدين عثمان هاشم، قام بمراجعته إيغور بلبايف، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963م).

الكلية العسكرية.

58- قاموس التحرير العبري العربي، (بغداد، ط1، 1973م).

الكواتي، مسعود.

59- اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1411-1412هـ-1990-1991م).

كولان، ج.س.

60- الأندلس، (لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد وآخرون، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1980م).

كيب، جوزيف ماك.

61- مدنية المسلمين في أسبانيا، ترجمة: محمد تقي الدين

الهلالي، (الرباط، 1985م).

مؤنس، حسين.

62- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، ط1، 1967م).

63- فجر الأندلس، (القاهرة، ط1، 1959م).

مرعشلي، نديم وأسامة.

64- الصحاح في اللغة والعلوم، (بيروت، دار الحضارة العربية، 1974م).

مظهر، سليمان.

65- قصة الديانات، (دار الوطن العربي، د.ت).

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة.

66- مكائد يهودية، (دار القلم، ط1، 1394هـ-1974م).

ناجي، س.

67- المفسدون في الأرض، (دمشق، العربي للإعلان والنشر والطباعة، ط2، 1973م).

النشار، علي سامي، والشربيني، عباس أحمد.

68- الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، (الإسكندرية، منشأة المعارف، 1972م).

النصولي، أنيس زكريا.

69- الدولة الأموية في قرطبة، (بغداد، 1926م).

هنداوي، إبراهيم موسى.

70- الأثر العربي في الفكر اليهودي، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963م).

هوبكنز، ج.ف.ب.

71- النظم الإسلامية في المغرب في القــرون الوســطى، ترجمة: أمين توفيق، (ليبيا، تونس، الدار العربيــة للكتابــة، 1980م).

ولفنسون، إسرائيل.

72- موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط2، 1355هـ-1936م).

يوسابيوس، القيصري.

73- تاريخ الكنيسة، ترجمة: القس مرقص داود، (القاهرة، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع، 1966م).

خامساً: المقالات في الدوريات العربية.

أحمد، علي.

1- اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة: آفاق الثقافة والتراث، (تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعه الماجد للثقافة والتراث بدولة الإمارات، السنة الخامسة، ع17، محرم، 1418هـ-مايو، 1997م).

الأهواني، عبد العزيز.

2- على هامش ديوان ابن قزمان، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، (مدريد، م18، 1974-1975م).

بدوي، عبد الرحمن.

3- رسائل جديدة لابن ماجة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، (مدريد، م15، 1970م).

البشري، سعد عبد الله.

4- ترجمة الكتب العربية، مجلة جامعة أم القرى، (مكة المكرمة، السنة الأولى، ع2، 1409هـ).

بوتشيش. 5- المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، مجلة دراسات أندلسية، (تونس، ع11، 1984م).

الحسين، يعقوبي.

6- قصائد غير منشورة في الاستصراخ والإصراخ، مجلة دراسات أندلسية، (تونس، ع5، 1411هـ-1990م).

خطاب، محمود شيت.

7- الأندلس وما جاورها، مجلة المجمـــع العلمـــي العراقـــي، (بغداد، جـــ4، م38، ربيع الثاني، 1408هـــ-كـــانون الأول، 1987).

راشد، سيد فرج.

8- دور الحضارة الإسلامية في تكوين الأدب العبـــري فـــي الأندلس، مجلة المنهل، (م45، ذو القعدة/ذو الحجة، 1403هـــ، 1983م).

شحلان، أحمد.

9- من الأدب العربي العبري، أبو هارون موسى بن يعقـــوب بن عزرا، وكتابه المحاضرة والمذاكرة، مجلـــة كليـــة الآداب والعلوم الإنسانية، (الرباط، جامعـــة محمـــد الخـــامس، ع5، 1984م).

10- تأثير الآداب العربية في الآداب العبرية، مجلة دراســـات مغاربية في الفلسفة والتراث والفكر العربي الحـــديث، (الـــدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1985م).

عبد الرحمن زكي.

11- العلم والعلماء في دولة المماليك البحرية المصرية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، (مدريد، م15، 1970م).

عبد العزيز، هشام فوزي.

12- يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي، مجلة دراســـات أندلسية، (تونس، ع15، رمضان، 1416هـــ-1996م).

طاهر، حامد.

13- منهج النقد التاريخي عند ابن حزم، (جامعة قطر، حولية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ع6، 1408هـ-1988م).

ظاظا، حسن.

14- اليهود في أسبانيا الإسلامية، (مجلة الفيصل، ع26، جمادى الآخرة، 1410هـ نوفمبر-ديسمبر، 1994م).

قارة، حياة.

15- أندلسي في حلب، دراسة لترجمة خطية لابن شاؤول الحريزي الطليطلي، مجلة دراسات مغاربية، (ع8، 1998م).

الكبيسي، خليل إبراهيم.

16- غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإدارة الأموية، مجلة المؤرخ العربي (بغداد، تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع40، السنة الرابعة عشرة، 1409هـ-1989م).

مؤنس، حسين.

17- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، (520-540هـ=1126-1145م)، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، (مدريد، م6، ع3، رسالة رقم1، 1954م).

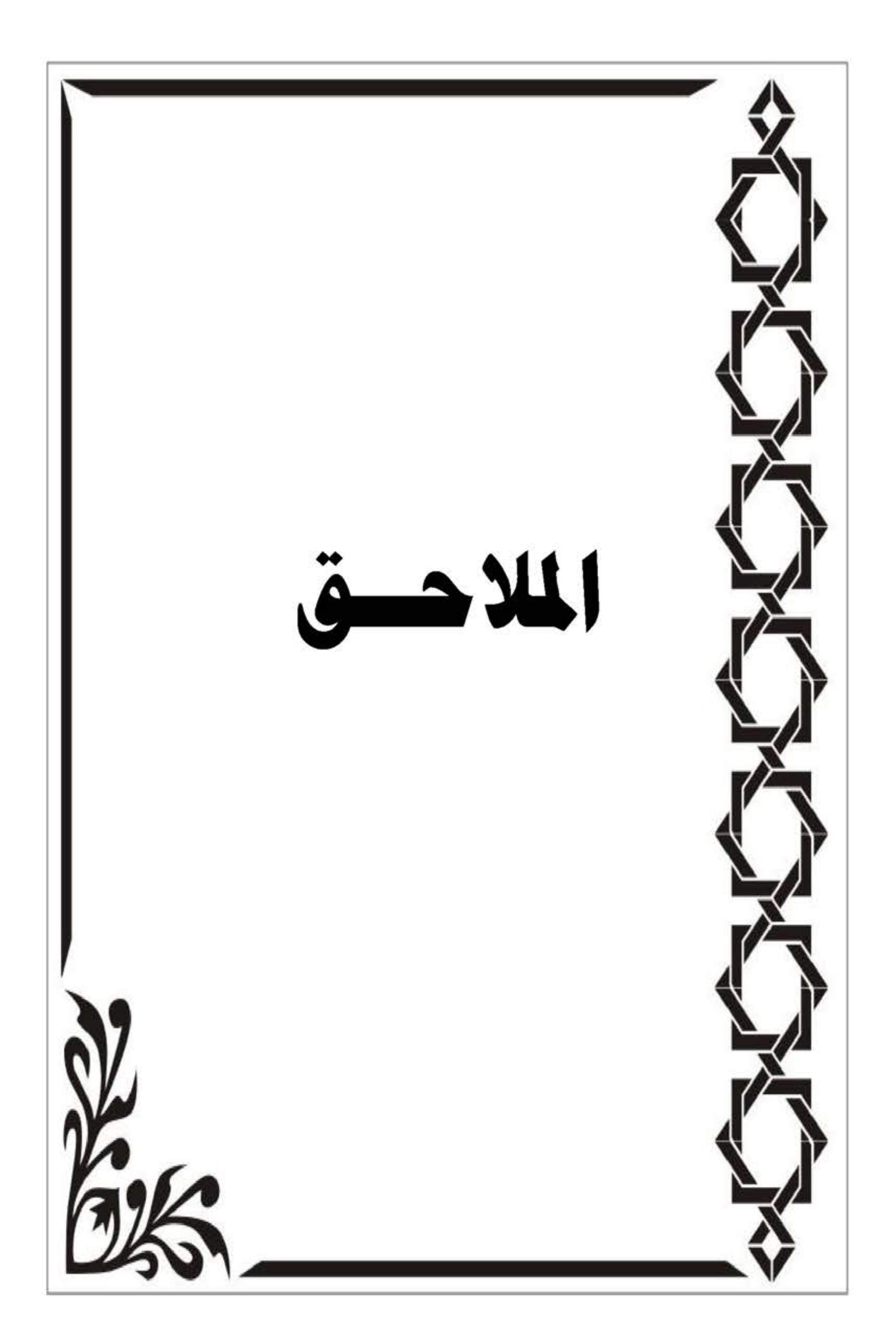
سادساً: المراجع الأجنبية

ASHTOR,ELIYAHU
1- THE JEWS OF MOSLEM SPAIN,3VOLUMES,(PHILADELPHIA,1979)
BEAR,YITZHAK.
2- AHISTORY OF THE JEWS IN GHRISTAIN SPAIN,(PHILADELPHIA,1966).
DUBNOV,SEMON,MARKOVICH
3- HISTORY OF THE JEWS FROM THE ROMANEMPIRE TO THE EARLY MEDIEVAL PERIOD,5VOLUMES,(NEW YORK,1973).
GILBERT,MARTIN.
4- JEWISH HISTORY ATLAS,(LONDON,1969).
GOITEN,SOLOMON,DOB FREITS.
5- JEWS AND ARABS, THEIR CONTACTS THROUGH THE AGES,N.Y:S-CHOCKEN BOOKS,1967)
6- LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, (PRINCETON UNIVERSITY,1973).
ISIDOR OF SEVILLE,S
7- HISTORY OF THE KINGS OF THE GOTHS, VANDAL,S AND SUEVI,(LEIDEN, 1966)
LINDO,E.H.
8- THE HISTORY OF THE JEWS OF SPAIN AND PORTUGAL,(NEW YORK, 1970).
MANN,JACOB.
9- TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE, 2 VOLUMES, (NEW YORK, 1972).
NEUMAN, ABRAHAM A.
10- THE JEWS IN SPAIN, 2 VOLUMES, (PHELADELPHIA, 1944).
SALO, BARON.
11- ASOCIAL AND RELIGIOUNS HISTORY OF THE JES, (COLOMBIA, 1957).
SCHEINDIN, ROYMOND P.
12- THE JEWS IN MOSLEM SPAIN, THE LEGACY OF MOSLEM SPAIN, SALMA KHADRA JAYYUSI, (EDITOR, 1992).
WAMXMAN.
13- AHISTORY OF JEWISH LITERATURE, (N.Y.BLOCH PUPLISHING COMPANY, 1938).

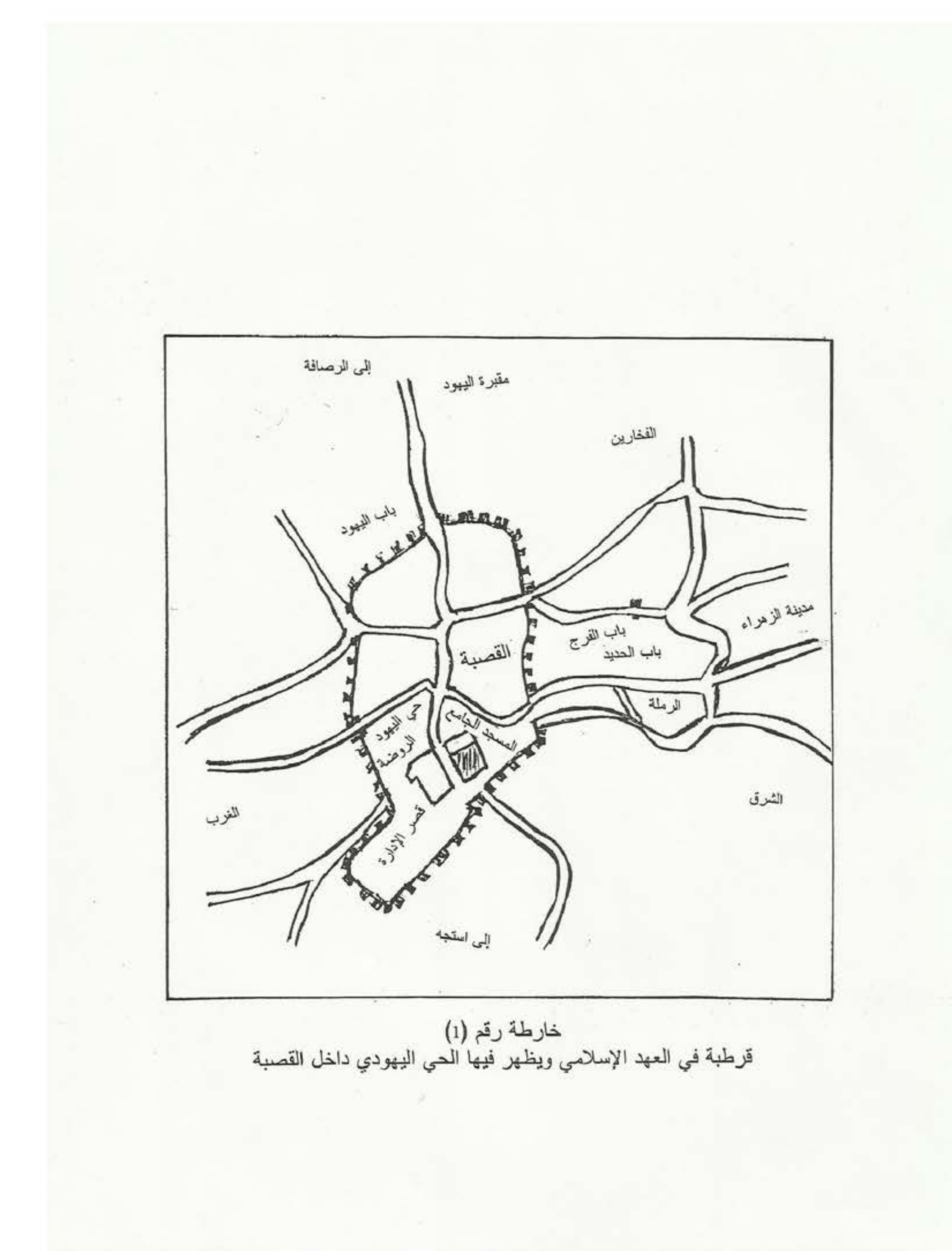
سابعاً: المقالات في الموسوعات اليهودية

ASHTOR, ELIYAHU.
1- SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15,(JERUSALEM, 1972)
BEINART,HAIM.
2-CORDOBA,ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15 ,(JERUSALEM 1972)
3- GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7 (JERUSALEM, 1972)
4- LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11,(JERUSALEM 1972)
5- MALAGA, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, ,(JERUSALEM, 1972)
6- MURCIA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.12,(JERUSALEM, 1972)
7- SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14,(JERUSALEM, 1972).
8- TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15,(JERUSALEM, 1972)
BROYDE,ISAAC
9- SPAIN, THE JEWISH ENCECLOPEDIA, (NEW YORK, KTAV, PUBLISHING HOUSE, INC, 1901), VOL,11.
DAVIS, ELL.
10-TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, (JERUSALEM, 1972).
EDITORIAL STAFF.
11- SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14,(JERUSALEM, 1972).
GRUNHUT, LUZARUS.
12- MOSES B. MAIMON THE JEWISH ENCECLOPEDIA, VOL,9. (NEW YORK, KTAV, PUBLISHING HOUSE, INC, 1901).
KEYSERLING,MAYER.
13- SEVILLE, THE JEWISH ENCECLOPEDIA, VOL,11. (NEW YORK, KTAV, PUBLISHING HOUSE, INC, 1901).
14- TOLEDO, THE JEWISH ENCECLOPEDIA, VOL12. (NEW YORK, KTAV, PUBLISHING HOUSE, INC, 1901).
LANDMAN, ISAAC

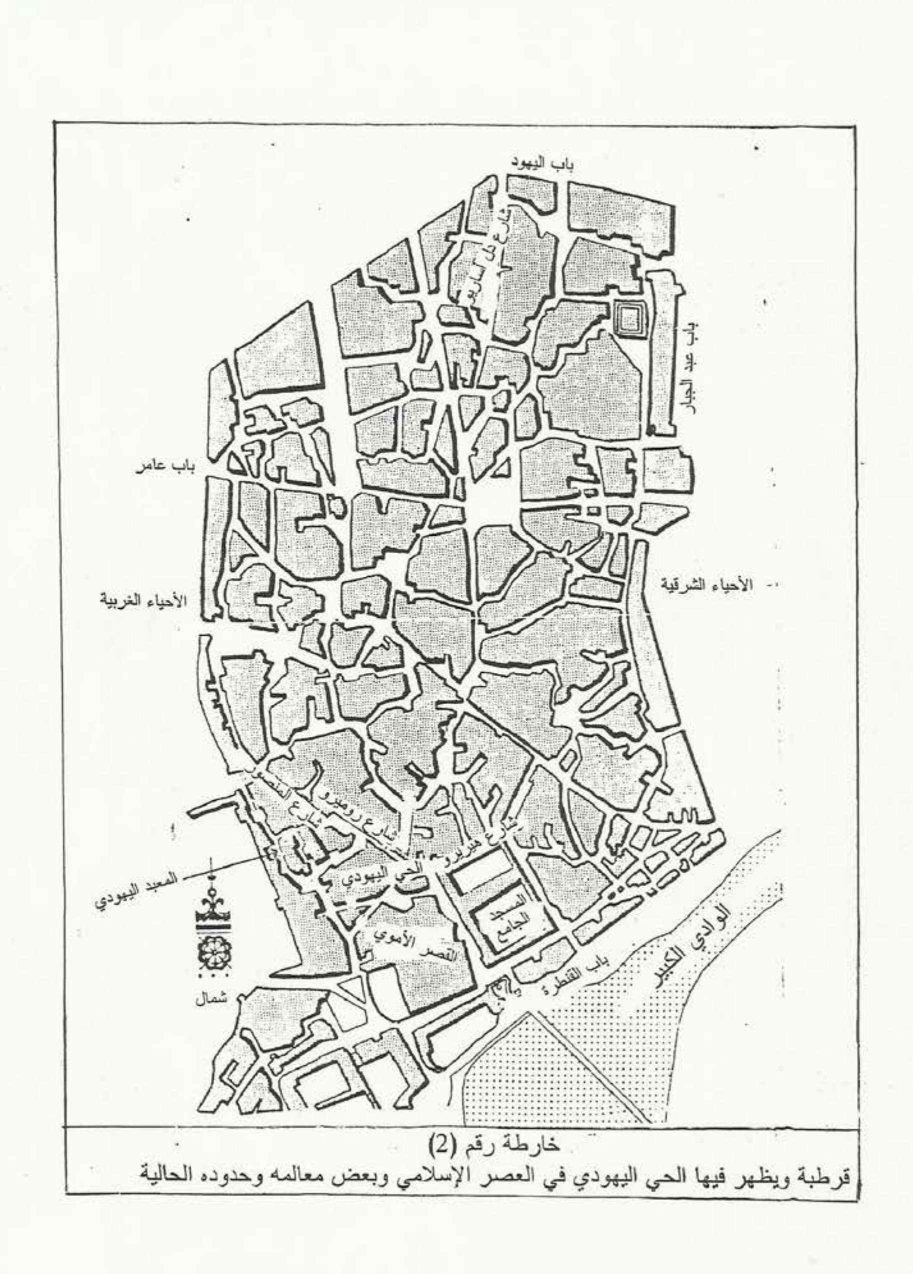
15- PUMBEDITHA, THE UNIVERSAL JEWISH ENCECLOPEDIA, VOL.9, (NEW YORK,1969).
16- SURA, THE UNIVERSAL JEWISH ENCECLOPEDIA, VOL.10, (NEW YORK,1969).
S.SCH.
17- SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15,(JERUSALEM, 1972).
CECIL ROTH.
18- SPAIN, THE STANDARD JEWISH ENCECLOPEDIA, (JERUSALEM, TEL AVIV, 1958-1959).



الملاحـــق

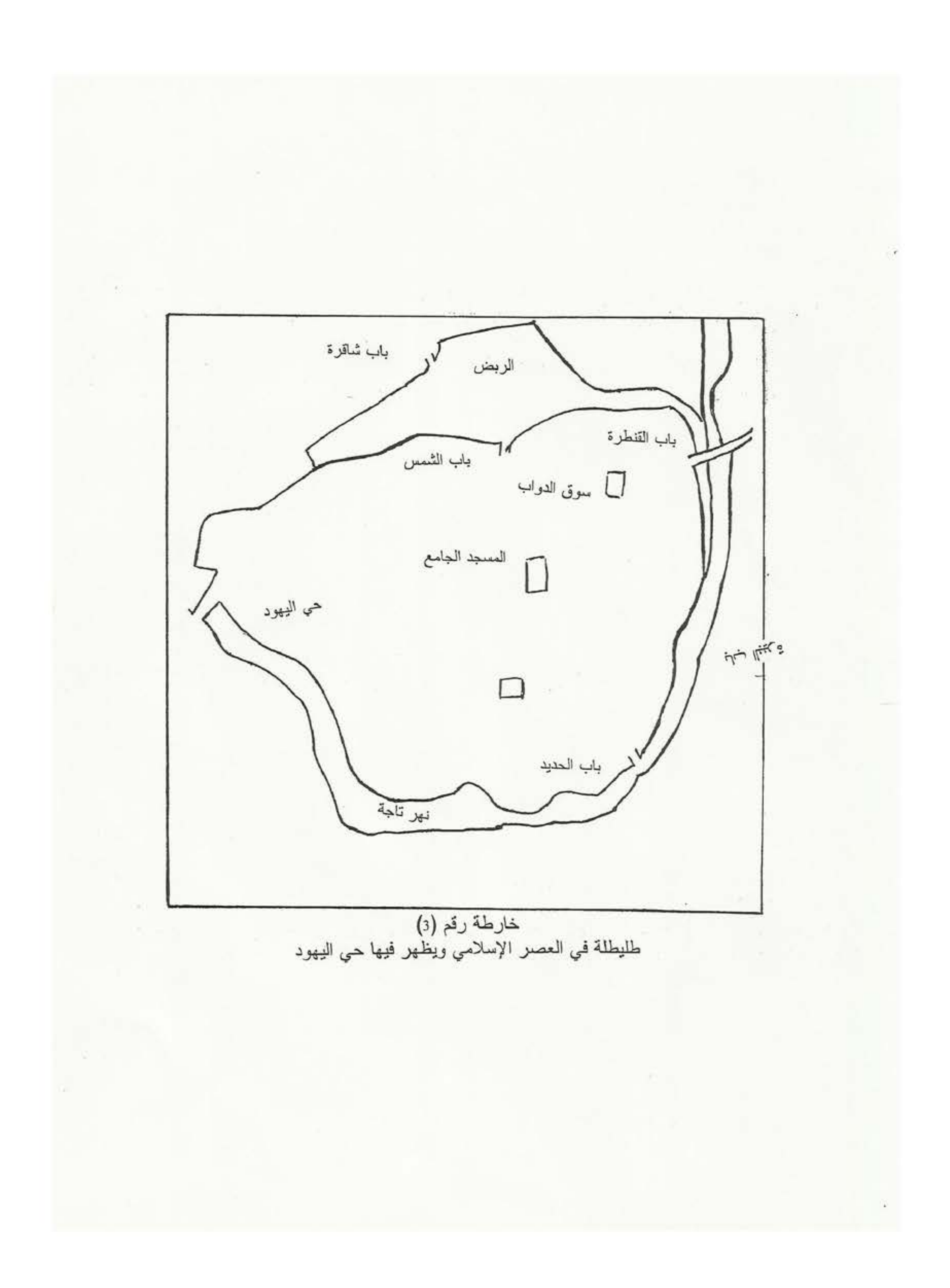


خارطة رقم (1)
قرطبة في العهد الإسلامي ويظهر فيها الحي اليهودي داخل القصبة

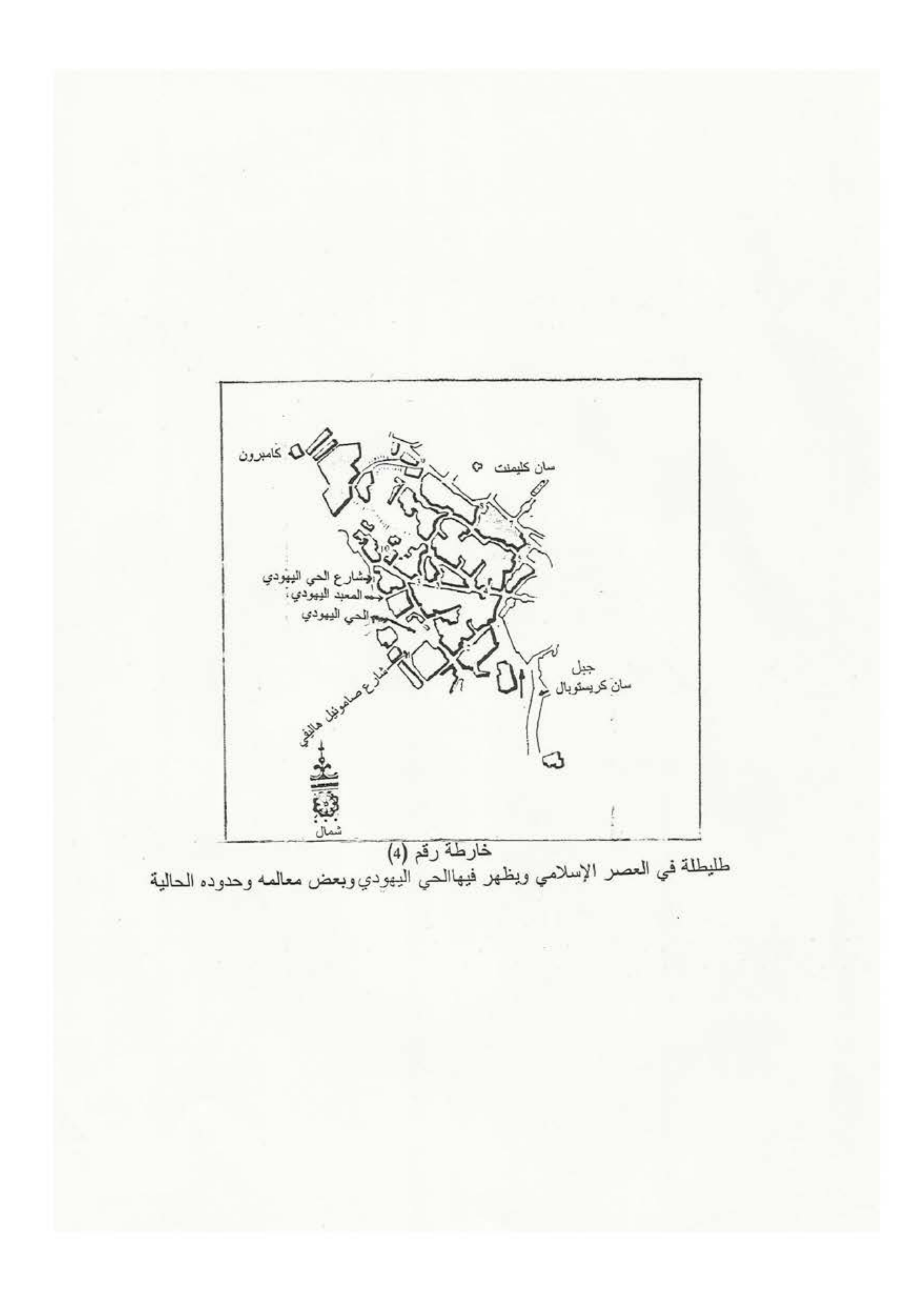


خارطة رقم (2)

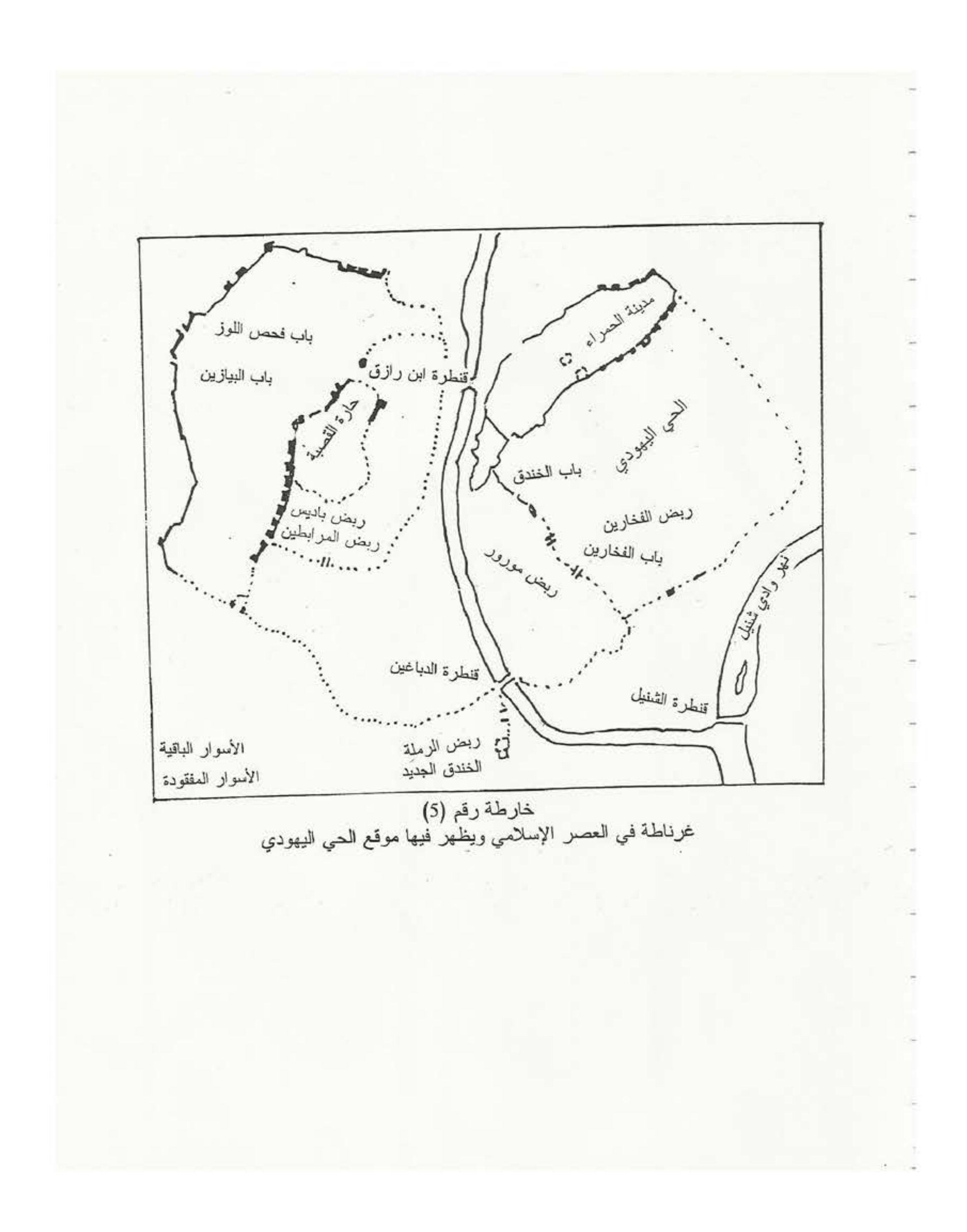
قرطبة ويظهر فيها الحي اليهودي في العصر الإسلامي وبعض معالمه وحدوده الحالية



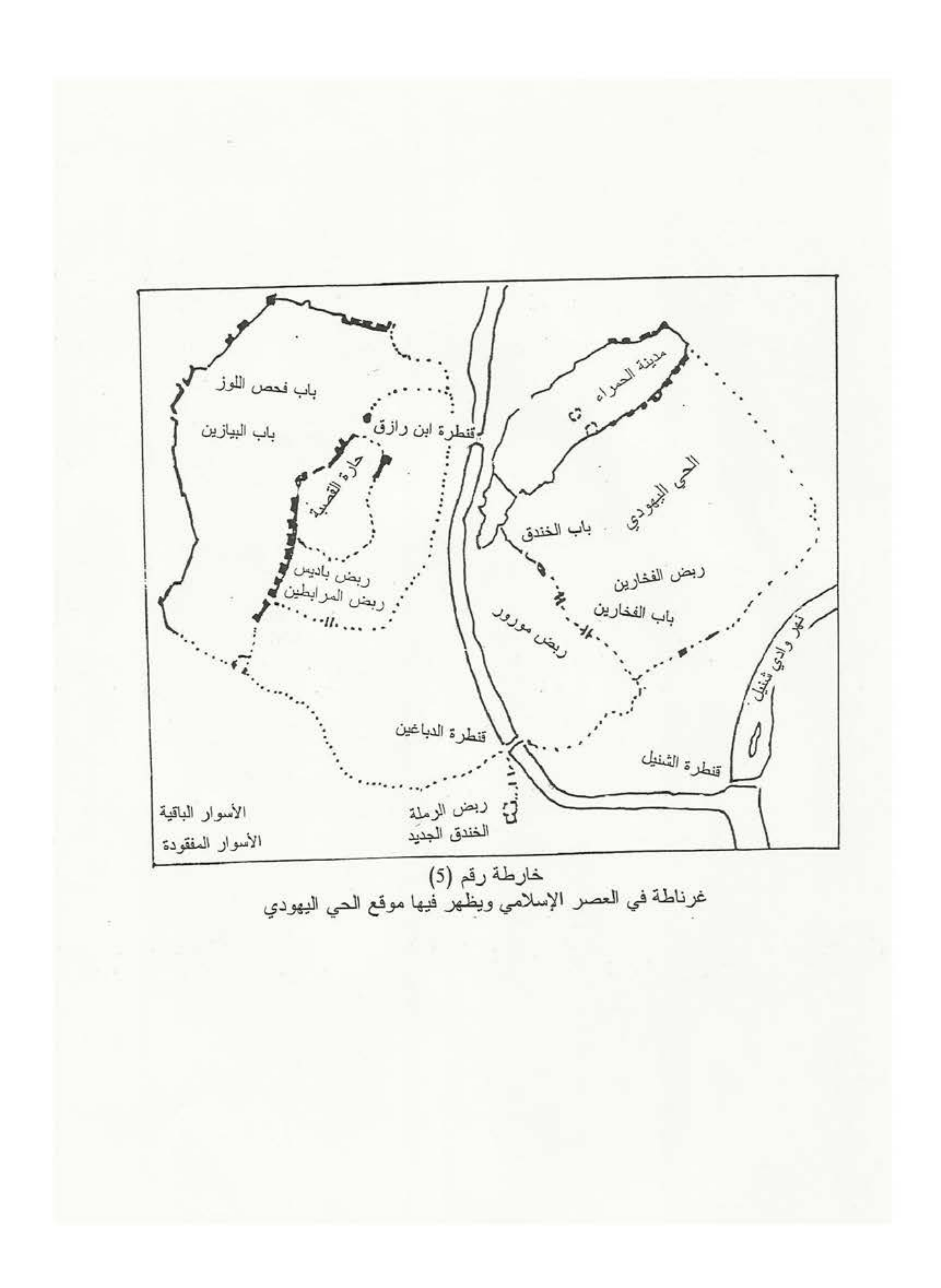
خارطة رقم (3)
طليطلة في العصر الإسلامي ويظهر فيها حي اليهود



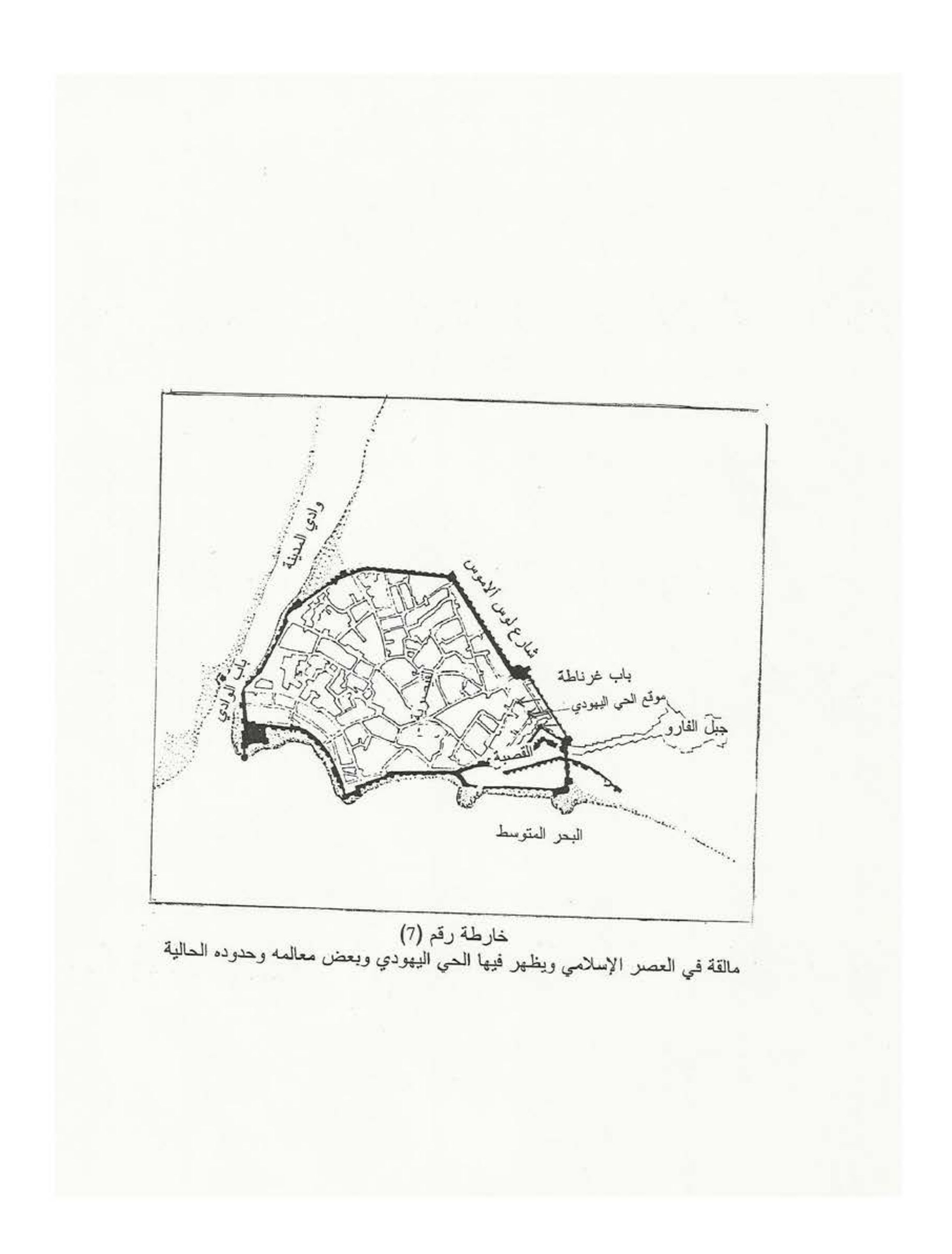
خارطة رقم (4)
طليطلة في العصر الإسلامي ويظهر فيهاالحي اليهودي وبعض معالمه وحدوده الحالية



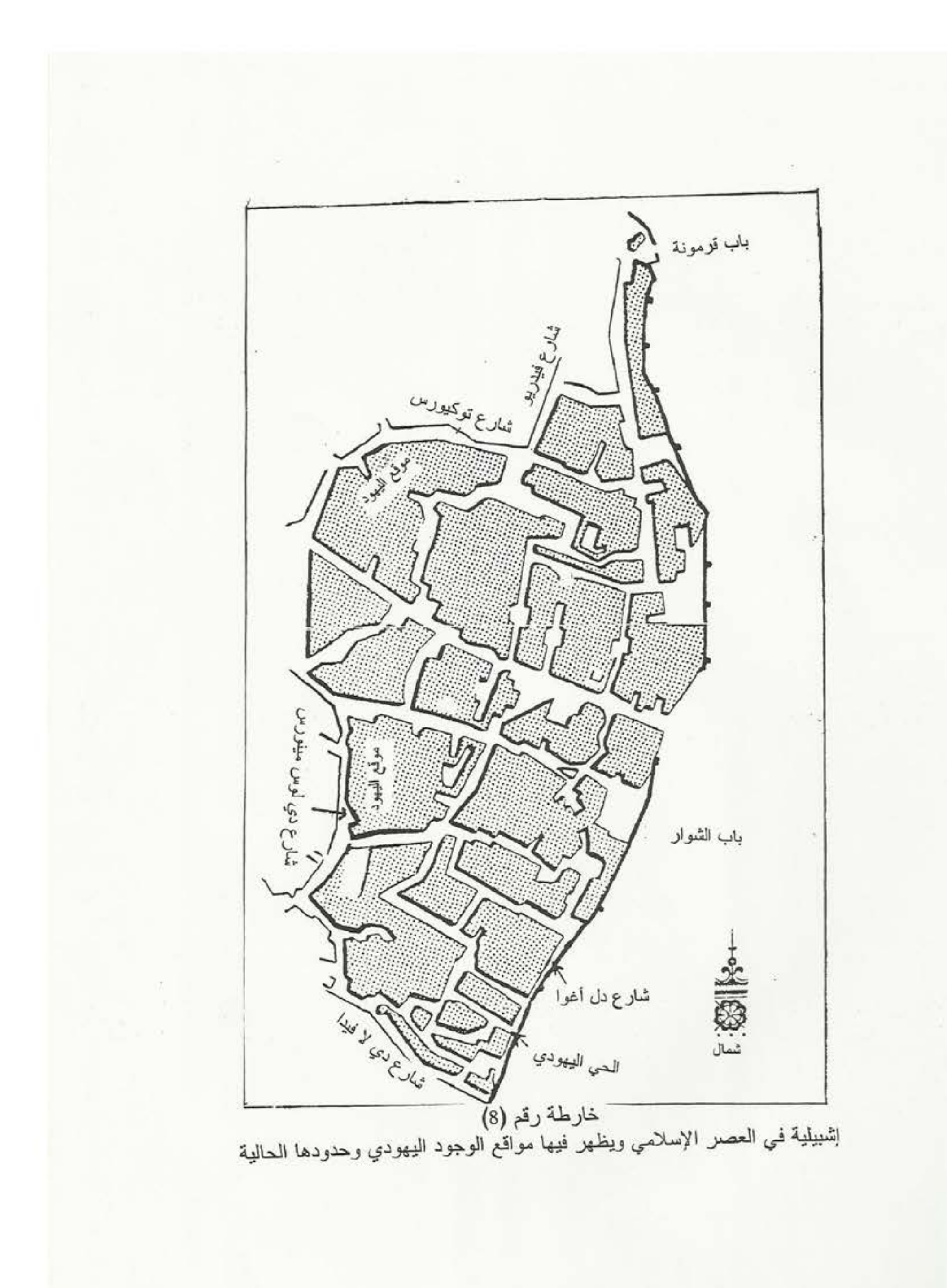
خارطة رقم (5)
غرناطة في العصر الإسلامي ويظهر فيها موقع الحي اليهودي



خارطة رقم (5)
غرناطة في العصر الإسلامي ويظهر فيها موقع الحي اليهودي

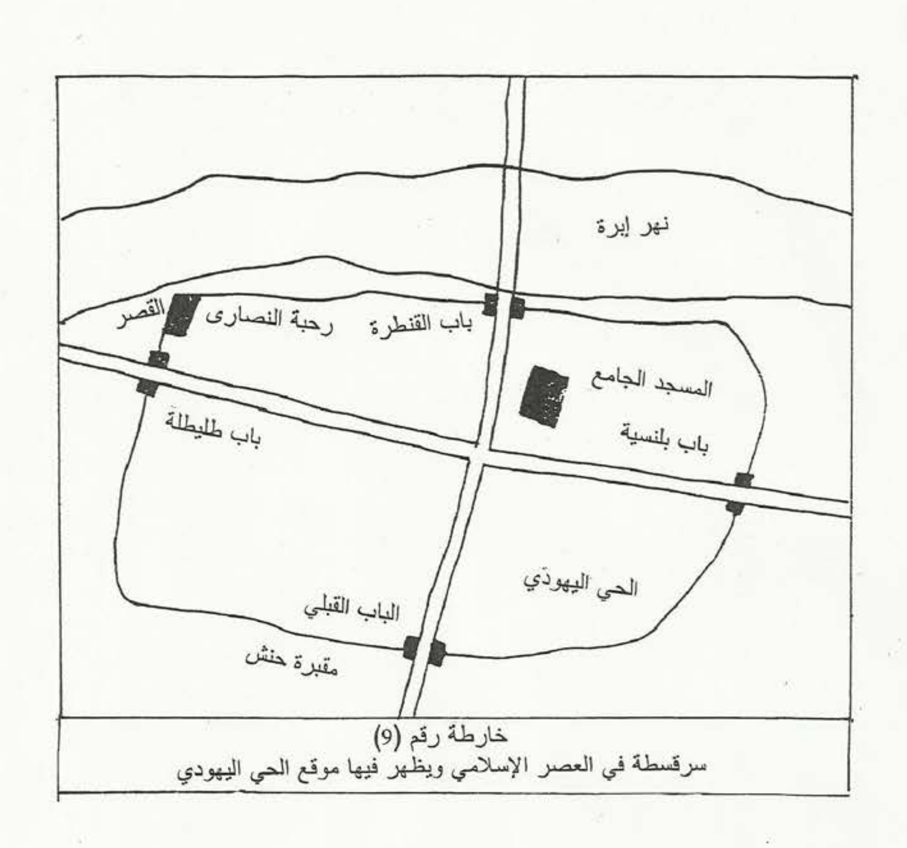


خارطة رقم (7)
مالقة في العصر الإسلامي ويظهر فيها الحي اليهودي وبعض معالمه وحدوده الحالية



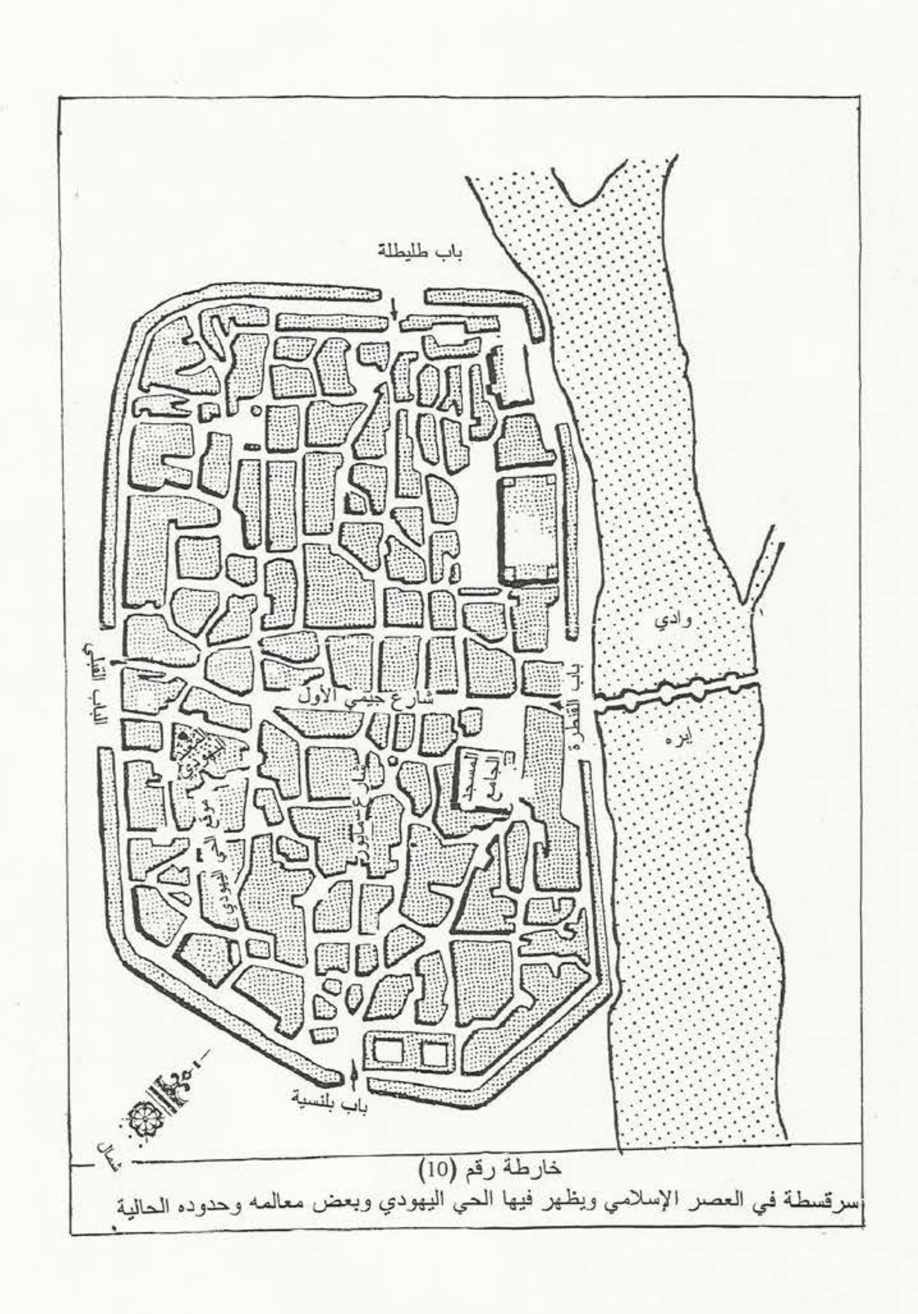
خارطة رقم (8)

إشبيلية في العصر الإسلامي ويظهر فيها مواقع الوجود اليهودي وحدودها الحالية



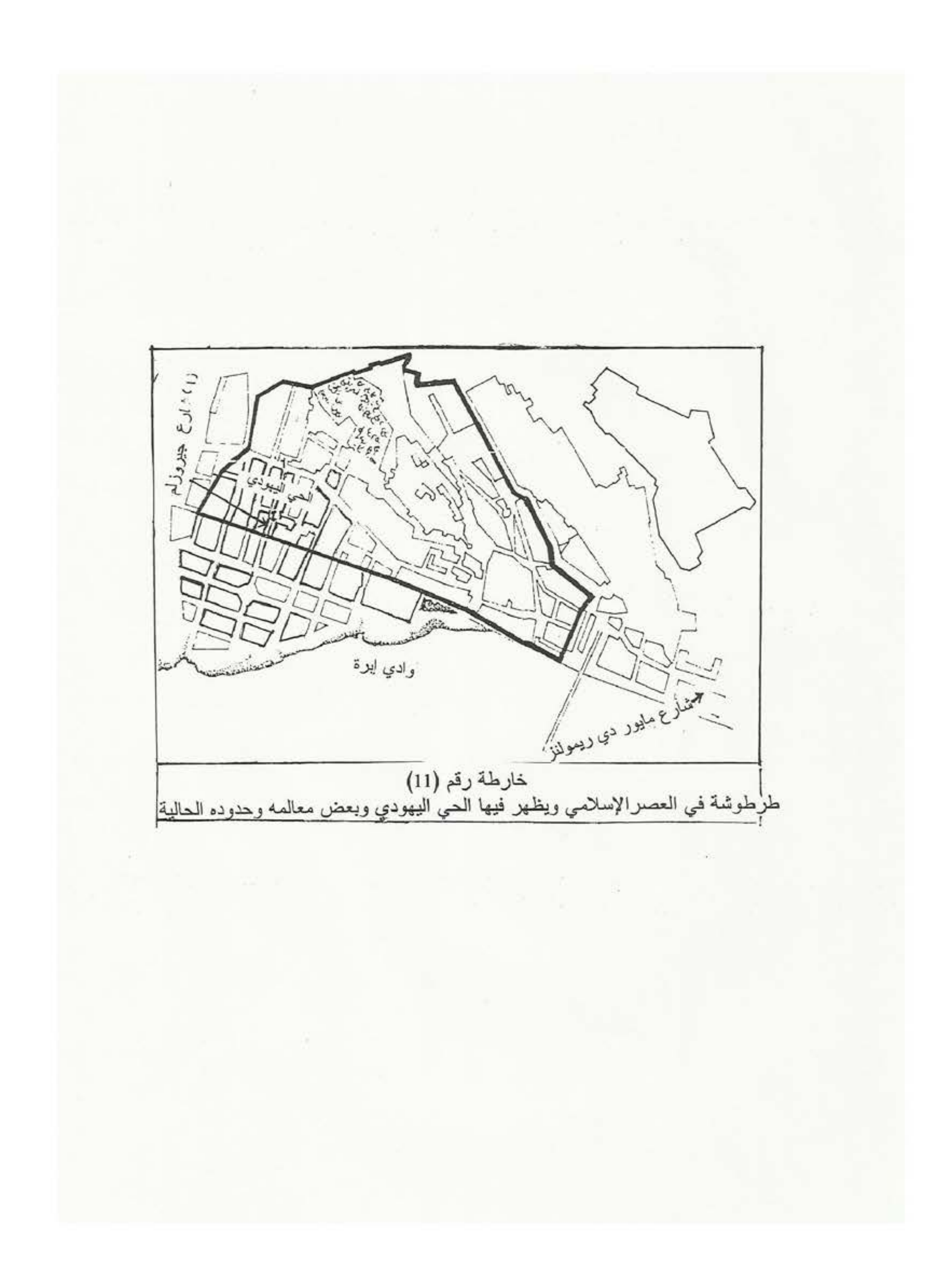
خارطة رقم (9)

سرقسطة في العصر الإسلامي ويظهر فيها موقع الحي اليهودي



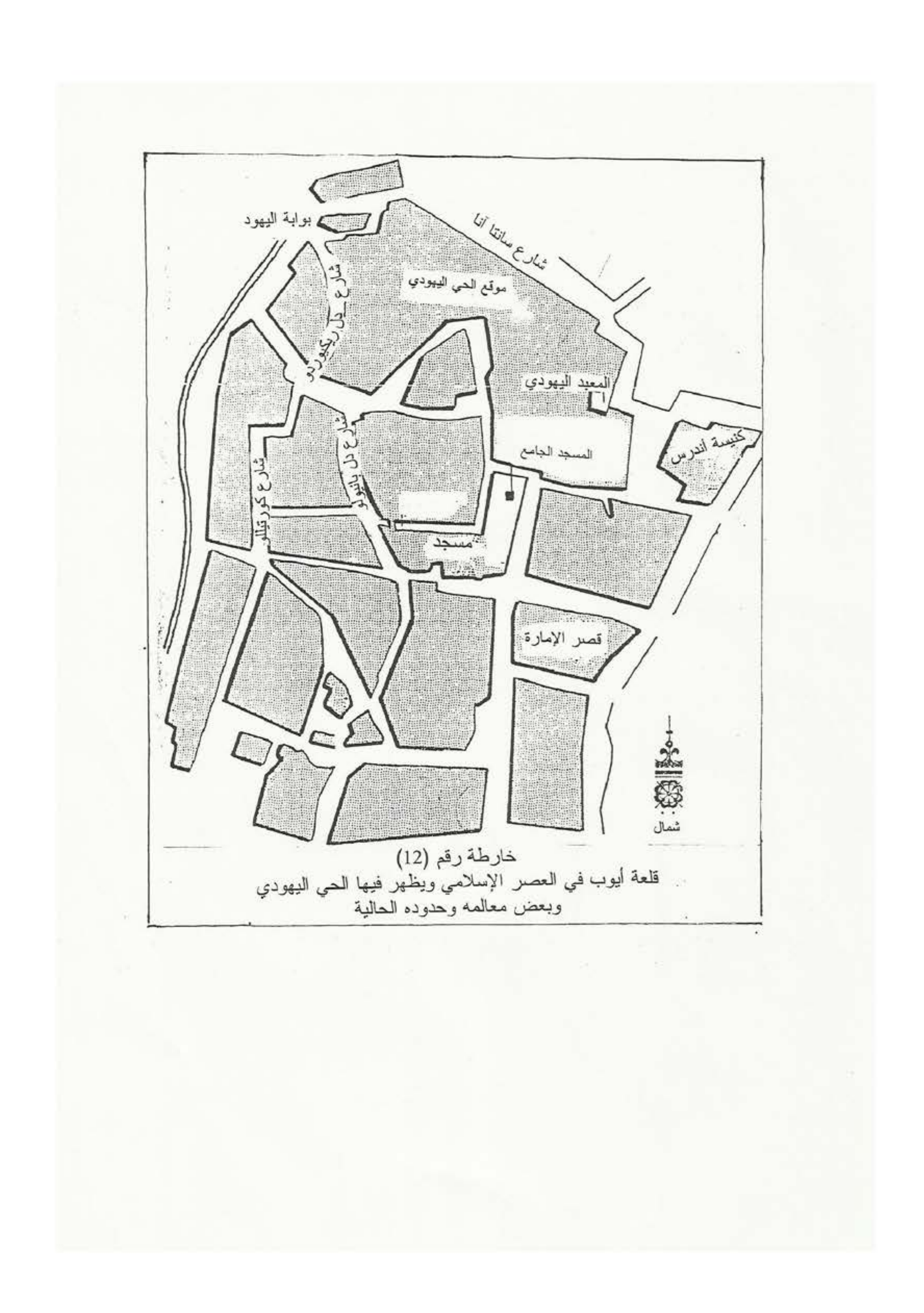
خارطة رقم (10)

سرقسطة في العصر الإسلامي ويظهر فيها الحي اليهودي وبعض معالمه وحدوده الحالية



خارطة رقم (11)

طرطوشة في العصر الإسلامي ويظهر فيها الحي اليهودي وبعض معالمه وحدوده الحالية



خارطة رقم (12)
قلعة أيوب في العصر الإسلامي ويظهر فيها الحي اليهودي
وبعض معالمه وحدوده الحالية

ABSTRACT

The theme of this dissertation is Jews in the Arabic Islamic State in Andalus (92-897H=711-1492) where it was covered in an introduction, six chapters and a conclusion. The dissertation showed that the Jews settled in the Iberian Island for the first time at the 6th century B.C., where they came as prisoners with the king Ishban, who had participated with Nabukhathnussar in invading Jerusalem.

The Jews were subjected to many nations and peoples whom have ruled this country and they were persecuted and hated at most times. The reasons behind hatred were that they were arrogant, ridiculed the beliefs of other nations and robbed their money. The visigoths were the cruelest towards Jews. Being Catholics they tried to convert them to Christianity, but when they failed; they ordered to turn them into slaves.

The dissertation also revealed that the Jews did not have any important role in conquesting Andalus as they claim nowadays, and that they did no more that participating in guarding some of the conquested cities and they were always under Moslims command. It revealed also that the Moslims allowed the Jews to live in the cities of Andalus -inside the walls- after they were forbidden to do that in the era of visigoths, and that the Moslims leveled them with tribal Arab Moslims, and specified particular quarters for them in Andalus and did not force them to live inside them, on the country, they allowed them to live with the Moslims and mingle with them.

The dissertation showed that the eras in which the Andalus rules committed themselves to Islamic principles in dealing with Jews, had witnessed a natural, quite relations between Jews and ruling authorities

from one hand, and between Moslims in the first three centuries of Islamic ruling to Andalus, where having good treatment and there were no complications leading to violent reactions against them. That happened also during the Muravits' era and in Granada for two and half centuries of its Islamic rule.

Some of the principalities rulers have deviated from the Islamic principals in dealing with Jews. So they made them close to them and appointed them some important official posts in their principalities including the post of the Granada vizir as happened in Granada during the time of Badis, where Ismael and his son Joseph after him were appointed to that post. The Jews at that era have gone beyond their limits and did not commit themselves to the (A'qd Al-thima), so they dominated the Moslims, ridiculed their beliefs and conspired on them and even on the rulers who took care of them. The results were a general misery both to Moslims and Jews. Where the former suffered the Jews cruelty and injustice even though they were living on Islamic Soil and under Islamic rule. The rulers on the other hand suffered from conspiracies of Jews against them. As for the Jews themselves, they suffered some harsh and violent relations, which led in general to excelling and killing great numbers of them.

At time of principalities the Jews tried to establish a Jewish state in merya, where the Jewish vizir Joseph bin Ismeal bin Nagdelah had conspired with Ibn Somadih, the ruler of Merya, to hand him Granada in return of handing him Ibn Somadih of Merya to Ibn Nagdelah, to establish a Jewish state there. When word reached Granada Moslims they revolted against Jews, Killing Ibn Nagdelah and many of his partners and failed the attempt.

The Andalusian Jews showed allegiance and loyalty to Islamic authorities at the three centuries of Islamic rule to Andalus, and when that authority weakened during the principalities and later eras, and the Christian grew even more stronger, the Jews enhanced their conspiracies on the Islamic authorities and they have gone far beyond their limits.

Andalusian Jews were quite ungrateful to Moslims, where they participated Spanish Christians in persecuting the occupied Islamic cities and their inhabitants, and they provide they with required money for their wars against Andalus's Moslims and some times they have even participated in these wars.

On the other hand, Andalusian Moslims had natural social relations with Jews and treated them well and did them justice in spite of their bad qualities and their hatred and antagonism towards Moslims.

The Jews of Andalus used to have on official chief of their community called (Nasi) which was appointed by the Andalusian rulers. He was responsible to them on collecting tribute from Jews and handing it to them, in addition to organizing the community's religious, administrative and financial affairs. The Jews also had their judges and their own courts to hear their cases, and a special tax to finance their community affairs, in addition to other administrative and financial organizations. They were also allowed to practice all economic activities, but they concentrated their efforts on trade, especially slave traders where they made great profits, and they did not succeed only in some industries and cheap jobs that the Moslims scorned.

The dissertation showed also the great influence of Islamic culture on the Jews, where it change their language, literature, legislation's and even their warships and rituals. The dissertation

concluded that the Jews sciences and intellectuals did not have creative minds as Jews claim, rather they were mere imitators of their Islamic teachers and they were affected greatly by their achievements.

المحتويات